

بها نيساب كتاب



 Bibliotheca Alexandrina
0013483

برهان يتطلب قراراً!

براهين تاريخية على صحة الإيمان المسيحي

بقلم
جوش مكديويل

ترجمة
الدكتور القس منيس عبد النور



دار الثقافة

طبعة ثالثة

صدر عن دار الثقافة — ص.ب ١٢٩٨ — القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة نشر
أو طبع بالرونيو للكتاب أو أي جزء منه بدون إذن الناشر، وللناشر وحده حق
إعادة الطبع)

١٠ / ١١٠ ط ٣ / ٥ — ٧ / ٧٧ — ٨٣ — ٩١

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١ / ٢٥١٨

دولى ٩ — ٠٢٨ — ٢١٣ / ٩٧٧

طبع بمطبعة دار الجيل

تمهيد

تعرض الإيمان المسيحي لتساؤلات عديدة أثارته تيارات الفكر المعاصرة في الحقبة الأخيرة ، وصار من المحتم علينا أن ندرس الإيمان المسيحي من وجهة نظر علمية ، ليكون لنا أن نجاب كل من يسأل عن سبب الرجاء الذي فينا .

أنه يسعد دار الثقافة المسيحية أن تقدم هذا السفر الرائع الشامل ، الذي يغطي كافة جوانب الإيمان المسيحي في دراسة علمية ، تستند أساساً على كلمة الله المقدسة .

وقد أحست دار الثقافة بأن هذا الكتاب ينقصه بحث عن « التثليث » ، لذلك طلبت الدار من القس منيس عبد النور (مترجم الكتاب) أن يضيف هذا البحث . وقد وافق المؤلف ، كما وافق الناشر على إضافة هذا الفصل . وتجده في الملحق الرابع في مؤخرة الكتاب .

وقد نفذت الطبعتين الأولى والثانية بعد الاقبال الذي لاقاه الكتاب ، ويسرنا أن نقدم الطبعة الثالثة .

إن دار الثقافة ، وهي تقدم هذا الكتاب تريده مرجعاً يعاون المؤمن على التثبت من إيمانه ، ويعاون غير المؤمن على التعرف على الإيمان المسيحي وأسبابه .

دار الثقافة

محتويات الكتاب

صفحة	
٣	تمهيد
١١	مقدمة
١٤	تقديم

الجزء الأول

الكتاب المقدس موضوع ثقي

٢٠	الفصل الأول - الكتاب الفريد
	في ترابطه - في توزيعه - في ترجمته - في بقاءه - في تعاليمه
	- في تأثيره على الأدب .

٣٤	الفصل الثاني - كيف كتب الكتاب المقدس ؟
	المواد المستعملة في كتابة الكتاب المقدس - أشكال الكتب
	القديم - أنواع الكتابة - أقسام الكتاب المقدس .

٣٨	الفصل الثالث - الأسفار القانونية
	مقياس قانونية السفر - قانونية العهد القديم - أسفار غير
	قانونية بالعهد القديم - قانونية أسفار العهد الجديد .

الفصل الرابع - الكتاب الذى يعتمد عليه ٥٢

صححة الكتاب المقدس ببليوغرافيا

العهد الجديد - شهادة علماء الببليوغرافيا للعهد الجديد - شهادة
المخطوطات للعهد الجديد - الترتيب التاريخى لمخطوطات العهد
الجديد - ترجمات العهد الجديد - علماء الكنيسة الأولون
يشهدون للعهد الجديد - شاهد على صححة المخطوطات من
قلاوتها بالكنائس .

العهد القديم - الاهتمام الزائد بنقل المخطوطات - أشخاص
متخصصون لنقل المخطوطات - مخطوطات قديمة للعهد
القديم - ترجمات العهد القديم - اقتباسات من العهد القديم .

براهين داخلية على صححة الكتاب المقدس - الشك فى جانب
المخطوطة - المراجع أساسية وقيمة - المراجع قديمة وأصلية .

براهين خارجية على صححة الكتاب المقدس .

براهين من علم الحفريات والآثار - نماذج من الحفريات تبرهن
على صححة العهد القديم - نماذج من الحفريات تبرهن صححة
العهد الجديد .

مراجع الجزء الأول (فصول ١ - ٤) ١٠١

الجزء الثانى

تقنى فى يسوع المسيح

- ١٠٦ الفصل الخامس - يسوع المسيح فى التاريخ
مراجع مسيحية لتاريخية المسيح - مراجع من خارج الكتاب
المقدس تشهد لتاريخية المسيح
- ١١٤ الفصل السادس - يسوع ابن الله
يسوع يعلن ألوهيته : فى وقت محاكمته - فى بعض أحاديثه -
بقبوله العبادة له - آخرون يؤكدون ألوهيته .
يسوع يعمل عمل الله : غفران الخطية - لا يتغير - الحياة -
الدينونة .
يسوع يحمل ألقاب الله : يهوه - ابن الله - ابن الإنسان -
أبا الآب .
- ١٢٨ الفصل السابع - الاحتمال المثلث : رب أو كاذب أو مجنون !
- ١٣٤ الفصل الثامن - الافتراض العظيم
لو أن الله صار إنساناً : لصار دخوله إلى العالم بطريقة غير
عادية - لكان خالياً من الخطأ - لأجرى المعجزات - لجاء
مختلفاً عن كل البشر - لكانت كلماته أعظم ما قيل - لكان
تأثيره شاملاً ودائماً - لأشبع جوع الناس الروحى - لكان
له سلطان على الموت .

الفصل التاسع - نبوات عن المسيح في العهد القديم تتحقق في المسيح	١٧٣
هدف النبوات عن المسيا المخلص الآتي - العهد الجديد يشير إلى النبوات القديمة - يسوع هو المخلص المنتظر حسب النبوات التي تحققت - النبوات التي تحققت تبرهن أن يسوع هو المسيا المسيح ابن الله - نبوات تتحقق عن موعد مجيء المسيا - نبوات العهد القديم تتحقق حرفياً في المسيح .	
مراجع الفصل الخامس إلى التاسع	٢٢٢
الفصل العاشر - القيامة : خدعة أم حقيقة ؟	٢٢٤
أهمية القيامة - إعلان المسيح أنه سيقوم من الأموات - معالجة تاريخية - مشاهد حول حادثة القيامة - مشاهد بعد حادثة القيامة - حقائق ثابتة عن القيامة - نظريات فاسدة ضد القيامة - خاتمة .	
مراجع الفصل العاشر	٣٠٢

الجزء الثالث

الله يعمل في التاريخ ، وفي حياة البشر

الفصل الحادي عشر - النبوة	٣٠٧
مقدمة : تعريف بالنبوة - فحوص النبوة الصادقة - الاعتراض على النبوات .	
نبوات تحققت عن : صور - صيدون - السامرة - غزة	

صفحة

وأشقلون — موآب وعمون — البتراء وأدوم — طيبة وممفيس —
نينوى — بابل — كورزين وبيت صيدا وكفر ناحوم — اتساع
أورشليم — فلسطين .

الاحتمالات النبوية .

الفصل الثاني عشر — الاختبار المسيحي الفريد ٣٦٧
مقدمة : ماهو الاختبار المسيحي — أهميته .

الاختبار المسيحي مبنى على حقائق فريدة .

عينات من الاختبار المسيحي : من وظائف مختلفة — من
جنسيات مختلفة — من خلفيات مختلفة — متشككون تجددوا —
تألموا لأجل المسيح .

مراجع الجزء الثالث ٤٢٠

أربعة ملاحق :

ملحق ١ — وجدت إشباعاً لعقلي ٤٢٦

ملحق ٢ — سلسلة أنساب المسيح ٤٣٢

ملحق ٣ — المبادئ الروحية الأربعة ٤٣٣

ملحق ٤ — عقيدة الثالوث في المسيحية — للقس منيس

عبد النور ٤٤١

مقدمة

هل المسيحية قابلة للتصديق ؟

هل هناك أساس عقلائي للإيمان بيسوع المسيح ابن الله ؟

إن العلماء عبر القرون ، والملايين من الطلبة والخريجين يجاوبون على هذا السؤال بقوة قائلين « نعم » . وهذا ما تجده في كتاب جوش مكحول : « برهان يتطلب قراراً » .

لقد صرف جوش مكحول أكثر من نصف وقت عمله مع هبئتنا ، مندوباً زائراً ، التقى خلالها بعشرات الآلاف من الطلبة والأساتذة في أكثر من ٤٠٠ جامعة في ٤٢ دولة ، يشجع ويساعد ويدعو وينور القلوب بالإيمان . وبفضل اختباراتهِ في الحديث في الجامعات ، وإلقاء المحاضرات في المدرجات والحديث مع مئات السائلين ، مع درجته العلمية الرفيعة من كلية لاهوت « تالبوت » علاوة على بحوثه العميقة في البراهين التاريخية على صدق الإيمان المسيحي ، أصبح لجوش مكحول الحق في الكتابة والحديث بسلطان .

وقد سأل رجل قانون المسيح : « ما هي أهم وصية في ناموس موسى ؟ » فأجاب المسيح : « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى والعظمى » . ولقد خلق الله الإنسان قادراً على التفكير ليفتش عن المعرفة ويهضم الحق . ويريدنا الله أن نستخدم عقولنا . ويقول الرسول بطرس : « مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم » .

ولهذا فقد ركزنا تركيزاً خاصاً على ما يؤمن المسيحيون به ، وعلى التدريب لمشاركة الآخرين في هذه الحياة الفضلى الرائعة التي يمكن توفرها لكل من يضع ثقته في المسيح . وقد أقامت هيئتنا مؤسسات لتدريب القادة والعلمانيين وللدراسات الكتابية ، مع برامج تدريبية أخرى ، وقد ساعدت هذه مئات الألوف ليقدموا إيمانهم في صورة صحيحة مقنعة مدعمة بالبراهين

وخلال السبعة والعشرين عاماً الماضية التي خدمت فيها في المؤسسات العلمية لم ألتق بفرد واحد درس الأدلة ، وخرج منها منكراً أن المسيح هو ابن الله ومخلص البشر ، فإن البراهين على ألوهية المسيح واضحة لكل باحث أمين يبحث بنزاهة عن الحق ، ولو أن معظم الذين اقتنعوا بصحة خلاص المسيح لم يطلبوا هذا الخلاص ! ولم يكن سبب هذا أنهم لا يقدرّون أن يؤمنوا ، بل لأنهم لا يريدون أن يؤمنوا . وعلى سبيل المثال جاء إلينا طبيب نفسى نابه قال إنه لم يعرف مطالب المسيح التفاتاً ، ولم يقف ليفكر فيها ، خوفاً من أن يقتنع فيضطر إلى تغيير طريقه في الحياة ! وبعض الملحدين المعروفين ، مثل الدوس هكسلي وبرتранد راسل ، رفضوا أن يفحصوا الحقائق التاريخية عن ميلاد المسيح وتعاليمه ومعجزاته وموته وقيامته . أما الذين فحصوا هذه البراهين مثل ك. س. لويس و ك. أ. جواد فقد قبلوا المسيح المخلص ، وآمنوا به كمخلصهم الشخصي وكان لله .

ويستطيع كل من يقرأ هذا الكتاب أن يجد مادة كافية تعاونه على تقديم الأخبار المفرحة بطريقة مقنعة . ولكن هناك كلمة تحذير : لا يجب أن تفترض أن الشخص العادي يشك في صحة ألوهية المسيح عقلياً ، فإن أغلب الناس في معظم بلاد العالم لا يحتاجون إلى اقناع بألوهيته أو بحاجتهم إلى خلاصه . . لكن كل ما يحتاجونه هو أن نخبرهم أن يقبلوه مخلصاً وأن يتبعوه رباً !

وعلى هذا فإن المسيحى هو الذى سيجد أعظم العون من قراءة هذا الكتاب ، لأنه لا يقوى إيمانه بالمسيح فحسب ، بل سيتمكنه من مشاركة الآخرين فى إيمانه بفعالية وقوة .

« ثم قال لتوما : هات أصبعك إلى هنا وأبصر يدي .

وهات يدك وضعها فى جنبى ،

ولا تكن غير مؤمن ، بل مؤمناً ! »

« أجاب توما وقال له : ربى وإلهى ! »

« قال له يسوع : لأنك رأيتنى يا توما آمنت

طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يوحنا ٢٠ : ٢٧ - ٢٩) .

وليم برايت

تقديم الكتاب

قال الرسول بطرس : « مستعدين دائماً لمجابهة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم » (١ بطرس ٣ : ١٥) .. وهذا الكتاب « مجابهة » ودفاع عن الحق الذى يؤمن المسيحيون به . إنه محاولة للإجابة على السؤال : « لماذا أنت مسيحي ؟ » .

يؤمن كثيرون بالمسيحية بالتسليم البسيط بدون تفكير ، ولكن هذا لا يكتفى لإيمان واع مستقر ، فإن المسيحية مؤسسة على حقائق أكيدة . وهدف هذا الكتاب أن يقدم للقارئ هذه الحقائق حتى يكون قبوله للحق بالفهم والإدراك ، فيسلم حياته لعمل الروح القدس فيه ، لأن القلب لا يفرح بما يرفضه العقل !

فى أثناء دراستى الجامعية كنت أدرس « فلسفة الدفاع » وكان على أن أكتب مقالة عن « أفضل دفاع عن المسيحية » . وقد أرجأت الكتابة فترة ، لا لنقص المعلومات التى عندى ، بل لأننى كنت أعلم أن ما سأكتبه لن يرضى الأستاذ . ولكنى قررت أخيراً أن أكتب . وبدأت بالقول : « يضايق الدفاع الممتاز بعض الناس ، ولكنى أقول إن أفضل دفاع عن المسيحية هو تقديم طلبات المسيح من البشر بصورة بسيطة واضحة ، وشرح من هو المسيح » ، ثم كتبت المبادئ الروحية الأربعة (١) وسجلت شهادتى : أنه فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٩ فى الثامنة والنصف مساءً ، فى سنتى الثانية من الدراسة الجامعية ، قبلت المسيح . ثم أنهيت المقال بذكر الأدلة على قيامة المسيح .

(١) « المبادئ الروحية الأربعة موجودة فى نهاية هذا الكتاب » .

ولابد أن الأستاذ درس المقال بدقة ، ولابد أنه وافق على ما كتبت ،
لأنه أعطاني ٩٦ ! وما أحمل ما قيل : « إن فلاحاً بسيطاً يمسك كتابه المقدس
ويسير خلف المحراث ، يعرف عن الله أكثر مما يعرف عالم لاهوتى يشكر
سلطان الكتاب المقدس » . ذلك لأن « كلمة الله حية وفعالة وأمضى من
كل سيف ذى حدين ، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ،
ومميزة أفكار القلب ونياته » (عبرانيين ٤ : ١٢) . وعلى هذا فيجب أن
نركز بالإنجيل ، وفي الوقت نفسه نكون مستعدين دائماً لمجابهة من يسألنا
عن سبب الرجاء الذى فينا .

سمعت شخصاً يقول : « أنتم المسيحيون توجعون قلبي . كل ما تطلبونه
هو الايمان الأعمى ، وكأن من يصير مسيحياً يجب أن ينتحر فكراً » .
ولكننى أرى أن قلبي لا يمكن أن يقبل ما يرفضه عقلى ، فإن قلبي وعقلي
عطية الله ليعملا معاً فى توافق ، وقد أمرنا المسيح أن نحب الله بكل القلب
وبكل الفكر (متى ٢٢ : ٣٧) .

ولم يطلب الله منا « إيماناً أعمى » بل « إيماناً واعياً » - « لأننى عالم بمن
آمنت ، وموقن » (٢ تيموثاوس ١ : ١٢) - « وتعرفون الحق والحق
يحرركم » (يوحنا ٨ : ٣٢) .

الإيمان بالمسيحية اذن مبنى على براهين ، وهو إيمان بالعقل . والإيمان
المسيحى يذهب إلى ما هو أبعد من العقل ، لكنه ليس ضد العقل ! .

والإيمان المسيحى إيمان موضوعى - موضوعه المسيح نفسه . ولا تقوم
أهميته على الشخص الذى يؤمن ، بل على « الشخص » الذى تؤمن به .
لا على الشخص الذى يضع ثقته ، بل على « الشخص » الذى نضع ثقتنا فيه .
قد يكون بعض أتباع الديانات الأخرى أكثر إيماناً من بعض المسيحيين ،

ولكن العبرة ليست بكمية الإيمان ، بل بموضوع الإيمان . . . وعلى هذا فإن
المسيحي يجد « الخلاص » لأن المسيح هو المخلص .

الحق الذي رأوه :

« لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح
ومجيئه ، بل كنا معانين عظمته » (٢ بطرس ١ : ١٦) — « الذي كان
من البدء . الذي سمعناه . الذي رأيناه بعيوننا . الذي شاهدناه ، ولمسته أيدينا ،
من جهة كلمة الحياة . . . الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به » (١ يوحنا ١ : ١-٣)
« إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما
سلمها إلينا الذين كانوا من البدء معانين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً
إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك ،
أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به » (لوقا ١ : ١-٤) .

ولم يسجل كتاب العهد الجديد ما رأوه فعلاً فحسب ، لكنهم دعوا
أعداءهم ليتحدثوا عن الحق الذي رأوه : « أيها الرجال الاسرائيليون ،
اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله
بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم ، كما أنتم أيضاً تعلمون »
(أعمال ٢ : ٢٢) — « لأنه من جهة هذه الأمور عالم الملك الذي أكلمه
بجهاراً ، إذ أنا لست أصدق أن يَحْتَقِ عليه شيء من ذلك . لأن هذا لم يفعل
في زاوية ! أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء ؟ أنا أعلم أنك تؤمن »
(أعمال ٢٦ : ٢٤ - ٢٨) .

لم يكن الإيمان المسيحي خرافة أو خيالاً ، لكنه حق منظور !

إذا لماذا يرفضون ؟

ولقد وجدت أن الأغلبية العظمى من الذين يرفضون المسيح يفعلون ذلك ، لا لدليل عقلي ، بل لأنهم لا يريدون ! كثيرون عندهم أعذار عقلية ، وقليلون عندهم مشاكل عقلية .

اننى أحترم الانسان الذى يعرف لماذا يرفض الإيمان ، بالحقائق الفكرية والتاريخية ، لأننى حقاً وتاريخاً أوّمن . ولكنى وجدت أن معظم الطلبة يرفضون المسيح لأحد الأسباب التالية :

١ - بسبب الجهل (رومية ١ : ١٨-٢٣) ، وهو جهل يفرضونه على نفوسهم عادة .

٢ - بسبب الكبرياء (يوحنا ٥ : ٤٠ - ٤٤) .

٣ - بسبب مشاكل أخلاقية (يوحنا ٣ : ١٩ ، ٢٠) .

تحدثت مع طالبة رفضت المسيح لأنها اعتقدت أن المسيحية ضد المنطق والتاريخ ، وقد أقنعت الكثيرين بأنها وجدت مشاكل فكرية فى الإيمان المسيحى نتيجة لدراستها الجامعية . وقد حاول كثيرون إجابة أسئلتها وإقناعها فكرياً ، بدون جدوى . وبعد حديثى معها لمدة نصف ساعة قالت إنها خدعت كل الذين حدثوها من قبل ، وأنها أنمت شكوكها الفكرية لتغضى حياتها الأخلاقية .

وكننت أتحدث إلى طالب جامعى عن الإيمان المسيحى عندما قال لى : « لا يمكن الاعتماد على روايات العهد الجديد » فقلت له : « لو أننى برهنت لك أن العهد الجديد صادق تماماً ، فهل تؤمن ؟ » فأجاب بحدة : « لا ! » فقلت له : « إن المشكلة عندك ليست فكرية ، لكنها مشكلة إرادة » .

وقد كتب ألدوس هكسلى عن مشكلة إرادته فى طريق إيمانه ، فقال :
« كانت عندى دوافع تجعلنى أريد للعالم أن يكون بلا معنى ، فافترضت أنه
بلا معنى ، واستطعت بدون عناء أن أجده أسباباً مقنعة لهذا الافتراض .
والفيلسوف الذى لا يجد معنى للعالم لا تعنيه تماماً مشكلة فى الميتافيزيقا ،
لكنه يهتم بأن يجد الأسباب التى تجعله يفعل ما يشاء ، والتى تجعل أصدقاءه
يمسكون بالسلطة السياسية ويحكمون بالطريقة التى تعود بالنفع عليهم . .
وبالنسبة لى كانت فلسفة « الحياة بلا معنى » أداة لازمة للتحرر الجنسى
والسياسى » .

أما برتراند رسل الملحد الذكى فإنه لم يهتم بأن يفحص الأدلة التى
تساند المسيحية . ويتضح من بحثه « لماذا أنا غير مسيحي » ؟ أنه لم يهتم
بدراسة الأدلة التى تبرهن صحة القيامة . بل أن ملاحظاته تظهر أنه لم يقرأ
العهد الجديد . ومن المؤسف أن شخصاً لا يدرس القيامة بالتفصيل ، لأنها
أساس المسيحية (١) .

قال المسيح : « ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم ، هل هو من
الله ، أم أتكلم أنا من نفسى » (يوحنا ٧ : ١٧) فإذا جاء أحد لتعاليم المسيح ،
راغباً أن يعرف صحتها ، موافقاً على طاعتها إن كانت صحيحة ، فسوف
يعرف . ولكن الذى يجرى إلى تعاليم المسيح ، وهو لا يريد أن يقبلها ،
فلن يجدها !

(١) Green, Michael, *Runaway World*, Intervarsity Press, 1968.

الجزء الأول

الكتاب المقدس موضوع ثقتي

نهدف من هذا الجزء أن نبني الإيمان العامل في كلمة الله ، فإن الكتاب المقدس جدير باعتمادنا عليه ، ومسيقف شائعاً خلال كل امتحان !
وهاكم محتويات هذا الجزء للمعاونة على استخدام ما جاء به استخداماً مشمراً .

١ - الكتاب الفريد .

(أ) في ترابطه .

(ب) في توزيعه .

(ج) في ترجمته .

(د) في بقاءه .

(هـ) في تعاليمه .

(و) في تأثيره على الأدب .

٢ - الكتاب الذي يستحق ثقتنا .

(أ) برهان من البيليوغرافيا (ثبت المراجع) .

(ب) برهان من داخل الكتاب .

(ج) برهان من خارج الكتاب .

(د) برهان من الحفريات .

الفصل الأول

الكتاب الفريد

مقدمة :

كثيراً ما أسمع كلمات ، تتكرر كالاسطوانة المشروخة ، تقول : « غير معقول أنك تقرأ الكتاب المقدس » أو : « الكتاب المقدس كأي كتاب آخر يجب الاطلاع عليه » . الخ . وهناك طالب يفتخر بأن الكتاب المقدس واحد من الكتب الموجودة عنده ، مع أن الغبار يعلوه ، وهو لم يقرأه ، لكنه يحتفظ به بين « روائع الكتب » .

وهناك الأستاذ الذي يقلل من قيمة الكتاب أمام طلبته ، ويضحك ضحكة نصف مكبوتة من الذين يقرأونه ، ومن الذين يحتفظون به في مكتباتهم !

ولقد حيرتني هذه الأفكار والملاحظات ، عندما حاولت كشخص بعيد عن المسيح ، أن أدحض أن الكتاب المقدس هو كلمة الله للناس . وأخيراً وجدت أنها عبارات مبتذلة من أشخاص منحازين أو موتورين أو جاهلين ، عبارات صارت رثة لكثرة استعمالها !

والحقيقة هي أن الكتاب المقدس يجب أن يوضع في أرفع مكان ، لأنه كتاب فريد . وكل الأوصاف التي وصلت إليها عن الكتاب المقدس يمكن إيجازها في أنه كتاب « فريد » !

ولابد أن وبستر (صاحب القاموس) كان يفكر في « كتاب الكتب » عندما كتب تعريفاً للكلمة « فريد » جاء فيها :

١ - الواحد ، الوحيد ، المنفرد .

٢ - المختلف عن كل ما عداه ، الذى لا شبيه له .

ولقد صرف الأستاذ مونتيرو وليامز ٤٢ سنة يدرس الكتب الشرقية ،
وكتب مقارنة بينها وبين المقدس قال فيها (١) :

« كوم هذه الكتب على جانب مكتبك الأيسر ، إذا شئت ، ولكن
ضع كتابك المقدس على الجانب الأيمن ، وحده بمفرده ، وبينه وبينها
كلها مسافة ، فهناك فعلا مسافة كبيرة تفصل هذا الكتاب الواحد عنها كلها
فصلا كاملا للأبد . إنها مسافة حقيقية ، لا يمكن أن يقام عليها جسر
(كوبرى) من أى علم أو فكر دينى » .

والكتاب المقدس فريد يختلف عن كل الكتب الأخرى فى المجالات
التالية ، ، وكثير غيرها :

أولا - فريد فى ترابطه :

١ - فقد كتب فى فترة بلغت نحو ١٦٠٠ سنة .

٢ - فى فترة أكثر من ستين جيلا .

٣ - كتبه أكثر من أربعين كاتباً ، من كل مسالك الحياة ، منهم الملوك
والفلاح والفيلسوف والصياد والشاعر والحاكم والعالم . . الخ ، فمنهم :

موسى القائد السياسى الذى تلقى تعليمه فى الجامعات المصرية

وبطرس الصياد .

وعاموس راعى الغنم .

ويشوع القائد العسكرى .

- وتحميا ساقى الملك .
- ودانيال رئيس الوزراء .
- ولوقا الطبيب .
- وسليمان الملك .
- ومتى جاني الضرائب .
- وبولس رجل الدين .

٤- وقد كتب في أماكن مختلفة :

- كتب موسى في الصحراء .
- ولارميا في جب السجن المظلم .
- ودانيال على جانب التل أو في القصر .
- وبولس داخل السجن .
- ولوقا وهو مسافر .
- ويوحنا في جزيرة بطمس .
- وآخرون في أرض المعارك .

٥- وكتب في أزمنة مختلفة :

- كتب داود في وقت الحرب .
- وسليمان في وقت السلم .

٦- وكتب في أحوال نفسية مختلفة :

- كتب البعض في قة أفراحهم ، وآخرون في عمق أساهم وفشلهم .

٧- كتب من ثلاث قارات .

- آسيا وأفريقيا وأوربا .

٨- وكتب بثلاث لغات :

العبرية وهى لغة العهد القديم ، وتدعى فى ٢ ملوك ١٨ : ٢٦ - ٢٨
اللسان « اليهودى » وتدعى فى إشعياء ١٩ : ١٨ لغة كنعان .

والأرامية وقد كانت هى اللغة الشائعة فى الشرق الأوسط إلى أن جاء
الاسكندر الأكبر (من القرن السادس إلى القرن الرابع ق. م) .

أما اليونانية ، لغة العهد الجديد ، فكانت اللغة الدولية فى زمن المسيح .

٩- أما موضوعاته فقد حوت مئات المسائل الجدلية ، التى تثير الخلافات
الفكرية ، وتستحق المناقشة . . غير أن كل كتاب الكتاب المقدس
تحدثوا عن كل هذه المسائل باتفاق كامل ، وبترابط شديد ، من
التكوين للرؤيا ، إذ شرحوا « فداء الله للإنسان » . وقد قال أحد
المؤلفين : « الفردوس المفقود فى التكوين يصبح الفردوس المردود
فى سفر الرؤيا . ويغلق باب طريق شجرة الحياة فى التكوين ، ولكنه
يفتح للأبد فى الرؤيا » (٣) . ويقول كاتب آخر : « أى جزء فى الجسم
الإنسانى لا يمكن فهمه إلا فى نور ارتباطه بالأجزاء الأخرى ، وهكذا
لا يمكن فهم جزء من الكتاب المقدس إلا فى نور ارتباطه ببقية
الأجزاء » . ثم يمضى الكاتب نفسه ليقول : « يبدو الكتاب المقدس
للوهلة الأولى أنه مجموعة كتابات أدبية يهودية ، ولكن لو فكرنا
فى الظروف التى كتبت فيها تلك الكتابات لوجدنا أنها كتبت على مدى
١٤٠٠ سنة أو نحوها ، من بلاد مختلفة امتدت رقعتها من إيطاليا فى الغرب
إلى العراق وربما إيران فى الشرق . وكان الكتاب من أجناس مختلفة ،
تفصلهم عن بعضهم مئات الأميال ومئات السنوات ، كما كانوا من مختلف
مسالك الحياة . كان منهم الملوك والرعاة والجنود والمشرعون والصيادون
ورجال دولة وكهنة وأنبياء وصانعو خيام وأطباء . . وغيرهم ممن

لا نملك عنهم معلومات كافية . أما الكتابات فهي من مختلف أنواع الأدب ، فهناك التاريخ والقانون (المدني والجنائي والأخلاقي والديني والصحي) والشعر الديني والمقالات القصيرة والأمثال والكتابات الرمزية وتواريخ الحياة والمراسلات والمذكرات الشخصية ، والكتابات النبوية . ومن هذا كله نرى أن الكتاب المقدس ليس مجموعة زهور ، لأن وحدة واحدة تربطه معاً . إن مجموعة الزهور تحتاج إلى من ينسقها لكن الكتاب المقدس لم ينسقه أحد ! .

١٠ — خاتمة لفكرة الترابط — مقارنة مع أعظم الكتب في العالم الغربي . ذات يوم زارني في منزلي مندوب مبيعات ليبيع لي مجموعة كتب « أعظم الكتب في العالم الغربي » وعرض الكتب على وقضى خمس دقائق يتحدث عنها ، فصرفت ساعة ونصف الساعة أحكى له عن أعظم الكتب ! ولقد تحديته أن يأخذ كتابات عشرة مؤلفين فقط ، من مسلك واحد ، ومن جيل واحد ومكان واحد ومزاج واحد وقارة واحدة ولغة واحدة ، في موضوع جلدى واحد (الكتاب المقدس يتكلم عن مئات المواضيع في انسجام كامل) . ثم سأله : « هل يتفق أولئك الكتاب ؟ » فأجاب بالنفي . وسأله : « وماذا ستجد ؟ » فقال « خليطاً » . وبعد يومين سلم مندوب المبيعات حياته للمسيح (موضوع الكتاب المقدس) .

فلماذا كل هذا ؟ الإجابة بسيطة ! أى شخص يفتش باخلاص عن الحق سيعتبر الكتاب المقدس كتاباً فريداً .

ثانياً — فريد في توزيعه :

أقدم هنا الأرقام التي أذاعتها جمعية الكتاب المقدس ، وهي مأخوذة عن مجموعة من الكتب العالمية مثل الموسوعة البريطانية والأمريكية . . الخ

إنتاج الكتاب المقدس

أجزاء من الكتاب	عهد جديد	كتب مقدسة	التاريخ
+	+	٤٠٩ مليون	منذ ١٨٠٤ (جمعية الكتاب المقدس البريطانية)
+	+	٩٦٥ ألفا	في ١٩٢٨ (الجلدونيون بأمريكا)
		٨٨,٠٧٠,٠٦٨	جمعية الكتاب المقدس الوطنية باسكتلندا
		٦,٩٨٧,٩٦١	جمعية الكتاب المقدس بدبلن
		٩٠٠,٠٠٠	جمعية الكتاب المقدس الألمانية
		١٢ مليوناً	في ١٩٣٠
		١,٣٣٠,٢١٣,٨١٥	منذ ١٩٣٢
		١٤,١٠٨,٤٣٦	في ١٩٤٧
١٣,١٣٥,٩٦٥	١,٩١٣,٣١٤	٩٥٢,٦٦٦	في ١٩٥١
		٢٥,٣٩٣,١٦١	في ١٩٥٥
١٨,٤١٧,٩٨٩	٣,٢٢٣,٩٨٦	٣,٠٣٧,٨٩٨	من ١٩٥٠ - ١٩٦٠ (سنوياً)
		٥٤,١٢٣,٨٢٠	في ١٩٦٣
		١,٦٦٥,٥٥٩	في ١٩٦٤
		٦٩,٨٥٢,٣٣٧	(جمعية الكتاب المقدس الأمريكية)
٣٩,٨٥٦,٢٠٧	٢,٦٢٠,٢٤٨	٧٦,٩٥٣,٣٦٩	هيئات أخرى
		٨٧,٣٩٨,٩٦١	في ١٩٦٥
			في ١٩٦٦

لقد قرىء الكتاب المقدس ، وتمت ترجمته إلى لغات أكثر من أى كتاب آخر ، كما أن النسخ التى أنتجت منه كله ، أو من أجزاء منه ، فاقت إنتاج أى كتاب آخر فى التاريخ . قد يجادل البعض بأن كتاباً ما وزع منه - فى شهر ما أكثر مما وزع من الكتاب المقدس فى ذلك الشهر ، ولكن الكتاب المقدس مستمر فى التوزيع . ولقد كان أول كتاب كبير يطبع هو الكتاب المقدس فى ترجمة الفولجاتا اللاتينية ، وطبع فى مطبعة جوتنبرج (٤) . وقد قال أحدهم إن جمعية الكتاب المقدس ، منذ ثلاثين عاماً عندما أرادت أن تواجه الاحتياج إلى الكتاب المقدس ، اضطرت أن تطبع منه نسخة كل ثلاث ثوان ، ليلاً ونهاراً ، و ٢٢ نسخة كل دقيقة ليلاً ونهاراً ، و ١٣٦٩ نسخة كل ساعة ليلاً ونهاراً ، و ٣٢,٨٧٦ نسخة كل يوم فى السنة . ومن الممتع أن نلاحظ أن هذه الكتب وضعت فى ٤٥٨٣ صندوقاً تزن ٤٩٠ طناً « (٥) . ولم يحدث لكتاب فى التاريخ أن وزع بهذه الكمية ، باستمرار . وقد يقول معارض : « هذا لا يبرهن أن الكتاب المقدس هو كلمة الله ! » ولكن هذا يبرهن أن الكتاب المقدس كتاب فريد .

ثالثاً - فريد فى ترجمته :

هو أول كتاب ترجم ، فقد ترجمت النسخة السبعينية ، من العبرية لليونانية عام ٢٥٠ ق.م (٦) . وقد استمرت ترجمات الكتاب المقدس منذ ذلك التاريخ ! وقد قالت الموسوعة البريطانية (المنشورة عام ١٩٧٠) أن الكتاب المقدس « حتى عام ١٩٦٦ كان قد ترجم كله إلى ٢٤٠ لغة ولهجة ، كما ترجم سفر كامل منه أو أكثر إلى ٧٣٩ لغة أخرى ، ونقلت أجزاء منه إلى ١٢٨٠ لغة ولهجة » . كما قالت الموسوعة إن ثلاثة آلاف مترجم كانوا يعملون فى ترجمة الكتاب المقدس بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦٠ . انه كتاب فريد فعلاً فى ترجمته .

رابعاً - فريد في بقائه :

١ - لقد بقي خلال الزمن . لقد كتب على مواد قابلة للفناء (طالع بداية الفصل القادم) ، وكان يجب أن يتقل بخط اليد على مدى المئات من السنين قبل اختراع المطابع ، ولكن هذا لم ينقص من أسلوبه أو صحته أو بقاءه . وتوجد اليوم مخطوطات قديمة من الكتاب المقدس تزيد عن المخطوطات الموجودة لعشرة كتب من الروائع القديمة مجتمعة معاً (طالع الفصل الرابع) . وقد قال أحد الكتاب : « هناك ثمانية آلاف مخطوطة للفولجاتا اللاتينية ، وعلى الأقل ألف مخطوطة من ترجمات أخرى . وهناك أربعة آلاف مخطوطة باليونانية و ١٣ ألف مخطوطة لأجزاء من العهد الجديد . فضلاً عن أجزاء بكاملها من العهد الجديد يمكن تجميعها من الاقتباسات المأخوذة عن كتابات المسيحيين الأولين » (٧) . ولو أننا نظرنا باستخفاف إلى هذا السيل من المخطوطات القديمة لتركنا الكتابات الكلاسيكية القديمة كلها تضيق هباء . وقد قال أحد الدارسين : « حافظ اليهود على مخطوطات الكتاب كما لم يحدث مع أي مخطوطة أخرى . لقد حافظوا على شكل وعدد كل حرف ومقطع وكلمة وفقرة . وكانت عندهم طبقة خاصة من الناس متخصصون في نسخ هذه المخطوطات بكل أمانة ودقة . هم جماعة الكتبة . فأى شخص أحصى حروف ومقاطع وكلمات كتابات أفلاطون أو أرسطو أو شيشرون أو سنيكا ؟ . أما في العهد الجديد فعندنا ١٣ ألف مخطوطة كاملة أو ناقصة ، باليونانية وبلغات أخرى . ولم يحدث لأى عمل قديم أن لقي هذا الاهتمام أو الحفظ » (٨) .

في مقال لمجلة نورث أمريكان ريفيو نشر أحدهم مقارنة ممتعة بين كتابات شكسبير والكتاب المقدس . أوضح فيها أن الكتاب لا بد لقي اهتماماً خاصاً يفوق كل اهتمام لقيه أى كتاب آخر . وقال إنه من الغريب أن نصوص شكسبير التي صدرت منذ ٢٠٨ سنة فقط بها الكثير من المشكوك فيه ومما تناوله

التغيير ، بينما العهد الجديد الذى عمر أكثر من ١٨ قرناً (عاش خمسة عشر قرناً منها فى مخطوطات خطية) ليس به هذا العيب. ان كل نصوص العهد الجديد (باستثناء اثنى عشر أو عشرين آية) مضبوطة تماماً بإجماع العلماء . ويدور الاختلاف فى القراءات حول تفسير الكلمات (المعنى) لا حول الكلمات نفسها . هذا بينما نجد فى كل رواية من روايات شكسبير السبع والثلاثين ، نحو مئة قراءة مختلف عليها ، يؤثر الكثير منها على المعنى المقصود» (٥) .

٢ - لقد بقى خلال الاضطهادات العنيفة ، إذ لم يلق كتاب آخر مثلما لقيه الكتاب المقدس من اضطهاد . حاول كثيرون أن يحرقوه ويمنعوه ، منذ أيام أباطرة الرومان حتى الحكم الشيوعى فى العصر الحاضر . وقد قال الملحد الفرنسى المشهور فولتير (توفى عام ١٧٧٨) إنه بعد مائة سنة من وقته ستكون المسيحية قد أُمحت وصارت تاريخاً . ولكن ماذا حدث ؟ لقد صار فولتير فى ذمة التاريخ وزاد توزيع الكتاب المقدس فى كل جزء من العالم ، يحمل البركة أينما وجد . فمثلاً بنيت الكاتدرائية الانكليزية فى زنبار على موقع سوق العبيد القديم ، ووضعت مائدة العشاء الربانى فوق البقعة التى كان العبيد يجلدون فيها . وهناك الكثير من مثل هذه الحالة . إن وضع أكتافنا فى عجلة لنمنع دوران الشمس أسهل من أن نوقف توزيع الكتاب المقدس . ولم تمض خمسون سنة على وفاة فولتير حتى استعملت جمعية جنيف للكتاب المقدس مطبعته ومنزله لنشر الكتاب المقدس ! (١) .

فى عام ٣٠٣ م أصدر دقلديانوس أمراً بالقضاء على المسيحية وكتابها المقدس ، باحراق الكنائس ، والكتب المقدسة ، وحرمان كل مسيحي من الحقوق المدنية . ولكن الامبراطور الذى خلفه على العرش كان قسطنطين الذى أوصى يوسابيوس بنسخ خمسين نسخة من الكتاب المقدس على نفقة الحكومة .

ان الكتاب فريد في بقاءه. وهذا يعنى أنه يقف متفردا بين كل الكتب ، وعلى كل باحث عن الحق أن يدرس هذا الكتاب الفريد الذى تميز بهذه الصفات .

٣ - لقد بقى بالرغم من النقد . لقد حاول الملحدون على مدى ثمانية عشر قرناً أن يلقوا بالكتاب جانبا ، لكنه بقى كصخرة صامدة ، زاد توزيعه ، وزاد حب الناس له ، لم يؤثر فيه نقد النقاد كما لا يؤثر خبط مطرقة صغيرة فى بناء الهرم . عندما حاول الملك الفرنسى أن يضطهد المسيحيين فى دولته قال له محارب قديم من رجال الدولة : « ياسيدى ، إن كنيسة الله هى السندان الذى أبلى كل المطارق » . ولقد حاولت مطارق كثيرة ايداء كتاب الله ، فبليت هى وبقي هو ! ولو لم يكن هذا الكتاب كتاب الله لدمره البشر منذ زمن طويل . لقد حاول ملوك وبابوات ، وأباطرة وكهنة ، وأمراء وحكام أن يمدوا أيديهم إليه ، فماتوا هم ، وبقي هو حياً » (٥) لقد أعلن البعض ، آلاف المرات ، موت الكتاب ، ورتبوا جنازته ، وجهزوا شاهد قبره ، لكن الكتاب ظل حياً ! ولم يحدث أن كتاباً آخر لقي كل هذه الغزيلة والطعنات ، فأى كتاب من كتب الفلسفة أو المذكرات لقي ما لقيه الكتاب المقدس من تجريح ، على كل آية فيه . . . ولكن الكتاب بقى محبوباً من الملايين ، يقرأه الملايين ويدرسه الملايين .

لقد جاءت موجة ما سمي بالنقد العالى للكتاب ، ولكنها سقطت الآن . قالوا مثلاً إن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، لأن الكتابة لم تكن معروفة زمن موسى ، فلا بد أن الكاتب جاء بعد زمن موسى . بل إن النقاد قسموا كل آية إلى ثلاثة أجزاء ، كل جزء من قلم كاتب معين ، وهكذا بنوا ما دعوه « النقد العالى » !

ولكن العلم اكتشف شريعة حمورابى ، الذى كان سابقاً لموسى ، وسابقاً لإبراهيم (٢٠٠٠ ق.م) فكانت الكتابة قبل موسى بثلاثة قرون على الأقل ! ولا زال العلماء يدرسون « النقد العالى » ولكن باعتبار أنه خطأ .

ومضى النقاد يقولون إن أسوار أريحا لم تسقط في مكانها (يشوع ٦: ٢٠)
ولكن الحفريات برهنت صدق القصة الكتابية . وقال النقاد إنه لم يكن هناك
شعب اسمه « الحثيون » لأننا لم نجد لهم مكاناً في التاريخ العالمى ، ولكنهم
كانوا مخطئين ، فقد كشفت الحفريات عن مئات الإشارات إلى الحضارة
الحثية التى استمرت نحو ١٢٠٠ عام . وقد قال العالم اليهودى نلسون جليك
(يعتبر أحد أعظم ثلاثة علماء للحفريات) : « لقد أتهمونى أنى أعلم بالروحى
الحرفى الكامل للكتب المقدسة ، وأحب أن أقول إننى لم أقل هذا . ولكنى
لم أجِد فى كل بحوثى فى الحفريات ما يناقض أى عبارة من كلمة الله (٩) .

لقد وقف الكتاب وقفة فريدة فى وجه النقاد ، لم يثبت كتاب آخر
غيره فى مثل هذا الموقف مثله . وكل من يفتش عن الحق عليه أن يدرس
هذا الكتاب فسيجده فوق كل نقد ! .

خامساً : فريد فى تعاليمه :

١ - فريد فى تعاليمه النبوية . قال ولبر سميث الذى قرأ بضعة آلاف من
الكتب أن هناك اتفاقاً عاماً على أن هذا الكتاب أعظم ما كتب خلال الخمسة
آلاف سنة ، فهناك نبوات متعددة عن الناس والدول والمدن ، وعن مجيء
شخص هو « المسيا » . ولقد كان عند الأقدمين طرق مختلفة لمعرفة المستقبل ،
ولكننا لا نجد فى كل الآداب اليونانية أو اللاتينية (رغم أنهم يستعملون كلمة
نبي ونبوة) أية نبوة هامة صادقة حدثت تاريخياً ، كما لا نجد بها أى نبوة
عن المخلص الآتى لينقذ العالم . ولا يقول أى دين آخر إن هناك نبوة مؤسسة
سبقت ذلك المجيء . (١٠) .

٢ - فريد في تاريخه . من سفر صموئيل الأول إلى سفر أخبار الأيام الثاني نجد تاريخ إسرائيل عبر نحو خمسة قرون ، فقد كان اليهود عباقرة في تسجيل تاريخهم ، كما أن العهد القديم هو أقدم وثيقة تاريخية . ويقول ولبر سميث : « تملأ الأمة اليهودية على سائر الأمم في تسجيل تاريخها بوضوح معطية سلسلة الأنساب . ونحن لا نجد في كتابات مصر أو بابل أو آشور أو فينيقية أو روما أو اليونان أى شىء مشابه ، كما لا نجد ذلك في كتابات الألمان أو الهنود أو الصينيين . فإن هؤلاء جميعاً لا يعطون سلسلة نسب الملك قبل أن يتولى المملكة ، ولا يذكرون أن جدوده كانوا رعاة أو من أهل البادية الرحل . وقد ذكر الآشوريون أن حكامهم الأولين ، الذين لم يوردوا أية تفاصيل عن أعمالهم أو عن حياتهم ، كانوا من سكان الخيام ، ولكنهم أغفلوا ذكر : من أين جاءوا ! (١٠) .

٣ - فريد في شخصياته . قال أحدهم عن الكتاب : ليس الكتاب المقدس كتاباً يقدر إنسان أن يكتبه لو شاء ، أو يريد أن يكتبه لو أنه قدر . ذلك أن الكتاب يذكر خطايا أبطاله وعيوبهم . اقرأ سير حياة إنسان اليوم ، وانظر كيف يحاول الكاتب تغطية عيوب البطل ، متغافلاً عن النواحي الضعيفة فيه . إنهم يصورون الناس كالقديسين . ولكن الكتاب المقدس لا يفعل ذلك . إنه ببساطة يذكرها كما هي :

إدانة خطايا الناس (التثنية ٩ : ٢٤) .

خطايا الآباء الأقدمين (تكوين ١٢ : ١١ - ١٣ ، ٤ : ٥ - ٧) .
يسجل كتاب الأناجيل عيوبهم وعيوب الرسل (متى ٢٦ : ٣١ - ٥٦ ،
٨ : ١٠ - ٢٦ ، يوحنا ١٠ : ٦ ، ١٦ : ٣٢ ، مرقس ٦ : ٥٢ ، ٨ : ١٨ ،
لوقا ٨ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٩ : ٤٠ - ٤٥) .

كما يسجلون عيوباً في الكنيسة (١ كورنثوس ١ : ١١ ، ١٥ : ١ ،
٢ كورنثوس ٢ : ٤ - الخ) .

ويسأل البعض : لماذا يورد الكتاب قصة خطية داود مع بثشبع ؟
والجواب : أنه يحكى جوانب القوة كما يحكى جوانب الضعف ! إنه يروى
الحقيقة كما هي .

سادساً - فريد في تأثيره على الأدب :

قال أحد الأفاضل : « لو أن كل نسخة من الكتاب المقدس أبيدت ،
لأمكن استرداد كل الأجزاء الهامة من الكتاب من الاقتباسات المأخوذة
من الكتاب المقدس في كتب مكتبة المدينة ! وهناك كتب كثيرة توضح
كيف تأثر أعظم الأدباء بالكتاب المقدس » .

قال المؤرخ فيليب شاف ، يصف تفرد المسيح : « يسوع الناصري
هذا ، بدون سلاح ولا مال ، هزم ملايين من الناس أكثر ممن هزمهم
الإسكندر وقيصر ونابليون وغيرهم . وألقى ضوءاً على الأمور الأرضية
والسماوية أكثر مما فعل كل الفلاسفة والمعلمين مجتمعين ! وفي عبارات
بسيطة تحدث بكلمات الحياة التي لم ينطق أحد بمثلا ، لا قبله ولا بعده ،
وترك تأثيراً لا يدانيه فيه خطيب ولا شاعر . وبدون أن يكتب سطوراً واحداً
أوحى للكثيرين ليكتبوا ، وأعطى أفكار آلاف المواظ والخطب والمناقشات
والمؤلفات وأعمال الفن والتراجم التي سطرها عظماء الرجال في الماضي والحاضر » .

وقال كاتب آخر : « منذ عصر الرسل وحتى عصرنا الحاضر نرى
نهرأ متدفقاً من الأدب الذي أوحى به الكتاب المقدس ، فهناك قواميس
الكتاب وموسوعات الكتاب ، وفهارس الكتاب ، وأطالس الكتاب ،
ومعاجم الكتاب وجغرافية الكتاب . وهناك آلاف الكتب التي تدور حول

اللاهوت والتربية المسيحية والتراتيم والمرسلات ولغات الكتاب وتاريخ الكنيسة والشخصيات الدينية والكتابات التعبدية والتفاسير وفلسفة الدين . . وغير ذلك من المؤلفات التي لا تعد ولا تحصى » (٥) .

وقال كنت لا توريت المؤرخ المسيحي العظيم: « من براهين عظمته (يسوع) وتأثيره الخارق على البشر جميعاً ، أن هذه الحياة التي لم يعيش مثلها أحد على كوكبنا قد أنتجت مجلدات من الإنتاج الأدبي وسط كل الشعوب وبكل اللغات ، ولا زال السيل ينهمر دون توقف » (١١) .

والخاتمة واضحة :

ان ما قلناه هنا لا يبرهن صحة الكتاب المقدس ، لكنه يبرهن تفرد الكتاب عن كل ما عداه من كتب . وقد قال لي أحد الأساتذة : « لو أنك ذكي أريب لقرأت الكتاب الواحد الذي جذب أعظم الانتباه ، ان كنت تفتش عن الحق » .

ملحوظة :

كان الكتاب المقدس أول كتاب ديني يؤخذ إلى الفضاء الخارجي ، مصوراً على الميكرو فيلم . وهو أول كتاب قرىء هناك ، فهو يصف مصدر الأرض فقد قرأ رجال الفضاء تكوين ١ : ١ « في البدء خلق الله » . . ولكن تأمل كيف قال فولتير إنه لن يأتي عام ١٨٥٠ إلا ويحتفي الكتاب المقدس .

ويمكن أن تقول إن هذا أغلى كتاب ، فقد بيعت النسخة من ترجمة الفولجاتا اللاتينية التي طبعها جوتنبرج بمبلغ مائة ألف دولار ، وباع الروس نسخة قديمة من الكتاب المقدس (النسخة السينائية) لبريطانيا بمبلغ ١٠٥ ألف دولار . وقد كانت أطول برقية في العالم هي نص العهد الجديد (في الترجمة الانكليزية المعروفة بالترجمة المنقحة Rv) التي أرسلت من نيويورك إلى شيكاغو (٥) .

الفصل الثاني

كيف كتب الكتاب المقدس؟

يتساءل الكثيرون عن خلفية الكتاب المقدس وأقسامه والمواد التي استعملت في إنتاجه . ونقدم للقارئ هنا بعض المعلومات التي تساعد على فهم ذلك ، ليزيد تقديره لكلمة الله .

أولاً - المواد المستعملة في كتابة الكتاب المقدس :

١ - مواد الكتابة :

(١) ورق البردي - لم نستطع الحصول على كل المخطوطات القديمة من الكتاب المقدس ، لأنها كانت مكتوبة على مواد تبلى ، معظمها من ورق البردي المصنوع من نباتات البردي التي كانت تنمو في المياه المصرية الضحلة . وكانت السفن الكبيرة المحملة بالبردي تصل إلى ميناء بيبيلوس السوري ، ومنها جاءت الكلمة اليونانية « بيبيلوس » بمعنى « كتب » . كما أن الكلمة الانكليزية « paper » التي تعني الورق تجيء من الكلمة اليونانية التي تعني « البردي » .

أما طريقة صنع ورق البردي فكانت بقطع شرائح طولية رفيعة من نبات البردي ، ودقها ثم لصق طبقتين منها على بعضهما ، طبقة بالطول والأخرى مستعرضة عليها ، وتوضع في الشمس لتجف ، ثم ينعمون سطحها بحجر أو بغير ذلك من المواد . وكان ورق البردي من ثخانات مختلفة ، بعضها رقيق جداً . وترجع أقدم أنواع ورق البردي الموجودة الآن إلى سنة

٢٤٠٠ ق.م. ولا يمكن لمخطوطات الكتاب المقدس المصنوعة من ورق البردى أن تعمّر طويلاً ، إلا إذا كانت محفوظة في أماكن جافة ، كصحاري مصر ، أو كهوف وادي قمران حيث اكتشفت مخطوطات البحر الميت . وقد استمر ورق البردى في الاستعمال حتى القرن الثالث بعد الميلاد .

(ب) الرقوق – وهي من جلود الماعز والأغنام والغزلان والحيوانات الأخرى ، بعد نزع الشعر عنها ومسحها لتصير صالحة للكتابة عليها. ويشتق اسم « الرقوق » في اللاتينية من مدينة « برغامس » في آسيا الصغرى ، التي اشتهرت بعمل الرقوق .

(ج) الرق ، وهو اسم جلد العجل الذي كانوا يصبغونه باللون الأرجواني ويكتب عليه باللون الفضي أو الذهبي . وتوجد اليوم مخطوطات قديمة منه ترجع إلى عام ١٥٠٠ ق.م. .

(د) وهناك مواد أخرى للكتابة مثل الفخار الذي كثر وجوده في مصر وفلسطين . وقد ترجمت الكلمة في الكتاب المقدس « شقفة » (أيوب ٢: ٨) . كما كانوا يكتبون على الأحجار بقلم من حديد . كما كانوا يكتبون على اللوحات الطينية بأدوات حادة ، ثم يجففونها لتظل سجلاً دائماً (إرميا ١٧: ١٣ وحزقيال ٤: ١) . وكانت هذه أرخص وسيلة ، وأبقاها على الزمن . كما كانوا يكتبون بقلم معدني على ألواح خشبية مغطاة بالشمع .

٢ – أدوات الكتابة :

(أ) قلم من حديد للحفر على الحجر .

(ب) قلم معدني مثلث الجوانب مسطح الرأس للكتابة على لوحات الطين أو الشمع .

(ج) القلم المصنوع من الغاب وطوله من ست إلى ست عشرة بوصة ،
له سن كالأزميل . وقد استعمل أهل ما بين النهرين هذا القلم . أما اليونانيون
فقد استخدموا الريشة في القرن الثالث ق.م (إرميا ٨: ٨) .

(د) الحبر وكان يصنع من الفحم والصمغ والماء .

ثانياً - أشكال الكتب القديمة :

(أ) الدرج الذي يصنعونه من لصق صفحات من ورق البردى ببعضها
ثم يطوونها على خشبة أو عصا . وكانوا يكتبون على جانب واحد من الورق .
وكانوا أحياناً يكتبون على جانبي الورق (رؤيا ٥ : ١) . وكانت الأطوال
تختلف ، فقد وجد درج طوله ١٤٤ قدماً ، ولكن متوسط الطول كان من
٢٠ - ٣٥ قدماً . وقد قال كاليماخوس أمين مكتبة الاسكندرية « إن الكتاب
الكبير مجلبة للتعب » .

(ب) الكتاب - لتسهيل القراءة كانوا يضعون أوراق الردى على
بعضها ويكتبون عليها من الجهتين . وقد قال جرينلي أن المسيحية كانت الدافع
الأساسي لتطوير شكل الكتاب إلى الشكل الذي نراه اليوم .

وقد ظل المؤلفون يكتبون على « الدرج » حتى القرن الثالث م.

ثالثاً - أنواع الكتابة :

(أ) الكتابة المنفصلة وفيها تكتب الحروف الكبيرة منفصلة عن
بعضها . ومخطوطتا الكتاب المقدس المعروفتان بالفاتيكانية والسينائية ، من
هذا النوع .

(ب) الكتابة المشبكة التي تكتب فيها الحروف صغيرة مترابطة . وقد
بدأ استعمال الحروف المشبكة في القرن التاسع الميلادي .

وقد كتبت المخطوطات العبرية واليونانية بدون فواصل بين الكلمات . كما أن التشكيل في العبرية بدأ في القرن التاسع الميلادي . ولم يشكل هذا صعوبة بالنسبة للكتابة اليونانية ، لأنها تنتهي عادة بحروف خاصة معروفة بالدفثنج . كما أن الناس كانوا معتادين على قراءة هذا النوع من الكتابة ، وكانوا يقرأونه عادة بصوت عال حتى لو كانوا منفردين !

رابعاً – أقسام الكتاب المقدس :

(١) الأسفار – (انظر الفصل الثالث) .

(ب) الاصحاحات – جرى أول تقسيم للأسفار الخمسة الأولى عام ٥٨٦ ق.م ، إذ قسمت إلى ١٥٤ جزءاً لتسهيل قراءتها مرة كل ثلاث سنوات . وبعد ذلك بخمسين سنة قسمت إلى ٥٤ قسماً ، كل قسم منها قسم إلى ٦٦٩ جزءاً لتسهيل الرجوع إلى الآيات . أما اليونانيون فقد قسموا الكتاب إلى أجزاء عام ٢٥٠ م . وكانت أول محاولة لتقسيم الأسفار إلى اصحاحات عام ٣٥٠ م على هامش النسخة الفاتيكانية ، ولم تتغير هذه الأقسام حتى القرن الثالث عشر عندما قسم الأسفار إلى اصحاحاتها المعروفة حالياً ستيفن لانجتون الأستاذ بجامعة باريس الذي أصبح فيما بعد رئيس أساقفة كنتربري .

(ج) الأعداد – أول تقسيم مقبول في العالم كله حدث عام ٩٠٠ م تقريباً . وكانت الترجمة اللاتينية المعروفة بالفولجاتا أول مخطوطة يتم فيها التقسيم إلى اصحاحات وإلى أعداد في العهدين القديم والجديد .

الفصل الثالث

الأسفار القانونية

الأسفار القانونية هي الكتب التي نستقي منها قوانين إيماننا (على حد تعريف القديس أوريجانوس) وهي الأسفار التي قبلتها الكنيسة كالكتب الموحى بها من الله . وقانونية الأسفار لم تقررها الكنيسة ولكنها قبلتها واعترفت بها ، لأن الله هو الذي أوحى بها وأعطاه .

أولاً - مقياس قانونية السفر :

كانت هناك خمسة مقاييس لتقرير قبول أى سفر وهي :

- ١ - هل بالسفر سلطان ؟ هل جاء من الله و (هل حوى عبارة « هكذا قال الرب ») ؟
- ٢ - هل السفر نبوى ، كتبه أحد رجال الله ؟
- ٣ - هل السفر موثوق به ؟ (وقد قال الآباء : « لو خامرك الشك في سفر فאלقه جانباً ») .

- ٤ - هل السفر قوى ؟ هل فيه قوة إلهية قادرة على تغيير الحياة ؟
- ٥ - هل قبل رجال الله السفر وجمعوه وقرأوه واستعملوه ؟ مثلاً : اعترف بطرس بكتابات الرسول بولس باعتبارها مساوية لكتابات العهد القديم (٢ بط ٣ : ١٦) .

ثانياً - قانونية العهد القديم :

(١) انتهى نظام تقديم الذبائح اليهودية بتدمير الهيكل عام ٧٠ م وتشتت اليهود ، فأصبحوا في حاجة إلى تحديد الأسفار الموحى بها من الله ، لكثرة

الكتب التي كانت بين أيديهم ، وهكذا صار اليهود أهل الكتاب الواحد الذي يجمعهم جميعاً .

وبدأت المسيحية تزدهر وتنتشر ، فانتشرت معها كتابات مسيحية مختلفة أراد اليهود أن يستبعدوها من القراءة في مجامعهم . ولذلك قسم اليهود كتبهم إلى الأقسام التالية :

الكتب (الكتوبيم)

(أ) الكتابات الشعرية

١ - المزامير

٢ - الأمثال

٣ - أيوب

(ب) المخطوطات الخمس

١ - نشيد الأنشاد

٢ - راعوث

٣ - المراثي

٤ - أستير

٥ - الجامعة

(ج) الكتب التاريخية

١ - دانيال

٢ - عزرا - نحميا

٣ - أخبار الأيام

الشريعة (التوراة)

١ - التكوين

٢ - الخروج

٣ - اللاويين

٤ - العدد

٥ - التثنية

الأنبياء (النبييم)

(أ) الأنبياء الأولون

١ - يشوع

٢ - قضاة

٣ - صموئيل

٤ - الملوك

(ب) الأنبياء المتأخرون

١ - إشعياء

٢ - إرميا

٣ - حزقيال

٤ - الإثنا عشر .

ومع أن هذه الأسفار هي بعينها التي لدى المسيحيين ، إلا أن عدد الأسفار يختلف ، فقد قسموا كلا من صموئيل والملوك وأخبار الأيام إلى قسمين : كما أن اليهود يعتبرون الأنبياء الصغار سفرًا واحدًا . ترتيب الأسفار يختلف ، فإن المسيحيين يقسمون الأسفار تقسيماً موضوعياً .

(٢) المسيح يشهد لقانونية أسفار لعهد القديم :

تحدث المسيح مع تلاميذه في العلية أنه « لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير » (لوقا ٢٤ : ٤٤) . وفي هذا نرى الأقسام الرئيسية الثلاثة للعهد القديم : الناموس والأنبياء والكتب (التي يدعوها هنا « المزامير » لأنه السفر الأول والأطول فيها) .

وفي يوحنا ١٠ : ٣١ - ٣٦ ولوقا ٢٤ : ٤٤ اعترض المسيح على تقاليد الفريسيين الشفوية (راجع مرقس ٧ ومتى ١٥) ، ولم يعترض مطلقاً على الأسفار القانونية .

وفي لوقا ١١ : ٥١ (وأيضاً متى ٢٣ : ٣٥) « من دم هابيل إلى دم زكريا » وهنا يشهد المسيح بقانونية جميع أسفار العهد القديم ، فهابيل هو الشهيد الأول (تكوين ٤ : ٨) وزكريا آخر شهيد رجم وهو يشهد في الهيكل (٢ أخبار أيام ٢٤ : ٢١) . وفي أسفار اليهود نجد أن سفر التكوين هو السفر الأول ، وأخبار الأيام هو السفر الأخير . وكأنه يقول : « من التكوين إلى ملاخي » [بالنسبة لترتيب أسفار العهد القديم كما هي بين أيدينا الآن] .

(٣) أقدم شهادة عن أقسام العهد القديم الثلاثة نجدها من عام ١٣٠ ق.م. في مقدمة لسفر حكمة يشوع بن سيراخ ، حيث يقول الكاتب : « الناموس والأنبياء وكتب الآباء الأخرى » . وكتب المؤرخ يوسفوس في نهاية القرن الأول المسيحي : « منذ أرتحشتا إلى وقتنا سجل كل شيء ، ولكن هذه

السجلات لم تحظ بالثقة التي حظيت بها السجلات القديمة ، لأن سلسلة الأنبياء توقفت . ولكن الإيمان الذي وضعناه في كتاباتنا يتضح من سلوكنا ، فإنه بالرغم من مرور الوقت الطويل لم يجرؤ أحد أن يضيف عليها شيئاً أو أن يحذف منها شيئاً أو يغير منها شيئاً . وقول يوسفوس : « من وقت ارتحشستا » يشير إلى وقت كتابة السفر الأخير ، الذي هو ملاخي ، لأنه رغم أن اليهود يضعون سفر أخبار الأيام في الآخر ، إلا أن آخر ما كتب من الأسفار هو سفر ملاخي .

وقد جاءت الفكرة نفسها في التلمود ، فيقول : « ان الأنجيل وسائر كتابات الهراطقة لا تنجس الأيدي . إن كتب ابن سيراخ وكل ما تلاها من كتابات ليست قانونية » . وجاء به أيضاً : « حتى هذه النقطة (زمن الاسكندر الأكبر) تنبأ الأنبياء بالروح القدس . ومن هذا الوقت فصاعداً أمل أذنك واصنع إلى أقوال الحكماء » . ويقول التلمود البابلي : « بعد كتابات الأنبياء الآخرين حجي وزكريا وملاخي ، فارق الروح القدس إسرائيل » .

وقد سجل مليتو أسقف ساردس أقدم سجل لأسفار العهد القديم القانونية ، يرجع تاريخه إلى عام ١٧٠ م ، يقول إنه حصل على هذه الوثيقة الأكيدة في أثناء زيارته لسوريا . وقد كتب هذه الأسماء في رسالة بعث بها إلى صديقه أنسيميوس يقول : « أسماء الأسفار هي . . كتب موسى الخمسة : التكوين - الخروج - العدد - اللاويين - التثنية - يشوع بن نون - القضاة - راعوث . أربعة كتب للمملكة - اثنان لأخبار الأيام - مزامير داود - أمثال سليمان (تسمى أيضاً الحكمة) - الجامعة - نشيد الأنشاد - أيوب . ومن الأنبياء : اشعيا - ارميا - الاثنا عشر في كتاب واحد - دانيال - حزقيال - عزرا » .

ونلاحظ أن مليتو أدمج المراثي مع ارميا ، ونحميا مع عزرا (رغم غرابة وضعه سفر عزرا مع الأنبياء) . وهو يورد كل أسماء أسفار العهد القديم

القانونية مرتبة بالنظام الذي جاءت به في الترجمة السبعينية ، ماعدا سفر أستير ، ولعله لم يكن موجوداً في الجدول الذي أجده عن الأشخاص الذين جمع منهم مليتو معلوماته في سوريا . أما الأقسام الثلاثة الرئيسية للنص اليهودي ، فهي مأخوذة من « المشنا » .

ويشهد العهد الجديد لقانونية أسفار العهد القديم شهادة شاملة . راجع :

متى ٢١ : ٤٢ ، ٢٢ : ٢٩ ، ٢٦ : ٥٤ و ٥٦

لوقا ٢٤

يوحنا ٢ : ٢٢ - ٢٦ ، ٥ : ٣٩ ، ١٠ : ٣٥

أعمال ١٧ : ٢ و ١١ ، ١٨ : ٢٨

رومية ١ : ٢ ، ٤ : ٣ ، ٩ : ١٧ ، ١٠ : ١١ ، ١١ : ٢ ، ١٥ : ٤ ،

١٦ : ٢٦ :

١ كورنثوس ١٥ : ٣ و ٤

غلاطية ٣ : ٨ ، ٣ : ٢٢ ، ٤ : ٣٠

١ تيموثاوس ٥ : ١٨

٢ تيموثاوس ٣ : ١٦

٢ بطرس ١ : ٢٠ و ٢١ ، ٣ : ١٦

« كما قال الكتاب » (يوحنا ٧ : ٣٨) بدون تحديد فلا بد أنها إشارة

إلى وحدة جميع أسفار الكتاب المقدس .

(٥) مؤتمر « جامنيا »

قد يقول قائل : « بالطبع قصة القانونية معروفة » لقد اجتمع بعض

القادة وقرروا أي الكتب نافعة لهم ثم دفعوا أتباعهم إلى قبولها . ولكن

هذا أبعد ما يكون عن الصواب ! فقد جرت مناقشات بين علماء الدين اليهود بعد سقوط أورشليم عام ٧٠ م. « فقد قام أحد العلماء من مدرسة هليل ، من طائفة الفريسيين ، اسمه يوحانان بن زكاي ، وحصل على تصريح من الرومان بإعادة تشكيل السنهدريم على أساس روى فى جامنيا (تقع بين يافا وأشدود) وقد وصلتنا بعض المناقشات التى جرت فى جامنيا ، من ضمنها مناقشة حول قانونية أسفار : الأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد وأستير ، على أساس أن سفر أستير مثلاً لم يرد فيه ذكر اسم الله ، والجامعة يصعب أن يقبل أفكاره بعض المحافظين . ولكن مناقشات جامنيا انتهت بالاعتراف بالأسفار التى عندنا على أنها الكتب المقدسة » .

ثالثاً - أسفار غير قانونية بالعهد القديم :

(١) الأسفار غير القانونية ، المعروفة بالأبوكريفا ، كانت من تسمية القديس ايرونييموس فى القرن الرابع المسيحى ، فهو أول من أطلق اسم الأبوكريفا على هذه الكتابات ، ومعناها « الكتب المخبأة » . أما سبب رفض هذه الكتابات فهى :

١ - بها الكثير من الأخطاء التاريخية والجغرافية .

٢ - تعلم عقائد خاطئة وتركز على ممارسات تخالف الأسفار المقدسة الموحى بها .

٣ - تلجأ إلى أساليب أدبية . وتعرض محتوياتها المصطنعة بأسلوب يختلف تماماً عن الأسفار المقدسة الموحى بها .

٤ - تنقصها المميزات التى تنفرد بها الأسفار الصادقة ، كالنبوءات والأحاديث الدينية .

(٢) ونقدم هنا ملخصاً لكل سفر من هذه الأسفار غير القانونية :

« اسدواس (عزرا) الأول » :

(نحو ١٥٠ ق.م) يحكى عن رجوع اليهود إلى فلسطين بعد السبي البابلي ، ويستمد الكاتب معلوماته من سفرى الأخبار وعزرا ونحميا مع إضافة بعض الأساطير . أهم ما به قصة الحراس الثلاثة الذين كانوا يتجادلون عن أقوى ما فى العالم ، فقال أحدهم « الأحمر » وآخر « الملك » وثالث « المرأة والحق » . ووضعوا هذه الإجابات الثلاث تحت وسادة الملك ، فلما وجدها دعاهم ليدافعوا عن وجهات نظرهم ، ووصل الجميع إلى أن الحق هو الأقوى . ولما كان زربابل هو صاحب الإجابة الصائبة ، فقد منحه الملك تصريحاً بإعادة بناء الهيكل فى أورشليم ، كمكافأة له .

« اسدواس (عزرا) الثانى » :

(نحو ١٠٠ ق.م) وهو كتاب رووى يحوى سبع رؤى . وقد تضايق مارتن لوثر من لخبطة هذه الرؤى حتى قال إنها يجب أن تلقى فى البحر !

« سفر طوييا » :

(فى مطلع القرن الثانى ق.م) - رواية قصيرة ، فريسية فى نبرتها ، تركز على الشريعة والأطعمة الطاهرة والغسلات الطقسية والاحسان والصوم والصلاة . وتقول إن العطاء والإحسان يكفران عن الخطية . وهذا أكبر دليل على زيفها .

« سفر يهوديت » :

(نحو منتصف القرن الثانى ق.م) قصة فريسية خيالية بطلتها أرملة يهودية جميلة اسمها يهوديت . وعندما حوصرت مدينتها أخذت خادمتها ومعها طعام

يهودى طاهر ، وذهبت إلى خيمة القائد المهاجم ، فراعته جملها وأعطاها مكاناً في خيمته . وعندما سكر قطعت رأسه بسيفه ، وغادرت المعسكر مع خادمتها ومعها الرأس في سلة ، فعلقوه على سور مدينة قريبة ، وهكذا انهزم الجيش الآشورى الذى أعوزته القيادة ! ..

« إضافات سفر أستير » :

(نحو ١٠٠ ق.م) . « استير » هو السفر الوحيد الذى لم يرد فيه اسم الله . ويقول إن أستير ومردخاى صاما ، لكنه لم يذكر أنهما صليا . ولتعويض هذا النقص زيدت صلاة طويلة نسبت إلى الاثنين ، كما زيدت رسالتان منسوبتان للملك .

« حكمة سليمان » :

(نحو ٤٠ ق.م) كتب ليحفظ اليهود من الوقوع في الشك والمادية والوثنية . وهو يتحدث عن الحكمة باعتبارها شخصاً (كما في سفر الأمثال) . وفي السفر أفكار كثيرة نبيلة .

« حكمة ابن سيراخ » :

(نحو ١٨٠ ق.م) يبلغ مرتبة عالية من الحكمة الدينية ، شبيهة بعض الشيء بسفر الأمثال ، ويحوى نصائح عملية ، فيقول مثلاً عن الخطاب الذى يلقي بعد العشاء : « تحدث باختصار ، فإن ما قل دل . تصرف كأنسان يعرف أكثر مما يقول » ويقول : « استعد فيما ستقوله ، فيصغى إليك الناس » وقد اقتبس جون وسلى كثيراً من هذا السفر ، كما أنه يستعمل كثيراً في الدوائر الأنجيلكانية .

« سفر باروخ » :

(نحو سنة ١٠٠ م) يقدّمون السفر على أن كاتبه باروخ كاتب النبي إرميا عام ٥٨٢ ق.م ، ولكنه يحاول — على الأرجح — تفسير خراب أورشليم الذي جرى عام ٧٠م ، وهو يحض اليهود على عدم الثورة وعلى الخضوع للامبراطور . ولكن رغم هذه الوصية قام باركونجا بثورته على الحكم الروماني عام ١٣٢ — ١٣٥ م . ويحوى الاصحاح السادس من السفر ما يسمى « رسالة من إرميا » يحذر فيها بقوة من الوثنية ، ولعله خطاب موجه إلى يهود الاسكندرية .

« اضافات على دانيال » :

ويحوى سفر دانيال الذي نعرفه على ١٢ اصحاحاً ، ولكن اصحاحاً جديداً أضيف إليه في القرن الأول قبل الميلاد يحوى قصة « سوسنة » الزوجة الجميلة لأحد قادة اليهود في بابل حيث يجتمع في بيتها شيوخ اليهود وقضاةهم . وقد وقع في حبها اثنان من أولئك القادة وحاولا الايقاع بها ، وعندما صرخت دعى الرجلان أنهما وجداها في أحضان شاب ، فجاءوا بها للمحاكمة . ولما كان شاهدان قد اتفقا ضدها فقد حكم عليها بالموت . ولكن شاباً اسمه دانيال قاطع المحاكمة وناقش الشاهدين ، سائلاً كلا منهما على حدة : تحت أية شجرة من الحديقة وجدا سوسنة مع الشاب ، فاختلفت إجابتهما ، وهكذا نجت سوسنة !

« بيل والتنين » :

قصة أضيفت في نفس القرن الأول قبل الميلاد أيضاً ، وعرفت بالأصحاح الرابع عشر من دانيال ، لتظهر غباوة العبادة الوثنية ، وتحتوى على قصتين : في القصة الأولى : سأل الملك كورش دانيال لماذا لا يعبد « بيل » مع أنه يأكل يومياً كباشاً كثيرة وزيتاً ودقيقاً ؟ ونثر دانيال رماداً في الهيكل في

المساء ، وفي الصباح أخذ الملك دانيال ليرى كيف أكل بيل كل ما قدموه له ، ولكن دانيال أشار للملك إلى آثار خطوات الكهنة وعائلاتهم الذين جاعوا ليلا وأكلوا الطعام . فذبح الملك الكهنة وهدم الهيكل .

أما قصة التنين فهي قصة أسطورية . ويمكن أن نقول إنها وقصة سوسنة وطوبيا ويهوديت قصص يهودية خيالية . ذات قيمة دينية قليلة أو بلا قيمة بالمرّة .

« نشيد الفتية الثلاثة المقدسين » :

يجيء بعد دانيال ٣ : ٢٣ في الترجمة السبعينية والفولجاتا ، وهو يقتبس من مزمور ١٤٨ ، وتكرر ٣٢ مرة العبارة : « سبحوه وعظموا اسمه للأبد »

« صلاة منسى »

كتبت في عهد المكابيين (القرن الثاني ق.م) على زعم أنها صلاة الملك الشرير منسى ملك يهوذا . ولعلها كتبت تأسيساً على القول : (وصلاته والاستجابة له . . . ها هي مكتوبة في أخبار الرائيين » (٢ أخبار أيام ٣٣ : ١٩) وقد كتب أحد الكتبة هذه الصلاة !

« المكابيين الأول »

(في القرن الأول ق.م) لعله أكثر أسفار الأبوكريفا قيمة ، لأنه يصف مآثر الأخوة المكابيين الثلاثة : يوداس ويوناثان وسمعان . ويعتبر هذا السفر مع كتابات يوسيفوس أهم مصادر تاريخ هذه الفترة المملوءة بالأحداث من التاريخ اليهودي .

« المكابيين الثاني » :

ليس مكملًا للمكابيين الأول بل مواز له ، يروي انتصارات يوداس المكابي ، وبه أساطير أكثر مما في المكابيين الأول .

(٣) شهادات تاريخية لاستبعاد الأبوكريفا :

١ - الفيلسوف اليهودي فيلو (٢٠ ق.م - ٤٠ م) اقتبس من كل أسفار العهد القديم ، وذكر التقسيم الثلاثي للأسفار ، لكنه لم يقتبس بالمرّة من الأسفار المحذوفة على أنها أسفار قانونية !

٢ - المؤرخ اليهودي يوسيفوس (٣٠ - ١٠٠ م) يستبعد أسفار الأبوكريفا ويحسب عدد أسفار العهد القديم ٢٢ كتاباً . وهو لا يقتبس من كتب الأبوكريفا باعتبار أنها أسفار قانونية .

٣ - بالرغم من أن يسوع وكتاب العهد الجديد اقتبسوا مئات الاقتباسات من جميع الأسفار القانونية إلا أنهم لم يقتبسوا بالمرّة من هذه الأسفار .

٤ - لم يعترف علماء اليهود في جامنيا بهذه الأسفار .

٥ - لم يعترف مجمع من المجامع المسيحية الأولى في القرون المسيحية الأربعة الأولى بقانونية تلك الأسفار .

٦ - كتب الكثيرون من آباء الكنيسة الأولين ضد هذه الأسفار من أمثال أوريجانوس وكيرلس الأورشليمي وأثناسيوس .

٧ - رفض القديس ابرونيوس (جيروم) مترجم الفولجاتا (٣٤٠ - ٤٢٠ م) هذه الأسفار ، ودارت بينه وبين القديس أغسطينوس مساجلات حولها عبر البحر الأبيض المتوسط ! وقد رفض أولاً أن يترجم هذه الأسفار إلى اللاتينية ، ولكنه بعد ذلك عمل ترجمة سريعة لبعضها . ولكن بعد موته أدخلت هذه الأسفار إلى الفولجاتا نقلاً عن الترجمة اللاتينية القديمة .

٨ - رفض الكثيرون من علماء الدين الكاثوليك أسفار الأبوكريفا ، خلال عصر الإصلاح .

٩ - رفض لوثر ومعه باقى المصلحين هذه الأسفار .

١٠ - لم تدخل هذه الأسفار كأسفار قانونية مقبولة تماماً عند الكنيسة الكاثوليكية إلا عام ١٥٤٦ م فى مجمع ترنت . وهو المجمع الذى انعقد ليقاوم حركة الإصلاح .

رابعاً - قانونية أسفار العهد الجديد :

١ - الأساس الذى بناء عليه تم قبول أسفار العهد الجديد كأسفار قانونية هو أنها من الرسل ، وموحى بها من الله .

لقد تأسست الكنيسة على « أساس الرسل والأنبياء » (أفسس ٢ : ٢٠) الذين وعدهم المسيح بارشادهم إلى جميع الحق بالروح القدس (يوحنا ١٦ : ١٣) وقد وازببت كنيسة أورشليم على تعليم الرسل (أعمال ٢ : ٤٢) . وليس شرطاً أن يكون كتاب الأسفار رسلاً ، لكن أن تكون هذه الأسفار قد حظيت بموافقة الرسل . وسلطان الرسل لا يمكن فصله عن سلطان الرب ، فإن الرسائل ترينا أن بالكنيسة سلطاناً واحداً مطلقاً هو سلطان الرب ، وعندما يتحدث الرسل بسلطان يستمدونه من الرب نفسه . مثلاً عندما يدافع بولس عن دعوته الرسولية يقول إنه تلقاها مباشرة من الرب (غلاطية ١ ، ٢) . وعندما ينظم شئون الكنيسة يعزو ذلك للرب ، رغم عدم وجود توجيهات مباشرة (١ كورنثوس ١٤ : ٣٧ ، قارن ١ كورنثوس ٧ : ١٠) . فكل سلطان يجب أن يكون نابعاً من الرب وحده صاحب السلطان المطلق .

٢ - ثلاثة أسباب استلزمت تقرير الأسفار القانونية للعهد الجديد :

(١) هرطقة ماركيون (١٤٠ م) الذى كون أسفاره القانونية وأخذ ينشرها ، فرأت الكنيسة الحاجة إلى تحديد الأسفار القانونية لإنهاء تأثيره .

(ب) استخدمت بعض الكنائس كتابات إضافية في العبادة - فلزم وضع حد لهذا .

(ج) قرر دقلديانوس عام ٣٠٣م أن يدمر الكتب المقدسة للمسيحيين فعزم المسيحيون أن يعرفوا أى الكتب تستحق أن يموتوا لأجلها !

٣ - ويقدم لنا القديس أثناسيوس الاسكندري (عام ٣٦٧ م) أول قائمة للأسفار القانونية للعهد الجديد ، في رسالته للكنائس بمناسبة عيد الفصح وهى نفس القائمة التى عندنا تماماً . وبعد ذلك قدم كل من القديسين ابرونيوس وأغسطينوس ذات القائمة التى تحوى أسماء ٢٧ سفرأ .

واقتبس الآباء من العهدين القديم والجديد قائلين « كما جاء فى الكتب » مثلاً قال بوليكاربوس (١١٥ م) وأكلميندس وغيرهم .

أما جستن مارتر فقد قال فى دفاعه عن المسيحية ، وهو يكتب عن العشاء الربانى : « فى يوم الأحد يجتمع المسيحيون الساكنون بالمدينة أو القرى ، فى مكان واحد ، يقرأون مذكرات الرسل وكتابات الأنبياء ، حسب ما يسمح به الوقت . وعندما يتوقف القارىء يقدم القارئ نصائح يدعو فيها إلى تطبيق هذه الكلمات الصالحة » . ويضيف جستن مارتر فى مناقشته مع تريفو اقتباساً من الأناجيل يسبقها بقوله « مكتوب » . ولا بد أنه وتريفو كانا يعرفان المقصود بكلمة « مكتوب » هذه .

٤ - ونشير إلى كتابات القديس ايريناوس (١٨٠ م) الذى كان متصلاً بالعصر الرسولى وبمعاصريه الكنيسيين فى كل العالم ، وكان قد تعلم فى آسيا الصغرى عند قدمى بوليكاربوس تلميذ يوحنا البشير ، ثم صار أسقفاً لليون فى بلاد الغال (فرنسا) عام ١٨٠ م . وتظهر كتابات ايريناوس إيمانه بقانونية الأناجيل الأربعة والأعمال ورومية ورسالتى كورنثوس وغلاطية وأفسس

وفيلبي وكولوسي ورسالتى تسالونيكى ورسالتى تيموثاوس وتيطس وبطرس الأولى ويوحنا الأولى والروثا . ويتضح من كتابه « ضد الهرطقات » أن فكرة الأناجيل الأربعة كانت حقيقة ثابتة معروفة ومقبولة فى كل العالم المسيحى ومعتبرة أمراً طبيعياً بل ولازماً ، مثلها فى ذلك مثل الجهات الأصلية الأربع .

٥ - وقد قبلت المجامع الكنسية قانونية أسفار العهد الجديد . وعندما انعقد مجمع هبو عام ٣٩٣ م وسجل أسماء أسفار العهد الجديد السبعة والعشرين كأسفار قانونية ، لم يعط لهذه الأسفار سلطاناً لم يكن لها من قبل ، ولكنه اعترف بقانونيتها التى كان معترفاً بها . وقد أعاد سنودس قرطنجة الثالث إذاعة قرار مجمع هبو بعد أربع سنوات ، ولم يعد هناك أى تساؤل حول صحة قانونية أسفار العهد الجديد ، لا عند الكاثوليك ولا عند البروتستانت .

٦ - أسفار أبوكريفا فى العهد الجديد :

رسالة برنابا الزائفة (٧٠ - ٧٩ م) .

الرسالة إلى أهل كورنثوس (٩٦ م) .

رسالة اكليمنس الثانية (١٢٠ - ١٤٠ م) .

راعى هرماس (١١٥ - ١٤٠ م) .

تعاليم الاثنى عشر (١٠٠ - ١٢٠ م) .

روثا بطرس (١٥٠ م) .

أعمال بولس وتكلا (١٧٠ م) .

الرسالة إلى أهل لاودكية (القرن الرابع الميلادى) .

الانجيل للعبرانيين (٦٥ - ١٠٠ م) .

رسالة بوليكاربوس لأهل فيلبي (١٠٨ م) .

رسائل أغناطيوس السبع (١٠٠ م) .

وكتابات أخرى ، لم تقبلها الكنيسة كأسفار قانونية !

الفصل الرابع

الكتاب الذى يعتمد عليه

أولا - صحة الكتاب المقدس ببلوغرافيا (ثبت المراجع) .

العهد الجديد

- ١ - شهادة علماء البيليوغرافيا للعهد الجديد .
- ٢ - شهادة المخطوطات للعهد الجديد .
- ٣ - الترتيب التاريخي لمخطوطات العهد الجديد .
- ٤ - ترجمات العهد الجديد .
- ٥ - علماء الكنيسة الأولون يشهدون للعهد الجديد .
- ٦ - شاهد على صحة المخطوطات من تلاوتها بالكنائس .

العهد القديم

- ١ - الاهتمام الزائد بنقل المخطوطات .
- ٢ - أشخاص متخصصون لنقل المخطوطات .
- ٣ - مخطوطات قديمة للعهد القديم .
- ٤ - ترجمات العهد القديم .
- ٥ - اقتباسات من العهد القديم .

ثانياً – براهين داخلية على صحة الكتاب المقدس .

١ – الشك في جانب المخطوطة .

٢ – المراجع أساسية وقيمة .

٣ – المراجع قديمة وأصلية .

ثالثاً – براهين خارجية على صحة الكتاب المقدس .

رابعاً – براهين من علم الحفريات والآثار .

١ – نماذج من حفريات تبرهن صحة العهد القديم .

٢ – نماذج من حفريات تبرهن صحة العهد الجديد .

إن ما نريد أن نصل إليه في هذه الدراسة هو أن الكتاب المقدس صحيح تاريخياً ، دون تعرض لوحيه . وكما نفحص صدق أية وثيقة تاريخياً سنفعل الشيء نفسه مع الكتاب المقدس . وهناك ثلاثة فحوص :

من الناحية البليوغرافية (ثبت المرجع) .

من ناحية البرهان الداخلي .

من ناحية البرهان الخارجي .

ثم سندرس شهادة علم الآثار القديمة للكتاب المقدس .

أولاً

صحة الكتاب المقدس بليوغرافياً

(من جهة ثبت المراجع)

الفحص البليوغرافي هو فحص لانتقال المخطوطات حتى تصل إلينا . فلما لم تكن عندنا النسخة الأصلية ، فإننا نفحص عن صحة ما وصلنا من مخطوطات ، وعددها ، والفترة الزمنية التي مرت بين النسخة الأصلية وأقدم مخطوطة منها عندنا .

العهد الجديد

١ — شهادة علماء البليوغرافيا للعهد الجديد :

وقد شهد كثيرون من العلماء لصحة العهد الجديد من هذه الناحية . فقد كتب عزرا أبوت في كتابه « مقالات انتقادية » عن القراءات المختلفة للعهد الجديد يقول : « ان عدد القراءات المختلفة » في العهد الجديد يخيف بعض البسطاء ، إذ يقرأون عنها في كتابات غير المؤمنين الجاهلين الذين يقولون إن هذه تبلغ ١٥٠ ألفاً ! وكأن أساس تصديق العهد الجديد قد انهار !

« ولكن الحقيقة هي أن ٩٥ ٪ من هذه القراءات المختلفة تعوزها الأدلة ،
وضعيفة ، ولا تستحق القبول . هذا يترك لنا ٧٥٠٠ قراءة مختلفة ، ٩٥ ٪
منها لا تؤثر على المعنى ، لأنها املائية (في التهجئة) أو نحوية ، أو في ترتيب
الكلمات . هذا يترك لنا نحو ٤٠٠ « قراءة مختلفة » قد تؤثر على المعنى تأثيراً
طفيفاً ، أو تتضمن إضافة كلمة أو كلمات أو حذفها . والقليل جداً منها
يمكن أن يعتبر هاماً . ولكن بحوث العلماء دلتنا على القراءة الصحيحة محل
الثقة . وكل الكتابات القديمة تحتوي على مثل هذه الاختلافات ، تماماً كما
أن هناك اختلافات في التفسير » (٨).

ويقول فيليب شاف في مقارنته بين العهد الجديد باليونانية وبين الترجمة
الانكليزية أن ٤٠٠ قراءة فقط من ١٥٠ ألفاً تشكل الشك في المعنى منها
خسون فقط لها أهمية عظيمة . ولكن ليس منها قراءة واحدة تؤثر على
العقيدة أو على واجبات المسيحي ، إذ يوجد ما يماثلها في أماكن أخرى من
القراءات الواضحة والأكيدة (١٢) .

ومن هذا نرى أن « القراءات المختلفة » لا تشكل أهمية من جهة المعنى العام
للفقرات التي وردت بها .

ويقول « جيسلر ونيكس » : إن هناك غموضاً في قولنا إن هناك « قراءات
مختلفة » — فثلاً لو أن كلمة واحدة أسىء املأوها في ثلاثة آلاف مخطوطة ،
فإنه يقال إن هناك ثلاثة آلاف « قراءة مختلفة » في العهد الجديد ! ثم يقولان :
إن واحداً من ثمانية من هذه الاختلافات قد يكون له قيمته ، لكن البقية هي
اختلافات في الهجاء أو ما شابهه . وجزء من ستين من هذه الاختلافات يمكن
أن يعتبر « فوق التافه » . وهذا يعني من وجهة النظر الحسائية أن النص الموجود
عندنا مضبوط ينسبة ٩٨,٣٣ ٪ (٢).

وهكذا يمكننا أن نقول أن نص العهد الجديد الذى وصلنا مضبوط تماماً.. لم يفقد منه أو يتغير فيه شئ من قوانين الإيمان أو السلوك . ويقول بروس فى كتابه « الكتب والرقوق » إن « القراءات المختلفة فى العهد الجديد لا تحتاج إلى تخمين لضبطها ، فهناك شاهد واحد على الأقل بين آلاف الشواهد المضبوطة يحتفظ لنا بالقراءة الصحيحة » (٣) .

وقد قال فردريك كنيون أحد ثقات « نقد العهد الجديد » إننا نؤكد بكل يقين إنه لا توجد عقيدة مسيحية مبنية على قراءة موضع اختلاف . وقال إن نصوص الكتاب المقدس أكيدة فى مادتها ، وهذا ينطبق بصورة خاصة على العهد الجديد ، فإن عدد مخطوطات العهد الجديد المتوفرة لدينا ، والترجمات القديمة له ، والاقتباسات المأخوذة منه فى كتابات الأقدمين كثيرة بالدرجة التى تؤكد لنا صحة النص ، وإن القراءة الأصلية لكل جزء من هذه الأجزاء موضع الاختلاف ، موجودة فى هذه المراجع القديمة ، وهو ما لم يحدث مع أى كتاب قديم فى العالم .

والعلماء مستريحون على أنهم يمتلكون اليوم النص الصحيح لكتابات المؤلفين اليونانيين والرومانيين من أمثال سوفركليس وشيشرون وفرجيل مع أن معرفتنا بهذه الكتابات تعتمد على عدد قليل من المخطوطات ، بينما مخطوطات العهد الجديد تحصى بالألوف (١٣) .

إن مقارنة نص العهد الجديد بنصوص الكتابات القديمة تؤكد لنا أن العهد الجديد صحيح بدرجة مذهلة ، لأن الذين نقلوا مخطوطاته فعلوا ذلك بدقة بالغة وباحترام كبير لأنه كتاب مقدس . ولقد حفظت عناية الله لنا مخطوطات للعهد الجديد من كل عصر كاملة وصحيحة ، تؤكد لنا (بالمقارنة بمخطوطات الكتب القديمة) سلامة العهد الجديد من كل عيب .

وقد قال محررو الترجمة الانكليزية المعروفة (R. S. V.) في مقدمتهم لترجمتهم : « يتضح للقارئ المدقق من ترجمتنا عام ١٩٤٦ ، وترجمتي عام ١٨٨١ و ١٩٠١ أن تنقيح الترجمة لم يؤثر على أية عقيدة مسيحية ، لسبب بسيط وهو أن آلاف « القراءات المختلفة » لم تستدع رأى تغير في العقيدة المسيحية » .

ان آلاف المخطوطات القديمة الموجودة من العهد الجديد ، مع سيل المخطوطات الأخرى التى تكتشف ، تؤكد لنا أن العهد الجديد قد تم نقله لنا بأمانة كاملة ، نطمئننا تماماً على العقيدة المسيحية - وأن اعتمادنا على العهد الجديد - على أساس علمى - أقوى من اعتمادنا على أية مخطوطة قديمة أخرى !

٢ - شهادة المخطوطات للعهد الجديد :

يقول ا.ت. روبرتش مؤلف أقوى كتاب عن قواعد اللغة اليونانية للعهد الجديد : إنه يوجد نحو ٨,٠٠٠ مخطوطة للفولجاتا اللاتينية وعلى الأقل ١,٠٠٠ مخطوطة من الترجمات القديمة ، ونحو ٥,٠٠٠ مخطوطة يونانية للعهد الجديد بكامله كما يوجد لدينا اليوم ثلاث عشرة ألف مخطوطة لأجزاء من العهد الجديد ، كما أننا نقدر أن نجمع أجزاء كثيرة من العهد الجديد من اقتباسات الكتاب المسيحيين الأولين (٧) .

ويقول جون وارويك مونتجمرى :

« لو أننا جعلنا مخطوطات العهد الجديد موضع شك للزمنا أن نرفض كل الكتابات القديمة ، لأنه لا يوجد كتاب ثابت بيليوغرافيا مثل العهد الجديد » .

وقد قال السر فرديك كتيون (مدير مكتبة المتحف البريطاني ، وأعظم ثقة في دراسة المخطوطات) : « إلى جوار الأعداد الكبيرة الموجودة من مخطوطات العهد الجديد ، فإنها تختلف عن كل المخطوطات الأخرى وتمتاز بهذا عنها جميعها ، في أن الفترة الزمنية بين كتابة المخطوطة الأصلية وبين المخطوطات التي وصلتنا منها ، قصيرة نسبياً . فقد كتبت أسفار العهد الجديد في أواخر القرن الأول الميلادي ووصلتنا نسخ منها من القرن الرابع الميلادي وبعضها من قبله (أى بعد ٢٥٠ أو ٣٠٠ سنة) على الأكثر من كتابتها . وقد تبدو هذه لنا فترة طويلة نوعاً ما ، ولكنها ليست شيئاً بالنسبة للقرون الطويلة التي تفصل ما بين المخطوطات الأصلية لمؤلفات كتاب الأغريق العظام وبين النسخ الموجودة الآن ، فالنسخ الموجودة لدينا من روايات سوفوكليس السبع ترجع إلى ١٤٠٠ سنة بعد موت الشاعر ، ومع ذلك نعتقد أنها تحمل لنا بكل دقة ، ما كتبه سوفوكليس .

ويبدو غنى العهد الجديد ، في عدد مخطوطاته عند مقارنته بالكتابات الأخرى : فكتابات قيصر عن حروب الغال (كتبت عام ٥٨ - ٥٠ ق.م) توجد لها عدة مخطوطات ، تسع أو عشر منها صالحة ، وأقدمها بعد عهد قيصر بتسعمائة سنة ! ومن أصل ١٤٢ كتاباً كتبها ليني عن التاريخ الروماني (٥٩ ق.م - ١٧ م) لا نجد اليوم إلا ٣٥ مخطوطة ، لا يزيد عدد ما يمكن أن يعتمد عليه منها عن عشرين مخطوطة ، واحدة منها فقط (تحوى كتب ٣ - ٦) ترجع إلى القرن الرابع الميلادي ! ومن أصل ١٤ كتاباً للمؤرخ تاسيتوس (١٠٠ م) لم يبق منها اليوم إلا أربعة كتب ونصف . ومن أصل ١٦ كتاباً من حولياته التاريخية لا نجد اليوم إلا عشرة منها كاملة واثنين في أجزاء . وكل هذا التاريخ لتاسيتوس يعتمد على مخطوطتين ، واحدة ترجع للقرن التاسع الميلادي والأخرى للقرن الحادي عشر !

أما تاريخ ثوسيديدس (٤٦٠ - ٤٠٠ ق.م) فمُعرف من ثمانى مخطوطات ، أحدثها يرجع للقرن التاسع الميلادى ، مع بعض أوراق البردى التى ترجع للقرن الأول الميلادى . ويصدق الأمر نفسه على تاريخ هيرودوت (٤٨٨ - ٤٢٨ ق.م) ومع ذلك لا يجرؤ عالم واحد على الشك فى كتب تاريخ ثوسيديدس أو هيرودوت لأن المخطوطات الموجودة لكتبهما ترجع إلى ١٣٠٠ سنة بعد وفاتهما !

ويوضح الجدول الآتى تاريخ بعض الكتابات القديمة :

المؤلف	مؤرخ الكتاب	أقدم نسخة	الزمن الذي انقضى منذ الكتابة الأصلية	عدد النسخ
قيصر ليني أفلاطون تاسيتوس (الحوليات) (أعماله) الأخرى بلني الصغير (تاريخ) ثوسيديدس (تاريخ) سوتوبوس هيرودوتس (تاريخ) هوراس سوفوكليس لوكريتوس كاتولس يوريلس دكوسينيوس أرسطو أرسطوفانيس	١٠٠-٤٤ ق.م ٥٩ ق.م-١٧ م ٤٢٧-٣٤٧ ق.م ١٠٠ م ١٠٠ م ٦١-١١٣ م ٤٦٠-٤٠٠ ق.م ٧٥-١٦٠ م ٤٨٠-٤٢٥ ق.م ٤٩٦-٤٠٦ ق.م مات في ٥٥ أو ٥٣ ق.م ٥٤ ق.م ٤٨٠-٤٠٦ ق.م ٣٨٣-٣٢٢ ق.م ٣٨٤-٣٢٢ ق.م ٤٥٠-٣٨٥ ق.م	٩٠٠ م ٩٠٠ م ١١٠٠ م ١٠٠٠ م ٨٥٠ م ٩٠٠ م ٩٥٠ م ٩٠٠ م ١٠٠٠ م ١٠٠٠ م ١٥٥٠ م ١١٠٠ م ١١٠٠ م ١١٠٠ م ٩٠٠ م	سنة ١٠٠٠ سنة ١٢٠٠ سنة ١٠٠٠ سنة ٩٠٠ سنة ٧٥٠ سنة ١٣٠٠ سنة ٨٠٠ سنة ١٣٠٠ سنة ٩٠٠ سنة ١٤٠٠ سنة ١١٠٠ سنة ١٦٠٠ سنة ١٥٠٠ سنة ١٣٠٠ سنة ١٤٠٠ سنة ١٢٠٠	١٠ ٢٠ ٧ ٢٠ ١ ٧ ٨ ٨ ٨ ٨ ٨ ٢ ٣ ٩ ٢٠٠ (١) ٥ ١٠

(١) كلها منقولة عن نسخة واحدة من أي مؤلف من مؤلفاته .

٣ - الترتيب التاريخي لمخطوطات العهد الجديد :

هناك بعض الأشياء التي تساعدنا على تحديد عمر المخطوطة ، هي :

١ - مادتها .

٢ - حجم حرف الكتابة وشكله .

٣ - علامات الترقيم .

٤ - أقسام النص .

٥ - الزخرفة .

٦ - لون الحبر .

٧ - نسيج الرقوق ولونها .

وإليك أسماء وتواريخ بعض المخطوطات .

١ - مخطوطة جون رايلاند (١٣٠ م) في مكتبة ما نشستر بإنجلترا وهي أقدم المخطوطات ، وجدت في مصر ، بها إنجيل يوحنا ، مع أن المعروف أن هذا الإنجيل كتب في آسيا الصغرى . وهي تؤكد لنا أن الإنجيل كتب حوالي نهاية القرن الأول الميلادي .

وقضى قضى اكتشاف هذه المخطوطة على الهجوم الذي كان يوجه إلى إنجيل يوحنا ، باعتبار أنه كتب نحو عام ١٦٠م (٢) .

٢ - مخطوطات تشستر بيتي (٢٠٠ م) موجودة في متحف بيتي في دبلن ، وجزء منها في جامعة متشيجان . . وهي من ورق البردي وتحتوي ثلاثة منها على معظم العهد الجديد . وهي أقرب المخطوطات إلى النص الأصلي من جهة تاريخية (٣) . ويقول سيرفردريك كنيون : « ان هذا الاكتشاف هو أعظم اكتشاف منذ اكتشاف النسخة السينائية ، فهو يصيق الفجوة الزمنية بين تاريخ

المخطوطات التي بين أيدينا وبين تاريخ كتابة أسفار العهد الجديد ، فلا يعود هناك مجال للشك في صدقها ، فليس هناك كتاب آخر ، لنصوصه مثل هذا السند من المخطوطات القديمة والكثيرة ، ولا يمكن لأى عالم غير منحاز أن ينكر أن النص الذى وصل إلينا هو نص صحيح .

٣- بردية بدمر الثانية (١٥٠ - ٢٠٠ م) موجودة بمكتبة بدمر وتحتوى معظم إنجيل يوحنا ، وهى أهم مخطوطة بعد مخطوطات تشستر بيتى ، وكثيرون فى العلماء يرجعون بتاريخها إلى منتصف القرن الثانى إن لم يكن إلى النصف الأول منه .

٤- الديايطسرون - ومعناه « اتفاق الأجزاء الأربعة » - وهو إظهار الاتفاق بين البشرين الأربعة ، كتبه تاتيان عام ١٦٠ م . وقد كتب يوسابيوس فى تاريخه : « لقد قام قائدهم السابق تاتيان بكتابة جمع للأناجيل دعاه « ديايطسرون » ولا زال هذا موجوداً الآن فى بعض الأماكن » . أما تاتيان هذا فهو مسيحى آشورى ، أول من كتب فى اتفاق البشرين ، ويوجد اليوم لدينا جزء صغير فقط مما كتبه تاتيان (٢) .

٥- النسخة السينائية (٣٥٠ م) موجودة فى المتحف البريطانى وتحتوى كل العهد الجديد ما عدا مرقس ١٦ : ٩ - ٢٠ ، يوحنا ٧ : ٥٣ - ٨ : ١١ كما تحتوى أكثر من نصف العهد القديم . وقد عثر عليها تشنلر فى سلة للمهمات فى دير جبل سيناء عام ١٨٤٤ ، وسلمها الدير هدية لقيصر روسيا عام ١٨٥٩ ، واشترتها الحكومة البريطانية من الاتحاد السوفيتى بمائة ألف جنيه يوم عيد الميلاد سنة ١٩٣٣ .

٦- النسخة الفاتيكانية (٣٢٥ - ٣٥٠ م) موجودة بمكتبة الفاتيكان وتحتوى كل الكتاب المقدس تقريباً ، وهى من أئمن مخطوطات الكتاب المقدس اليونانية .

٧ - النسخة الاسكندرية (٤٠٠ م) بالمتحف البريطانى ، وتقول الموسوعة البريطانية أنها كتبت باليونانية فى مصر . وتحتوى كل الكتاب المقدس تقريباً .

٨ - النسخة الأفرايمية (٤٠٠ م) موجودة فى المكتبة الوطنية فى باريس وتقول الموسوعة البريطانية إنها ساعدت على التأكد من بعض قراءات العهد الجديد وهى تحويه كله ما عدا تسالونيكى الثانية ويوحنا الثانية .

٩ - النسخة البيزية (٤٥٠ م) موجودة فى مكتبة كامبريدج وتحتوى الأناجيل وأعمال الرسل باللغتين اليونانية واللاتينية .

١٠ - نسخة واشنطن (أو نسخة الفريرية - من ٤٥٠ - ٥٥٠ م) وهى تحتوى على الأناجيل الأربعة بالترتيب الآتى : متى ، يوحنا ، لوقا ، مرقس .

١١ - نسخة كلارومنت (٥٠٠ م) وتحتوى على رسائل بولس الرسول (فى اللغتين اليونانية واللاتينية) .

وهذه المخطوطات القديمة ، وغيرها الكثير ، تظهر .

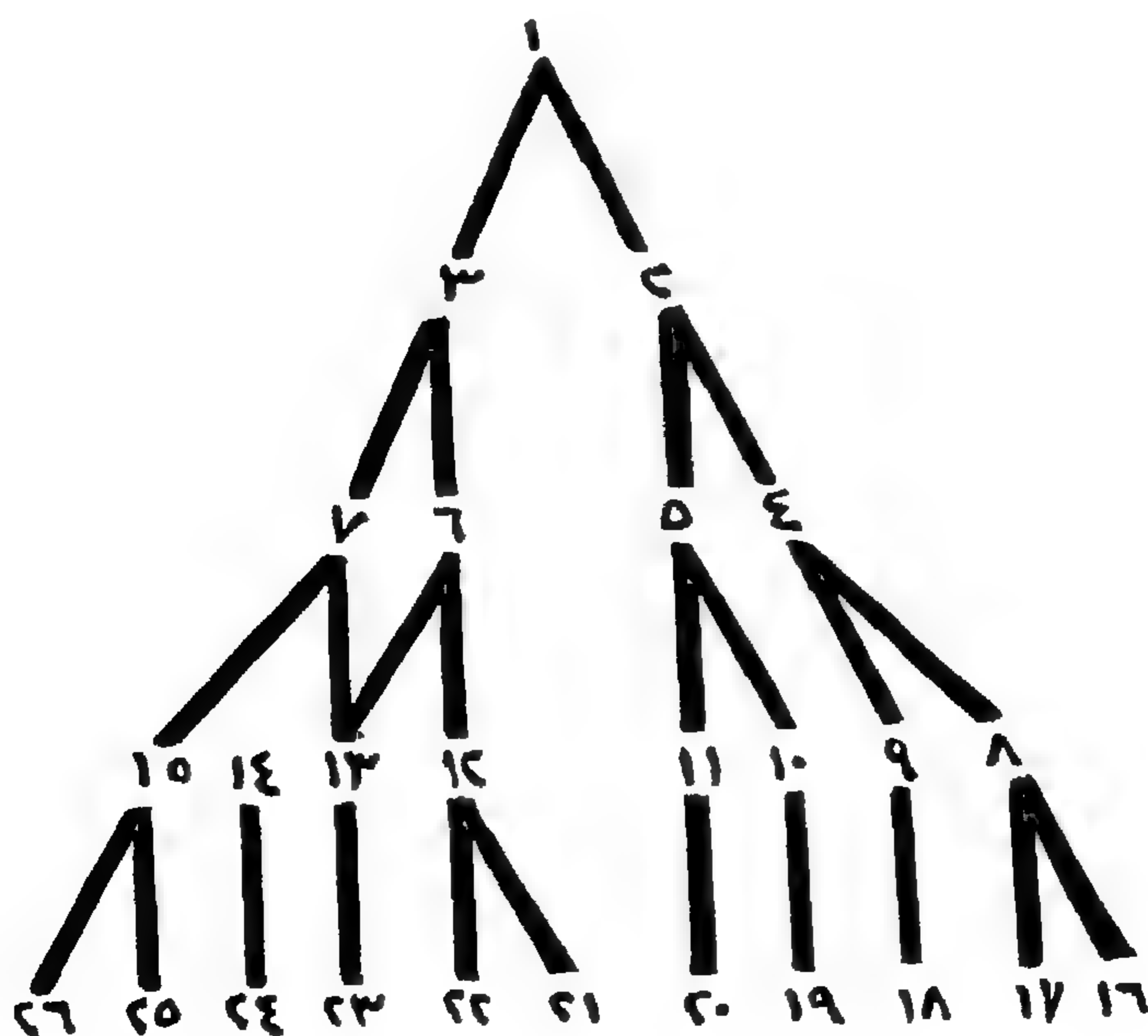
(أ) أن مخطوطات الكتاب المقدس أكثر جداً من مخطوطات أى كتاب قديم آخر .

(ب) أن تاريخ المخطوطات الموجودة عندنا قريب جداً من تاريخ كتابة النص الأصيل ، إذا قارنا ذلك بأى مخطوطة أخرى لأى كتاب قديم .

ويقول العلامة ف. هورت الذى قضى ٢٨ سنة فى دراسة نصوص العهد الجديد : « إن هذه الكثرة من مخطوطات العهد الجديد والتى يعود الكثير منها إلى العصور الأولى التى تكاد تتصل بتاريخ كتابة النص الأصيل ، تجعل نص العهد الجديد يقف فريداً بين كل الكتابات الكلاسيكية القديمة ، ولا تدانيه فى ذلك أى كتابات أخرى » .

ويقول جرينلى : « لما كان العلماء يقبلون الكتابات الكلاسيكية اليونانية القديمة ، رغم أن النسخة الموجودة عندنا منها كتبت بعد تأليف النسخة الأصلية بألف سنة ، أو أكثر ، فمن الواضح أننا نقلر أن نعتمد على ما عندنا من العهد الجديد اليوم بثقة كبيرة » .

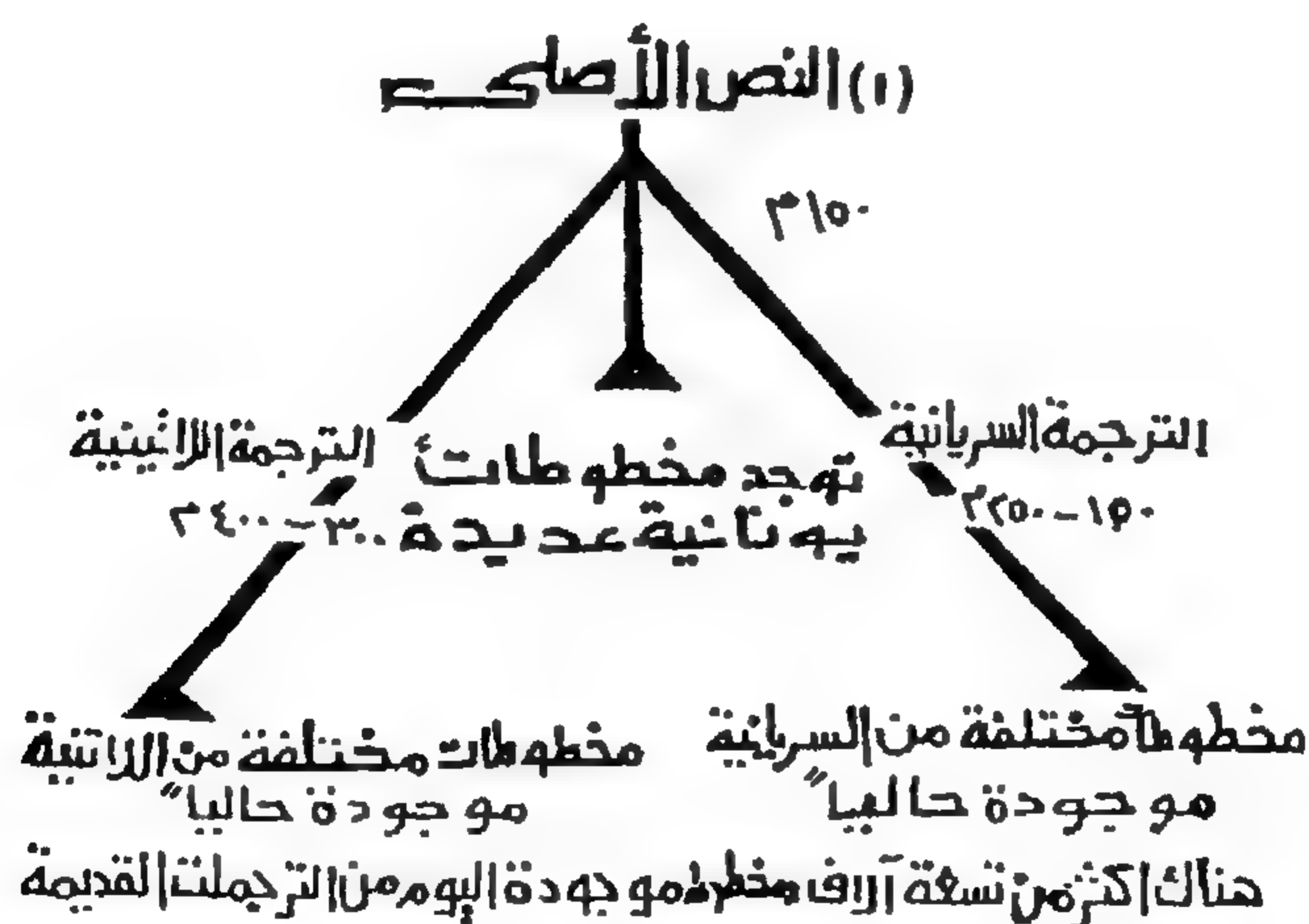
ويقدم العالمان جيسلر ونيكس المقارنة التالية : « أكثر الكتب القديمة من جهة المخطوطات الموجودة عندنا اليوم هو العهد الجديد ، ومن بعده الألياذة (٦٣٤ مخطوطة) وكانت الألياذة والعهد الجديد تعتبران كتباً « مقدسة » . في العهد الجديد عشرون ألف سطر ، وفي الألياذة ١٥٦٠٠ سطر . من العهد الجديد ٤٠٠ كلمة (أو أربعون سطرا) موضع شك ، بينما ٧٦٤ سطرًا من الألياذة موضع شك — ٥ ٪ من الألياذة موضع شك ، بينما أقل من نصف النصف في المائة من العهد الجديد موضع شك . ولكن « المهاهاراتا » الهندية لاقت فساداً أكثر ، فمن أصل ٢٥٠ ألف سطر فيها نحو ٢٦ ألف سطر موضع شك (أكثر من ١٠ ٪) (٢) .



ومن حسن الحظ أنه في حالة وجود هذه الكثرة الهائلة من المخطوطات
يسهل الوصول إلى النص الأصلي - (انظر الرسم) فمن المخطوطات ١٦ - ٢٦
يمكن الوصول إلى المخطوطة (١) - أي المخطوطة الأولى .

٤ - نوحات العهد الجديد :

من الأمور التي تؤيد صحة الكتاب المقدس ودقته ، وجود ترجمات قديمة . ولم تترجم أية كتابات إلى لغات مختلفة كما ترجم العهد الجديد ، لأن المسيحية ديانة تبشيرية ، وقد ترجم الكارزون الأولون أسفار العهد الجديد إلى لغات الشعوب التي كانوا يركزون لها لتساعدهم على نشر إيمانهم . وهكذا ترجم العهد الجديد إلى السريانية واللاتينية والقبطية . وقد تمت الترجمتان السريانية واللاتينية حوالي عام ١٥٠ م ، وهذا أقرب ما يكون إلى زمن كتابة الأسفار الأصلية .



وهناك أكثر من تسعة آلاف مخطوطة موجودة اليوم من الترجمات القديمة :

١ - الترجمات السريانية :

« الترجمة السريانية القديمة » للأناجيل الأربعة ، منقولة في القرن الرابع الميلادي . ومن اللازم أن نوضح أن كلمة « سريانية » تطلق على اللغة الآرامية المسيحية ، وتكتب بحروف آرامية مع تعديلات بسيطة .

« البشيطا السريانية » ومعناها البسيطة ، وهي الترجمة النموذجية ، أنجزت بين عامي ١٥٠ و ٢٥٠ م . وعندنا اليوم ٣٥٠ مخطوطة من هذه الترجمة ترجع إلى القرن الخامس .

« النسخة الفيلوكسنيان » (٥٠٨ م) فقد ترجم بوليسكاربوس العهد الجديد للسريانية ترجمة جديدة ، قدمها إلى فيلوكناس أسقف مابوج .

« نسخة هاركل السريانية » وترجع لعام ٦١٦ م قام بها توماس الهاركلي .

« نسخة فلسطين السريانية » يرجعها معظم العلماء لعام ٤٠٠ - ٤٥٠ م

٢ - الترجمات اللاتينية :

« اللاتينية القديمة » هناك شهادات من القرن الرابع إلى القرن الثالث عشر الميلادي أنه في القرن الثالث الميلادي انتشرت ترجمة لاتينية قديمة في شمال أفريقيا وأوربا . . .

« اللاتينية القديمة الأفريقية » (أو النسخة البابينسية ٤٠٠ م) وهناك ما يدل على أنها نقلت عن بردية من القرن الثاني .

« النسخة الكوريبيانية » (٤٠٠ - ٥٠٠ م) تحوى الأناجيل الأربعة .

« النسخة الفرسيلىانية » (٣٦٠ م) .

« النسخة البلاتينية » (القرن الخامس الميلادي) .

« الفلجاتا » اللاتينية ومعناها « العامة أو الشعبية » وكان القديس ايرونيμος (جيروم) سكرتير دماسوس أسقف روما . وقد قام ايرونيμος بالترجمة بناء على طلب الأسقف من عام ٣٦٦ – ٣٨٤ م .

٢ - الترجمات القبطية (المصرية) :

يقول بروس إن الترجمة الأولى للقبطية ربما تمت في القرن الثالث أو الرابع (٣) .

« النسخة الصعيدية » في بداية القرن الثالث .

« النسخة البحرية » في القرن الرابع .

« نسخة مصر الوسطى » في القرن الرابع أو الخامس .

٤ - ترجمات أخرى :

الأرمنية - في القرن الخامس ، ترجمت عن اليونانية الجورجية - (لبلاد القوقاز) - وترجع إلى القرن الرابع .

٥ - علماء الكنيسة الأولون يشهدون للعهد الجديد :

تقول الموسوعة البريطانية : « عندما يفحص أحد العلماء المخطوطات والترجمات ، لا يكون قد أنهى كل دراسته لنصوص العهد الجديد ، فإن كتابات آباء الكنيسة الأولين تلقى مزيداً من الضوء ، لأن بها اقتباسات من العهد الجديد قد تختلف عن إحدى أو بعض المخطوطات الحالية ، لأنها مأخوذة من مخطوطات أقدم لم تصل إلينا . وعلى هذا فإن شهادة هؤلاء الآباء للنص وبخاصة عندما تتطابق مع المصادر الأخرى ، يجب أن تضاف إلى ما عندنا من مراجع » .

وقد اقتبس آباء الكنيسة من العهد الجديد بكثرة تمكنا من تجميع العهد الجديد من اقتباساتهم ، ، وحتى لو أن كل ما عندنا من مخطوطات ضاع لتمكنا من تجميع العهد الجديد من كتابات الآباء الأولين .

ولقد انشغل السير « دافيد دارميل » بفكرة « لو ضاع العهد الجديد أو أحرق في القرن الثالث الميلادي ، وقت الاضطهاد العنيف ، فهل كنا نقدر أن نعيد جمعه من الاقتباسات الموجودة بكتابات الآباء في القرنين الثاني والثالث ؟ » .

وقضى السير دافيد دارميل زمناً درس فيه كل ما وصل إلينا مما كتبه آباء القرنين الثاني والثالث ، ووصل إلى هذه النتيجة : لقد وجد كل العهد الجديد ، ما عدا إحدى عشرة آية ! ! (٢) .

على أننا نحتاج إلى مراعاة أمرين :

١ - بعض الآباء يقتبسون من الذاكرة ، ولا ينقلون الآيات بالنص والحرف .

٢ - حدثت بعض الأخطاء من النساخ عن عمد أو عن سهو .

والآن تعالوا ندرس الآتي :

١ - القديس أكليمندس الروماني (٩٥ م - يقول عنه أوريجانوس : إنه تلميذ الرسل ، ويقول عنه ترتليان إنه تعين من بطرس ، ويقول عنه إيريناوس إن مواعظ الرسل لا تزال تدوى في أذنيه وأن عقائدهم أمام عينيه) .

يقتبس أكليمندس الروماني في كتاباته من متى - مرقس - لوقا - أعمال - كورنثوس الأولى - بطرس الأولى - العبرانيين - تيطس .

٢ - أغناطيوس (٧٠ - ١١٠ م) أسقف أنطاكية ، الذى كان يعرف الرسل جيداً ، وكان تلميذ بوليكاربوس قد استشهد سنة ١١٠ م . كتب سبع رسائل تحوى اقتباسات من متى - يوحنا - أعمال - رومية - كورنثوس الأولى - أفسس - فيلي - غلاطية - كولوسى - يعقوب - رسالتى تسالونيكى - رسالتى تيموثاوس وبطرس الأولى .

٣ - وقد اقتبس كل من بوليكاربوس (٧٠ - ١٥٦) أسقف سميرنا الذى استشهد فى السادسة والثمانين من عمره ، وهو تلميذ الرسول يوحنا ، وبرنابا (٧٠ م) وهرماس (٩٥ م) وتاتيان (١٧٠ م) وإيريناوس أسقف ليون (١٧٠ م) .

٤ - ومن بعد هؤلاء أكليمندس الاسكندرى (١٥٠ - ٢١٢ م) اقتبس ٢٤٠ آية من كل أسفار العهد الجديد ، ماعدا ثلاثة أسفار - وترتليان (١٦٠ - ٢٢٠) الذى كان أسقف قرطجنة الذى اقتبس سبعة آلاف آية منها ٣٨٠٠ من الأناجيل . وهبوليتس (١٧٠ - ٢٣٥) اقتبس أكثر من ١٣٠٠ آية . وأوريغانوس اقتبس أكثر من ١٨ ألف آية (١٨٥ - ٢٥٤ م) . وكذلك كيرىانوس (مات سنة ٢٥٨ م) أسقف قرطجنة ، استخدم حوالى ٧٤٠ اقتباساً من العهد القديم ، ١٠٣٠ من العهد الجديد .

ولقد أحصيت فى كتابات الآباء السابقين لمجمع نيقية (٣٢٥ م) اقتباسات بلغ عددها ٣٢ ألفاً من العهد الجديد ! وهذا العدد الضخم لا يشمل كل الاقتباسات ، كما أنه لا يشمل اقتباسات كتاب القرن الرابع ، . وبإضافة ما اقتبسه يوسابيوس الذى عاصر مجمع نيقية ، يبلغ عدد هذه الاقتباسات ٣٦,٠٠٠ هذا بخلاف اقتباسات أغسطينوس وامبياس ولشتاس وفم الذهب وجيروم وغايس الرومانى ، وأثناسيوس وامبروزيوس أسقف ميلان ، وكيرلس الاسكندرى ، وافرايم السريانى وهيلاريوس أسقف بواتيه ، وجيريجورى النيسى ، وغيرهم . وغيرهم . . .

والملث جدول لا وضعه جيسلر ونيكس ببعض الاقتباسات (٢) :

المكاتب	الاناجيل	الأعمال	رسائل بولس	الرسائل العامة	الرويا	المجموع
جستن مارتر	٢٦٨	١٠	٤٣	٦	٢٦٦٦+٣ استشهاده	٣٣٠
ايريناوس	١٠٣٨	١٩٤	٤٩٩	٢٣		١٨١٩
أكليمنديس الاسكندري	١٠١٧	٤٤	١١٢٧	٢٠٧		٢٤٠٦
أوريجنانوس	٩٢٣١	٣٤٩	٧٧٧٨	٣٩٩	١٦٥	١٧٩٢٢
ترقليان	٣٨٢٢	٥٠٢	٢٦٠٩	١٢٠	٢٠٥	٧٢٥٨
هيبوليتس	٧٣٤	٤٢	٣٨٧	٢٧	١٨٨	١٣٧٨
يوسابيوس	٣٢٥٨	٢١١	١٥٩٢	٨٨	٢٧	٥١٧٦
المجموع	١٩٣٦٨	١٣٥٢	١٤٠٣٥	٨٧٠	٦٦٤	٣٦٢٨٩

٦ - شاهد على صحة المخطوطات من القراءات الكنسية :

على أن هناك شاهداً آخر على صحة مخطوطات العهد الجديد ، هو وجود أجزاء كثيرة منها في القراءات الكنسية ، فقد تبع المسيحيون عادة اليهود في العبادة بقراءة أجزاء من التاموس والأنبياء كل سبت في المجمع ، فأخذ المسيحيون يقرأون أجزاء من العهد الجديد في كل أوقات العبادة في الكنائس وقد تحدت الأجزاء من الأناجيل والرسائل التي تقرأ كل يوم أحد ، وفي الأعياد والمواسم . ولم تكمل بعد دراسة ما وصل إلينا من القراءات من العهد الجديد ، ولكن ترجع أقدم الرقوق التي عندنا إلى القرن السادس ، بينما المخطوطات الكاملة تعود إلى القرن الثامن وما بعده .

والقراءات الكنسية عادة محافظة ، تعتمد على أقدم المخطوطات ، وهذا يعطيها قيمة عظيمة فيما يختص بدراسة نصوص العهد الجديد .

العهد القديم

ليس عندنا مثل هذه الوفرة من مخطوطات للعهد القديم كما هو الحال بالنسبة للعهد الجديد . وحتى اكتشاف مخطوطات البحر الميت كانت أقدم مخطوطة عندنا للعهد القديم ترجع إلى سنة ٩٠٠ م (أى بعد كتابة آخر أسفار العهد القديم بألف وثلثمائة سنة) . وقد يبدو من هذا أن العهد القديم لا يزيد - في هذا الصدد - عن سائر الكتابات القديمة ، ولكن مخطوطات البحر الميت للعهد القديم ترجع إلى عصر ما قبل ميلاد المسيح .

وبدراسة هذه الحقائق نجد أن هناك العدد الوفير من الأدلة على أن المخطوطات التي بين أيدينا هي مخطوطات صحيحة من وجهة الببليوغرافيا . وقد قال السير فردريك كنيون : « يمكن للمسيحي أن يمسك بالكتاب المقدس كله في يده ويقول بغير خوف أو تردد إنه يمسك بكلمة الله الحقيقية التي سلمت عبر القرون من جيل إلى جيل بدون أن يفقد شيئاً من قيمتها » (١٣) .

ونستطيع أن ندرك صحة مخطوطات العهد القديم لو عرفنا .

١ - الاهتمام الزائد بنقل المخطوطات :

يقول قاموس الكتاب المقدس لصموئيل دافيدسون ان الخطوات التالية تتبع بدقة في كتابة مخطوطة العهد القديم ، كما جاء في التلمود :

١ - الدرج المستعمل للقراءة في المجمع يجب أن يكون مكتوباً على جلد حيوان طاهر .

٢ - يجب أن يجهزه يهودى لاستعماله في المجمع .

٣ - تجمع الرقوق معاً بسيور مأخوذة من حيوان طاهر .

٤ - يجب أن يحتوى كل رق على عدد ثابت من الأعمدة في كل المخطوطة .

٥ - يجب أن يتراوح طول كل عمود ما بين ٤٨ - ٦٠ سطراً ، وعرض العمود يحتوى على ثلاثين حرفاً .

٦ - يجب أن تكون كل الكتابة على السطر ، ولو كتبت ثلاث كلمات على غير السطر ترفض المخطوطة كلها .

٧ - يجب أن يكون حبر الكتابة أسود ، لا أحمر ولا أخضر ولا أى لون آخر . ويتم تجهيزه طبق وصفة ثابتة .

٨ - يتم النقل بكل دقة من مخطوطة صحيحة تماماً .

٩ - لا يجب كتابة كلمة أو حرف أو نقطة من الذاكرة يجب أن ينقل الكاتب كل شئ من المخطوطة النموذجية .

١٠ - يجب ترك مسافة شعرة أو خيط بين كل حرفين .

- ١١ - يجب ترك مسافة تسعة حروف بين كل فقرتين .
- ١٢ - يجب ترك مسافة ثلاثة سطور بين كل سفرين .
- ١٣ - يجب إنهاء سفر موسى الخامس بانتهاء سطر . ولا داعي لمراعاة ذلك مع بقية الأسفار .
- ١٤ - يجب أن يلبس الناسخ ملابس يهودية كاملة .
- ١٥ - ويجب أن يغسل جسده كله .
- ١٦ - لا يبدأ كتابة اسم الجلالة بقلم مغموس في الحبر حديثاً .
- ١٧ - لو أن ملكاً خاطب الكاتب وهو يكتب اسم الجلالة فلا يجب أن يعيره أى التفات .
- وكل مخطوطة لا تتبع فيها هذه التعليمات تدفن في الأرض أو تحرق أو ترسل للمدارس لتقرأ فيها ككتب مطالعة ، ولا تستعمل في المجامع ككتب مقدسة .
- من هذا نرى سبب قلة عدد مخطوطات العهد القديم الموجودة عندنا اليوم وهو برهان على الصحة للدقة المتناهية التي كان يراعيها النساخ ! فانهم لم يكونوا يقبلون أية مخطوطة إلا إذا كانت مطابقة تماماً للمخطوطة الأصلية (٢) .
- ويقول فردريك كنيون إن المخطوطة الجديدة التي روعي في نسخها كل هذه الدقة تعتبر مساوية تماماً للمخطوطة القديمة ، دون التفات لقدمها . بالعكس كانت المخطوطة الجديدة تعتبر أفضل ، لأن المخطوطة القديمة كانت تتآكل أو تتمزق ، فتصبح غير صالحة للاستعمال .

وكان اليهود يحفظون بعض المخطوطات القديمة المتآكلة أو الممزقة في خزانة بالمجمع ولا يستعملونها ، وقد اكتشفت بعض هذه المخطوطات اليوم . وهكذا كانوا يعتبرون المخطوطة الجديدة أفضل لحلها من أى تلف . وعندما كانت الخزانة تمتلئ بالمخطوطات القديمة كانوا يقدّمونها ويدفنونها في الأرض وهذا هو سبب قلة عدد المخطوطات العبرية القديمة اليوم (١٣) ، بالإضافة إلى الاضطهادات التي تعرضوا لها هم وأسفارهم وممتلكاتهم .

ولم يكن اهتمام اليهود بالمخطوطات المقدسة أمراً حديثاً بعد سقوط أورشليم لكنه كان منذ القديم ، فيقرأ أن عزرا كان كاتباً ماهراً (عزرا ٧ : ٦ ، ١٠) أى أنه كان كاتباً محترفاً ماهراً في الأسفار المقدسة .

٢ - أشخاص متخصصون لنقل المخطوطات :

هناك حقبة معروفة بالحقبة المازورية (٥٠٠ - ٩٠٠ م) قبل فيها جماعة من الكتبة (المعروفين بالمازوريين) مسئولية تحرير ونسخ ومطابقة مخطوطات العهد القديم (أخذوا اسمهم من مازورا ، بمعنى تقليد) . وكان مركز عملهم في طبرية . وقد عملوا نسخاً من العهد القديم ، وضعوا فيها علامات تشكيل لتسهيل القراءة الصحيحة ، وأطلقوا عليها (النسخة المازورية) وهي النسخة العبرية المعتمدة الآن .

وقد عامل أولئك الكتبة النص بتوقير كامل ، وأخذوا كافة الاحتياطات ضد الخطأ ، فأحصوا مثلاً عدد كل حرف من حروف الأبجدية في كل سفر . وحددوا الحرف الأوسط مثلاً في أسفار موسى الخمسة ، والحرف الأوسط في الكتاب كله ، وغير ذلك من الحسابات والإحصاءات الدقيقة ! كما أنهم وضعوا هذه الأرقام في أشعار (أو ما شابه ذلك) ليدكروا الأرقام بسرعة! (٣)

ويقول السير فردريك كنيون إنهم أحصوا عدد الآيات والكلمات والحروف في كل سفر ، كما حددوا الحروف الوسطى والكلمات الوسطى في كل سفر ، وعرفوا الآيات التي تحتوى كلماتها على كل حروف الأبجدية أو عدداً معيناً منها ، ومع أن هذه الإحصاءات تافهة في نظرنا ، إلا أنها دليل قوى على احترامهم للأسفار المقدسة واهتمامهم البالغ بعدم سقوط حرف أو نقطة من النصوص المقدسة (١٣) . ولهذا هم يستحقون كل ثناء .

وقال العالم اليهودى عقيبة في القرن الثانى الميلادى إن النقل المضبوط للتوراة صيانة لها . وهذا يظهر الاهتمام الزائد بالأمانة في عمل المازورين .

قال روبرت ويلسون في كتابه « بحث علمى في العهد القديم » ان الدقة المطلقة في نقل أسماء الملوك الأجانب إلى اللغة العبرية أمر مذهل فهناك ١٤٤ حالة تم فيها النقل من المصرية والأشورية والبابلية والموآبية إلى العبرية كما تم نقل الأسماء العبرية في ٤٠ حالة إلى هذه اللغات ، أى أنه في مجمع ١٨٤ حالة . وفي خلال ٢٣٠٠ - ٣٩٠٠ سنة لم يحدث خطأ واحد في نقل الأسماء بكل دقة . ولم يحدث في كل تاريخ الآداب القديمة أن تم النقل بمثل هذه الدقة . لقد ظهر في العهد القديم أسماء نحو أربعين ملكاً من الفترة من ٢٠٠٠ ق.م - ٤٠٠ ق.م. وكلها جاءت في تسلسل تاريخى مضبوط تماماً سواء بالنسبة للملوك الدولة الواحدة أو بالنسبة للملوك المعاصرين في الدول الأخرى. وهذا برهان على دقة سجلات العهد القديم بصورة تفوق الخيال ! ان كل ما ظهر من مخطوطات أو حضريات بابلية يتفق تماماً مع ما جاء في العهد القديم (١٧) .

ويقول وليم جرين : « يمكننا أن نقول واثقين إنه لا يوجد كتاب قديم آخر قد نقل إلينا بمثل هذه الدقة » .

٣ - مخطوطات قديمة للعهد القديم :

« النسخة القاهرية » (٨٩٥ م) موجودة في المتحف البريطاني ، وقد نسخها أسرة موسى بن أشير ، وهي تحوى كتابات الأنبياء المتقدمين والمتأخرين .
« نسخة الأنبياء في لنجراد » (٩١٦ م) تحوى نبوات إشعياء وإرميا وحزقيال والأنبياء الصغار .

أما أقدم مخطوطة كاملة للعهد القديم فهي « النسخة البابلية » (١٠٠٨ م) وهي موجودة في لنجراد . وقد نسخت عن مخطوطة مضبوطة نسخها الحاخام هرون بن موسى بن أشير عام ١٠٠٠ م (٢) .

« نسخة حلب » (٩٠٠ م) وهي نسخة هامة جداً ، وقد تعرضت للضياع مرة ، ولكنها اكتشفت مرة أخرى وهي لم تسلم من بعض التلف .
« نسخة المتحف البريطاني » (٩٥٠ م) تحوى أجزاء من التكوين للتثنية .
« نسخة روهلن للأنبياء » (١١٠٥ م) جهزها ابن نفتالى المازورى .
شهادة مخطوطات البحر الميت :

سأل السير فردريك كتيون : « هل النص المعروف بالمازورى المأخوذ من نسخة كانت موجودة عام ١٠٠ م ، يمثل النص الأصلي الذى كتبه كتاب العهد القديم ؟ » .

وقد جاءت مخطوطات البحر الميت لتقول : نعم . بالتأكيد !

أما هذه المخطوطات فتتكون من أربعين ألف قطعة ، أمكن تجميع خمسمائة كتاب منها - بينها كتب عن قوانين الحياة فى مجتمع قران ، وأصول التلمذة فيها ، مع تفاسير لبعض الأسفار . أما قصة اكتشاف هذه المخطوطات فترجع إلى أن راعى أغنام بدوى اسمه « محمد » كان يبحث عن معزة ضائعة فى مارس ١٩٤٧ ، فرمى حجراً فى ثقب فى تل على الجانب الغربى للبحر الميت ، على

بعد ثمانية أميال جنوب أريحا، واندھش وهو يسمع صوت تحطيم آنية فخارية فدخل ليستكشف الأمر فوجد أواني فخارية كبيرة تحتوى لفائف من الجلد ملفوفة فى أنسجة كتانية . ولما كانت الأواني الفخارية مغلقة بإحكام ، فقد بقيت المخطوطات فى حالة ممتازة لمدة نحو ١٩٠٠ سنة ، فقد وضعت تلك المخطوطات داخل الأواني عام ٦٨ م .

وقد اشترى رئيس دير السريان الأرثوذكس بأورشليم خمسا من تلك المخطوطات ، كما اشترى الأستاذ سككنك من الجامعة العبرية بأورشليم ثلاثا ، وكتب فى مذكراته عنها يقول : « لعل هذا واحداً من أعظم الاكتشافات فى فلسطين ، أكثر جداً مما توقعنا » .

وفى فبراير سنة ١٩٤٨ اتصل رئيس الدير السريانى بالمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية فى أورشليم وأخبرهم عن المخطوطات . وكان المدير شاباً عالماً يهوى التصوير أيضاً ، اسمه جون تريفر ، وقد قام بمجهود خارق فى تصوير كل عمود من مخطوطة سفر إشعياء وهى بطول ٢٤ قدماً وعرض عشر بوصات وحمض الأفلام بنفسه وأرسل بعض الصور منها إلى الدكتور أولبرايت من جامعة جون هوبكنز ، الذى كان يعتبر عميد علماء الحفريات الكتابية . فأرسل رده بـرجوع البريد يقول : « تهانى القلبية على اكتشاف أعظم مخطوطة فى عصرنا الحديث . ياله من اكتشاف مذهل ! ولا يمكن أن يوجد ظل شك فى العالم كله فى صحة هذه المخطوطة » . وقال إنها ترجع لسنة ١٠٠ ق.م .

قيمة المخطوطات :

واننا نتساءل : كيف نتأكد أن مخطوطة من عام ٩٠٠ م صحيحة وطبق الأصل من المخطوطات القديمة السابقة لميلاد المسيح ؟ والإجابة : شكراً لمخطوطات البحر الميت ، فإن مخطوطة إشعياء ترجع إلى ما قبل المخطوطات

YA

اليونانية في أثناء حكم بطليموس فيلادلفوس بمصر (٢٨٥ - ٢٦٤ ق.م) .
وقد جاءت قصة الترجمة في خطاب كتب نحو عام ١٠٠ ق.م ، من أرسطياس
الموظف في بلاط الملك بطليموس إلى أخيه فيلوكراتس قال فيه : « اشتهر
بطليموس بأنه حامي الآداب ، وقد تأسست مكتبة الاسكندرية (إحدى روائع
العالم الثقافية على مدى ٩٠٠ سنة) في عهده . وقد أثار ديمتريوس أمين المكتبة
حماس الملك لترجمة الشريعة اليهودية . فأرسل وفداً لأليعازر رئيس الكهنة في
أورشليم ، الذي اختار ستة من الشيوخ المترجمين من كل سبط من أسباط
إسرائيل الاثني عشر وأرسلهم للاسكندرية ، ومعهم نسخة معتمدة من
التوراة مكتوبة على رقوق جميلة . وقد لقي العلماء المترجمون كل عناية ملكية
وأقاموا في جزيرة فاروس ، حيث كانت المنارة الشهيرة . وقد أكملوا ترجمة
الأسفار الخمسة في ٧٢ يوماً ، باتفاق كامل ، بعد المناقشة والمقارنة » (٣) .

والترجمة السبعينية قريبة جداً من النسخة المازورية التي تعود لعام ٩١٦ م ،
مما يثبت بقائها مضبوطة عبر الثلاثة عشر قرناً . كما أن الترجمة السبعينية
والقراءات الكتابية الموجودة في الأسفار الأبوكريفية مثل يشوع بن سيراخ
وسفر اليوبيل وغيرها تثبت جميعها أن النص العبري الذي بين أيدينا الآن هو
نفسه الذي كان موجوداً في سنة ٣٠٠ ق.م .

ويقول جيسلر ونيكس عن الترجمة السبعينية :

١ - إن الترجمة السبعينية أقامت جسراً (كوبرياً) بين اليهود المتكلمين
بالعبرية والمتكلمين باليونانية ، وملأت احتياج يهود الإسكندرية .

٢ - إنها أقامت جسراً بين العهد القديم في اللغة العبرية التي كان يتكلمها
اليهود ، وبين المسيحيين الذين كانوا يتكلمون اليونانية ، فاستطاعوا أن
يستخدموها مع أسفار العهد الجديد .

٣ - وساعدت الكارزين على نقل الكتب المقدسة إلى العديد من اللغات واللهجات المختلفة .

٤ - أسكتت النقاد لتطابقها مع الأصل العبري (٢) .

ويقدم بروس الأسباب التي دفعت باليهود لإهمال السبعينية :

(١) إن المسيحيين منذ القرن الأول تبنا هذه الترجمة للعهد القديم ، واتخذوا منها منطلقاً لنشر إيمانهم والدفاع عنه .

(ب) في نحو سنة ١٠٠ م تبنى اليهود نصاً معيناً للعهد القديم العبري ، اتفق عليه علماءهم البارزون (٣) .

وهناك « الترجمة السامرية » (القرن الخامس ق.م) للأسفار الموسوية الخمسة ويقول بروس « أن الاختلافات بين الترجمة السامرية والنسخة المازورية لا قيمة لها بجانب وجوه التطابق » .

وهناك الترجوم ، وهو الترجمة إلى الكلدانية التي احتاج اليهود إليها بعد سبيهم (نحو عام ٥٠٠ ق.م) ثم هناك « ترجوم أونكيلاس » وأونكيلاس هو تلميذ العالم اليهودي هليل ، وهو للأسفار الموسوية الخمسة ويرجع إلى عام ٦٠ ق.م . كما أن هناك « ترجوم يوناثان بن عزيثيل » (نحو ٣٠ ق.م .) ويحتوى على الأسفار التاريخية وأسفار الأنبياء .

ويقول بروس إنه في القرون الأخيرة قبل الميلاد نشأت القراءة للكتب المقدسة في المجامع مع ترجمة شفوية إلى اللغة الآرامية ، لأن العبرية لم تعد شائعة ، فكان لابد من تقديم ترجمة في اللغة الشائعة . وكان الشخص الذي يترجم يسمى « ميتورجمان » (أى مترجم) . وكانت الفقرة المترجمة تعرف « بالترجوم » .

ولم يكن يسمح للمترجم أن يقرأ ترجمته من درج مكتوب ، لئلا يظن أنه يقرأ من النص الأصلي . ولكي يضمنوا دقة الترجمة لم يكن مسموحاً أن يترجم في المرة الواحدة أكثر من آية واحدة من الأسفار الخمسة أو ثلاث آيات من أسفار الأنبياء ، وبعد مضي وقت كتبت هذه الترجمات في مخطوطات (٣) .

وهذه الترجمات دليل على صدق الأصل العبري وبقائه كما كان في زمن عمل الترجمة . فلا زال الأصل والترجمة موجودين عندنا اليوم .

٥ - اقتباسات من العهد القديم :

تمت كتابة « المشنا » عام ٢٠٠ م ، ومعناها « التفسير » وهي تحوى كتابات تقاليد اليهود وتفسيرهم للشريعة الشفوية . وكانت بالعبرية ويعتبرونها « الناموس الثانى » . والاقتباسات التى بها من التوراة تماثل النسخة المازورية ، وهكذا تشهد لصحتها .

وهناك « الجيمارا » (الفلسطينية عام ٢٠٠ م ، والبابلية عام ٥٠٠ م) - وهي تفاسير مكتوبة بالآرامية ، مبنية على « المشنا » ، وما بها من اقتباسات من التوراة يؤكد صحة النص المازورى .

والمشنا والجيمارا البابلية يكونان ما يسمى بالتلمود البابلى ، كما أن المشنا والجيمارا الفلسطينية يكونان التلمود الفلسطينى .

وهناك « المدراش » (كتب ما بين ١٠٠ ق.م - ٣٠٠ م) وهو دراسات عقائدية فى العهد القديم ، وما به من اقتباسات يتفق مع النص المازورى .

وهناك « الهكسابلا » (أى السداسية) (١٨٥ - ٢٥٤ م) قام بها أوريجانوس وتحتوى على ستة أعمدة أولها الترجمة السبعينية ، ثم ترجمة أكويلا ،

ثم ترجمة تيوداتيان ، ثم ترجمة سيماخوس ، ثم النص العبري (في حروف
عبرية) ثم النص العبري في حروف يونانية . وما جاء بهما مع ما جاء في كتابات
فيلو ويوسيفوس وما وجد من مخطوطات خربة قران يكشف لنا أنهم جميعاً
اقتبسوا من نص يماثل النص المازوري ، وذلك فيما بين ٤٠ - ١٠٠ م .

ثانياً

براهين داخلية على صحة الكتاب المقدس

١ - الشك في جانب المخطوطة :

لا زال النقاد الأدبيون اليوم يتبعون قول الفيلسوف أرسطو أن الشك
يجب أن يكون في جانب المخطوطة ، وليس في جانب الناقد الذي يدعي ضدها
بغير حق ! (١٨) . ويقول مونتجومري : « وعلى هذا فإن الناقد يجب أن
يصغى إلى المخطوطة التي يدرسها ، ولا يفترض فيها الخطأ أو التحريف إلا إذا
ناقض الكاتب نفسه أو ذكر وقائع غير صحيحة » (١٨) .

ويقول روبرت هورن : « متى يمكن أن نقول عن صعوبة أنها حجة
ضد عقيدة ؟ إن هذا يتطلب ما هو أكثر من مجرد التناقض الظاهري إذ يجب
أن ندرك : أولاً - أننا فهمنا ما نقرأه تماماً ، وفهمنا استعمال الكلمات والأرقام .
وثانياً - يجب أن نلم بكل المعرفة عن موضوع الجدل . وثالثاً - أننا وصلنا
لدرجة التي لا نحتاج معها إلى مزيد من نور على الموضوع ، وأننا أكملنا
كل البحوث عن النص وعلم الحفريات . . الخ » .

ويمضي هورن ليقول : « إن الصعوبات التي تقابلنا ليست حجة كافية
للحكم ضد المخطوطة ، فإن المشكلات ليست بالضرورة أخطاء . ونحن بذلك
لا نستهن بالصعاب ، ولكننا نضعها في إطارها الصحيح . إن الصعوبات

تدفعنا للمزيد من البحث . إلى أن نصل إلى المرحلة التي نقول فيها إننا عرفنا كل ما يلزم عن موضوع ما ، لا يمكن أن نقول : هنا غلطة بالتأكيد . ومن الواضح أن صعوبات كثيرة انتهت بعد مزيد من الدرس والمعرفة وبخاصة منذ بداية القرن الحالى « (١٩) .

وعلى هذا فليس من الصائب أن نحكم ضد حقائق فى الكتاب المقدس بأنها أخطاء ، حتى ندرس موضوعها دراسة كافية تنفى كل جهل !

٢ - المراجع أساسية وقيمة :

الذين كتبوا الكتب المقدسة كانوا شهود عيان :

لوقا ١ : ١ - ٤ « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة - رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » .

٢ بطرس ١ : ١٦ « لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه ، بل قد كنا معانين عظمته » .

١ يوحنا ١ : ٣ « الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم شركة معنا . أما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح » .

أعمال ٢ : ٢٢ « يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم ، كما أنتم أيضاً تعلمون » .

يوحنا ١٩ : ٣٥ « والذى عاين شهد ، وشهادته حق ، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم » .

لوقا ٣ : ١ « وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر ،
إذ كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية ، وهيرودس رئيس ربيع على
الجليل ، وفيلبس أخوه رئيس ربيع على أيطورية وكورة تراخونيتس ،
وليسانوس رئيس ربيع على الأبلية » .

أعمال ٢٦ : ٢٤ - ٢٦ « وبينما هو يحتج بهذا قال فستوس بصوت عظيم :
أنت تهذى يا بولس ! الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان . فقال : لست
أهذى أيها العزيز فستوس ، بل أنطق بكلمات الصدق والصحو ، لأنه من
جهة هذه الأمور ، عالم الملك الذى أكلمه جهاراً ، إذ أنا لست أصدق أن
يحتج عليه شئ من ذلك ، لأن هذا لم يفعل فى زاوية ! » .

ويقول بروس أستاذ النقد الكتابي بجامعة مانشستر : « لقد عرف الكارزون
الأولون بالإنجيل قيمة شهادة العيان ، فوضوا يقولون إنهم « يشهدون بما رأوه »
تأكيداً لأقوالهم . ولم يكن من السهل على أحد أن يضيف شيئاً على ما قاله
المسيح أو فعله حقيقة ، فقد كان عدد كبير من التلاميذ ومن شهود العيان
موجودين عندئذ ، وهم يذكرون كل ما حدث » .

ولقد كان المسيحيون الأولون يدققون فى التمييز بين ما قاله يسوع فعلاً
وبين ما يروونه هم أو يفتكرونه . فمثلاً عندما يناقش بولس مسألة الزواج
فى كورنثوس الأولى الإصحاح السابع يفرق بين نصيحته الشخصية وبين
رأى الرب فيقول : « أقول أنا ، لا الرب » ويقول : « فأوصيهم لا أنا ،
بل الرب » .

ولم يعتمد التلاميذ على شهود العيان فهم وحدهم ، بل كان هناك آخرون
يعرفون أحداث خدمة يسوع وموته ، وكان الوعاظ الانجيليون الأولون
يذكرون السامعين بما سبق وعرفوه : « عجائب وآيات صنعها فى وسطكم »

(أعمال ٢ : ٢٢) . ولو أن الوعاظ انحرفوا أقل انحراف عن الحقائق في أى موقف ، لواجههم السامعون المعادون لهم بالتصحيح والمقاومة «(١٥) .

٣ - المراجع قديمة وأصلية :

يعتبر العلماء العهد الجديد كتاباً قديماً أصلياً يرجع إلى القرن الأول الميلادى (١٨) .

رسائل بولس بين أعوام ٥١ - ٦٢ ح .

انجيل مرقس ٦٤ - ٧٠ م

انجيل متى ٨٠ - ٨٥ م

انجيل لوقا ٨٠ - ٨٥ م } وهناك برهان قوى على أن لوقا كتبهما
أعمال الرسل ٨٥ م } قبل سنة ٦٤ م

انجيل يوحنا قبل عام ١٠٠ م

ويقول كنيون إنه من المؤكد أن انجيل يوحنا كتب قبل نهاية القرن الأول الميلادى . ويقول نلسون جلويك ، وهو حجة في ميدانه ، أننا نقدر أن نقول بتأكيد ، على أساس علمى متين ، إن كل كتب العهد الجديد كتبت قبل عام ٨٠ م . وإن كل سفر من العهد الجديد كتبه شخص يهودى تمت معموديته للمسيحية ، فيما بين عام ٤٠ و ٨٠ م (٢٠) . (والأرجح فيما بين ٥٠ - ٧٥ م) .

ثالثاً

براهين خارجية على صحة الكتاب المقدس

هل المعلومات التاريخية الأخرى تؤيد أو تعارض ما جاء في مخطوطات الكتاب المقدس؟ وأى مراجع أخرى من خارج مخطوطات الكتاب تسند صحة الكتاب؟

ونقدم هنا رأى بعض الكتاب في ذلك .

١ - يوسايبوس - نقل كتابات بابياس أسقف هيرابوليس (١٣٠ م)
التي استقاها بابياس من الرسول يوحنا ، والتي تقول :

« كان يوحنا الشيخ يقول : « مرقس مترجم بطرس ، قد سجل بدقة ،
كل ما قاله بطرس عما فعله يسوع أو علم به ، ولكن بدون ترتيب تاريخي ،
لأن مرقس لم يكن سامعاً أو مصاحباً للمسيح ، ولكنه رافق بطرس بعد
ذلك ، وقد راجع بطرس كتابات مرقس وأقرها ، دون أن تكون جميعاً
كاملاً لتعاليم المسيح . وهكذا فإن مرقس لم يخطئ وهو يسجل عن بطرس
ما ذكره ، دون أن يحذف شيئاً مما سمعه ، ودون أن يضيف إليها شيئاً غير
صحيح » .

٢ - ويقول بابياس عن انجيل متى : « سجل متى الأقوال باللغة الأرامية » .

٣ - إيريناوس ، أسقف ليون (١٨٠ م) وهو تلميذ لبوليكرابوس
أسقف سمرنا الذي استشهد عام ١٥٦ م والذي كان بدوره تلميذاً للبشير
يوحنا ، وقد كان إيريناوس سبباً في إيمان كل أهل ليون ، وأرسل كارزين
إلى كل أجزاء أوروبا الوثنية .

وقد كتب إيريناوس في دفاعه الثالث ضد الهرطقات ، يقول : « ان
أساس الأنجيل قوى حتى أن الهرطقة أنفسهم يشهدون لصحتها ، ويحاولون
منها أن يثبتوا عقائدهم الخاطئة » .

ويمضي إيريناوس ليقول : « وكما أن للعالم أربعة أركان وأربعة رياح ،
وكما انتشرت المسيحية في كل الأرض ، وكما أن الانجيل هو عامود الكنيسة
الأساسي ونسمة حياتها ، فإنه من الواجب أن تكون له أربعة أعمدة تبعث
الخلود في كل جهة ، وتضرم الحياة الجديدة في البشر . وهكذا فإن « الكلمة »

مهندس كل شيء الجالس فوق الكروبيم والضابط لكل شيء ، بعد أن أظهر نفسه للناس ، أعطى الأناجيل في أشكالها الأربعة لكنها مرتبطة بالروح الواحد» .

ثم يكتب : « نشر متى انجيله وسط اليهود بلغتهم ، بينما كان بطرس وبولس يكرزان بالانجيل في روما ليؤسسا الكنيسة هناك . وبعد موتهما (يقول التقليد إنه حدث في حكم نيرون عام ٦٤ م) سلم مرقس تلميذه بطرس ومترجمه ، انجيله مسجلاً به ما كان يكرز بها . أما لوقا (تابع بولس) فقد سجل في كتاب ما كان معلمه يكرز به . ثم أن يوحنا تلميذ الرب والذي كان يتكلم على صدره (يوحنا ١٣ : ٢٥ ، ٢١ : ٢٠) سجل انجيله بينما كان في أفسس في آسيا » .

٤ — ويقول السير ولیم رمزی : « لا يعلى على تأريخ لوقا من جهة صحته ودقته » .

٥ — ويستخدم أكليمنس الروماني (٩٥ م) الكتب المقدسة باعتبارها صادقة يعتمد عليها .

٦ — أغناطيوس (٧٠ - ١١٠ م) أسقف أنطاكية الذي استشهد بسبب إيمانه ، وكان يعرف كل الرسل ، وكان تلميذاً لبوليكاربوس ، تلميذ يوحنا ، قال : « أفضل أن أموت لأجل المسيح من أن أملك العالم كله . اتركوني للوحوش حتى أصبح شريكاً مع الرب » . وقد ألقى للوحوش في الكوليزيوم في روما . وقد كتب رسائله خلال رحلته من أنطاكية إلى روما حيث استشهد .

وقد شهد أغناطيوس للأسفار المقدسة ، إذ بنى إيمانه عليها وكان لديه من المصادر ما يتأكد به من صحة النصوص المقدسة ويقبل الموت شهيداً للحق الذي جاء بها (٢١) .

٧- بوليكاربوس (٧٠ - ١٥٦ م) تلميذ يوحنا الذي استشهد في السادسة والثمانين من عمره بسبب ولائه الكامل للمسيح وللكتاب المقدس. وكان استشهاده تأكيداً منه للحق الذي آمن به . ونحو ١٥٥ م أثناء حكم أنطونيوس بيوس ، جاء اضطهاد على سمرنا ، واستشهد عدد من أعضاء كنيسته ، وعرف عنه أنه قائد الكنيسة ، فحكم عليه بالموت ، وعندما طلب منه الحاكم التراجع عن إيمانه لينجو بحياته قال : « لقد خدمته ٨٦ سنة لم يخطيء خلاها إلى ، فكيف أخطيء في حق ملكي الذي خلصني ؟ » فأحرقوه. ولابد أن ثقته بالحق الذي عرفه من مصادره الأولى، هي التي جعلته يموت لأجله (٢١) . .

٨- فلافيوس يوسيفوس المؤرخ اليهودي .

الفرق بين ما يقوله يوسيفوس وما يقوله العهد الجديد عن المعمودية يوحنا المعمدان (مرقس ١ : ٤) هو أنه لا يقول إنها كانت معمودية لمغفرة الخطايا ، وكما يقول موت المعمدان كان لأسباب سياسية وليس بسبب توبيخ الملك على زواجه من امرأة أخيه . ويقول بروس إنه من المحتمل أن هيرودس رأى أن يقتل عصفورين بحجر واحد بسجن يوحنا . ويقول بروس إن العهد الجديد يهتم بالنواحي التاريخية الروحية ، كما أن رواية العهد الجديد أقدم ، وعليه فإنها أصح . ولكن الإطار العام لتاريخ يوسيفوس يؤيد الأناجيل (١٥) .

ويقول يوسيفوس عن المعمدان : « ظن بعض اليهود أن الله هو الذي حطم جيش هيرودس انتقاماً ليوحنا الملقب بالمعمدان الذي قتله هيرودس رغم صلاحه ، فقد كان يحض اليهود على الفضائل ، وأن يكونوا بارين بعضهم ببعض ، وأتقياء أمام الله ، كما كان يدعوهم للمعمودية . وكان المعمدان يعلم أن المعمودية مقبولة عند الله ، لا لمغفرة الخطايا بل لتطهير الجسد ، ان كانت النفس قد تطهرت من قبل ذلك بالبر . وعندما اجتمع كثيرون حوله

(لأنه كان يجتذبهم بكلامه) خاف هيرودس من سلطانه على الناس، لئلا يثير شغباً، لأن الناس كانوا يطيعون مشورته في كل شيء، فرأى من الأفضل أن يقبض عليه ويقتله قبل أن يحدث ثورة! وبسبب شك هيرودس فيه أرسله مسلسلاً إلى حصن «ماكاروس»، حيث قتله. واعتقد اليهود أن الله أهلك الجيش انتقاماً ليوحنا، لأن الله أراد أن يجلب الشر على هيرودس (١٥).

٩- تاتيان (١٧٠ م) مسيحي آشوري كتب الديايطرون الذي بين فيه اتفاق البشرين الأربعة.

رابعاً

براهين من علم الحفريات والآثار

قال عالم الآثار اليهودي نلسون جلويك: «لم يحدث اكتشاف أثري واحد ناقض ما جاء في الكتاب المقدس. إن التاريخ الكتابي صحيح تماماً بدرجة مذهلة، كما تشهد بذلك الحفريات والآثار» (٧).

ويقول وليم أولبرايت أحد عظماء علماء الحفريات: «لا شك أن علم الآثار القديمة قد أكد صحة تاريخ العهد القديم. لقد أنهت الشكوك التي قامت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في الكتاب المقدس، فقد أثبتت الاكتشافات - الواحد بعد الآخر - دقة التفاصيل الكثيرة التي تؤكد قيمة الكتاب المقدس كمرجع تاريخي» (٢٢).

يقول الأستاذ رولي إن موافقة علماء الآثار على صحة التاريخ الكتابي لا ترجع إلى توفر النظرة المحافظة عند العلماء المعاصرين، بل إلى كثرة الأدلة التي بين أيديهم على صحة تاريخ الكتاب المقدس (٢٣).

يقول ميلر باروز من جامعة بيل : لقد محقت الاكتشافات الأثرية نظريات النقد الحديث ، فقد أثبتت مراراً كثيرة ، أن هذه النظريات ترتكز على افتراضات باطلة ونظرات تاريخية مصطنعة وغير صحيحة ، وهذا أمر جدير بكل اعتبار .

ويقول بروس : ان المواضيع التي كان يتهم فيها لوقا بعدم الدقة ، ثم ثبتت دقتها بأدلة خارجية ، عما يجعل من الحق أن نقول إن علم الآثار قد أكد صحة العهد الجديد .

ويقول مرل أنجر (مؤلف كتاب علم الآثار والعهد الجديد) : « لقد كشفت الحفريات عن أمم قديمة جاء ذكرها في العهد القديم ، وأظهرت تاريخ أشخاص مهمين ، وملأت فراغات كثيرة مما ساعد على فهم التاريخ الكتابي » (٢٤) .

إن علم الآثار القديمة قد بعث احتراماً كاملاً للكتاب المقدس كوثيقة تاريخية صحيحة ، وظهر أن شكوك بعض علماء الكتاب المقدس راجعة إلى تحيزهم ضد المعجزات ، وليس إلى التقييم الدقيق للتاريخ الكتابي ! .

لقد رأينا كيف عاونت المخطوطات القديمة ، التي اكتشفها علماء الحفريات والآثار ، على التأكد من سلامة النصوص الموجودة معنا للكتاب المقدس وأنها نقلت إلينا عبر القرون بكل دقة وأمانة . كما أن التواريخ المسجلة في حفريات فلسطين أكدت سلامة القصص الكتابية ، مما جعلها موضع الاحترام المتزايد عند هؤلاء العلماء .

ويقول السير فردريك كنيون : « لقد وجهت انتقادات حادة إلى جزء من تاريخ العهد القديم ، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ولكن علم الآثار القديمة أعاد إلى هذا الجزء سلطانه ، كما كشف الحلفية التاريخية له .

ولم يصل علم الآثار إلى نهاية اكتشافاته ، ولكن النتائج التي وصل إليها تؤكد ما يقوله الكتاب المقدس . إن الكتاب المقدس يستفيد من زيادة معرفة علماء الآثار القديمة ! » (٢٥) .

ويقول برنارد رام : « لقد أعطانا علم الآثار القديمة برهاناً على صحة النسخة المازورية . فهناك ما يعرف بـ « ختم إرميا » (وهو ختم يختمون به على البيومين الذي يخلقون به الأواني التي يحفظون بها الخمر) يرجع تاريخه إلى القرن الأول أو الثاني الميلادي ، وعليه ما جاء في إرميا ٤٨ : ١١ . وهذا يؤكد لنا صحة النص المازوري . وهذا الختم يؤكد لنا صحة النص الذي انتقل إلينا من وقت عمل الختم إلى وقت كتابة المخطوطات . فضلاً عن أن بردية روبرت التي ترجع إلى القرن الثاني ق.م . وبردية ناش التي يقول أولبرايت إنها ترجع إلى ١٠٠ ق.م . تؤكدان صحة النص المازوري » (٢٦) .

ويقول الدكتور أولبرايت : « إن النور الدافق (الصادر من الاكتشافات في أطلال مدينة يوجاريت) والذي ألقى بضياءه على الشعر العبري القديم ، ليؤكد لنا أن نشأة الشعر الكتابي قديمة . وأن نقله تم بأمانة وصدق » (٢٧) .

ويقول : « حتى وقت قريب كان اتجاه المؤرخين الكتابيين أن آباء سفر التكوين جاءوا من خلق خيال الكتبة العبرانيين بعد انقسام مملكة سليمان وأنهم لم يكونوا أشخاصاً حقيقيين .

ولكن هذا كله قد تغير ، فإن الاكتشافات والحفريات منذ عام ١٩٢٥ أثبتت صدق قصص التكوين كوقائع تاريخية ، فإن آباء العبرانيين كانوا من البدو الذين سكنوا عبر الأردن وسوريا وحوض الفرات وشمال الجزيرة العربية في القرون الأخيرة من الألف الثانية ق.م . ، والقرون الأولى من الألف الأولى » (٢٨) .

١ - نماذج من حفريات تبرهن صحة العهد القديم :

(١) يقول سفر التكوين أن أصل إسرائيل من بلاد ما بين النهرين ، وقد برهنت الحفريات صحة هذا . ويقول أولبرايت : « لا شك أن التقليد العبري صادق في أن الآباء جاءوا من وادي بالخ في شمال غرب بلاد ما بين النهرين » . ويجيء البرهان من تتبع آثار حركة هؤلاء الناس في خروجهم من بلاد ما بين النهرين (٢٨) .

(ب) يقول سفر التكوين إنه قبل بناء برج بابل كانت الأرض تتكلم لغة واحدة (تكوين ١١ : ١) . وبعد بناء البرج وهلمه بلبل الله لسان كل الأرض (تكوين ١١ : ٩) . ويتفق كثير من علماء اللغات حالياً على صحة هذه النظرية . ويقول ألفريدو ترومبتي إنه يستطيع أن يتابع ويبرهن الأصل المشترك لكل اللغات . ويذهب أوتو ياسبرسن إلى أبعد من ذلك ويقول إن اللغة جاءت للانسان الأول من الله (٢٩) .

(ج) في سلسلة نسب عيسو جاء ذكر الحوريين (تكوين ٣٦ : ٢٠) وقد جاء وقت ظن فيه الناس أن الحوريين كانوا سكان الكهوف ، لقرب الشبه بين كلمة « حوريين » وكلمة « كهف » العبرية . ولكن الحفريات الحديثة أظهرت أنهم كانوا جماعة من المحاربين عاشوا في الشرق الأوسط في عصر الآباء الأولين .

(د) خلال الحفريات في أريحا (١٩٣٠ - ١٩٣٦ م) وجد العالم جار ستانج شيئاً غريباً جعله يحرر وثيقة يوقع عليها واثنان من العلماء زملائه . يقول فيها : « لا شك في حقيقة أن أسوار أريحا سقطت تماماً إلى الخارج في مكانها ، حتى يتمكن المهاجمون من أن يصعدوا فوقها ويدخلوا أريحا . والغريب في ذلك أن أسوار المدن لا تسقط عادة إلى الخارج بل تسقط إلى

الداخل ، ولكن أسوار أريحا سقطت في مكانها إلى الخارج كما جاء في (يشوع ٦ : ٢٠ ، ٢٢) . . «فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة» (٣٠).

(هـ) نجد أن سلسلة نسب ابراهيم صحيحة تماماً ، ولكن ثار التساؤل : ان كانت هذه أسماء أشخاص أو أسماء مدن قديمة . والكتاب المقدس يقول ان ابراهيم شخص وأنه تاريخي . ويقول باروز : «تؤكد كل الحقائق أن ابراهيم شخص تاريخي عاش فعلاً . ويجيء اسمه في آثار بابل كاسم شخص كان يعيش في تلك الحقبة التي ينتمي ابراهيم إليها» (٣١) .

ولقد جرت محاولات لنقل تاريخ حياة ابراهيم إلى القرن الخامس عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد وهو وقت متأخر جداً عن وقت وجوده ولكن أولبرايت يقول إنه بسبب الحقيقة التي ذكرها باروز ، ، وكدلائل أخرى هامة من أسماء أشخاص وبلاد ، يكون ابراهيم قد عاش في زمن يسبق الزمن الذي كان يحدده له العلماء (٢٨) على غير أساس صحيح .

(و) ومع أن رجال الحفريات لم يكتشفوا بعد الأدلة على صحة كل قصص آباء العهد القديم ، إلا أن العادات الاجتماعية المذكورة في القصص مناسبة تماماً للحقبة والموقع اللذين يقول الكتاب المقدس إنها حدثت فيهما . وقد جاء الكثير من البراهين على صحة هذا من حفريات نوزو وماري ، كما ألقى الكثير من الضوء على اللغة والشعر العبري من حفريات يوجاريت ، لقد وجدت الشرائع الموسوية في شرائع الحثيين والآشوريين والسومريين والآشوريين . بمقارنة حياة العبرانيين مع حياة أولئك الشعوب ، نرى أن العبرانيين قدموا معونة ضخمة للعالم .

لقد قادت هذه الاكتشافات جماعة العلماء - بغض النظر عن إيمانهم الديني - إلى تأكيد صحة الطبيعة التاريخية لقصص الآباء العبرانيين القدماء (مرجعاً ٢٣ ، ٢٧) .

(ز) قال الناقد المشهور يوليوس ولهازون في القرن التاسع عشر إن القول بأن المرحضة قد صنعت من المرايا النحاسية أمر دخيل على القصة القديمة ، وعليه فإنه يعتقد أن قصة بناء خيمة الاجتماع كتبت بعد عصر موسى بكثير ! ولم يكن عند ولهازون من برهان على أن المرايا المعدنية لم تصنع إلا في عام ٥٠٠ ق.م ، أي بعد عصر موسى بكثير . ولكن الحفريات أظهرت وجود مرايا برونزية في عصر الامبراطورية في مصر (من ١٥٠٠ - ١٢٠٠) ق.م . ، وهي الحقبة التي عاش فيها موسى (١٥٠٠ - ١٤٠٠ ق.م .) (٢٩) .

(ح) ويقول هنري موريس في كتابة « الكتاب المقدس والعلم الحديث » « لا زالت هناك مشكلات بلا حل ، ونحن نتوقع أن تجيء حفريات جديدة تزيلها ، كما أزال الحفريات التي تمت الكثير من اللبس . وفي كل ما تم كشفه من حفريات لم يحدث مرة واحدة أن ما اكتشفه تعارض مع الكتاب المقدس » (٣٢) .

٢ - نماذج من حفريات تبرهن صحة العهد الجديد :

(أ) مكانة لوقا كمؤرخ لا يرقى إليها الشك . ويقول أنجر أن علم الآثار القديمة أثبت صحة قصة الأناجيل وعلى الأخص إنجيل لوقا . ويقول : « هناك اتفاق عام اليوم على أن سفر الأعمال من قلم لوقا وأنه يرجع للقرن الأول م ، وأنه بقلم مؤرخ صادق دقيق في مراجعة » (٢٤) .

يعتبر السير ولیم رمزی أحد عظماء رجال علم الآثار قاطبة ، وقد تتلمذ على المدرسة التاريخية الألمانية في منتصف القرن التاسع عشر . ولذلك فقد

اعتقد أن سفر الأعمال كتب في منتصف القرن الثاني م. وقد مضى يبحث عن أدلة على هذه الفكرة ، ولكن بحوثه جعلته ينقض هذه الفكرة تماماً ، فكتب يقول : « لقد بدأت بحثي بدون تحيز أو اتجاه للفكرة التي انتهيت إليها . بل بالعكس : لقد بدأت وأنا ضد الفكرة ، لأن المدرسة الألمانية التي انتميت إليها كانت ضدها ولم يكن في نيتي مطلقاً أن أفحص هذا الموضوع . ولكن بعد بحث دقيق وجدت أن سفر الأعمال مرجع عظيم المعالم الجغرافية والتاريخية للمجتمع في آسيا الصغرى . ولقد وجدت أن المعلومات الواردة فيه صحيحة بصورة مذهلة . . ومع أنني - في الحقيقة - بدأت بحثي وفكرتي الراسخة أنه كتب في القرن الثاني ولا يمكن الاعتماد عليه فيما يختص بتاريخ القرن الأول ، إلا أنني خرجت من أبحاثي بهذه النتيجة وهي أنه مرجع أكيد استطاع أن يحل لي الكثير من الغموض والمشكلات » .

ويظهر رمزي احتراماً كبيراً للوقا كمؤرخ ، فيقول : « لوقا مؤرخ من الدرجة الأولى ، لا لأن عباراته صادقة تاريخياً فحسب ، لكن لأنه يملك حاسة تاريخية حقيقية ، فإنه يركز على الفكرة والخطة التي تحكم تطور التاريخ ، ويزن أهمية كل حادثة يوردها . وهو يعالج كل الحوادث الهامة مظهراً طبيعتها الحقيقية باستفاضة ، بينما يعالج بسرعة ، أو يغفل تماماً ، مالا قيمة له بالنسبة لقصده . وباختصار يجب اعتبار هذا الكاتب ضمن عطاء المؤرخين » (٣٤) .

ولقد ظن البعض أن لوقا أخطأ وهو يصور الأحداث التي أحاطت بولادة المسيح (لوقا ٢ : ١ - ٣) قائلين أنه لم يحدث اكتتاب (تعداد) وأن كيرينيوس لم يكن والياً على سورية في ذلك الوقت وأنه لم يكن هناك داع لأن يذهب كل واحد إلى مدينته .

ولكننا اليوم نعلم ، بدون أى شك ، أن الرومان كانوا بانتظام يعملون إحصاء للدافعي الضرائب ، كما كانوا يعملون تعداداً عاماً كل ١٤ سنة . وقد بدأ هذا النظام في عهد أغسطس ، وتم أول تعداد في عام ٢٣ - ٢٢ ق.م أو ٩ - ٨ ق.م وتكون إشارة لوقا للتعداد الأخير .

وقد وجدنا دليلاً على أن كيرينئوس كان والياً على سورية عام ٧ ق.م ، وذلك من كتابة وجدت في أنطاكية . ومن هذا نرى أنه كان حاكماً مرتين مرة في ٧ ق.م ومرة في سنة ٦ م (وهو التاريخ الذي يذكره المؤرخ يوسيفوس) (٣٥) .

وقد وجدت بردية في مصر تذكر كيفية إجراء التعداد ، تقول : « بسبب التعداد القادم يجب على كل من يقيم بعيداً عن بيته لأي سبب أن يجهز نفسه للعودة إلى موطنه الأصلي وحكومته لاستكمال تسجيل العائلات في هذا التعداد ولكي تعود الأرض المزروعة إلى أصحابها » .

كما ظن رجال الحفريات أن لوقا أخطأ عندما قال أن لسترة ودرية مدينتان في ليكأونية ، ولكن أيقونية ليست كذلك (أعمال ١٤ : ٦) . وقد بنوا افتراضهم هذا على كتابات بعض الرومان مثل شيشرون الذين قالوا إن أيقونية في مقاطعة ليكأونية . واستنتجوا أن سفر الأعمال لا يعتمد عليه . لكن في سنة ١٩١٠ وجد السير وليم رمزي شاهداً أثرياً على أن أيقونية كانت مدينة في مقاطعة فريجية . وقد برهنت الحفريات التالية صدق ذلك (٢٩) .

ويقول لوقا أن ليسانيوس كان رئيس ربع (Tetrarch) على الأبلية (لوقا ٣ : ١) في بدء خدمة يوحنا المعمدان عام ٢٧ م . وكان ليسانيوس الذي يعرفه المؤرخون قد قتل عام ٣٦ ق.م . لكن شاهداً وجد بقرب دمشق يقول « معتوق ليسانيوس رئيس الربع » ويرجع تاريخ الشاهد ما بين ١٤ و ٢٩ م (٣٦) .

وفي الرسالة إلى رومية المكتوبة من كورنثوس يقول بولس أن أراستس هو خازن المدينة (رومية ١٦ : ٢٣) . وعند الحفر في كورنثوس عام ١٩٢٩ وجد شاهد رخامى يقول : « أراستس المشرف على المباني العامة أرسى هذا على نفقته الخاصة » .

ويرجع تاريخ الشاهد إلى القرن الأول الميلادى ، والأرجح أن أراستس هذا هو نفسه الذى ذكره بولس (١٥) .

وقد وجد في كورنثوس شاهد رخامى آخر يقول : « مجمع العبرانيين ولعله كان على باب المجمع الذى حاج فيه بولس (أعمال ١٨ : ٤ - ٧) . وهناك شاهد آخر مكتوب عليه « الملحمة » التى ذكرها بولس (١ كورنثوس ١٠ : ٢٥) .

وكم نشكر علماء الحفريات الذين كشفوا معظم المدن القديمة التى وردت أسماؤها في سفر الأعمال . ونتيجة لذلك يمكن أن نتابع كل رحلات بولس (١٥ : ٢٠) .

ويتحدث لوقا عن شغب جرى في أفسس ، وعن « محفل » في مسرح المدينة (أعمال ١٩ : ٢٣) . وقد وجدت هناك كتابة تتحدث عن تمثال أرتاميس (ديانا) الفضى الذى وضع في المسرح خلال « المحفل » . وقد وجد أن المسرح (عند الحفر عنه) يسع ٢٥ ألف شخص ! (٣٦) .

ويتحدث لوقا عن شغب آخر جرى في أورشليم لأن بولس أدخل أممياً إلى الهيكل (أعمال ٢١ : ٢٨) . وقد وجدت كتابة باللغتين اليونانية واللاتينية تقول : « ممنوع دخول الأجانب عبر هذا الحاجز المحيط بالهيكل وما يتبعه . وكل من يقيض عليه داخل الحاجز سيكون هو الجانى على نفسه بعقوبة الموت » . وهذا أيضاً يبرهن ما قاله لوقا (٣٦) .

وقد كان هناك شك في استخدام لوقا لبعض الكلمات ، فهو يقول أن فيلبي جزء من مقاطعة مكدونية . ويستعمل لوقا كلمة يونانية هي « Meris » التي تعني جزءاً أو منطقة وقد احتج هورث على استعمال لوقا لهذه الكلمة قائلاً أنها لا تعني « مقاطعة » . ولكن الحفريات برهنت على أن هذه الكلمة تصف أقسام المقاطعة ، وهكذا برهنت الحفريات على دقة لوقا (٢٩) .

وقد استخدم لوقا كلمة « والى » (Proconsul) كلقب لغالليون (أعمال ١٨ : ١٢) وثبت أن هذا هو اللقب المضبوط كما جاء في كتابة تم اكتشافها في دلفي جاء فيها : « ان لوسيوس جونيوس غالليون صديقي ، ووالى أخائية » وهذه الكتابة نفسها (٥٢ م) تعطينا التاريخ المضبوط لإقامة بولس في كورنثوس للكراسة مدة ١٨ شهراً ، فقد تولى غالليون ولايته في أول يوليو ، واستمرت ولايته سنة واحدة ، خدم خلالها بولس في كورنثوس (٣٦) .

ويطلق لوقا على الحاكم في مالطة لقب « مقدم الجزيرة » (أى الرجل الأول فيها) (أعمال ٢٨ : ٧) وقد أظهرت الحفريات أن هذا كان لقب الحاكم فعلاً .

ويسمى لوقا رجال الحكم المدني في تسالونيكي « الحكام » Poltareh (أعمال ١٧ : ٦) ولما لم تكن هذه الكلمة موجودة في الكتابات القديمة ، قيل إن لوقا أخطأ . ولكن وجدت حوالى ١٩ كتابة بعد ذلك تستعمل هذا اللقب ، خمس منها بالإشارة إلى تسالونيكي ؟ (٣٦) .

وفي عام ١٩٤٥ اكتشفت عظمتان في نواحي أورشليم عليهما كتابة بالجرافيت ، قال مكتشفهما أنهما أول السجلات المسيحية . وكانتا في قبر كان مستعملاً قبل سنة ٥٠ م . وعليهما كتابة تقول Iesos Iou and Iesous Aloth ورسم لأربعة صلبان . ولعل الأولى صلاة لطلب العون من المسيح ، والثانية صلاة لقيامه الشخص صاحب العظام (٣٦) .

(ب) « البلاط » لمدة قرون لم نجد سجلاً عن القاعة التي حوكم فيها يسوع ،
وهي المدعوة « جباثا » أى البلاط (يوحنا ١٩ : ١٣) . وقال الكثيرون
أن الكتاب أخطأ ، فلم يوجد وقتها « بلاط » !

ولكن الحفريات في فلسطين أظهرت أن هذا « البلاط » كان في قلعة
أنطونيا ، مقر قيادة الجيش الروماني في أورشليم . وقد دمرت قاعة البلاط
عام ٦٦ - ٧٠ م خلال حصار أورشليم ، وظلت مدفونة ، حتى عندما أعيد
بناء المدينة في عهد هارديان . ولم تكتشف إلا حديثاً (٣٢) .

(ج) « بركة بيت حسداً » - لم يكن هناك ما يدل على وجودها إلا في
العهد الجديد . ولكنها وجدت الآن في شمال شرق المدينة القديمة . وقد وجد
رجال الحفريات بقاياها في سنة ١٨٨٨ م بالقرب من كنيسة القديسة حنة (٣٦)

الخلاصة

بعد أن حاولت زعزعة الثقة في الكتاب المقدس ، باعتبار أنه كتاب لا يحق الاعتماد عليه ، وصلت إلى النتيجة أن الكتاب المقدس وثيقة صحيحة تاريخياً صحيحة تامة . ولو أن أحداً قال أن الكتاب المقدس ليس موضع اعتماد ، لوجب عليه أن يرفض كل وثيقة أدبية قديمة .

ولكني أقابل مشكلة : هي قبول البعض للوثائق الأدبية القديمة ، على أساس علمي ، لكنهم يرفضون قبول الكتاب المقدس بناء على الأسس العلمية نفسها ! وخلق بنا أن نستخدم ذات الأسس في فحص أية وثيقة سواء كانت دينية أم دنيوية ! .

فإذا فعلنا هذا ، فإنني متأكد أننا سنمسك الكتاب المقدس بيدنا قائلين : « هذا الكتاب صحيح تاريخياً ، وجدير بكل ثقة ! » .

مراجع الجزء الأول

1. Sidney Collett, *All About The Bible*, Old Tappan Revell.
2. Norman Geisler and William Nix, *A General Introduction to the Bible*, Moody Press.
3. F.F. Bruce, *The Books and the Parchments*, Fleming Revell.
4. Stanley L. Greenalade, *Cambridge History of the Bible*, Cambridge U. Press.
5. Bernard Ramm, *Protestant Christian Evidences* Moody Press.
6. Merrill F. Unger, *Unger's Bible Dictionary*, Moody Press.
7. A.T. Robertson, *Introduction to the Textual Criticism of*
7. A.T. Robertson, *Introduction to the Textual Criticism of the New Testament*, Macmillan.
8. John W. Lea, *The Greatest Book in the World*, Philadelphia : n.p. 1912.
9. Conversation with Dr. Earl Radmacher, Dallas, Texas, June 1972.
10. Wilber M. Smith, *The Incomparable Book*, Beacon Publications.
11. Kenneth Scott Latourette, *A History of Christianity*, Harper and Row.
12. Philip Schaff, *History of Christian Church*, Vol. I, Eerdmans.
13. Frederick G. Kenyon, *Our Bible and the Ancient Manuscripts*, Harper and Brothers.
14. Frederick G. Kanyan, *Handbook to the Textual Criticism of the New Testament* Macmillan.
15. F. F. Bruce *The Documents are they Reliable ?*, Intersity Press.
16. Bruce Metzger, *The Tejt of the Testament*, Oxford U. Press.
17. Robert Dick Wilson, *A Scientific Investigation of the New Testament* M.P.

.....

18. John Warwick Montgomery, *History and Christianity* Inter-Varsity Press.
19. Robert M. Horn *The Book that Speaks for Itself*, Inter-Varsity Press.
20. William Albright, *Recent Discoveries in Bible Lands*, Funk and Wagnalls.
21. Elgin S. Moyer, *Who Was Who in the Church History*, M.P.
22. W.F. Albright, *The Archeology of Palestine*, Pelican Books.
23. Donald F. Wiseman, *Archeological Confirmation of the old Testament*, Baker Book House.
24. Merrill F. Unger, *Archeology and the New Testament*, Zondervan.
25. Frederirck G. Kenyon, *The Bible and Archeology*, Harper and Row.
26. Bernard Ramm, *Protestant Christian Evidences* M.P.
27. William F. Albright. *Old Testament Archeology of the Ancient East*, Oxford U. Press.
28. William F. Albright, *The Biblical Period From Abraham To-Ezra*, Harper and Row.
29. Joseph Free, *Archeology and Bible History*, Scripture Press Publications.
30. John Garstang, *Joshua Judges*, Constable.
31. Miller Burrows, *What Means These Stones ?* Meridian Books.
32. Henry Morris. *The Bible and Modern Science*, M.P.
33. Edward M. Blaiblock. *Layman's Answer : An Examination of the New Theology*. Hodder and Stoughton.
34. Sir W. M. Ramsay, *The Bearing of Recent Discovery on the Trustworthiness of the New Testament*, Hodder and Stoughton.
35. John Elder, *Prophets, Idolds and Diggers*, Bobbs-Merrill.
36. F.F. Bruce, *Revelation and the Bible*, Baker Book House.

الجزء الثاني

تَقْنِيَتِي فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ

هذا الجزء هام للغاية لأنه يتحدث عن شخص يسوع المسيح ، من هو ؟
هل هو ابن الله ؟

ولإجابة هذا السؤال هامة جداً ، لأنه لو أن المسيح كان حقاً كما قال عن نفسه : المخلص المنتظر ، وابن الله ، فإن صلتنا الأبدية نحن البشر بالله تتوقف على صلتنا بالمسيح في هذا العالم . وفي هذا الجزء سنتحدث عن المسيح المخلص العظيم .

في هذا الجزء

الفصل الخامس — يسوع المسيح في التاريخ .

١ — مراجع مسيحية لتاريخية المسيح .

٢ — مراجع من خارج الكتاب المقدس تشهد لتاريخية المسيح .

الفصل السادس — يسوع ابن الله .

أولاً — يسوع يعلن عن ألوهيته .

١ — وقت محاكمته .

٢ — في أحاديثه .

٣ — بقبوله العبادة له .

٤ — آخرون يؤكدون ألوهيته .

ثانياً — يسوع يعمل عمل الله .

١ — غفران الخطية .

٢ — لا يتغير .

٣ — الحياة .

٤ — الدينونة .

ثالثاً — يسوع يحمل ألقاب الله .

١ — يهو .

٢ — ابن الله .

٣ — ابن الإنسان .

٤ — أبا الآب .

الفصل السابع — الاحتمال المثلث .

صديق أو كاذب أو مجنون !

الفصل الثامن — الافتراض العظيم .

لو أن الله صار إنساناً :

١ — لصار دخوله إلى العالم بطريقة غير عادية .

٢ — لكان خالياً من الخطية .

٣ — لأجرى معجزات .

٤ — لجاء مختلفاً عن كل البشر .

٥ - لكانت كلماته أعظم ما قيل .

٦ - لكان تأثيره شاملاً ودائماً .

٧ - لأشبع جوع الناس الروحي .

٨ - لكان له سلطان على الموت .

الفصل التاسع - النبوات عن المسيح في العهد القديم تتحقق في العهد الجديد .

الفصل العاشر - القيامة : خدعة أم حقيقة ؟

(تفصيل محتوى هذا الفصل موجود في أوله) .

يسوع المسيح - في التاريخ

في مناظرة نظمها اتحاد طلاب إحدى جامعات الوسط الغربي في أمريكا ،
افتتحت مناظرتي حديثها بالقول (وهي ماركسية) : « المؤرخون اليوم
يرفضون أن يسوع المسيح شخصية تاريخية » . ولم أصدق أذني ، ولكني
كنت سعيداً لأن ٢٥٠٠ طالباً يحضرون المناظرة أدركوا أنها لم تدرس التاريخ
وكنت أحمل معي بعض الوثائق لاستخدامها في المناظرة ، والأمر الثابت هو
أن المؤرخين (وإن كان القليلون من رجال الاقتصاد) لا يقولون بأن المسيح
شخصية اسطورية .

قال الأستاذ بروس من جامعة مانشستر : « قد يلهو بعض الكتاب بالقول
أن يسوع أسطوري ، دون أن يعتمدوا على أدلة تاريخية ، ذلك أن يسوع
المسيح - عند المؤرخ المنصف - شخص تاريخي ، كما أن يوليوس قيصر
شخص تاريخي . ان المؤرخين لا ينكرون أبداً تاريخية المسيح » (١) .

أولاً - مراجع مسيحية لتاريخية المسيح :

هناك سبعة وعشرون وثيقة تشهد لتاريخية المسيح ، هي أسفار العهد الجديد
ويتساءل جون مونتجمري : « ماذا يعرف المؤرخ عن يسوع المسيح ؟ »
ويجيب : « يعرف أن أسفار العهد الجديد يمكن الاعتماد عليها لتقديم صورة
صحيحة للمسيح . ويدرك المؤرخ أن هذه الصورة لا يمكن رفضها على أساس
افتراضات فلسفية أو مناورات أدبية أو تفكيرات خيالية » (٢) .

وقد كتب آباء الكنيسة عن المسيح كشخص تاريخي ، من أمثال بوليكاربوس ، ويوسابيوس وإيريناوس وأغناطيوس وأوريجانوس وجستن مارتير وغيرهم .

(راجع الفصل الرابع لتجد الأدلة والاقتباسات)

ثانياً – مراجع من خارج الكتاب المقدس تشهد لتاريخية المسيح :

١ – كرنيليوس تاسيتوس :

ولد ما بين عامي ٥٢ و ٥٤ م. وهو مؤرخ روماني ، كان حاكماً لآسيا عام ١١٢ م، وهو زوج ابنة يوليوس أجريكولا حاكم بريطانيا من ٨٠ – ٨٤ م. وقد كتب تاسيتوس عن موت المسيح ووجود المسيحيين في روما خلال حكم نيرون ، قال :

« ان كل العون الذي يمكن أن يجيء من الانسان ، وكل الهبات التي يستطيع أن يمنحها أمير ، وكل الكفارات التي يمكن أن تقدم إلى الآلهة ، لا يمكن أن تعفى نيرون من جريمة إحراق روما . ولكن لكي يقضى على هذه الإشاعة اتهم الذين يدعون « مسيحيين » ، ظلماً ، بأنهم أحرقوا روما ، وأوقع عليهم أشد العقوبات . وكان الأغلبية يكرهون المسيحيين . أما المسيح – مصدر هذا الاسم – فقد قتل في عهد الوالي بيلاطس البنطي حاكم اليهودية في أثناء سلطنة طيباريوس . وقد أمكن السيطرة على خرافته بعض الوقت لكنها عادت وانتشرت ، لا في اليهودية فقط حيث نشأ هذا الشر ، لكن في مدينة روما أيضاً » .

ويشير تاسيتوس مرة أخرى للمسيحية عندما يتحدث عن إحراق هيكل أورشليم عام ٧٠ م (كما ذكر سلبوس سرفيوس في تاريخه الكتاب الثاني)

٢ - لوسيان :

الكاتب الساحر في القرن الثاني الميلادي ، تحدث باحتقار عن المسيحية والمسيحيين ، وربطهم بمجامع فلسطين ، وقال عن المسيح : « الرجل الذي صلب في فلسطين لأنه جاء بديانة جديدة إلى العالم . . وفوق ذلك فقد قال لأتباعه أنهم أخوة لبعضهم ، بعد أن أخطأوا برفض آلهة اليونان وعبادة السوفسطائي المصلوب والحياة طبقاً لتعاليمه » .

٣ - فيلافيوس يوسيفوس :

المؤرخ اليهودي الذي ولد عام ٣٧ م ، وصار فريسياً في التاسعة عشرة من عمره وفي سنة ٦٦ م صار قائداً للقوات اليهودية في الجليل . وبعد وقوعه في الأسر التحق بالقيادة الرومانية ، وقال : « في غضون هذا الوقت كان يسوع ، الرجل الحكيم ، ان كان يحل لي أن أدعوه رجلاً ، لأنه عمل أعمالاً عجيبة ، وعلم تعاليم قبلها أتباعه بسرور ، فجذب لنفسه كثيرين من اليهود والأمم . أنه المسيح . وعندما حكم بيلاطس عليه بالصلب ، بناء على طلب قادة شعبنا ، لم يتركه أتباعه ، لأنه ظهر لهم حياً بعد اليوم الثالث ، كما سبق للأنبياء القديسين أن تنبأوا عن هذا آلاف الأشياء العجيبة . أما الطائفة التي تبعته فهي طائفة المسيحيين الموجودين إلى يومنا هذا » .

وقد وجدت مخطوطة كتبها الأسقف أبابيروس في القرن العاشر الميلادي باللغة العربية عنوانها « كتاب العنوان المكلل بفضائل الحكمة المتوج بأنوار الفلسفة المندوة بحقائق المعرفة » قال في مقدمة أحد أجزائها : « وجدنا في كتب كثيرين من الفلاسفة اشارتهم إلى يوم صلب المسيح » ثم أورد اقتباسنا من كتابات يوسيفوس المذكور أعلاه .

ويشير يوسفوس أيضاً إلى يعقوب أخى يسوع فى وصفه لأعمال حنان رئيس الكهنة، فيقول: « تسلم حنان الصغير رئاسة الكهنة، وكان شجاعاً جداً، واتبع طائفة الصديقين الذين كانوا سيفاً مسلطاً على اليهود، كما سبق أن أشرنا. وقد انتهز حنان فرصة موت فستوس، وفرصة أن الحاكم الجديد أليينوس لم يكن قد وصل بعد، وجمع مجلس قضاة، جاء أمامه بـيعقوب أخى يسوع الذى يدعى المسيح. ومعه آخرين، ووجه لهم تهمة كسر الناموس وسلمهم للرجم » (١).

٤ - سيوتونيوس : (١٢٠ م) ،

مؤرخ روماني كان أحد رجال بلاط الامبراطور هادريان، قال: « لما كان اليهود يسببون شغباً ضد ما قام به المسيح. فقد طردهم الامبراطور من روما ». وكتب أيضاً: « أوقع نيرون العقوبات على المسيحيين، وهم جماعة من الناس يتبعون بدعة شريرة جديدة ».

٥ - بلنى الصغير :

(أوبلنيوس سكندس) حاكم بيثينية فى آسيا الصغرى عام ١١٢ م كتب إلى الامبراطور تراجان يطلب نصيحته فى طريقة معاملة المسيحيين، وأوضح أنه كان يقتل الرجال والنساء والأولاد والبنات منهم. وكثر عدد القتلى حتى أنه تساءل ان كان يستمر فى قتل كل من يعتنق المسيحية، أو أن يكتفى بقتل البعض فقط. وقال انه أجبر المسيحيين على السجود لتماثيل تراجان كما أنه جعلهم يلعنون المسيح، والمسيحي الحقيقى لا يمكن أن يفعل ذلك. وقال فى نفس الخطاب عن الذين كان يحاكمهم: « لقد أكدوا أن جرمهم الوحيد هو أنهم اعتادوا أن يجتمعوا فى يوم خاص قبل بزوغ النهار، ويرنمون ترنيمة للمسيح على أنه الله، ويتعهدون عهد الشرف ألا يرتكبوا شراً أو كذباً أو سرقة أو زنا، وألا يشهدوا بالزور أو ينكروا الأمانة ».

٦ - ترتليان :

في دفاع عن المسيحية (١٩٧ م) أمام الحكام الرومان في أفريقيا يذكر ما تبودل بين طياريوس وبيلاطس البنطي ، ويقول : بناء على ما وصل طياريوس من أن المسيحيين انتشروا في العالم ، وما بلغه عن حقيقة لاهوت المسيح جمع طياريوس مجلسه الحاكم وحكى لهم الأمر ، وأعلن قراره في صف المسيح . ولما لم يكن المجلس هو الذي أعطى الموافقة ، فقد رفض الفكرة . ولكن طياريوس قيصر تمسك بفكرته وهدد بعقاب من يتهمون المسيحيين . ولكن بعض المؤرخين يشكون في صحة هذه الحادثة الذي ذكرها ترتليان .

٧ - ثالوس المؤرخ السامري :

وهو من أوائل الكتاب الأثمين الذين ذكروا المسيح ، عام ٥٢ م ، ولكن كتاباته ضاعت ، ولا نعرف عنها إلا ما اقتبس منها كتاب آخرون . وقد اقتبس كاتب مسيحي اسمه يوليوس أفريكانوس (٢٢١ م) من كتابات ثالوس ، قال : « ان ما ذكره ثالوس في ثالث كتبه التاريخية من أن الظلمة كانت بسبب كسوف الشمس ، ليس صحيحاً لأن كسوف الشمس لا يحدث في وقت كمال القمر ، لأن ذلك كان وقت الفصح ، وقت كمال القمر ، عندما صلب المسيح » .

ومن هذا الاقتباس نرى أن اظلام الشمس وقت صلب المسيح كان حقيقة معروفة ، احتاجت إلى تفسير من غير المسيحيين الذين شاهدوه (١) .

٨ - رسالة مارا ابن سيرايبون :

يقول ف. بروس : « توجد في المتحف البريطاني مخطوطة تحوى رسالة ترجع إلى ما بعد سنة ٧٣ م (لا ندرى بالضبط متى) كتبها سوري اسمه مارا ابن سيرايبون إلى ابنه سيرايبون . وكان الأب مسجوناً في ذلك الوقت ،

ولكنه كتب يشجع ولده على طلب الحكمة ويقول له أن من اضطهدوا الحكماء أصحابهم سوء الحظ، ويضرب مثلاً بموت سقراط وفيثاغورس والمسيح فيقول: « أية فائدة جناها الأثينيون من قتل سقراط ؟ لقد أصابهم الجوع والوبأ عقاباً على جريمتهم . أية فائدة جناها أهل ساموس من إحراق فيثاغورس ؟ لقد تغطت بلادهم بالرمال فجأة . أية فائدة جناها اليهود من قتل ملكهم الحكيم ؟ لقد زالت مملكته بعد ذلك . لقد انتقم الله بعدل لهؤلاء الثلاثة . مات الأثينيون جوعاً ، وطغى البحر على الساموسيين ، وطرده اليهود من بلادهم وعاشوا في الشتات . ولكن سقراط لم يمت إلى الأبد ، فقد عاش في تعاليم أفلاطون ، ولم يمت فيثاغورس للأبد فقد عاش في تمثال هيرا ، ولم يمت الملك الحكيم للأبد فقد عاش في التعاليم التي أعطاها » (١) .

٩ - جستن مارتير :

كتب حولي عام ١٥٠ م دفاعاً عن المسيحية وجهه إلى الامبراطور أنطونيوس بيوس ، أشار فيه إلى تقرير بيلاطس ، الذي افترض جستن أنه محفوظ في الأرشيف الامبراطوري ، قال : « ثقبوا يدي ورجلي - وصف للمسامير التي دقت في يديه ورجليه على الصليب . وبعد صلبه اقترع صالبوه على ثيابه وقسموها بينهم . أما صدق ذلك كله فيمكن أن تجدها في الأعمال التي سجلها بيلاطس البنطي » . ثم يقول جستن بعد ذلك : « لقد أجرى معجزات يمكن أن تقتنع بصحتها لو رجعت إلى أعمال بيلاطس البنطي » (١) .

وكتب موير عن جستن مارتير يقول : « فيلسوف وشهيد ومدافع عن المسيحية ولد في فيلادفيا نيابوليس ، تعلم جيداً وكان له من الموارد ما استطاع معه أن يحيا حياة الدرس والسفر . ولما كان يفتش عن الحق بأمانة واجتهاد فقد طرق أبواب الرواقين وأرسطو وفيثاغورس وأفلاطون ولكنه كان يبغض الأبيقوريين . وفي بدء حياته العلمية تعرف على اليهودية ولكنها لم تعجبه .

وقد اعجبته فلسفة أفلاطون جداً ، وكاد يصل منها إلى هدف الفلسفة : رؤية
لله ، حتى جاء يوم كان يسير فيه وحيداً بقرب الشاطئ ، عندما التقى
بمسيحي عجوز جذاب الملامح ولطيف المعشر ، تحدث معه فزعزع ثقته في
الحكمة البشرية ، ووجهه إلى الأنبياء العبرانيين ، الذين جاءوا قبل كل
الفلاسفة المشهورين ، والذين تنبأوا عن مجيء المسيح . وبعد هذه المحادثة
أصبح الشاب الأفلاطوني الغيور مؤمناً بالمسيح . وكتب يقول : « وجدت أن
هذه الفلسفة هي الوحيدة الآمنة المفيدة » . وقد كرس جستن كل جهوده
بعد ذلك للدفاع عن المسيحية ونشر رسالتها (٣) .

١٠ - التلمود اليهودي :

يشير التلمود البابلي إلى المسيح بالقول : « . . . علقوه ليلة عيد الفصح » .
ويدعوه التلمود اليهودي « ابن بانديرا » وهي استهزاء بكلمة « بارثينوس »
اليونانية ، التي تعني « العذراء » . فهم يدعونه « ابن العذراء » . ويقول
الكاتب اليهودي يوسف كلاوسنر : « كان الاعتقاد بميلاد المسيح غير
الشرعي شائعاً بين اليهود » .

وفي وصف ليلة الفصح يقول التلمود البابلي : « وفي ليلة الفصح علقوا
يسوع الناصري ، وسار المنادي لمدة أربعين يوماً ، يعلن كل يوم أنه سيرجم
لأنه مارس السحر وضلل إسرائيل . ودعا كل من يعرف دفاعاً عنه أن يهب
للدفاع . ولكنهم لم يجدوا من يدافع عنه ، فعلقوه ليُموت ليلة عيد الفصح ! »

ويقول « أولاً أو علاء » تلميذ الرب يوحنا الذي عاش في فلسطين
قرب نهاية القرن الثالث ، : « وهل تظن أن يسوع الناصري كان محقاً في
دفاعه عن نفسه ؟ لقد كان مخادعاً ، وشريرة الله تنهى عن الرأفة بالمخادعين » .

ومن هذا نرى أن السلطات اليهودية لم تنكر معجزات المسيح ، ولكنهم عزوها إلى السحر والخداع (٤) .

وقد قال جوزيف كلاوسنر أن التلمود يقول أن يسوع علق ، ولا يقول أنه صلب ، لأن هذه الميثة الرومانية الشنيعة لم تكن معروفة إلا للعلماء اليهود ، لأنها طريقة قتل رومانية . ويقول بولس الرسول : ملعون من علق على خشبة « (غلاطية ٣ : ١٣) استشهداً بما جاء في التثنية ٢١ : ٢٣ ، مشيراً بها إلى المسيح (٤) .

وقد قال الربى أليعازر عن يسوع : « كنت أسير في السوق عندما التقيت بأحد تلاميذ يسوع الناصري . اسمه يعقوب . وسألني ماذا تفعل بأجر الزانية ؟ هل نحفر به مرحاضاً لرئيس الكهنة ؟ فلم أجابه . فمضى يقول أن يسوع الناصري (وفي نسخة توسفنا يقول : يسوع ابن بانديرا) علمنا أن أجر الزانية جاء من مكان قدر ، ويجب أن يصرف في مكان قدر . وقد أعجبني هذا القول . لكنني كنت مخطئاً ، لأن الشريعة تنهى عن ذلك وتطالب بالابتعاد عن بيت الزانية » .

ويعلق كلاوسنر على ذلك قائلاً : أن القول : « أحد تلاميذ يسوع الناصري » والقول « يسوع الناصري علمنا » كتابة قديمة ولازمة لسياق الحديث ، والقول يسوع ابن بانديرا أو يسوع الناصري لا يطعن في صحة تاريخية هذه الكتابة ، فقد درج اليهود منذ البداية على القول أن بانديرا هو الأب المزعوم ليسوع الناصري ! (٤) .

١١ - الموسوعة البريطانية :

في طبعها الأخيرة كتبت عشرين ألف كلمة عن المسيح ، وهو أكثر مما كتبه عن أرسطو وشيشرون والاسكندر ويوليوس قيصر وبوذا وكونفوشيوس ونابليون بونابرت ، مجتمعين !

الفصل السادس

يسوع ابن الله

من هو هو المسيح ؟ أى نوع من الأشخاص هو ؟

يقول البرت ولز عندما نقرأ الأناجيل نذهل إذ نراه يجذب الانتباه لنفسه، واضعاً نفسه مركزاً لكل حالة. ويقول توماس شونر: ولم يحدث بالمرّة أن أى نبي أو قائد ديني قال عن نفسه أنه الله ، لا موسى ولا بولس ولا بوذا ولا محمد ولا كونفوشيوس . . لكن المسيح قال هذا عن نفسه ، وأقنع عدداً كبيراً من الناس في العالم كله أنه هو الله !

فكيف يقنع « انسان » الناس بأنه الله ؟ يقول ف. ملدو (مؤلف كتاب ١٠١ برهان من الأناجيل على لاهوت المسيح) :

كانت تعاليمه نهائية ، فوق تعاليم موسى والأنبياء . لم يعد النظر فيما سبق وقاله ، ولم يتراجع أو يغير ما علم به . لم يخمن أو يظن أو يفترض ، لكنه تكلم دوماً بالثقة المطلقة . وهذا بخلاف كل المعلمين البشر والتعاليم البشرية .

ويقول فوستر : « غير أن السبب الذي أدى إلى موته قبل أى سبب آخر هو أن هذا المعلم الجليلي ، ابن نجار الناصرة ، الذي كان يعمل في ورشة نجارة يوسف ، قال أنه الله الذي ظهر في الجسد » .

وقد يقول قائل أن الأناجيل تسجل هذا عنه ، لأن أتباعه أرادوا أن يحيطوه بهالة عظيمة . . ولكن هناك براهين أخرى خلاف ما رواه أتباعه عنه تشهد بأنه الله .

ويقول وليم روبنصن: إذا نظرنا إلى الأمر نظرة تاريخية موضوعية فإننا نجد أن كتب التاريخ الدنيوية ، غير الدينية تشهد أنه يسوع عاش على الأرض ، وتقبل العبادة كاله ، وأسس كنيسة تتعبد له منذ ١٩٠٠ سنة ، وأنه غير مجرى التاريخ ا .

أولاً - يسوع يعلن ألوهيته

١ - وقت محاكمته :

يقول مرقس الرسول عن قصة محاكمة المسيح : « أما هو فكان ساكناً ولم يجب بشيء . فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له : أنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو ، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء . فزق رئيس الكهنة ثيابه وقال : ما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ قد سمعتم التجاديف ! ما رأيكم ؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت » (مرقس ١٤ : ٦١ - ٦٤) .

وقد قال القاضي جينور في كتاب « إساءة محاكمة المسيح » ان التهمة التي ضد المسيح في السنهدريم كانت التجديف ، فقد ادعى المسيح لنفسه قوة فوق الطبيعة » وأشار القاضي إلى يوحنا ١٠ : ٣٣ « جعل نفسه إلهاً » ، فقد كانت هذه هي التهمة ضده ا (٥) .

ولقد قبل المسيح الاتهام المثلث الذي وجهه إليه الفريسيون : أنه المسيا ، وابن الإنسان ، وابن الله فكلمة « أنت قلت » هي اصطلاح يوناني معناه « نعم » . (مت ٢٦ : ٦٤ ، وقارن ذلك مع « أنا هو » في مرقس ١٤ : ٦٢) وكانت نتيجة هذه الإجابة أن مزق رئيس الكهنة ثيابه . وكان الناموس ينهى عن ذلك بسبب أزمة شخصية (لاويين ١٠ : ٦ ، ٢١ : ١٠) ولكنه كقاض كان مطالباً - حسب التقاليد - أن يعبر عن رعبه من التجديف الذي

يحدث أمامه بتمزيق ثيابه . ولم يقدر القاضي أن يجد شهوداً مقبولين ، ولكن لم تعد هناك حاجة إلى شهود أدان المتهم نفسه ، ، وقال أنه ابن الله . لم تكن جريمته شيئاً عمله بل كانت شخصيته ذاتها ، ، كانت كلاماً أدلى به عن نفسه أمام المحكمة ، إن ما واجهه به الحاكم الروماني من أسئلة ، وحيثيات الحكم عليه ، وعلة موته التي كتبت على صليبه جميعها كانت تدور حول هذا السؤال الكبير وهو : « ماذا تظنون في المسيح ؟ ابن من هو ؟ » .

لقد أعلن يسوع أمام قضاة أمر ألوهيته ، ولم يقلها المشتكون عليه ، لكنه قالها عن نفسه .

ومع أن كتاب الأناجيل يوردون إجابة المسيح على سؤال رئيس الكهنة بصيغ مختلفة إلا أنها جميعها لها نفس المعنى . فعبارة أنت قلت « أو أنتم تقول إني أنا هو » التي تبدو غريبة على أذن السامع الآن ، لم تكن كذلك على أذن اليهودي المعاصر . فأنت تقول « كانت الصيغة المألوفة التي يجيب بها اليهودي المثقف على سؤال له أهمية بالغة ، فقد كانت اللياقة تمنع من الإجابة المباشرة بكلمتي « نعم أولاً » . والعبارتان « ابن الإنسان » (التي كان يكررها كثيراً) و « عن يمين القوة » (وهو تعبير عبري خاص بالألوهية) أدرك السامعون منهما ما قصده يسوع . وكان أمامهم أن يقبلوا دعواه ، أو أن يتهموه بالتجديف . وقد رفضوا دعواه وحكموا عليه بالموت مصلوباً قائلين : قد اتكل على الله ، فلينقذه الآن إن أراد . لأنه قال : « أنا ابن الله » (متى ٢٧ : ٤٣)

وفي إجابة المسيح على سؤال رئيس الكهنة نجد أنه أكد ثلاث حقائق :

١ — أنه ابن المبارك .

٢ — أنه سيجلس على يمين القوة .

٣ — أنه ابن الإنسان الذي سيأتي في سحب السماء .

وكل واحدة من هذه الثلاثة تشير إلى أنه «المسيا» وقد أدرك أعضاء السنيهدريم ما أشار إليه فوجهوا له سؤالاً واحداً : « هل أنت ابن الله » وكان سؤالهم يحمل معنى إيجابياً ، وكأنه إقرار منهم بلاهوته ، ولهذا أجابهم يسوع : « أنت قلت » أى « أنت قلت إني أنا هو » وهكذا جعلهم يعترفون بلاهوته قبل أن يحكموا عليه بالموت. لقد كانت خطة بارعة من جانب يسوع ، فلم يمت على أساس شهادته عن نفسه فحسب ، بل أيضاً على أساس اعترافهم بلاهوته . فلم تعد هناك حاجة إلى مزيد من الشهود ، فأدانوه بسبب ما نطق به . كما أنه أدانهم بما نطقوا به ولم يكن اليهود قوماً من الجهالة البرابرة بل كانوا قوماً من المتدينين وذوى ثقافة . لكن ما سمعوه عن ألوهيته المسيح جعلهم يسرعون بالحكم ضده . وأصدر المجلس المكون من أعظم رجال الدين هذا الحكم ، بمن فيهم من أمثال غملاثيل وتلميذه شاول الطرسوسى . لقد أعلن المسيح ألوهيته بوضوح كامل . وهو ما اعتبره القادة الدينيون تجديفاً يستحق الصلب لأنه « جعل نفسه ابن الله » (يوحنا ١٩ : ٧) .

٢ - فى بعض أحاديثه :

(١) مساواته بالله عندما قال : « أنا والآب واحد » (يوحنا ١٠ : ٣٠)
فتناول اليهود حجارة ليرجموه ، فسألهم : « أعمالاً كثيرة حسنة أريتمكم من عند أبى ، بسبب أى عمل منها ترجموننى ؟ » أجابه اليهود : « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف ، فانك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً » (راجع يوحنا ١٠ : ٣٠ - ٣٣) .

وهذه العبارة هى قمة إعلان المسيح عن صلته بالآب . وقد أثارت غضب الفريسيين بشدة ، حتى أنهم أصدروا الحكم عليه وتناولوا حجارة ليرجموه ، حسب نص اللاويين ٢٤ : ١٦ . ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى حاولوا

فيها رجمه (يوحنا ٨ : ٥٩) لا بسبب عمل صالح أتاها ، بل بسبب « تجديفه » ،
دون أن يتمهلوا ليروا مدى صدقه في هذا الإدعاء .

(ب) يوحنا ٥ : ١٧ ، ١٨ « فأجابهم يسوع : أبي يعمل حتى الآن
وأنا أعمل . فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنه لم ينقض
السبت فقط ، بل قال أيضاً أن الله أبوه ، معادلاً نفسه بالله » .

وفي هذه الآيات لا يقول المسيح عن الله « أبونا » بل « أبي » موضحاً
علاقته الفريدة بالآب ، وبأن عملهما مشترك ، وهو بهذا يبرر شفاءه للمرضى
في يوم السبت . كان اليهود يقولون عن الله أنه « أب » لكنهم كانوا يضيفون
إليها « في السماوات » . ولكن يسوع هنا يقولها ببساطة معبراً عن الصلة القوية
والمساواة الكاملة بينه وبين الله . وأدرك اليهود قصده فأرادوا قتله .

(ج) « أنا كائن » — في يوحنا ٨ : ٥٨ قال المسيح لليهود : « الحق
الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » . وكلمة « الحق الحق »
مكررة هي قسم قوى يسبق إعلانه أنه الله . وارتعب اليهود « فرفعوا حجارة
ليرجموه » . ان المسيح في هذه الكلمات يعلن وجوده السابق ، وهو يعني أنه
« الموجود » . ويسوع بقوله : « أنا كائن » يعلن أنه كائن منذ الأزل ، فإن
هذا هو لقب الله (يهوه) في العهد القديم ، والمسيح هنا يطلقه على نفسه ،
ولذلك حاول اليهود رجمه حسب وصية اللاويين ٢٤ : ١٣ - ١٦ . ولم يحاول
المسيح تخفيف الأمر ، ولم يقل لليهود أنهم أساءوا فهم كلامه ، بل بالحري
أعاد إعلان الفكرة نفسها في مناسبات أخرى كثيرة .

(د) يطالب المسيح بالمجد الذي يقدمه الناس لله — « لكي يكرم الجميع
الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله .
الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة

أبدية ، ولا يأتى إلى دينونة ، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة » (يوحنا ٥ : ٢٣ ، ٢٤) .

وفى الجزء الأخير من الآية الأولى يحذر المسيح الذين يتهمونه بالتجديف فانهم وهم يقاومونه إنما يقاومون الله ، وأن الله يغضب أشد الغضب من ذلك ، والمسيح هنا يطالب بحق الاكرام الذى يعطى للآب ، ومن لا يكرم الابن لا يكرم الآب .

(هـ) فقالوا له : أين هو أبوك ؟ أجاب يسوع : لستم تعرفوننى أنا ولا أبى . لو عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً » (يوحنا ٨ : ١٩) .

(و) « آمنوا بى » — « لا تضطرب قلوبكم . أنتم تؤمنون بالله فامنوا بى » (يوحنا ١٤ : ١) . لقد كان المسيح وقتها فى طريقه إلى الصليب ، ولكنه طالب تلاميذه أن يضعوا ثقتهم فيه ، لأن فيه ضمان المستقبل وأن مصيرهم يتوقف على عمله ، وقد وعد تلاميذه أن يعد لهم مكاناً ثم يعود ليأخذهم إليه (راجع يوحنا ١٤ : ١ - ٤) .

(ز) « الذى رأتى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت : أرنا الآب » (يوحنا ١٤ : ٩) .

(ح) « أقول لكم » (متى ٥ : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ الخ) . فى هذه الآيات يتحدث يسوع ويعلم باسمه ، وهو بهذا يرفع سلطان كلامه إلى السماء . لم يقل : « هكذا قال الرب » كما فعل الأنبياء ، لكنه قال : « الحق الحق أقول لكم » .

لم يتردد مرة ولم يعتذر . لم تكن به حاجة لمناقضة نفسه ، لم يسحب شيئاً قاله ، ولم يعد له أو ينسخه ، لكن كلمته كانت هى كلمة الله التى

وصفها بقوله : « السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامي لا يزول »
(مرقس ١٣ : ٣١ قارن يوحنا ٣ : ٣٤) .

٣ - قبل العبادة الموجهة له بل وطلبها :

العبادة لله وحده ، والسجود عبادة لا تؤدي إلا لله (يوحنا ٤ : ٢٠ -
٢٢ وأعمال ٨ : ٢٧) . والعبادة تكون بالروح والحق (يوحنا ٤ : ٢٤)
« ولرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (متى ٤ : ١٠ ، لوقا ٤ : ٨) .
وقد قبل المسيح السجود والعبادة .

(١) من الأبرص (متى ٨ : ٢) .

(ب) من المولود أعمى بعد أن فتح له عينيه (يوحنا ٩ : ٣٥ - ٣٨)

(ج) من التلاميذ الذين قالوا له بالحقيقة أنت ابن الله « (متى ١٤ : ٣٣) .

(د) من توما بعد قيامته ، إذ سجد له قائلاً : « ربّي وإلهي » (يوحنا

٢٠ : ٢٧ - ٢٩) .

ولكن بمقارنة المسيح بالآخرين نرى أن بطرس رفض سجود كرنيليوس
له ، قائلاً أنه إنسان مثله (أعمال ١٠ : ٢٥ ، ٢٦) والملاك رفض سجود
يوحنا اللاهوتي له قائلاً أنه عبد معه ومع اخوته ، « اسجد لله » (روؤ ١٩ : ١٠) .

لقد طالب المسيح بالعبادة لشخصه ، وقبلها عندما قدمت له .

٤ - آخرون يؤكدون ألوهيته :

(١) يقول بولس : « لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم ،
لكي تحثوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت
الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب »
(فيلبي ٢ : ٩ - ١١) . ويقول أيضاً : « منتظرين الرجاء المبارك وظهور
مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح » (تيطس ٢ : ١٣) .

(ب) يوحنا المعمدان رأى الروح القدس نازلاً على المسيح بهيئة جسمية مثل حمامة ، وسمع صوتاً من السماء قائلاً : « أنت ابني الحبيب ، بك سررت » (لوقا ٣ : ٢٢) .

(ج) بطرس أعلن قائلاً : « أنت هو المسيح ابن الله الحي » فأجابه المسيح : « طوبى لك يا سمعان بن يونا . ان لحمياً ودماً لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات » (متى ١٦ : ١٥ - ١٧) . ولو أن بطرس قال هذه الكلمات لنبي من الأنبياء لوأنه ، ولكن المسيح بارك إعلان بطرس وقبله ، وفى كل مدة خدمته قبل الصلاة والسجود له .

وقد عاد بطرس فأعلن : « فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ، رباً ومسيحاً » (أعمال ٢ : ٣٦) .

(د) توما رجل الشك قال بثقة : « ربى وإلهى » (يوحنا ٢٠ : ٢٨) وقد وبخ يسوع توما على شكه فى قيامته ، لكنه لم يوبخه على سجوده له ، ولا على الاعتراف بألوهيته .

(هـ) يقول كاتب العبرانيين « وأما عن الابن : كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » (١ : ٨) أنه صاحب العرش ، الله ، إلى دهر الدهور .

(و) استفانوس عند رجمه كان يصلى قائلاً : « أيها الرب يسوع ، اقبل روحى » (أعمال ٧ : ٥٩) فهو يطلب من يسوع ما طلبه يسوع من الآب ، وهو بهذا ينسب إلى يسوع صفات اللاهوت .

ويقول وليم بيلرولف : « أن من يقرأ العهد الجديد ولا يرى أن يسوع لم يكن مجرد إنسان ، يكون كمن يتطلع إلى السماء الصافية فى رابعة النهار ، ولا يرى الشمس » .

ونخير ما نختم به هذا الجزء هو ما قاله يوحنا في نهاية انجيله : « وآيات
أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب ، وأما هذه
فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله . ولكي تكون لكم ، إذا
آمنتم ، حياة باسمه » (يوحنا ٢٠ : ٣٠ ، ٣١) .

وتقدم هنا جدولاً يبين أن صفات المسيح هي صفات الله :

عن يسوع	الصفة	عن الله
يوحنا ١ : ٣	الخالق	أشعيا ٤٠ : ٢٨
يوحنا ٤ : ٤٢	المخلص	أشعيا ٤٥ : ٢٢ ، ٤٣ : ١١
يوحنا ٥ : ٢١	مقيم الموتى	١ صموئيل ٢ : ٦
يوحنا ٥ : ٢٧ ، متى ٢٥ : ٣١	الديان	يوئيل ٣ : ١٢
يوحنا ٨ : ١٢	النور	أشعيا ٦٠ : ١٩ ، ٢٠
يوحنا ٨ : ٥٨ ، ١٨ : ٦ و ٥٨	الكائن (أنا هو)	خروج ٣ : ١٤
يوحنا ١٠ : ١١	الراعى	مزمور ٢٣ : ١
يوحنا ١٧ : ١ و ٥	مجد الله	أشعيا ٤٢ : ٨ ، ٤٨ : ١١
رؤيا ١ : ١٧ ، ٢ : ٨	الأول والآخر	أشعيا ٤١ : ٤ ، ٤٤ : ٦
رؤيا ٥ : ٩	الفادى	هوشع ١٣ : ١٤
رؤيا ٢١ : ٢ ، متى ٢٥ : ١	العريس	أشعيا ٦٥ : ٥ ، هوشع ٢ : ١٦
١ كورنثوس ١٠ : ٤	الصخرة	مزمور ١٨ : ٢
مرقس ٢ : ٧ و ١٠	غافر الخطية	أرميا ٣١ : ٣٤
عبرانيين ١ : ٦	تعبده الملائكة	مزمور ١٤٨ : ٢
أعمال ٧ : ٥٩	ترفع له الصلاة	في كل العهد القديم
كولوسي ١ : ١٦	خالق الملائكة	مزمور ١٤٨ : ٥
فيلبي ٢ : ١١	الاعتراف به رباً	أشعيا ٤٥ : ٢٣

ثانياً - يسوع يعمل عمل الله

١ - يسوع يغفر الخطية :

لا يغفر الخطية إلا الله (مرقس ٢ : ٧ متى ٩ : ٥ و ٦) . ولكن يسوع شفى المفلوج ثم غفر خطاياهم . وعندما احتج رجال الدين اليهود على هذا الغفران سأهم يسوع : « أيما أيسر : أن يقال مغفورة لك خطاياك ، أم أن يقال قم وأمش ؟ » . الكاذب يقول : « مغفورة لك خطاياك » لأن نتيجة هذا القول لن تظهر فوراً ، ولكن صاحب السلطان على شفاء المرض ، الذى له سلطان غفران الخطية ، هو الذى يملك أن يقول العبارتين . قد نغفر نحن لمن يسىء إلينا ، لكن من يملك مغفرة الخطية الموجهة ضد الله غير الله ؟ أن المسيح وهو يغفر الخطية كان يمارس سلطان الله ، ويعمل ما لا يمكن أن يعمل غير الله .

٢ - يسوع لا يتغير :

كل ما فى العالم ، وكل من فى العالم يتغير ، إلا الله . وهذا ما يقوله الكتاب عن يسوع (عبرانيين ١٣ : ٨ مع ملاخى ٣ : ٦) .

٣ - يسوع هو الحياة :

قال يسوع : « أنا هو الحياة » (يوحنا ١٤ : ٦) . لم يقل أنه يعرف الطريق والحق والحياة ، ولم يقل أنه يعلم عنها ، ولم يقل أنه يعلن طريقاً جديداً لكنه أعلن أنه المفتاح النهائى لكل الأسرار . هو نفسه الحياة .

وهو الذى يمنح الحياة . ويقول يوحنا : « وهذه هى الشهادة : أن الله أعطانا حياة أبدية ، وهذه الحياة هى فى ابنه . من له الإبن فله الحياة ، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة » (١ يوحنا ٥ : ١١ ، ١٢) .

وقد وصف يسوع نفسه بالكرمة الحقيقية التي تمتد أغصانها بالحياة ،
وأعلن أن الله أعطاه سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطاه
له الله .

٤ - يسوع يدين :

قيل عن الله الآب أنه أعطى الابن « سلطاناً أن يدين » (يوحنا ٥ : ٢٧) .
وسوف يقيم يسوع الموتى ويجمع كل الأمم قدامه ، ويجلس على عرش المجد
ويدين العالم . وسيذهب البعض للسماء ، ويذهب البعض الآخر للجحيم ، بناء
على حكمه وقضائه .

ثالثاً - يسوع يحمل ألقاب الله

١ - لقب « يهوه » (أى الرب) :

وهو اسم الجلالة عند اليهود ، وكانوا لا ينطقونه أبداً إجلالاً لله ، ولكنهم
كانوا يقرأونه « أدوناي » بمعنى « السيد » . وفي العصور المتأخرة ، حسب
ما جاء في المشنا ، سمح للكهنة أن ينطقوا هذا الاسم في نهاية العبادة داخل
الهيكل فقط ، عند إعطاء البركة للشعب . ولكن في كل المناسبات الأخرى
كانوا يستخدمون كلمة « أدوناي » . ويقول فيلو : « هذه الحروف الأربعة
« يهوه » لا يجب أن يقال أو تسمع إلا من أشخاص تطهرت آذانهم وألسنتهم
بالحكمة » .

والاسم « يهوه » يعنى « الكائن » (خروج ٣ : ١٤) . وعندما يطلق
المسيح الاسم على نفسه فإنه يعلن أنه الله . وهذا ما نجده في القول : « أنا هو » ..
وفي يوحنا ٨ : ٢٤ يقول المسيح : « إن لم تؤمنوا أنى « أنا هو » تموتون في
خطاياكم » . وفي آية ٢٨ يقول : « متى رفعت ابن الإنسان (على الصليب)
فحينئذ تفهمون أنى أنا هو » وهو بهذا يستعمل لنفسه اسم الجلالة « يهوه »

الذى أعلن به الله نفسه لموسى : « أهيه الذى أهيه » أى « أنا هو الذى أنا هو » — « هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم » (خروج ٣ : ١٤).

وفى إنجيل متى ١٣ : ١٤ ، ١٥ يقول المسيح عن نفسه أنه « الرب » الذى أعلن ذاته فى العهد القديم (أشعيا : ٨ — ١٠) . « قارن خروج ٣ : ١٤ مع يوحنا ٤ : ٢٦ ، ٦ : ٣٥ ، ٨ : ١٢ ، ١٠ : ٩ ، ١١ : ٢٥ » .

وفى يوحنا ١٢ : ٤١ نقرأ عن المسيح أنه الشخص الذى رآه أشعيا (٦ : ١) . كما يقول أشعيا عن سابق المسيح (المعمدان) أنه سيعد طريق « الرب » (أشعيا ٤٠ : ٣) . وقد قبل المسيح إعلان أهل السامرة عنه أنه المسيح مخلص العالم (يو ٤ : ٤٢) ، وهذا ما يقوله العهد القديم عن الله (هوشع ١٣ : ٤) : « أنا الرب إلهك . . إلهاً سوى لست تعرف ولا مخلص غيى » ٥

٢ — لقب « ابن الله » :

يقول هيلارين فيلدر أن جستاف دالمان أعظم علماء اللغة الأرامية التى كان يتحدث بها يسوع ، وجد نفسه مضطراً للاعتراف : أن يسوع لم يعلن نفسه إنه « ابن الله » بطريقة يفهم منها أنه يعنى مجرد العلاقة الدينية أو الأدبية ، وهى العلاقة التى يمكن بل ويجب أن تكون لآخرين أيضاً . . . ولكن يسوع أعلن بكل وضوح — بعيداً عن أى لبس — أنه ليس ابناً من أبناء الله بل أنه هو « الابن الوحيد » .

صحيح أن البشر يدعون أبناء الله (هوشع ١ : ١٠) كما أن الملائكة يدعون كذلك (أيوب ١ : ٦ ، ٣٨ : ٧) . ولكن المسيح يستخدم هذا اللقب عن نفسه بمعنى مختلف ، فهو الوحيد ، المولود من الله ، المساوى لله ، الأزلى كالله . وفى مساواته نفسه بالله نجد عقيدة الثالوث (يوحنا ١٠ : ٣٣ —

٣٨ ، ٣ : ٣٥ ، ٥ : ١٩ - ٢٧ ، ٦ : ٢٧ ، ١٤ : ١٣ ، مرقس ١٣ :
٣٢ ، متى ٢٣ : ٩ ، ١٠) .

وقد مدح المسيح بطرس عندما أعلن أن المسيح هو ابن الله (متى ١٦ :
١٦ ، ١٧) . ويخاطب المسيح الآب بقوله : « أبي » ويقول عنه للتلاميذ
« أبوكم » لكنه لا يجمع أبداً نفسه مع تلاميذه بالقول : « أبونا السماوي » .
وحتى عندما يتكلم عن شيء مشترك سيفعله مع تلاميذه يقول : « عندما أشربه
معكم جديداً في ملكوت أبي » (متى ٢٦ : ٢٩) . ويقول : « أرسل لكم
موعدي أبي » (لوقا ٢٤ : ٤٩) . ويقول : « تعالوا يا مباركي أبي » (متى
٢٥ : ٣٤) وهكذا يفرق دائماً بين بنوته هو للآب وبنوة التلاميذ للآب .

وقد فهم سامعوا المسيح أنه يقصد أنه هو الله . وقد خاطب المسيح
« الآب » في الأناجيل ١٠٤ مرة . . وقد فهم التلاميذ والأعداء من ذلك أن
أن المسيح يعلن ألوهيته .

٣ - لقب « ابن الإنسان » :

يستخدم المسيح هذا اللقب بثلاث طرق مختلفة :

(أ) في خلصته الأرضية :

متى ٨ : ٢٠ ، ٩ : ٦ ، ١١ : ١٩ ، ١٦ : ١٣ ، لوقا ١٩ : ١٠ ،
٢٢ : ٤٨ .

(ب) في الانبأ بالامه :

متى ١٢ : ٤٠ ، ١٧ : ٩ و ٢٢ ، ٢٠ : ١٨ .

(ج) في التعليم عن مجيئه الثاني :

متى ١٣ : ٤١ ، ٢٤ : ٢٧ و ٣٠ ، ٢٥ : ٣١ ، لوقا ١٨ : ٨ ،
٢١ : ٣٦ .

ولم يستخدم هذا اللقب أحد غيره في العهد الجديد ، ولم يخاطبه به أحد .
إلا في مرة واحدة كانوا يسألونه فيها عن كلام اقتبسوه عنه (يوحنا ١٢ : ٣٤)
وإلا في قول استفانوس وقت استشهاده (أعمال ٧ : ٥٦) . وواضح أن
هذا اللقب يعنى أنه المسيا الآتى كما فهم اليهود ذلك . (يوحنا ١٢ : ٣٤) .

وفي هذا اللقب يعلن يسوع أن فيه تتم نبوات العهد القديم عن المسيا ،
كما جاء في نبوة دانيال (دانيال ٧ : ١٣ ، ١٤) ، وفي مرقس ١٤ : ٦١-٦٤
يطبق المسيح ما جاء في دانيال ٧ : ١٣ ، ١٤ مع مزمور ١١٠ : ١ على نفسه
كشئ سيحدث أمام أعينهم ، فهو قد جمع في نفسه بين المسيا وعبد الرب
(يهوه) .

٤ - لقب « آبا الآب » :

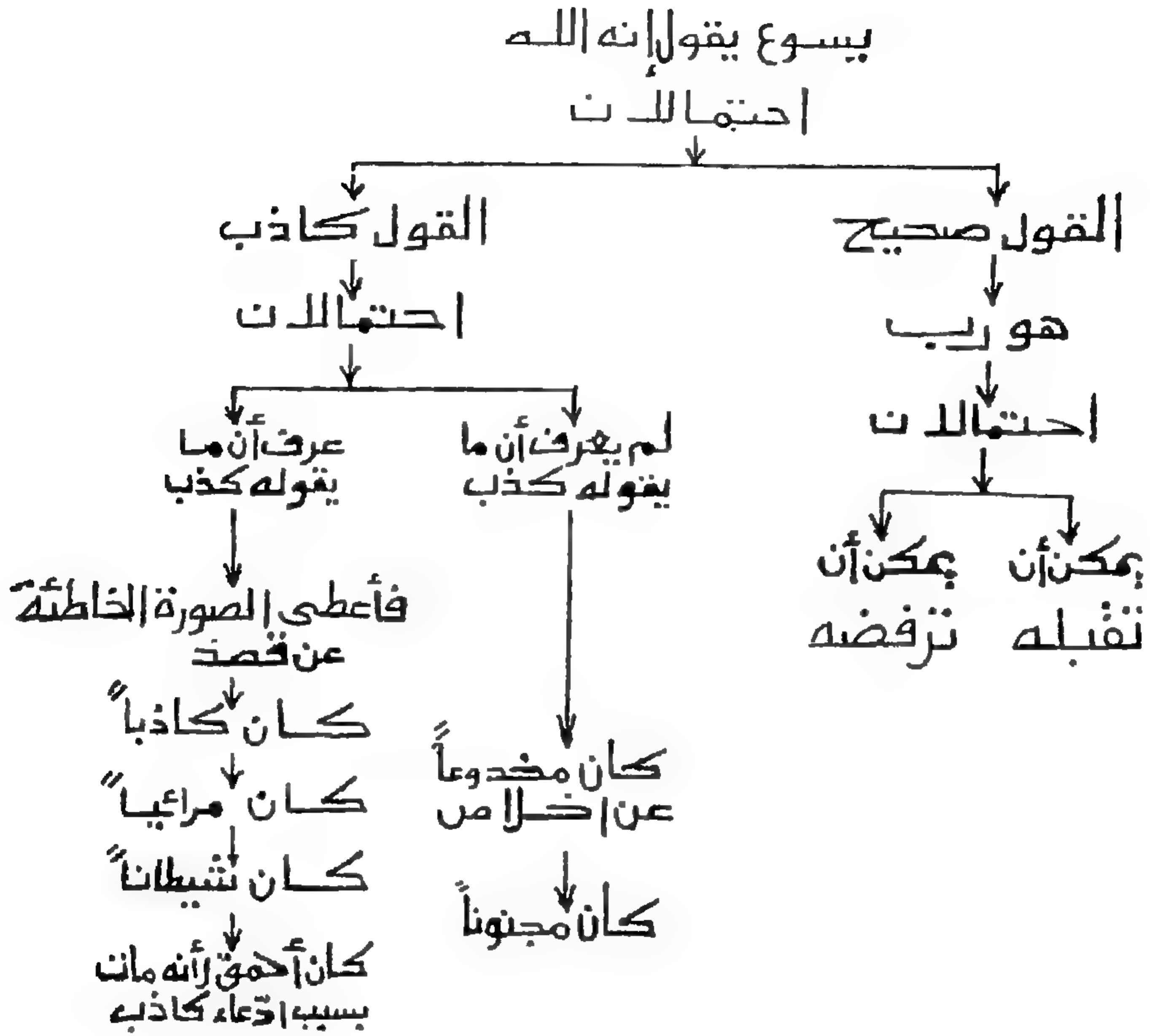
لقد أكد يسوع أن علاقته بالآب علاقة فريدة لم يستطع أحد أن يدعيها
من قبل . ويجيء الاسم من الكلمة الأرامية « أبا » التي استخدمها المسيح في
صلاته ، ولم يحدث أن خاطب أحد من اليهود الله بهذه الكلمة ، لأنها الكلمة
التي تستعمل في البيت من الابن لأبيه ، وقد خاطب اليهود الله كأب بكلمة
« أبينا » وهى خطاب الآب طلباً لرحمته وغفرانه وهو ما لم يخاطبه به المسيح
أبداً فالمسيح يخاطبه بكلمة « أبا » التي تعبر عن الحب والقرب الوثيق . ولهذا
ميز بين علاقته هو بالآب وعلاقة سائر البشر بالآب . ومع أن داود تحدث
عن علاقة الرب بشعبه كعلاقة الآب بأبنائه (مزمور ١٠٣ : ١٣) إلا أنه
لم يخاطب الله أبداً كأب . وعندما قال المسيح أن الله « أبوه » قال اليهود عنه
أنه يجدف (يوحنا ٥ : ١٨) لأنهم أدركوا أن المسيح يساوى نفسه بالله .

الاحتمال المثلث رب أو كاذب أو مجنون !

من هو المسيح ؟ لقد علق المسيح أهمية كبيرة على من يقول الناس إنه هو ، وقد قال كليف س. لويس ، الذى كان أستاذاً بجامعة كامبريدج ، وكان يوماً ما « لا أدرياً » - قال : « انى هنا أحاول أن أمانع من يجرب أن يقول القول الفارغ : إنى أقبل المسيح كمعلم أخلاقى عظيم ، ولكننى لا أقبل دعواه بأنه الله ، فهذا ما لا يجب أن يقوله عاقل ! فإن ما قاله المسيح عن نفسه لا يجعل منه معلماً أخلاقياً عظيماً ، لكنه إما أن يكون مجنوناً ، أو شيطاناً . فهو إما مجنون ، أو هو الشيطان نفسه . وقد ترفضه وتحكم عليه بالجنون ، أو تبصق عليه وتقتله كشيطان ، أو تبحثو عند قدميه وتدعوه رباً وإلهاً . ولكن لنترك جانباً اللغو الفارغ بأنه معلم عظيم ، فلم يترك لنا هو الفرصة لنقول مثل هذا الكلام ، ولم يرد لنا أن نقوله ! » (٦) .

ان كلام المسيح جزء من ذات نفسه ، وليس نطق نبي يعلن كلام سواه فلو أننا فصلنا بين يسوع وأقواله ، لا تعود لها قوتها . ويقول المؤرخ العظيم كنىث لا توريت أستاذ التاريخ المسيحى فى جامعة ييل : « ليست تعاليم المسيح هى التى تعطيه الأهمية الكبيرة ، مع أنها كافية لأن تفعل ذلك ، ولكن العظمة فى الشخص الذى قال ما قاله ! ولا يمكن أن تفصل بين المعلم وتعاليمه . أن القارىء المفكر للأناجيل يرى أن المسيح وتعاليمه غير منفصلين ، فإن تعليمه عن ملكوت الله وعن السلوك البشرى وعن الله تعاليم هامة ، ولكنها لا تفصل أبداً عن شخصه » (٧) .

ويوضح الرسم التالي احتمالات تفسير ما قاله المسيح عن نفسه :



١ - هل يسوع المسيح هو الله ؟

لقد قال المسيح عن نفسه أنه الله (الفصل السادس) ولم يترك مجالا لفكرة أخرى . ولا زلنا اليوم نسأل السؤال الذي سأله المسيح لتلاميذه : « من تقولون إني أنا ؟ » (مرقس ٨ : ٢٩) .

وكلام المسيح عن نفسه ربما يكون خطأ أو صواباً . فإن كان صواباً ، فهو الله فعلاً ، ويجب أن نقبل سيادته علينا أو نرفضها ، ونحن بلا عذر .

ولنبحث أولاً ان كان قوله أنه الله خطأ . فإن كان خطأ فإن أماننا
احتمالين : اما أنه عرف أنه مخطيء ، أو أنه لم يعرف . وسنفحص كلا من
هذين الاحتمالين .

٢ - هل المسيح كاذب ؟

لو أن المسيح عرف أن قوله بألوهيته خطأ ، لكان كاذباً ! ولو كان
كاذباً لكان أيضاً مرثياً ، لأنه طالب أتباعه بالأمانة المطلقة مهما كان الثمن ،
بينما هو نفسه ليس أميناً صادقاً !

وأكثر من هذا : إنه شيطان ، لأنه طالب أتباعه بالإيمان به والاتكال
عليه لحياتهم الأبدية . ولو كان عاجزاً عن تميم ما وعده به ، وهو يعلم ذلك ،
لكان شريراً بصورة رهيبة !

وأخيراً يكون أحق ، لأن إدعاءه الباطل بالألوهية قاده إلى الصليب . .
« أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيء . فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له .
أأنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو ، وسوف تبصرون ابن
الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء . فزق رئيس الكهنة ثيابه
وقال : ما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ قد سمعتم التجاديف . ما رأيكم ؟ فالجميع
حكموا عليه أنه مستوجب الموت » (مرقس ١٤ : ٦١ - ٦٤) ، « أجابه
اليهود : لنا ناموس ، وحسب ناموسنا يجب أن يموت ، لأنه جعل نفسه
ابن الله » (يوحنا ١٩ : ٧) .

قال وليم لكي أحد مؤرخي بريطانيا العظماء ، أحد عتاة مقاومي المسيحية
في كتابه : « تاريخ الأخلاق الأوربية من أغسطس إلى شرلمان » : « المسيحية
وحدها قدمت للعالم شخصية نموذجية ألهمت الناس الحب خلال ثمانية عشر
قرناً ، وأثرت في كل العصور والأمم والأمزجة والحالات ولم تقدم للعالم
أعظم نموذج للفضيلة فقط ، لكن قدمت أيضاً أعظم حافز للمارستها . . ان

السجل البسيط للسنوات الثلاث لحياة هذه الشخصية العظيمة عملت في تحديد البشر وتهذيبهم ، أفضل مما عمل كلا الفلاسفة والوعاظ ورجال الأخلاق» (٨) وقال المؤرخ المسيحي فيليب شاف : « لو أن هذه الدعوة كانت على غير حق لكانت تجديفاً أو جنوناً . ولكن الغرض الأول لا ينسجم مع طهارة يسوع الأخلاقية وسموه الرفيع كما تتضح من كل عمل ومن كل كلمة باتفاق الجميع ولا يمكن لشخص بمثل وضوح فكر يسوع وسلامته أن يخدع نفسه فيظن أنه الله ، فإنه لم يفقد اتزانه أبداً ، وسبح بمهاره فوق كل تيارات الاضطهادات والمتاعب كما تسبح الشمس فوق الغيوم ، وقدم أحكم الأجوبة لأعقد الأسئلة ، وتنبأ بصلبه وموته وقيامته في اليوم الثالث وحلول الروح القدس وتأسيس الكنيسة وخراب أورشليم ، وتحققت كل نبواته تماماً .

هذه الشخصية الفريدة الأصيلة الكاملة ذات السمو الرفيع الذي يعلو فوق كل عظمة إنسانية لا يمكن أن تكون كاذبة أو خالية . انه أضخم الأبطال ويحتاج الأمر إلى بطل أعظم من يسوع لينسج مثل شخصية يسوع ، لو أن هذا ممكن ! (٩) .

وفي كتاب آخر يقول شاف : « فكرة خداع المسيح لتابعيه تنافي كل مبدأ أخلاقي حتى إنها تحمل في ذاتها دليل بطلانها ، وقد اخترعها اليهود الذين صلبوه ليخفوا جريمتهم ، ولكن لم يقبلها أحد من العلماء الذين يحترمون أنفسهم ، في أى عصر من العصور . وكيف — باسم المنطق والعقل والاختبار — كيف يمكن لمضلل كاذب أن يعلم ويحيا أظهر وأسمى حياة عرفتها البشرية — بكل هذا الصديق والحق — من بدء حياته إلى نهايتها ؟ وكيف كان يمكن أن يحيا هذه الحياة الأخلاقية السامية ، ويبدل نفسه من أجل هدفه السامي النبيل ؟ (١٠) ان الذى يحيا كما عاش المسيح ، ويعلم كما علم ، ويموت كما مات ، لا يمكن أن يكون كاذباً ؟ فما هو البديل الآخر ؟

٣ - هل المسيح مجنون ؟

وإذا كان من غير المعقول أن يكون المسيح كاذباً ، فهل يمكن أنه ظن في نفسه أنه الله ، عن طريق الخطأ ؟ فمن الممكن أن يخطئ الإنسان منا عن إخلاص !

ولكن في المجتمع اليهودي الذي آمن إيماناً جازماً بالوحدانية لم يكن ممكناً لشخص أن يعلن عن ألوهيته ، ويقول للناس أن مصيرهم متوقف على إيمانهم به ، إلا ان كان مجنوناً بكل معنى الكلمة . فهل كان يسوع مجنوناً ؟ وكتب كليف لويس : « لم يكن ممكناً إيجاد تفسير آخر أسهل قبولاً من التفسير المسيحي لحياة يسوع وتعاليمه وتأثيره . ولا يمكن تعليل عمق فكره وسمو تعاليمه إلا إذا أدركنا ألوهيته . ولقد تتابعت النظريات غير المسيحية عن شخص المسيح وانتهت إلى الفشل » (١١) .

كان نابليون عبقرياً في معرفة الناس ، وقد قال : « أنا أعرف الناس ، لكنني أقول لكم أن يسوع المسيح لم يكن إنساناً ، ان أصحاب العقول السطحية يرون تشابهاً بين يسوع وبين مؤسسي الامبراطوريات والديانات الأخرى ، ولكن هذا التشابه غير موجود ، فإن بين المسيحية وأى دين آخر مسافة لا نهائية . كل ما في المسيح يذهلني ، وروحه ترعبنى ، وإرادته تربكني ، فلا مجال للمقارنة بينه وبين أى شخص آخر في العالم ، فهو نسيج وحده ، ولا يمكن تفسير أفكاره وعواطفه والحقائق التي أعلنها وطرق اقناعه ، بالمعايير البشرية . . . وكلما زاد اقترابي منه ، وكلما فحصت عنه ، وكلما وجدته أعلى مني ، ويبقى عالياً من كل الوجوه علواً مسيطراً . ان ديانته ثمر فكر غير بشرى بلا شك ، ولا يوجد له نظير في حياته وفي مثاليته . . . إنني افتش في التاريخ من نظير له ، أو عن شبيهه بالإنجيله ، فلا أجد فلا التاريخ ولا البشرية ولا العصور ولا الطبيعة قدمت لي شبيهاً له . فكل ما فيه هو فوق طبيعي » (١٢) .

قال تشانج من طائفة « اليونيتريانز » (طائفة مسيحية ترفض ألوهية المسيح وتؤمن بالتوحيد المطلق) : « لا يمكن أن نلصق بالمسيح تهمة الحماس الزائد بالنفس ، ولا نجد في تاريخه أثراً لذلك ، لا في تعاليمه الهادئة ولا في ديانته العملية الخادمة . لقد قدم ديانته ومعجزاته ببساطة واقناع ، في إدراك كامل للطبيعة الإنسانية ، بدون تفريق بين طبقات البشر . ومع أنه أعلن سلطانه على العالم الآتي ووجه فكر تلاميذه للسماء إلا أنه لم يثر خيال التلاميذ بوصف مفصل للعالم الآتي . ان أشد ما يميز شخصية المسيح هو هدوءه وامتلاكه لذاته . كم كان تواضعه عظيماً ! هل تعكس الصلاة الربانية حماسة عاطفية ؟ أبداً ! حتى عطفه على الناس مع أنه كان عطفاً صادقاً عميقاً إلا أنه كان عاقلاً مهياً لم يفقد ضبطه لنفسه أبداً وهو يعطف على الآخرين ، ولم يهرع لعمل صالح بطريقة الانفعال والحماس والتهور . . لقد عمل كل شيء بهدوء منتظم لا نراه إلا في أعمال العناية الإلهية (١٠) .

ويقول فيليب شاف : « هذا العقل الصافي كالسما ، المنعش كنسمات الجبل ، الحاد كالسيف الماضى ، القوى الصحيح المستعد دوماً والمسيطر دوماً — هل يمكن أن يكون عرضة للتطرف أو الخداع وهو يعلن شخصيته ورسالته ؟ ان مثل هذا الظن ليتنافى تماماً مع العقل ! » (١٠) .

٤ - المسيح الرب :

يحتاج جوابك على سؤال « من هو المسيح ؟ » إلى ذهن قوى متيقظ . إنك لا تقدر أن تقول ببساطة أنه معلم عظيم وكفى ، فليس هذا صحيحاً . إما أن يكون مضللاً أو مجنوناً ، أو إلهاً . ويجب أن تختار . ولكن كما قال الرسول يوحنا : « أما هذه فكتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » (يوحنا ٢٠ : ٣١) .

ان البرهان لا يدحض ، على أن يسوع هو الله ، على أن البعض يرفضون البرهان الواضح بسبب علل أخلاقية ، ولكن علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا لنقرر ان كان يسوع كاذباً أو مجنوناً أو رباً وإلهاً ، كما قال هو عن نفسه

الفصل الثامن

الافتراض العظيم

لو أن الله صار إنساناً ، فكيف يجب أن يكون ؟ — أو هل كان ليسوع صفات الله ؟

وقبل إجابة هذا السؤال يلزمنا الإجابة على سؤال آخر ، هو : لماذا يصبر الله إنساناً ؟ وللإجابة نقدم مثلاً عن فلاح يحرث حقله ، وتلاحظ عش نمل في طريق المحراث ، ولنفترض أنك تحب النمل ، فتفكر أن تجرى إليهم لتحذيرهم . وتصرخ محذراً ، لكنهم يستمرون في عملهم ، فتستعمل لغة الإشارة ، وكل وسيلة أخرى تعرفها ، ولكن النمل لا ينتبه . لماذا ؟ لأنك عاجز عن الاتصال بهم . فما هي أفضل طريقة لذلك ؟ هي أن تصبح نملة فيفهمون ما تقول .

ولما أراد الله أن يتصل بنا ، وجد أن أفضل طريقة هي أن يصير إنساناً مثلنا ، فيكون على اتصال مباشر بنا .

والآن لنجواب سؤالنا الأصلي : لو أن الله صار إنساناً ، فكيف يكون ؟ يجب أن يملك كل صفات الله ، ويدخل عالمنا بطريقة لم يدخله بها أحد من قبل ، ويعمل أعمالاً معجزية ، ويكون بلا خطية ، ويترك أثره العظيم الباقي على العالم كله ، مع أشياء أخرى عظيمة كثيرة .

وإنني أعتقد أن الله جاء إلى العالم في المسيح ، وأن المسيح أظهر كل صفات الله . ولننظر الآن إلى هذا المخلص .

لو أن الله صار إنساناً ، فإننا نتوقع منه أن :

١ - يدخل إلى العالم بطريقة غير عادية .

٢ - يكون بلا خطية .

٣ - يجرى المعجزات .

٤ - يكون مختلفاً عن كل ما عداه .

٥ - يقول أعظم ما يقال .

٦ - يكون تأثيره شاملاً ودائماً .

٧ - يشبع جوع الناس الروحي .

٨ - يكون له سلطان على الموت .

أولاً - لو أن الله صار إنساناً

لصار دخوله إلى العالم بطريقة غير عادية

وميلاد المسيح من عذراء برهان على هذا ! ونجد القصة في إنجيل متى ولوقا ، وقد سبق ورودها كتبوة في العهد القديم ، فقول « نسل المرأة يسحق رأس الحية » (تكوين ٣ : ١٥) وهذا يعني أن المخلص الآتي سيكون من نسل امرأة ، لا من رجل . وهناك نبوة أصرح في أشعيا ٧ : ١٤ « ها العذراء تحبل وتلد ابناً ، وتدعو اسمه عمانوئيل » ولا شك أن هذه العذراء هي المرأة المشار إليها في التكوين ٣ : ١٥ .

وقد وردت كلمة « العذراء » هذه ست مرات أخرى في الكتاب المقدس ، بمعنى الفتاة التي لم تزوج ، وقد ترجمت إلى اليونانية في الترجمة السبعينية بكلمة « عذراء » كما اقتبسها متى (١ : ٢٣) على أنها تحققت في ولادة يسوع من العذراء . ويقول أشعيا أن ولادة العذراء معجزة وآية من الله نفسه : « يعطيكم السيد نفسه آية » وهذا معناه ولادة غير طبيعية سبق أن تنبأ عنها أشعيا منذ أجيال بعيدة .

وتتسم قصة البشيرين عن الميلاد العذراوى بالدقة التاريخية ، فلوقا يقول أنها حدثت وقت تعداد (اكتتاب) أمر به كيرينئوس . وقد ظن البعض أن كيرينئوس حكم سوريا سنة ٨ بعد الميلاد بما يعنى أن التعداد حدث بعد مولد المسيح وبعد موت هيرودس ، لكن أثبت كيرينئوس حكم مرتين : أولهما من ١٠ - ٧ ق.م ، وهذا يجعل الاحصاء الأول وقت ولادة يسوع ، وقبل موت هيرودس بقليل ، وهو عام ٤ ق.م.

ومع أن متى ولوقا يرويان قصة ميلاد يسوع من زاويتين مختلفتين ، وقد استقيا المعلومات من مرجعين مختلفين ، إلا أنهما يتفقان في أن يسوع حبل به بالروح القدس من مريم العذراء المخطوبة ليوسف ، الذى كان يعلم سر ما حدث لخطيبته .

وتقدم هنا اثنتى عشرة نقطة للتوافق بين قصتى متى ولوقا :

- ١ - ولد يسوع في أواخر أيام هيرودس (متى ١: ٢ ، ١٣ ، لوقا ١: ٥)
- ٢ - حبل به من الروح القدس (متى ١: ١٨ و ٢٠ ، لوقا ١: ٣٥) .
- ٣ - أمه عذراء (متى ١: ١٨ و ٢٠ و ٢٣ ، لوقا ١: ٢٧ ، ٢: ٥) .
- ٤ - كانت مخطوبة ليوسف (متى ١: ١٨ ، لوقا ١: ٢٧ ، ٣٤) .
- ٥ - يوسف من نسل داود (متى ١: ١٦ و ٢٠ ، لوقا ١: ٢٧ ، ٢: ٤) .
- ٦ - ولد يسوع في بيت لحم (متى ١: ٢ . لوقا ٢: ٤ و ٦) .
- ٧ - دعى اسمه يسوع بتوجيه إلهي (متى ١: ٢١ ، لوقا ١: ٣١) .
- ٨ - أعلن أنه المخلص (متى ١: ٢١ ، لوقا ٢: ١١) .
- ٩ - عرف يوسف مقدماً بما جرى لمريم ، وسببه (متى ١: ١٨ - ٢٠ ، لوقا ٢: ٥) .

١٠ - مع هذا فقد أخذ مريم وتحمل مسئوليته من نحو الطفل يسوع (متى ١ : ٢٠ و ٢٤ و ٢٥ ، لوقا ٢ : ٥) .

١١ - صاحبت إعلان الميلاد رؤى وإعلانات (متى ١ : ٢٠ ، لوقا ١ : ٢٦ و ٢٧) .

١٢ - عاشت مريم ويوسف في الناصرة بعد ولادة يسوع (متى ٢ : ٢٣ لوقا ٢ : ٣٩) .

ويظهر تناقض واحد في سلسلة نسب يسوع ، فهناك سلسلتان للنسب تظهران متناقضتين . على أن السلسلة التي أوردها متى هي ليوسف ، والتي أوردها لوقا هي سلسلة نسب مريم . ولما كان يوسف من نسل يكنيا فليس له الحق في العرش (انظر ارميا ٢٢ : ٣٠ ، ٢ ملوك ٢ ومتى ١ : ١١) . ولكن مريم ليست من نسل يكنيا . ولما لم يكن يوسف أبا ليسوع ، فإن ليسوع الحق في العرش باعتبار أنه « نسل المرأة » مريم (لوقا ٣ : ٢٣) .

ويعارض البعض قصة ميلاد يسوع العذراوي بحجة أن مرقس (أقدم البشيرين ، وأنه سجل ما سمع بطرس يكرز به) لم يذكر القصة ، كما أن يوحنا لم يوردها في إنجيله . ويقدم كلمنت روجرز الرد التالي : « كتب مرقس إنجيله في وقت مبكر ، كانت مريم أم يسوع حية وقتها ، وكانت معروفة لدى الكثيرين ، ولم تكن القصة تحتاج لرواية ، فوضع مرقس التركيز كله على تعاليم المسيح ومعجزاته ، وبشكل خاص على قصة الصليب . أما يوحنا فقد كتب في وقت متأخر ، كانت فيه قصة الميلاد العذراوي قد عرفت وذاعت من قصة إنجيلي متى ولوقا . ويهتم يوحنا بتوضيح موعد ولادة الفصح ، ويفترض أن قراءه يعرفون مريم ومرثا . وهو يكتب للمسيحيين أو على الأقل للمهتمين بالمسيحية . ولو أن قصة الميلاد العذراوي كانت موضع جدل

أو إنكار لكتبتها يوحنا ليؤكد صحتها ، ولكنه عندما يقول « والكلمة صار جسداً وحل بيننا » يضمن الفكرة . ولم يذكر يوحنا أيضاً موضوع المعمودية والعشاء الرباني لأنهما كانا قد أصبحا جزءاً لا يتجزأ من الحياة المسيحية ، ولكنه يلمح إليهما في روايته لقصة نيقوديموس وفي الحديث عن إشباع الخمسة آلاف « (١٣) » .

ومن الممكن أن يوحنا يشير إلى الميلاد العذراوي في قوله « ابنه الوحيد » (يوحنا ٣ : ١٦) ويقول جون رايس : أشار يسوع إلى نفسه مراراً بأنه « ابن الله الوحيد » . فهو لم يولد من يوسف بل من الله ، فهو « ابن الله الوحيد » وقد جاء هذا التعبير في الانجيل ست مرات ، منها مرتان تحدث فيهما يسوع عن نفسه . ولا يقول يسوع أنه أحد أبناء الله ، لكن « ابن الله الوحيد » . ولم يولد أحد غيره من عذراء ويمكن أن نقول (بمعنى روحى) ان كل مؤمن ولد ثانية لرجاء حى (١ بطرس ١ : ٣) ولكن أحداً لم يولد كما ولد يسوع بالروح القدس ، من مريم العذراء بدون أب بشرى (١٤) .

على أن يوحنا يقدم سلسلة نسب يسوع عندما يقول : « فى البدء كان الكلمة . . . والكلمة صار جسداً » (يوحنا ١ : ١ ، ١٤) ، إنه يرجع إلى الأزل متجاوزاً الميلاد العذراوي .

أما بولس فقد آمن بقصة الميلاد العذراوي ، لأن لوقا كان رفيق بولس فى السفر والخدمة وهو الذى روى لنا قصة الميلاد ولا شك أن بولس كان يعلم القصة وأشار إليها عندما قال : « أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة » (غلاطية ٤ : ٤) .

١ - أدلة تاريخية على صحة الميلاد العذراوى :

تمت كتابة الأناجيل فى وقت قريب من ميلاد المسيح ، فلم تمض فترة بين الميلاد وبين تسجيل قصة الميلاد تسمح للأساطير بأن تنسج حولها ولو أن قصة الميلاد العذراوى لم تكن صحيحة ، فإن سؤاين يعترضاننا :

(أ) لو أن قصة الميلاد العذراوى لم تكن مؤسسة على حقائق ، فكيف كانت تنتشر بمثل السرعة التى انتشرت بها ؟ .

(ب) لو لم تكن الأناجيل صحيحة تاريخياً ، فكيف حدث قبولها فى العالم كله فى هذا التاريخ المبكر ؟

يقول جريشام ماتشن : « لو أن العهد الجديد لم يذكر قصة الميلاد العذراوى ، فإن الشهادات التى جاءتنا من القرن الثانى عن انتشار عقيدة الميلاد العذراوى قبل أواخر القرن الأول الميلادى ، لتكنى لاثبات هذه الحقيقة » (١٥) ولقد كانت هناك طائفة مسيحية اسمها « الأبيونيون » رفضت تصديق أن العذراء تلد ابناً (أشعيا ٧ : ١٤) وقالوا ان ترجمتها هى « سيدة شابة تلد ابناً » ولكن الثابت أن الكنيسة رفضت فكرة الأبيونيين ! وقد آمن كل المسيحيين بالميلاد العذراوى ، ما عدا الأبيونيين وقليلين من الغناطسة (العارفون بالله) ، فقد كان الإيمان بالميلاد العذراوى جزءاً لا يتجزأ من إيمان الكنيسة .

ومما يؤيد ذلك تاريخياً ، شهادة الآباء الأقدمين ، فأغناطيوس (١١٠ م) يقول فى رسالته لأهل أفسس : « ان إلهنا يسوع المسيح جبل به بالروح القدس فى بطن العذراء مريم » . ويقول « ان عذراوية القديسة مريم والمولود منها ... أسرار أجراها الله فى الحفاء والعالم كله يتحدث عن ذلك » . وقد أخذ أغناطيوس هذه الحقيقة عن معلمه يوحنا الرسول . وكانت هذه العقيدة

معروفة . وقد هاجمها كيرنتوس عدو الرسول يوحنا ، ويقول جيروم ان كيرنتوس علم أن المسيح ولد من يوسف ومريم كأى إنسان آخر . وقد التقى الرسول يوحنا بكيرنتوس فى حمام عام ، فصرخ يوحنا : « لنخرج كلنا من هنا قبل أن ينهدم الحمام على كيرنتوس عدو الحق » .

وقد كتب أرسطيدس (١٢٥ م) عن الميلاد العذراوى ، قال : « انه ابن الله المتعالى ، الذى ولد بالروح القدس من مريم العذراء . أنه حسب الجسد من الجنس العبرانى ، بزرع الله فى مريم العذراء » (٤) .

ويقدم جستن مارتر (١٥٠ م) برهاناً قوياً على الميلاد العذراوى ، فيقول : « معلمنا يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، لم يولد ثمرة لاتصال جنسى . . . ولكن قوة الله حلت على العذراء وظللها ، وجعلتها تحبل مع بقائها عذراء . . . لأنه بقوة الله حبل به من العذراء . . . فبحسب مشيئة الله ولد يسوع المسيح ، ابن الله من العذراء مريم » .

وكانت ترتليان المحامى أول مسيحي عظيم ممن يتكلمون باللغة اللاتينية . وهو لا يقول لنا فقط أن عقيدة الميلاد من عذراء كانت معروفة فى عصره (٢٠٠ م) بل يزيد بأن يقول لنا أن الاسم اللاهوتى لهذه العقيدة هو « تسيرا » ونحن نعلم أن العقيدة لا يصير لها اسم لاهوتى إلا بعد أن تكون قد رسخت فترة من الزمن ويقتبس ترتليان نص العقيدة أربع مرات ، وفيها العبارة : « اكس فيرجين ماريا » (أى من مريم العذراء) (١٣) .

٢ - أدلة من الشهادة اليهودية القديمة :

وكما نتوقع ، حاول اليهود تغيير عقيدة الميلاد العذراوى ، أى أنه منذ عصور الكنيسة الأولى واجهت الكنيسة جدلاً حول ميلاد المسيح العذراوى ، الأمر الذى يوضح لنا أن الكنيسة علمت بهذه العقيدة منذ البداية .

في سلسلة نسب يهودية ، ترجع إلى ما قبل سنة ٧٠ م نجد اسم يسوع مكتوباً على أنه ابن زنى لسيدة متزوجة . ولابد أن البشير متى كان يعرف هذه الكتابات ، فكتب يحذر ضدها . وقد شهر علماء اليهود فيما بعد يسوع على أنه ابن زانية ، كما ادعوا بأن اسم الزاني المجهول هو «بائثرا» . وفي كتاباتهم القديمة أطلقوا عليه اسم « يسوع بن بائثرا » . أما كلسوس الكاتب الأفلاطوني الذي جمع في كتاباته بين الغث والthin فقد جمع ١٦٠ من النوادر اليهودية عن علاقة مريم والشخص الخيالي بائثرا (٨) .

وفي التاريخ اليهودي لحياة يسوع يقال : « أنه من أصل غير شرعي نتيجة صلة أمه بجندي يدعى بائثرا » (١٦) .

وبالطبع ما كان اليهود ليثيروا هذه القضية في كتابات كثيرة لو لم يكن المسيحيون ينادون بعقيدة الميلاد العذراوي .

وفي دفاع أوريجانوس ضد كلسوم يقول : « لرجع إلى ما قاله اليهود من أن النجار خطيب مريم قد تخلى عنها لأنه اقتنع أنها زنت وحبلت بطفل من جندي يدعى بائثرا . أنهم يقولون هذا لأنهم يريدون أن يتخلصوا من فكرة الميلاد المعجزى بالروح القدس . ولكن لماذا لم يقولوا أن يسوع ثمرة زواج عادي ؟ أنهم بهذه القرية يقرون بأن يسوع لم يولد ولادة عادية .

الواضح أنهم لينكروا حقيقة ، اخترعوا كذباً ! لقد لفقوا قصصاً نافهة ليخطوا كذبهم . هل من المعقول شخصاً خدم العالم كل هذه الخدمات وعاش هذه الحياة النافعة على الأرض ، لا يولد بطريقة معجزية بل يولد من زنا .

بل المنتظر هو أن هذه النفس التي صنعت صلاحاً أكثر من الجميع تحتاج إلى جسد لا يختلف فقط عن سائر الأجساد ، بل ويسمو عليها كلها (١٧)

والأنجيل تذكر هذه المعارضة للميلاد العذراوي :

« أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟
أو ليست أخواته ههنا عندنا ؟ فكانوا يعثرون به » (مرقس ٦ : ٣) .

« أنتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له : إننا لم نولد من زنا . لنا أب
واحد وهو الله » (يوحنا ٨ : ٤١) .

ولقد اعتاد اليهود أن يطلقوا على الشخص اسم أبيه (يوحنا بن زكاي ،
مثلاً) حتى لو كان أبوه قد مات قبل ولادته . وكانوا يطلقون عليه اسم أمه
عندما يكون مجهول الأب (٨) .

ويدعو القرآن المسيح « عيسى بن مريم » . ويقول البيضاوى فى تفسيره
للقرآن أن اسم الأم يطلق على المولود فى حالة عدم معرفة الوالد . والقرآن
يعلم أن المسيح ولد من العذراء مريم بكلمة الله .

ولقد اتهم اليهود المسيح بأنه أكل وشرب خمر ، وكانت هذه الصفة
تطلق على « ابن الزنا » بين يهود فلسطين . لأنه بهذا السلوك يتم عن أصله
الوضيع ، وبهذا المفهوم اتهم القريسيون يسوع ! (٨) .

ومن هذا نرى أن اليهود اختلقوا فكرة ميلاد المسيح غير الشرعى
ليقاوموا فكرة الميلاد العذراوى التى علمت بها الكنيسة منذ بداية عهدها .

٣ - اقتباسات من مؤلفين عالميين :

والآن لندرس ما يقوله بعض المؤلفين العالميين :

قال جرفث توماس : « أكبر ما يستند عقيدة الميلاد العذراوى أن المسيح
كان فريداً فى حياته » (٢٩) .

ويقول هنرى موريس : « من المناسب جداً أن الشخص الذى أجرى
كل هذه المعجزات فى حياته ، وبذل نفسه على الصليب لأجل فداء البشر ،

ثم قام منتصراً من الموت تأييداً لأقواله ، يكون قد بدأ حياته بالدخول إلى العالم بطريقة فريدة .

وَيَمْضِي مَورِيسُ فيقول : « إن كان هو المخلص فلا بد أن يكون أعظم من مجرد إنسان ، مع أنه ابن الإنسان . ولكي يموت عن خطايانا يجب أن يكون بلا خطية ، وليكون بدون خطية في السلوك يجب أن يكون أولاً بلا خطية في الطبيعة . فما كان يمكن أن يكون قد ورث الطبيعة البشرية الساقطة المحكوم عليها باللعة والعبودية للخطيئة مثل سائر البشر ، فلا بد إذاً أن يكون ميلاده معجزياً . أن نسل المرأة قد زرع في رحم العذراء ، كما قال الملاك : « الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظلك ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لوقا ١ : ٣٥) .

ثم يقول مَورِيسُ : « ان الميلاد العذراوي صحيح ، لا لأن الكتاب المقدس يعلمه فقط ، بل لأنه أيضاً نوع الميلاد الذي يتمشى مع طبيعة المسيح ورسالته كمخلص للعالم الهالك . ان من ينكر عقيدة الميلاد العذراوي ينكر وجود الله ، أن ينكر أن الله صاحب سلطان على خلقته » (١٨) .

ويقول جريشام مكشن : « ان عقيدة الكنيسة بالميلاد العذراوي صادقة لأنها الحقيقة » (١٥) .

ويقول القرآن في سورة مريم : « أتى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ؟ قال : كذلك قال ربك . هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا » (آيتا ٢٠ ، ٢١) .

ثانياً - لو أن الله صار إنساناً

فلا بد أن يكون خالياً من الخطأ

ولنطالع أولاً شهادة المسيح عن نفسه ، أنه يسأل : « من منكم يكتفى على خطية ؟ » (يوحنا ٨ : ٤٦) . ولم يجاوبه أحد من أعدائه ، ولو أنه كان خاطئاً لما استطاع أن يوجه مثل هذا السؤال .

وقال أيضاً : « لأننى فى كل حين أفعل ما يرضيه » (يوحنا ٨ : ٢٩) فقد كانت علاقته بالله كاملة على الدوام . وإحساسه بالطهارة الكاملة مذهل . وكل مؤمن بالله يعلم أنه كلما زاد قرباً من الله زاد شعوره بخطئته ، ولكن هذه لم تكن الحالة مع المسيح ، فقد عاش حياة القرب الكامل من الله بدون شائبة .

ان الإنجيل يخبرنا أن الشيطان قد جرب المسيح (لوقا ٤) لكنه لا يقول انه أخطأ ! لم نسمعه يعترف أو يطلب غفران الله ، مع أنه علم تلاميذه الاعتراف وطلب المغفرة . ومن الواضح أنه لم يكن لديه أى شعور بالذنب الملازم للطبيعة الساقطة .

١ - أصدقاؤه يشهدون لكماله :

لم يقدم الكتاب المقدس أياً من أبطاله بدون عيب ، فقد سجل أخطاء الجميع بما فيهم موسى وداود ، وفي كل سفر من العهد الجديد نرى نقائص الرسل ، ولكنهم لا يذكرون نقصاً واحداً في حياة المسيح ، ولشهادة الرسل أهميتها وذلك لأنهم قد عاشوا في قرب قريب من يسوع نحو ثلاث سنوات ، وكانوا يهودا يدركون التعليم اليهودى عن الطبيعة الإنسانية الخاطئة ، ولكنهم قد شهدوا لكماله بطريقة غير مباشرة ، فلم يحاولوا برهنة كماله ، لكنهم

أوضحوها عندما ذكروا ما عرفوه عن حياته. لم يروا خطية واحدة فيه مع أنهم رأوا خطايا أنفسهم . لقد جادلوا وتذمروا ، لكنهم لم يروا يسوع يفعل شيئاً من هذا . ونتيجة لهذا يقول بطرس : « بدم كريم ، كما من حمل بلا عيب ولا دنس ، دم المسيح » (١ بطرس ١ : ١٩) ، ويقول : « الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى نفسه مكر » (١ بطرس ٢ : ٢٢) ، ويقول يوحنا : « وتعلمون أن ذاك أظهر لكى يرفع خطايانا وليس فيه خطية » (١ يوحنا ٣ : ٥) (راجع ١ يوحنا ١ : ٨ - ١٠) . أن يوحنا يقول أن البشر إن قالوا انه ليس لهم خطية يفضلون أنفسهم وليس الحق فيهم ، لكنه يقول ان المسيح ليس فيه خطية !

حتى يهوذا ، التلميذ الخائن رأى براءة المسيح فقال : قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً » (متى ٣٧ : ٣ ، ٤) .

ويشهد بولس الرسول أن المسيح كان بلا خطية (٢ كورنثوس ٥ : ٢١) .

٢ - أعداؤه يشهدون لكماله :

واحد من اللصين المصلوبين معه شهد لكماله بالقول : « أما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله » (لوقا ٢٣ : ٤١) .

وبيلاطس يشهد لكماله : « انى لم أجد فيه علة للموت » (لوقا ٢٣ : ٢٢) .

وقائد المئة يقول : « بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً » (لوقا ٢٣ : ٤٧)

وقد حاول أعداؤه الشكوى ضده ، فلم يجلوا فيه عيباً (مرقس ١٤ :

٥٥ ، ٥٦) . ويلخص مرقس الشكاوى التى وجهت ضده ، فيقول أولاً أنهم اتهموه بالتجديف لأنه غفر خطايا الناس ، مع أن الله وحده هو الذى يغفر . وثانياً اتهموه أنه كان يخالط الخطاة والسكيرين والزواني الأمر الذى.

كان رجال الدين اليهودى يتحاشونه ، وكان رده على ذلك أنه أعلن أنه طيب الخطاة (مرقس ٢ : ١٧) . واهموه ثالثاً أنه لم يصم كالفريسيين ، ولو أنه كان يتمسك بدينه . وأخيراً كانوا متضايقين لأنه نقض شريعة السبت اليهودية ، إذ شفى المرضى في يوم السبت ، ولكنهم لم يشكروا عليه أنه كان مطيعاً لنا موسى الله . والحق أنه « رب السبت » فاختار أن يكسر التقاليد اليهودية الخاطئة في تفسير شريعة الله عن يوم السبت ، دون أن يكسر الوصية نفسها .

٣ - التاريخ يشهد لكأله :

في سورة مريم في القرآن يقول الملاك لمريم : « أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً » (آية ١٩) (والزكى هو الطاهر الذى لا عيب فيه) ويقول في سورة آل عمران : « وإنى أعيدنها بك (مريم) وذريتها من الشيطان الرجيم » (آية ٣٦) . وقال الجلالان : « في الحديث : ما من مولد يولد إلا مسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخاً ، إلا مريم وابنها . رواه الشيخان » .

ويقول المؤرخ فيليب شاف : « هنا قدس الأقداس البشرية . لم يعش أحد كما عاش المسيح الذى لم يؤذ أحداً ولم يستغل أحداً ، ولم ينطق بكلمة ، عاطلة ، ولم يرتكب عملاً خاطئاً . والانطباع الأول الذى يسود علينا عن حياة المسيح هو البراءة الكاملة والعصمة من الخطية وسط عالم فاسد . فهو وحده — لا سواه — كان بلا عيب في طفولته وشبابه ورجولته ، ولذلك فالحمل والحمامة رمزان مناسبان لطهارته . وبعبارة موجزة هو الكمال المطلق الذى يرفع شخصيته فوق مستوى البشر ويجعله معجزة العالم — الأخلاقية ، وهو التجسد الحى للفضائل والقداسة وأسمى مثال لكل صلاح ونقاء ونبل في

نظر الله والناس . هذا هو يسوع الناصري الإنسان الكامل في جسده ونفسه وروحه ، ولكنه يختلف عن البشر جميعاً . هو الفريد من طفولته إلى رجولته ، الذي عاش في اتحاد دائم بالله ، تفيض محبته على الناس ، خال من كل عيب وشر ، مكرس لأقدس الأهداف كانت تعاليمه وحياته في توافق تام ، وختم اطهر حياة بأسمى موت . أنه النموذج الوحيد الكامل للصالح والقداسة « (مرجعاً ٦ ، ٧) .

ويقول جون سكوت : « ان نسيان النفس في خدمة الله والناس هو ما يدعو الكتاب المقدس بالمحبة . المحبة لا تهتم بما لنفسها ، بل تبذل نفسها . وقد كان يسوع بلا خطية لأنه لم يكن أنانياً يطلب ما لنفسه . وهذه هي المحبة والله محبة » (١٩) .

ويقول ولبر سمث : « كان أبرز صفات يسوع في حياته الأرضية هي ما نفشل جميعاً فيها ومع ذلك نعترف إنها أعظم الصفات جميعاً ، هي صفة الصلاح المطلق ، أى الطهارة الكاملة ، والقداسة الحقيقية . وفي هذا كان يسوع معصوماً من الخطأ » (١٠) .

ويقول جفرسون : « ان أعظم برهان على كمال المسيح هو أنه جعل المحيطين به يعترفون بكماله . فلم يصدر عنه في كل أحاديثه أى شيء من الندم أو الحزن على تقصير أو خطأ صدر منه . لقد علمهم أنهم خطاة وأن القلب البشرى شرير ، وأنهم يجب أن يطلبوا الغفران كلما يصلون . ولكنه لم يطلب مطلقاً الغفران لنفسه ، فلم يفعل إلا كل ما يرضى الله » (٢٠) .

ويقول كنه لا توريث المؤرخ الشهير : « لا يوجد أى أثر لإحساس المسيح بارتكاب خطأ . وشخص في مثل سمو المسيح يقدم لأتباعه أعلى المبادئ ويعلمهم ضرورة الاعتراف بالخطية وطلب المغفرة لها ، دون أن

يحتاج هو نفسه لذلك ، لابد أن يكون كاملاً . لقد كتب مبادئ الموعظة على الجبل بحياته . ولم تكن الموعظة إلا ترجمة لحياته « (٢١) .

ونختتم هذه الموضوع باقتباس آخر من المؤرخ المسيحي فيليب شاف :
« كلما زادت قداسة الإنسان زاد إحساسه بالحاجة إلى الغفران وشعوره بنقصه عن المستوى الروحي المطلوب . ولكن يسوع الذي جاء في صورة جسدنا ، وتجرب مثلنا ، لم يستسلم للتجربة ، ولم يكن لديه ما يدعو للندم أو للاستغفار سواء عن فعل أو قول أو فكر . لم يكن محتاجاً إلى غفران أو تغيير أو إصلاح ولم يفقد — ولو للحظة واحدة — توافقه مع الآب . وكانت حياته سلسلة متصلة من التكريس لمجد الله ولخير الناس الأبدى » (٧) .

٤ — المتشددون يشهدون لكأله :

يقول روسو : « عندما يصف أفلاطون الإنسان الخيالي الكامل ، الذي يتحمل عقاب الذنوب كلها ، لكنه يستحق أفضل جوائز الفضيلة ، فإنه يصف بالضبط شخصية يسوع المسيح » (٦) .

ويقول الكاتب المشهور جون ستيوارت ميل : « من من بين تلاميذه أو الذين آمنوا به كان يستطيع أن يقول كلمات مثل التي قالها يسوع ، أو كان يقدر أن يتخيل حياة وصفات تشابه تلك الحياة التي تحدثت عنها الأناجيل ؟ » (٦)

ويقول رالف والدو امرسون : « يسوع أعظم كمالاً من كل الناس الذين ظهروا في العالم » (٢٢) .

ويقول المؤرخ وليم ليكي : « أنه ليس فقط النموذج الأسمى للفضيلة ، لكنه أقوى باعث على ممارستها » (٢٣) .

وحتى دافيد سترافوس أشد من هاجم ما هو معجزى فى الأناجيل والذي حاول - أكثر من أى كانت آخر - أن يحطم الإيمان بالمسيح حتى سترافوس هذا ، بكل قواه العقلية الفذة وطاقاته الذهنية والمعينة التى سخرها جميعها فى نقد الكتاب والإنكار الكلى لكل ما هو معجزى ، اضطر فى أواخر حياته أن يعترف بأن فى المسيح الكمال الأخلاقى ، وقال : « هذا المسيح شخص تاريخى وليس أسطورياً ، وهو شخص وليس مجرد رمز . . أنه يظل على الدوام أعلى نموذج للدين يمكن أن يصل إليه فكرنا ، ولا يمكن أن يصل إنسان إلى التقوى بدون حضوره فى القلب » (٦) .

وختاماً يقول برنارد رام : « إن ما نتوقع أن نراه فى إله متجسد ، هو الكمال الخالى من الخطية والحلو المطلق من الخطية ، وهذا ما نجده فى يسوع المسيح حقيقة جليلة .

ثالثاً - لو أن الله صار إنساناً

لأجرى المعجزات فوق الطبيعة

١ - شهادات كتابية :

« إذهبوا وأخبروا يوحنا بما رأيتموا وسمعتم . ان العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبصر يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون » (لوقا : ٧ : ٢٢) .

فالمعجزات التى أجراها المسيح تظهر سلطانه فى ميادين كثيرة ، مثل سلطانه على الطبيعة وعلى الأمراض وعلى الشياطين وعلى الموت . وكانت هذه المعجزات تحقيقاً للنبوءات عن المسيح فى العهد القديم .

وتقدم هنا معجزات في ميدان الشفاء الجسدى :

أبرص - متى ٨: ٢-٤ ، مرقس ١: ٤٠-٤٥ ، لوقا ٥: ١٢-١٥
مفلوج - متى ٩: ٢-٨ ، مرقس ٢: ٣-١٢ ، لوقا ٥: ١٨-٢٦
مريض بالحمى (حماة بطرس) - متى ٨: ١٤-١٧ ، مرقس
٢٩: ٣١-٣١

ضعف جسدى - يوحنا ٥: ١-٩ .

يد يابسة - متى ١٢-٩-١٣ ، مرقس ٣: ١-٦ ، لوقا ٦:
٦-١٦ .

صمم وخرس - مرقس ٧: ٣١-٣٧ .

العمى - مرقس ٨: ٢٢-٢٥ ، يوحنا ٩ ، مرقس ١٠: ٤٦-٥٢
عشرة برص - لوقا ١٧: ١١-١٩ .
أذن ملخص المقطوعة لو - ٢٢: ٤٧-٥١ .

نزيف دموى - متى ٩: ٢٠-٢٢ ، مرقس ٥: ٢٥-٣٤ ، لوقا
٨: ٤٣-٤٨ .

استسقاء - لوقا ١٤: ٢-٤ .

معجزات في ميدان الطبيعة :

تحويل الماء إلى خمر - يوحنا ٢: ١-١١ .

اسكات عاصفة - متى ٨: ٢٣-٢٧ ، مرقس ٤: ٣٥-٤١ ، لوقا
٨: ٢٢-٢٥ .

زيادة الطعام ليكفى ٥٠٠٠ - متى ١٤: ١٥-٢١ مرقس ٦: ٣٤-
٤٤ ، لوقا ٩: ١١-١٧ ، يوحنا ٦: ١-١٤ وليكفى ٤٠٠٠ - متى ١٥:
٣٢-٣٩ ، مرقس ٨: ١-٩ .

السير على الماء - متى ١٤ : ٢٢ - ٢٣ ، مرقس ٦ : ٤٥ - ٥٢ ،
يوحنا ٦ : ١٩ .

النقود من السمكة - متى ١٧ : ٢٤ - ٢٧ .

شجرة التين تيبس في الحال - متى ٢١ : ١٨ - ٢٢ ، مرقس
١١ : ١٢ - ١٤ .

معجزات إقامة موتى :

إقامة ابنة يارس - متى ٩ : ١٨ - ٢٦ . مرقس ٥ : ٣٥ - ٤٣ ،
لوقا ٨ : ٤١ - ٥٦ ابن أرملة ناين - لوقا ١٧ : ١١ - ١٥ .
لعازر - يوحنا ١١ : ١ - ٤٤ .

٢ - شهادات وتعليقات على معجزاته :

قال بول لتل : « كان للمسيح سلطان عظيم على الطبيعة لا يمكن أن يكون
إلا لله خالق قوى الطبيعة » (٢٤) .

ويقول كليف لويس في كتابه « المعجزات » : « ستبقى كل أساسيات
الديانة الهندوسية باقية لو نزعنا الجانب المعجزى منها وهكذا الحال مع
ديانات أخرى . ولكنك لا تقدر أن تفعل هذا مع المسيحية ، فإنها قصة
المعجزة العظيمة » (٢٥) .

ويقول برنارد رام : « في الديانات المختلفة يؤمن الناس بالمعجزات لأنهم
قد آمنوا بالدين ، أما الكتاب المقدس فإن المعجزات جزء من وسائل
تأسيس الدين الحقيقي . وهذا فارق بالغ الأهمية فلقد ظهرت إسرائيل في
الوجود بسلسلة من المعجزات ، وأعطى الناموس محاطاً بمعجزات ، وصاحبت
رسائل الأنبياء معجزات . وجاء المسيح ، لا واعظاً فقط ، بل صانع معجزات

أيضاً ، وهكذا كان الرسل يصنعون معجزات . لقد برهنت المعجزات على صدق الرسالة « (٢٦) » .

ويميز فيليب شاف بين قصص المعجزات السحرية المذكورة في القصص السوقية وغيرها من الكتابات الأسطورية وبين معجزات الكتاب المقدس فيقول أن معجزات الكتاب جاءت طبيعية ببساطة ويسر ، حتى إننا ندعوها « أعمال الله » (٧) .

ويقول جرفث توماس ان كلمة « أعمال الله » تعني أنها ثمر طبيعي لحياته وتعبير طبيعي عن نفسه ، فلا بد أن شخصاً مثل المسيح يأتي الأعمال الخارقة (٢٩) .

ويعمى فيليب شاف ليقول : « كانت كل معجزاته مظهراً لشخصه ، فأجراها كلها ببساطة كأعمال عادية يعملها كل يوم . وقد دفعه إلى عملها كلها أظهر الدوافع ، لمجد الله ولخير الناس . إنها معجزات محبة ورحمة ، عامرة بالتوجيهات والتعاليم المتسقة مع شخصيته ورسالته » (٦) .

ويقول ف. تشيز : « ان معجزات المسيح تذكّر بها كل الأناجيل ، لكن لو جمعناها معاً لاكتشفنا فيها وحدة غير مرسومة ولوجدنا أنها تجدد كل نواحي حياة الإنسان ليستعيد سلامه العقلي والروحي والجسدي . ولا تعرض الأناجيل معجزات المسيح لتظهر قوته أو عظمته ، ولو أنها فعلت ذلك لظهرت غير طبيعية ، أنها تعبير عن محبته ورحمته للناس » (٥) .

ويقول جارفى : ان المعجزات تتفق تماماً مع شخصية المسيح ورسالته ، فهي ليست دليلاً خارجياً ، بل هي جزء لا يتجزأ من إعلان محبة الآب السماوى ورحمته ونعمته في المسيح يسوع ابن الله الحبيب وفادى البشر الحنون الكريم .

ويقول توماس جريفت : بالنسبة لنا نحن ، المسيح نفسه هو أعظم معجزة ، والتفكير المنطقي السليم هو أن نبدأ من المسيح إلى المعجزات وليس من المعجزات إلى المسيح .

٢ - شهادات يهودية قديمة لمعجزاته :

يقول اثلبرت ستوفر : « نجد في كتابات اليهود القديمة الكثير من الإشارات لمعجزات المسيح ، سواء في كتبهم الدينية أو تواريتهم ، فيقول المعلم اليعازر بن هيرانوس (سكن في اللد سنة ٩٥ م) ان معجزات يسوع فنون سحرية . وفي كتابات السنهدريم (من سنة ٩٥ - ١١٠ م) نرى لمعجزات المسيح باعتبارها من أعمال السحر لتضليل إسرائيل . ونحو سنة ١١٠ م نقرأ عن جدال بين يهود فلسطين إن كان يجوز إجراء الشفاء باسم يسوع . وهذا بالطبع يعنى اعترافهم بأن يسوع كان يشفى » (٨) .

ونجد في كتابات الامبراطور جوليان المرتد عن المسيحية (٣٦١ - ٣٦٣ م) وأحد الأعداء الألداء للمسيحية ، قوله : « يسوع ، الذى مضى على زمنه نحو ٣٠٠ سنة ، لم يعمل شيئاً في حياته يستحق الشهرة ، إلا إذا ظن أحد أن شفاء أعرج أو أعمى أو مجنون في قرى بيت صيدا وبيت عنيا شيء عظيم » (٦) . وهو بهذا يشهد - دون قصد - أن يسوع عمل المعجزات في بيت صيدا وبيت عنيا !

ويشهد القرآن للمسيح بعمل المعجزات وإقامة الموتى وغير ذلك (المائدة ١١٠) .

ويذكر من المعجزات : الخلق والابرار والاحياء وعلم الغيب ، لأن الله أيده بروح القدس (المائدة ١١٣) وهذا ما لم يحدث لأحد من الأنبياء قبله ولا بعده (الرازي) . ويقول الجلالان : « فأرأى في يوم خمسين ألفاً بالدعاء بشرط الإيمان » .

٤ - معجزاته لا لبس فيها :

فقد أجرى يسوع معجزاته قدام الجمهور الناقد المتفحص . وعندما أقام لعازر من الموت لم ينكر أعداؤه المعجزة ، ولم يحاولوا أن يكذبوها ، بل أرادوا أن يقتلوه ويقتلوا لعازر ، البرهان الصادق على حدوث المعجزة ! (يوحنا ١١ : ٤٨) وكان هدفهم أن يمنعوا الناس من الإيمان بالمسيح .

لقد عرف معاصروا المسيح قدرته على عمل المعجزات ، ولكن أعداءه عزوا هذه القوة إلى الأرواح الشريرة ، بينما أدرك أصحابه إنها قوة الله . (متى ١٢ : ٢٤) . وقد أجاب المسيح على اتهم أعدائه هذا بقوله : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت . فإن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته ، فكيف تثبت مملكته ؟ » (متى ١٢ : ٢٥ ، ٢٦) .

صحيح أن البيانات المختلفة تعزو معجزات مؤسسيها ، لكن أكاذيبهم لا يجب أن تجعلنا نكذب المعجزات التي أجراها المسيح . فإن بعض الناس يرفضون المعجزات بحجة أنها ضد القوانين الطبيعية ، ولكن القوانين الطبيعية ليست علة الأشياء ، بل هي مجرد أوصاف لما يسمح الله بحدوثه ، ولذلك فإننا عندما نتحدث عن معجزات يسوع فإننا نرى تدخل الله ليوجه قوانين الطبيعة وسير الأحداث . والمعجزات هي إحدى وسائل الله للاتصال بنا ، وإيماننا بها يتوقف على إيماننا به .

ولو أننا سمحنا للفكر العلمى عن انتظام واستمرارية الطبيعة ، أن يغلق الطريق أمامنا فإن إيماننا بالمعجزات سيكون مستحيلا . ولكننا لو فعلنا هذا نكون قد قررنا النتيجة قبل أن نفحص الأدلة ! إن العلم يقدر أن يقول أن المعجزات لا تحدث فى النظام الطبيعى العادى ، ولكنه لا يقدر أن يمنع المعجزات ، لأن القوانين الطبيعية ليست علة الأشياء ، وبالتالي فهي لا تمنعها .

ويقول فيليب شاف : ان المعجزات أشياء فوق الطبيعية وليست ضدها .
إنها تعبر عن قانون أعلى ، تخضع له القوانين الأدنى .

ويقول جون برودوس : خذ الأناجيل وادرسها . لو أن المسيح لم يعمل
المعجزات فإنه بالتأكيد يكون قد قال الكثير من الكذب . إما أنه تكلم كما لم يتكلم
أحد قط ، وأن شخصيته هي بلا عيب وأنه صنع معجزات ، أو أنه كذب علينا !

رابعاً - لو أن الله صار إنساناً

لجاء مختلفاً عن كل البشر !

لقد كان تأثير يسوع على الناس عظيماً حتى وقفوا معه أو ضده ، ولكنهم
لم يملكوا أن يكونوا لا مباليين معه ! ويقول القرآن عنه : « المسيح عيسى
بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين » (آل عمران آية ٤٥)
ويقول البيضاوي : « وجيهاً في الدنيا بالنبوة وفي الآخرة بالشفاعة » ويقول
ويقول الرازي : « الوجاهة في الدنيا هي النبوة أو استجابة دعائه ، أو براءته
من العيوب . وفي الآخرة الشفاعة ، أو علو درجته ومنزلته ، أو كثرة
ثوابه » .

ويقول بسكال : من أين للبشر أن يعرفوا صفات البطولة الكاملة ،
حتى يرسموها بكل هذا الكمال والجلال في المسيح يسوع ؟ .

ويقول مارتن سكوت : « من كل وجه كان يسوع إنساناً حقيقياً بل
وأعظم من إنسان » (٩) . فإن يسوع هو الله الذي ظهر في الجسد تحت ظروف
الزمن ، وهذه فكرة غير عادية . كانت حياته مقدسة ، وكلماته صادقة كان ،
الحق متجسداً ، بلا مثيل في الكمال والطهر والاتزان العاطفي والعقلي ، له
النظرة الصافية والبصيرة النفاذة .

ويقول جون يونج في كتابه « مسيح التاريخ » : « كيف يمكن أنه في كل الأجيال لم يتم شخص كامل كيسوع ؟ ان ما عمله الله للتقوى والفضيلة على الأرض في وقت ما وفي حالة ما ، يمكن أن يتكرر في أوقات وحالات أخرى . ولو كان يسوع إنساناً فقط لأقام الله على توالى الأجيال ، أشخاصاً مثله يكونون نماذج للبشر في القداسة والتعليم والنهوض بالعالم . ولكن الله لم يفعل ! » (٢٧) .

ويقول كارنيجي سمبسون : « لا يمكن أن تضع يسوع في نفس المستوى مع الآخرين ، فعندما نقرأ اسمه في قائمة العظماء من كونفوشيوس إلى جوته نشعر أننا أسأنا إلى اللياقة والذوق ، فإن يسوع ليس واحداً من هؤلاء العظماء تحدث عن الاسكندر الأكبر أو شلمان العظيم أو نابليون العظيم — أن شئت . . ولكن يسوع يقف وحده ، فهو ليس الأكبر ! أنه « الوحيد » . أنه يسوع الفريد وكفى ! انه لا يخضع للتحليل ، انه يسمو فوق كل نقد انه يبعث فينا الاحترام الكامل له » (١٩) .

ويقول فيليب شاف : « لم تتحرف غيرته إلى انفعال ، ولا ثباته إلى عناد ، ولا إحسانه إلى ضعف ، ولا رفته إلى مجرد عواطف لقد كان اجتماعياً شديد المبالاة بالناس رغم أن روح العالم لم تسيطر عليه كانت عظمتة خالية من الكبرياء والجرأة ، وتعلقه بالناس بعيداً عن رفع التكلف الذى لا داعى له ، وانكاره لنفسه بدون كابة ، واعتداله بلا تزمت . . لقد جمع براءة الأطفال بقوة الرجال ، وحوى التعبد العميق لله مع الاهتمام الكامل بخير البشر . جمع بين الحب الرقيق للخطاة والقسوة الشديدة على الخطية . وجمع بين الوقار الأسر والتواضع الجاذب . جمع بين الشجاعة التى لا تخاف والحذر الحكيم ، وحوى الحزم الذى لا يستسلم مع اللطف الجميل » (٦) .

في حديث بين روبرت براوننج وتشارلس لام عن انطباعاتهما لو أن أحد الموتى دخل عليهما ، سئل لام عما يفعله لو أن المسيح دخل الحجرة قال : لو أن شكسبير دخل الحجرة لقمنا كلنا لتقابله ، ولكن لو أن هذا الشخص (يسوع) دخل إليها لحررنا جميعاً محاولين أن نقبل هذب ثوبه « (١٩) .

ويقول شاف : « ما يعترف به الجميع . . . أن يسوع قد علم أظهر مبادئ الأخلاق ، التي تلقى بكل النظريات الأخلاقية الأخرى وحكمة أحكم الحكماء ، في الظلال » (٦) .

ويقول حوهان تفريدفون هرذر (في الموسوعة الدينية) : « أن يسوع المسيح ، بأسمى معاني الكلمة هو المثال الأعلى للبشرية ، باعتراف الجميع » .

وقال نابوليون بوناپرت : « أننى عليم بالناس ، ولكنى أقول أن يسوع المسيح ليس مجرد إنسان ، فليس بينه وبين أى إنسان آخر في العالم مجال للمقارنة لقد أسست أنا والاسكندر وقيصر وشرلمان امبراطوريات ، لكن علام أرسينا قواعدها ؟ على القوة ! ولكن يسوع المسيح أسس امبراطوريته على الحب . وفي هذه اللحظة هناك الملايين المستعدون أن يموتوا من أجله » (٢٢) .

يقول ثيودور باركر ، أحد الموحدين المشهورين (ممن ينكرون التثليث) : « أن يسوع يجمع في نفسه أسمى المبادئ مع أروع الأفعال السماوية ، في صورة أسمى من كل ما حلم به الأنبياء والحكماء ، فهو يخلو من كل ظنون عصره وأمته ، ويفيض بالتعاليم الجميلة كالنور والظاهرة كالسما والصادقة كالله . وها قد مر ثمانية عشر قرناً منذ أن ارتفعت شمس البشرية إلى الذروة في يسوع المسيح ، وأى إنسان أو أى مذهب استطاع أن يستوعب كل فكرة ويدرك كل تعاليمه ويطبقها تماماً على الحياة » ؟ .

ويقول فيلبس بروكس : في يسوع المسيح نرى تنازل الله ورفعته البشرية

واليك ما يقوله بعض معارضي المسيح :

يقول العبقري جوته قرب نهاية حياته ، وهو يتطلع إلى التاريخ :
« لو أن كائناً إلهياً ظهر في التاريخ لكان هو المسيح » . ويقول : « ان العقل
البشرى ، مهما تقدم في مختلف الميادين ، لن يسمو فوق قيم وأداب المسيحية
الى تشرق وتتوهج في الأناجيل » (٧) ويقول : « اننى أحترم الأناجيل
واعتبرها صحيحة ، فمنها يشرق نور الجلال والسمو من شخص يسوع المسيح
الساوى الذى لم يظهر له مثل على الأرض » (٢) .

وعندما سئل المؤرخ ه. ج. ويلز ظن الشخص الذى ترك أعماق أثر دائم
على التاريخ ، قال أنه بمقياس العظمة التاريخية يحىء يسوع أولاً (٢٦) .
ويقول أرنست رينان : « مهما جاءت مفاجئات المستقبل ، فلن يعلى
على يسوع » (٦) .

ويشير توماس كارلايل إلى يسوع بالقول : « الرمز السماوى ، أعلى
مما يستطيع الفكر البشرى أن يبلغه . الشخصية الانتهائية التى تتطلب الدرس
الدائم » (٦) .

ويقول روسو : « هل يمكن أن يكون الشخص الذى تقدمه الأناجيل
إنساناً ؟ يا للحلاوة ! يا للخلق الطاهر ! ما أعظم الصلاح الأسر في تعاليمه !
بالروعة أقواله ! يا لعمق حكمة تعاليمه ! يا لحضور ذهنه وبراعة حكمه في
إجاباته الرائعة المفحمة ! نعم ! إن كان سقراط قد عاش ومات كفيلسوف
فإن يسوع المسيح قد عاش ومات كالله » (٢) .

وتحتم باقتباس قول جونسون روس : « هل فكرت في المكانة الخاصة التي احتلها يسوع من جهة جنسه ؟ ان النساء والرجال يجدون صعوبة على السواء وهم يحاولون الوصول إلى أمثاله . فكل ما في الرجال من قوة وعدل وحكمة ، وكل ما في النساء من رقة وطهر وبصيرة ، نراه في المسيح بدون أن يكون ثمة ما يعوق ظهور كل هذه الفضائل المتباينة في شخص واحد . »

خامساً - لو أن الله صار إنساناً

لكانت كلماته أعظم ما قبل

قال المسيح : « السماء والأرض تزولان . ولكن كلامي لا يزول » (لوقا ٢١ : ٣٣) والناس الذين سمعوا كلامه « بهتوا من تعليمه ، لأن كلامه كان بسلطان » (لوقا ٤ : ٣٢) . ومن الضباط إلى الحرس نسمع : « لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان » (يوحنا ٧ : ٤٦) .

وترجع عظمة تعاليم المسيح إلى أنها عاجلت بسلطان ووضوح أكثر مما يشاكل الناس إرهاباً ، خصوصاً تلك التي تتصل بعلاقاتهم بالرب .

ان تعاليمه علامات على الطريق ، لكل الأجناس والشعوب ، لأنه نور العالم . ولنتقارن بين المسيح وأفلاطون الذي كان سابقاً للمسيح بنحو ٤٠٠ سنة وكان متقدماً على المسيح في الفكر الفلسفي . لكن قارن بين كتاباته في « المحاورات » وبين الأناجيل . « المحاورات » مليئة بالأخطاء والسخف المنافي للعقل ، وبعبارات لا أخلاقية مع أنها رغم كل ذلك تعتبر أسمى ما وصل إليه العقل البشري في الروحانية التي لا تساندها الاعلانات السماوية (١٢) .

وتقف عظمة شخصية المسيح خلف عظمة تعاليمه ! يقتبس أو يعلن تعليم سواه ، لكنه أعلن تعاليمه هو . لم يقل : « هكذا قال الرب » بل قال : « الحق الحق أقول لكم » و « أما أنا فأقول » .

ويقول جوزيف باركر : « بعد قراءة أفكار أفلاطون وسقراط وأرسطو ترى الفرق بينها وبين تعاليم المسيح ، كالفرق بين التساؤلات والوحي المعلن » (٢٢) .

ويقول برنارد رام : « من جهة الاحصاءات تقف الأناجيل كأعظم ما كتب ، يقرأها أكبر عدد من الناس ، ويقتبسها أكبر عدد من المؤلفين ، وترجم إلى أكثر اللغات ، ويصور أفكارها معظم الفنانين والموسيقيين والرسامين . إنها تقرأ وتقتبس وترجم وتحب وتحظى بإيمان الناس بها أكثر لأنها أعظم الكلمات . وتكمن عظمتها في وضوحها وقدسيتها ودقتها وسلطانها في معالجة مشاكل البشر العظمى التي تجيش بها صدورهم . إنها تجيب على التساؤلات : من هو الله ؟ هل يحبني ؟ هل يهتم بي ؟ ماذا أفعل لأرضيه ؟ كيف ينظر لحظتي ؟ كيف أجده الغفران ؟ إلى أين أذهب بعد الموت ، كيف أعامل الآخرين ؟

ولا يمكن أن كلمات إنسان آخر تشد انتباهنا أكثر من كلمات يسوع لأنه لا يستطيع إنسان آخر أن يجيب على هذه الأسئلة الجوهرية كما أجاب عنها يسوع ، فإجاباته هي الإجابات نفسها التي تنتظر صدورها من الله ، وهكذا تستريح قلوبنا عليها » (٢٦) .

لقد صارت تعاليم المسيح قوانين وعقائد وأمثالا ، وصارت سبب عزاء للملايين دون أن تنتهى وتزول . فأى معلم بشرى ضمن أن تستمر كلماته للأبد ؟ تظهر أفانين من كلمة البشر ثم تزول وتقوم ممالك وامبراطوريات ثم تسقط ، أما يسوع فسيظل إلى الأبد هو « الطريق والحق والحياة » . ولم يحدث أن ثورة أثرت في أى مجتمع بقدر ما أثرت كلمات يسوع .

ولربما نسمع البعض يقولون ان كل ما قاله يسوع قد قيل من قبل .
ولنفرض أن هذا صحيح (مع أنه ليس صحيحاً) . . فلا زالت تعاليم المسيح
تجىء في القمة ، ففي كل تعليم آخر هناك التوافق ممتزجة بالأشياء الهامة ، أما
يسوع فقد قدم التعاليم الباقية النافعة الخالدة فقط . وقد عاش كل كلمة قالها
بسلوكه وآزرها بأفعاله . وكيف لهذا النجار الذي لم يتلق تعليماً خاصاً ، لم
يدرس الثقافة والعلوم الأغريقية ، الذي عاش وسط شعب ضيق الأفق
متزمت . . . كيف له أن يجمع أعظم تعاليم العالم ويقدمها معاً بدون خطأ
ولا عيب ، وبدون تعديل أو تصحيح أو نسخ ؟ كيف يقف عملاقاً معلماً
للأجيال ؟ !

يقول جرفث توماس : « مع أن يسوع لم يتلق تعليماً لاهوتياً رسمياً من
رجال الدين اليهود ، لكنه لم يظهر أى تردد أو خجل في إعلان ما رأى هو
أنه حق ! وبدون تفكير في نفسه أو في سامعيه خاطب الجمهور بدون
خوف ، وبدون حساب للعواقب على نفسه ، فقد كان همه أن يوصل
رسالته وقد شعر سامعوه بقوة كلامه (لوقا ٤ : ٣٢) وقد أسر سامعيه بقوة
شخصيته التي تجلت في قوة أقواله ، حتى قالوا أنه لم يتكلم قط إنسان مثله
(يوحنا ٧ : ٤٦) . لقد ترك عمق حديثه وروعته وبساطته وشموله ونفاذه
أعمق الأثر في سامعيه ، فأدركوا أنهم أمام معلم لم تر البشرية له نظيراً من
قبل ، فيقول عنه بولس بعد سنوات عديدة : « متذكّرين كلمات الرب
يسوع (أعمال ٢٠ : ٣٥) ولا يزال هذا هو الحال على مر الأجيال » (٢٩) .

سادساً — لو أن الله صار إنساناً

لكان تأثيره شاملاً ودائماً

لا تزال شخصية المسيح — بعد ألفي سنة — تترك تأثيرها على البشر في
كل يوم يختبر بعض الناس اختبارات ثورية مع يسوع !

ويقول كنهث لا توريث المؤرخ العظيم : « الفهم المسيحي للتاريخ لا ينكر التقدم . . وكلما مضت القرون تجمعت الأدلة — من تأثير المسيح في التاريخ — على أن يسوع هو أعظم من عاشوا تأثيراً على الناس ، ويبدو أن هذا التأثير يتزايد » (٣٠) .

ويضيف فيليب شاف : « بدون مال أو أسلحة هزم يسوع الناصري ملايين أكثر من الاسكندر وقيصر ونابليون . وبدون علوم أفاض نوراً على الأمور الزمنية والأمور السماوية أكثر من كل الفلاسفة والعلماء مجتمعين ، وبدون دخول مدرسة بلاغة تحدث بكلمات الحياة كما لم يتحدث أحد من من قبل ، وأثر في سامعيه كما لم يؤثر شاعر أو خطيب ، وبدون أن يكتب سطرأ واحداً دفع أقلاماً كثيرة لتكتب ، وقدم أفكار عظات وخطب ومناقشات ومجلدات وأعمال فنية وترانيم وتسابيح أكثر من كل الأبطال والعظماء عبر العصور القديمة والحديثة » (٦) ويقول مارتن سكوت : « إن تأثير يسوع على الناس اليوم قوى كما كان قوياً وقت أن كان على الأرض » (٩) « لقد صرف على الأرض ثلاث سنوات فيها تركز أعظم معاني التاريخ والدين ، ولم تمض حياة يمثل هذه السرعة والهدوء والتواضع ، ولكنها أثارت اهتمام الفكر الإنساني بصورة شاملة دائمة » (٧) .

وعندما ترك يسوع الأرض قال لتلاميذه إنهم سيعملون أعمالاً أعظم من تلك التي عملها هو . وقد حققت القرون صدق هذا القول ! ولا يزال يسوع يعمل اليوم في عالمنا (أشياء أعجب مما فعل وهو على الأرض) ، من خلال أتباعه فهو يفتدى الناس ويغير حياتهم للأفضل ، متقدماً بهم إلى كل ما هو حق وجليل وعادل وطاهر لخير البشر في مختلف الميادين .

« ولنا كل الحق أن نشير إلى تأثير يسوع العظيم ، لا كمسألة في الماضي ، بل كأمر يلمس الحياة في كل جوانبها ، اليوم » (٢٩) .

ويقول وليم ليكي : « حض الأفلاطونيون الناس على الاقتداء بالله ، وحضهم الرواقيون على أتباع العقل ، وحضهم المسيحيون على حب المسيح . أما الرواقيون المتأخرون فقد جمعوا الصفات الممتازة في حكيم نموذجي ، وحض أبكتيتوس تلاميذه أن يتمثلوا أمامهم شخصاً عظيماً يتخيلونه قريباً منهم . على أن حكيم الرواقيين النموذجي كان شخصاً يحاولون محاكاته ، دون أن يتحول إعجابهم به إلى حب . أما المسيحية وحدها فهي التي قدمت للعالم الشخصية النموذجية ، التي – بالرغم من تغيرات ثمانية عشر قرناً – ألهمت قلوب الناس بالحب الصادق ، وعملت في كل العصور والأمم والأمزجة والظروف فهي لم تقدم أسى نماذج الفضيلة فحسب بل وأعظم الدوافع على ممارستها .

صرفت هذه الشخصية ثلاث سنوات قصيرة عامرة بالنشاط أثرت في تجديد البشر وتهذيبهم أكثر مما فعلت كل بحوث الفلاسفة ومواعظ رجال الأخلاق ، وكانت هذه الشخصية هي نبع أفضل وأبقى ما في الحياة المسيحية . وفي وسط الخطايا والسقطات والشعوزات والاضطهادات والتعصبات التي شوهت الكنيسة ، حفظت في شخص مؤسسها ومثاله ، القوة الدائمة الفعالة في التجديد » (٢٣) .

« ان الآلاف والملايين اليوم . كما في كل العصور ، يشهدون لقوة المسيحية ومجدها في معالجتها للخطية والشر . وهذه الحقائق تقف قوية لتقنع كل من يريد أن يتعلم . . ان انجيلا خامساً يكتب الآن ، هو عمل يسوع المسيح في حيوات وقلوب الناس والأمم » (٢٩) .

وقال نابليون : « يسوع وحده نجح في السمو بفكر الناس إلى غير المنظور فوق حدود الزمن والمسافات . انه يطلب ما يصعب عمله ، وما لا تقدر الفلسفة على الوصول إليه ، وما يفشل الصديق في الحصول عليه من صديقه ، والأب من أولاده ، والعريس من عروسه ، والرجل من أخيه ! انه يطلب القلب البشرى كله بدون قيد ولا شرط ليكون قوة في مملكة المسيح . وكل من يؤمنون به باخلاص يختبرون حباً فوق الطبيعي له ، وهي ظاهرة تفوق خيال البشر . ولا يقدر الزمن بكل تأثيره الهدام أن يستنزف قوة هذه المحبة أو يضع حداً لها » (٢) .

لكن : هل تناسب المسيحية كل الناس في كل العصور وكل الشعوب؟ هل تناسب المتعلم والجاهل ؟ هل يستطيع جميع الناس في كل مكان أن يستوعبوا مبادئها ؟

الحقيقة أنه حينما يكون المسيح فهو السيد ، يطالب الناس بالتضحية فيضحون . ان دعوته خالية من التعصب ، إنها تقود الناس إلى كل عمل صالح وعظيم مهما تضمن من تضحية ولترجع إلى الاقتباس من نابليون : « ان طبيعة وجود المسيح ، مملوءة بالأسرار لكنها أسرار تقابل احتياجات الناس . ولو رفضت المسيح لصار العالم لغزاً لا يفهم ، ولو آمنت به لوضح لك تاريخ جنسنا البشرى بدرجة كافية » (٢٢) .

ومنذ وقت المسيح لم يقدم أحد — رغم كل ما بلغه الفكر الإنساني من تقدم — فكراً واحداً أخلاقياً جديداً للعالم ! ولا عجب فإن رسالة المسيح تتميز بثلاثة أشياء عظيمة هي : التوبة والثقة والمحبة ، وهذه الثلاثة تجعل الرسالة مناسبة لكل عصر ومكان وعمر . ولقد جذبت المسيحية الملايين من أفضل مفكرى الجنس البشرى ، ولم يمنع تقدمها تيار تقدم المعرفة البشرية (٢٩)

وقد ظل شخص مؤسسها العامل المستمر في انتشارها وتقدمها ، وكان ولاء أتباعه له وتعبدهم لشخصه هما العامل القوي في وحدتهم رغم كل الظروف واختلاف الآراء . ولا عجب أن يقول دافيد سترافوس : « سيبقى المسيح أعلى نموذج للديانة يمكن أن يصل إليه فكرنا ، ولا يمكن أن يصل إنسان إلى التقوى بدون وجود المسيح في قلبه » (٦) .

ويقول وليم تشاننج : « ان حكماء التاريخ وأبطاله يخفت ضوءهم شيئاً فشيئاً ، وبمرور الزمن يتصاغر الحيز الذي يشغلونه من التاريخ ، أما يسوع المسيح فليس لمرور الزمن من أثر على اسمه أو أفعاله أو أقواله » .

وقال عنه أرنست رينان : « يسوع هو أعظم عبقرى دينى عاش على الأرض . جماله خالد وملكه لن ينتهى . أنه فريد من كل جهة ، ولا يمكن مقارنته بشئ » . وكل التاريخ غير قابل للفهم بدون المسيح (٢٢) .

وقال رام : « أن يقول النجار الجليلي أنه نور العالم ، وأن يبقى هذا القول معترفاً به بعد هذه القرون الكثيرة ، أمر لا يمكن تفسيره إلا على أساس ألوهيته (٢٦) » .

واليك مقالتان مشهورتان كتبتهما فيه :

المقالة الأولى عنوانها : « حياة واحدة فريدة » تقول :

« هنا رجل ولد في قرية مغمورة لأم ريفية ، ونشأ في قرية أخرى ، وعمل في دكان نجار حتى بلغ الثلاثين من العمر ، ثم ظل ثلاث سنوات يتجول كارتزاً . ولم يمتلك في حياته بيتاً ، ولم يكتب كتاباً ، ولم يشغل وظيفة ، ولم يكون أسرة ، ولم يدرس في جامعة ، ولم يضع قدميه في مدينة كبيرة ، ولم يسافر بعيداً عن مسقط رأسه بأكثر من مائتي ميل ، ولم يعمل عملاً واحداً من تلك التي تواكب العظمة حسب مألوف العالم ، ولم

تكن له أوراق اعتماد إلا نفسه ! . . . وعندما كان شاباً وقف ضده الرأي العام ، و هرب أصحابه منه ، وأنكره واحد منهم ، وأسلمه لأعدائه ، فدخل في مهزلة المحاكمة ، وسمروه على صليب بين لصين . وبينما كان يموت قامر جلادوه على الشيء الوحيد الذى كان يملكه على الأرض : على ردائه ! وعندما مات أنزلوه ليدفنوه في قبر مستعار قدمه صديق له من باب الشفقة !

« وقد جاءت تسعة عشر قرناً طويلة ومضت ، وهو لا يزال مركز الجنس البشرى ، وقائد تقدمه . ان كل الجيوش التى سارت ، وكل الأساطيل التى بنيت ، وكل البرلمانات التى انعقدت ، وكل الملوك الذين حكموا ، كل هؤلاء مجتمعين معاً ، لم يؤثروا في حياة الناس بالقوة التى أثرت بها فيهم هذه الحياة الواحدة الفريدة . »

أما المقاتلة الثانية فعنوانها « المسيح الذى لا نظير له » وهى تقول :

« منذ تسعة عشر قرناً مضت ولد إنسان على خلاف قوانين الحياة ، عاش في فقر ونشأ مغموراً . لم يسافر بعيداً ، ولم يعبر حدود البلاد التى ولد فيها إلا كطفل طريد .

لم يملك ثروة ولا نفوذاً ، وكان أهله مغمورين . لم يتلق تعليماً رسمياً ولا تدريباً ، غير أنه في طفولته أربع ملكاً ، وفي صبوته أدهش العلماء ، وفي رجولته سيطر على زمام الطبيعة ، وسار على الأمواج كأنها طريق معبد ، وسكت البحر فهداً . شفى الجماهير بدون دواء ، ولم يتقاض مقابل لخدماته .

لم يكتب كتاباً ، ولكن كل مكاتب الدولة لا تقدر أن تسع الكتب التى كتبت عنه ، ولم يؤلف ترنيمة ولكنه أوحى بأفكار الترانيم أكثر مما فعل كل كتاب الأغاني مجتمعين ! ولم يؤسس كلية لكن كل المدارس مجتمعة معاً ليس بها من التلاميذ مثل ما له .

لم يسير جيشاً ، ولم يجند جندياً ، ولم يطلق بندقية ، ولم يكن لقائد غيره
جنود متطوعين تحت إمرته مثلاً له حتى أن العصاة المتمردين ألقوا بأسلحتهم
دون أن يطلقوا طلقة واحدة .

لم يمارس الطب النفسى ، ولكنه شفى من القلوب الكسيرة أكثر
من شفاهم كل الأطباء فى كل العالم . وتتوقف عجلة التجارة مرة كل
أسبوع لتتمكن الجماهير من أن تجد طريقها لمحال عبادته ، لتقدم له الخشوع
والإكرام .

لقد ظهرت أسماء رجال الدول المشهورين فى اليونان وروما واندثرت ،
وظهرت أسماء علماء وفلاسفة ولاهوتيين واختفت ، ولكن اسم هذا الإنسان
فى تعظيم مستمر . ومع أنه قد مضت تسعة عشر قرناً منذ صلبه ، إلا أنه
لا يزال يحيا . لم يستطع هيرودس أن يحطمه ، ولم يقدر القبر أن يمسكه !

وأنه يقف على أعلى قمة للمجد السماوى ، بإعلان واضح من الله ،
وتعترف به الملائكة ، ويتعبد له القديسون ، وتحافه الأبالسة ، لأن يسوع
المسيح الحى ، الرب والمخلص .

سابعاً – لو أن الله صار إنساناً

لأشبع جوع الناس الروحى

« طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » (متى ٥ : ٦) .

« إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب » (يوحنا ٧ : ٣٧) .

« من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد » (يوحنا

٤ : ١٤) .

« سلاماً أترك لكم . سلامى أعطيكم . ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا .
لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب » (يوحنا ١٤ : ٢٧) .

« أنا هو خبز الحياة . من يقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش
أبدآ » (يوحنا ٦ : ٣٥) .

« تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » (متى ١١ : ٢٨) .
« أتيت لتكون لهم حياة ، وليكون لهم أفضل » (يوحنا ١٠ : ١٠) .

يقول علماء النفس أن الإنسان يحتاج إلى الاتصال بشيء أكثر من نفسه ،
والديانات الكبرى شاهدة على احتياج الإنسان ، واهرامات مصر والمكسيك
ومعابد الهند نماذج لحاجة الإنسان الروحية . وقد كتب مارك توين عن فراغ
الإنسان ، « من المهد إلى اللحد لا يعمل الإنسان شيئاً إلا بهدف واحد ، وهو
أن يحصل على سلام العقل وعلى الراحة الروحية » . وقال المؤرخ فيشر :
« هناك صرخة في النفس ، لا تجدها استجابة في العالم » . وقال توما الأكويني
« إن عطش النفس للسعادة ، لا يهدأ ، وهو عطش لا يرويه إلا الله وحده ! » .
ويقول برنارد رام : « الاختبار المسيحى وحده هو الذى يجعل الإنسان
يستمتع بحرية روحه ما هو من دون الله يترك روح الإنسان عطشى جائعة
متعبة فاشلة وناقصة » (٢٦) .

ويصف شاف المسيح بالقول : « ارتفع فوق أحقاد الطائفية والتعصب
وفوق خرافات عصره وأمتة ، وخاطب قلب الإنسان العارى ولمس ما هو
حى فى الضمير » (٧) .

قال أحدهم يصف اختباره الروحى فى المسيح : « استطاع الإنسان
أن يغير عالمه بطريقة مذهلة ، ولكنه لم يقدر أن يغير نفسه . ولما كانت

هذه المشكلة في أساسها روحية ، ولما كان الإنسان بطبعه ميال للشر (كما يشهد التاريخ) فإن الطريقة الوحيدة لتغيير الإنسان تـجـيء من الله . وعندما يسلم الإنسان نفسه ليسوع المسيح ، ويخضع نفسه لإرشاد الروح القدس ، فإنه يتغير . وعلى هذا التغيير المعجزى يتوقف رجاء عالمنا المرتعب من التفجيرات النووية والنشاطات الإشعاعية التي تهدد كل سكانه » (٣١) .

وكتب ماتسون ، رئيس العلاقات العلمية لمعامل « أبوت » الطبية يقول : « مهما كانت حياتى صعبة كعالم ورجل أعمال ومواطن وزوج وأب ، فإني أرجع إلى النقطة المركزية لألتقى يسوع المسيح الذى يحفظنى ويخلصنى بقوته » (٣١) .

وقال طالب فى جامعة بتسبرج : « مهما كانت الأفراح والمسررات فى اختباراتى الماضية — مجتمعة معاً — فإنها تساوى الفرح الخاص والسلام اللذين منحهما لى الرب يسوع المسيح ، منذ أن دخل حياتى ليسودها ويوجهها » .

ويقول الدكتور مكستر أستاذ علم الحيوان فى كلية هويتون : « أن العالم الذى يتبع النظريات العلمية يفعل ذلك لأنه يؤمن بالبراهين التى وجدها . لقد صرت مسيحياً لأنى وجدت فى نفسى حاجة لا يمكن أن يشبعها غير المسيح . احتجت للغفران فأعطاه لى ، واحتجت للصحة فصار هو صديقى ، واحتجت للتشجيع فمنحه لى » (٣١) .

ويقول بول جونسون : « لقد صنع الله فراغاً خاصاً فى دواخلنا ، على صورته هو ، ولن يملأ هذا الفراغ غير الله نفسه . ربما تحاول ملئه بالمال أو العائلة أو الغنى أو القوة أو الشهرة ، أو أى شىء آخر ، ولكنه لن يمتلئ . لن يملأه غير الله ! هو وحده الذى يملؤه ويشبعه » .

ويقول وولتر هيرن من كلية أوهايو : « كثيراً ما يستغرقني نوع من الفلسفة . . . ان معرفة المسيح هي الحياة ذاتها بالنسبة لي ، ولكنها من نوع جديد « الحياة الفضلى » التي وعد بها . »

قال رجل أعمال : « طلبت من المسيح أن يأتي إلى حياتي ويسكن في ولأول مرة (١) في حياتي أختبر السلام الكامل ، لقد انتهت حياة الفراغ التي كنت أحيها إلى غير رجعة ، ولم أعد أشعر مطلقاً بأنني وحيد . »
لقد وجد كثيرون السعادة التي نشدوها في يسوع المسيح .

ثامناً - لو أن الله صار إنساناً

لكان له سلطان على الموت

لم يكن يسوع مجبراً على الموت ، فانجيل متى ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ يوضح أنه كان يملك القوة ليفعل ما يريد . وفي يوحنا ١٠ : ١٨ نجد الجواب : « ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً » . ومن هذا نرى أن يسوع مات طوعاً عن خطايا الناس .

ويقول جرفث توماس : « لم يكن موت المسيح انتحاراً ، لكنه كان طواعية . كان علينا نحن أن نتألم ، لكن لم يكن عليه هو ، وكانت كلمة واحدة منه كافية لتخليص حياته . ولم يكن موته صدفة ، فإنه كان قد سبق أن تنبأ به وجهز نفسه له بطرق مختلفة . ولم يكن موته موت مجرم ، لأنه لم يتفق اثنان من اليهود في أى اتهام موجه ضده ، وأعن بيلاطس الوالى أنه لم يجد فيه علة ، بل أن الملك هيرودس لم يجد ما يقوله ضده . فلم يكن موت المسيح إعداماً عادياً » (٢٩) .

ولم يحدث أن إنساناً في التاريخ كان له السلطان أن يسلم روحه بإرادته كما فعل المسيح (لوقا ٢٣ : ٤٦) فإن لوقا ويوحنا يصفان موت المسيح بما يفيد أن موته كان معجزياً ، فقد استودع روحه بين يدي الله بعد أن دفع أجرة الخطية بالكامل . لقد حدثت معجزة عند الجلجثة يوم الجمعة ، كما حدثت معجزة في البستان صباح أحد القيامة !

ثم كان دفن يسوع بعد موته . وتقول قصة الإنجيل : « ولما كان المساء جاء رجل غني من الرامة اسمه يوسف ، وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوع ، فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع . فأمر بيلاطس حينئذ أن يعطى الجسد » (متى ٢٧ : ٥٧ ، ٥٨) — « وجاء أيضاً نيقوديموس ، الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً ، وهو حامل مزيج مر وعود ، نحو مئة منا » (يوحنا ١٩ : ٣٩) — « فاشترى (يوسف) كتناً فأنزله وكفنه بالكثان ووضع في قبر كان منحوتاً في صخرة ، ودحرج حجراً على باب القبر ، وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع » (مرقص ١٥ : ٤٦ ، ٤٧) — « فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً وفي السبت استرحن حسب الوصية » (لوقا ٢٣ : ٥٦) — « فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر » (متى ٢٧ : ٦٦) .

ثم كانت قيامة المسيح !

ويقول وستكوت : « . . . لا توجد حادثة بأسانيد تاريخية صحيحة عديدة مثل حادثة قيامة المسيح » .

ويقول هنري موريس : « انها أهم حوادث التاريخ ومن أثبتها تاريخياً . لقد سبق للمسيح أن تنبأ بموته وقيامته ، وفي يوحنا ٢ : ١٩ قال : « انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه » .

ولم يحدث لأحد من البشر أن هزم الموت بنفسه كما فعل المسيح . ولقد قال : « أنا هو القيامة والحياة . . انى أنا حى فأنتم ستحيون » (يوحنا ١١ : ٢٥ ، ١٤ : ١٩) .

ويقول رام : « ان قيامة المسيح ضمان لقيامتنا نحن . ان شفاءه للمرضى لا يعنى أنه سيشفى كل أمراضنا الآن ، وإقامته لعازر من الموت لا تعنى خلودنا ، ولكن قيامة المسيح كباكورة الراقدين ، هى وحدها التى تفتح أبواب القبر أمام المؤمن لحياة أبدية ، فلأنه قام فسنقوم نحن » (رومية ٨ : ١١) .

وبعد قيامة المسيح استطاع التلاميذ أن يقيموا الموتى بقوته (أعمال ٩ : ٤٠ ، ٤١) . . وهكذا أعطى المسيح الحياة لآخرين بعد موته ، وهذا يعنى أنه حى (عبرانيين ١٣ : ٨) « أن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء » (أعمال ١ : ١١) .

لقد هزم المسيح — ابن الله الأزلى وفادى البشر الموعود به — الموت !

نبوات عن المسيح في العهد القديم تنحقق في المسيح

ارتكن الرسل في العهد الجديد على أمرين يبرهنان أن يسوع هو المسيح ،
أى المسيح المخلص المنتظر ، أولهما قيامته وثانيهما تحقيق نبوات العهد القديم
فيه . وقد حوى العهد القديم ، الذى كتب على مدى خمسة عشر قرناً ،
مئات عديدة من النبوات عن المسيح المخلص الآتى . وقد تحققت هذه النبوات
كلها فى يسوع ، وهذا دليل على صدق رسالته .

أولاً - هدف النبوات عن المسيح المخلص الآتى :

١ - هدفها الأول أن توضح أن الله هو الإله الحقيقى ، صاحب المعرفة
الشاملة ، والذى لا بد أن تتحقق كلماته .

« ليس الله إنساناً فيكذب ، ولا ابن إنسان فيندم . هل يقول ولا يفعل ؟
أو يتكلم ولا ينفى ؟ » (العدد ٢٣ : ١٩) .

٢ - أما الهدف الثانى فهو أن كل الأشياء خاضعة للارادة الإلهية .

« أذكروا الأوليات منذ القديم ، لأنى أنا الله وليس آخر . الإله وليس
مثلى . مخبر منذ البدء بالآخر ، ومنذ القديم بما لم يفعل ، قائلاً : رأى يقوم ،
وأفعل كل مسرقى » (أشعيا ٤٦ : ٩ ، ١٠) .

٣ - أما الهدف الثالث فهو التعريف بالمسيا حين يجرى ، لأنه فيه تتحقق

النبوات :

« بالأوليات منذ زمان أخبرت ، ومن فمى خرجت وأنبأت بها . بغتة صنعتها فأتت . . أخبرتك منذ زمان ، قبلما أتت أنبأتك . لئلا تقول : صنمى قد صنعتها ومنحوتى ومسبوكى أمر بها » (أشعياء ٤٨ : ٣ ، ٥) .

« الذى سبق فوعده به بأنبيائه فى الكتب المقدسة عن ابنه ، الذى صار من نسل داود من جهة الجسد ، وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات ، يسوع المسيح ربنا » (رومية ١ : ٢ - ٤) .

ثانياً - العهد الجديد يشير إلى النبوات القديمة :

١ - أشار المسيح إلى نبوات العهد القديم بخصوصه فى الشواهد التالية :

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض ، بل لأكمل » (متى ٥ : ١٧) .

« ثم ابتداء من موسى ، ومن جميع الأنبياء ، يفسر لها الأمور المختصة به فى جميع الكتب » (لوقا ٢٤ : ٢٧) .

« وقال لهم : هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم ، أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير » (لوقا ٢٤ : ٤٤) .

« فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى ، ولا تريدون أن تأتوا إلى لتكون لكم حياة . . لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنكم تصدقوننى ، لأنه هو كتب عنى . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك ، فكيف تصدقون كلامى ؟ » (يوحنا ٥ : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧) .

« فقد تمت فيهم نبوة أشعياء . . » (عن الأمثال فى متى ١٣ : ١٤) .

« فإن هذا هو الذى كتب عنه : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى
يهيئ طريقك قدامك » (عن يوحنا المعمدان فى متى ١١ : ١٠) .

« قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب ، الحجر الذى رفضه
البنائون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى
أعيننا » (متى ٢١ : ٤٢) .

« وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الأنبياء » . (متى ٢٦ : ٥٦) .
« وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً فى سحاب بقوة كثيرة ومجد » (مرقس
١٣ : ٢٦ مقتبسة من دانيال ٧ : ١٣ ، ١٤) .

« ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس . وجميع الذين فى المجمع
كانت عيونهم شاخصة إليه . فابتدأ يقول لهم : أنه اليوم قد تم هذا المكتوب
فى مسامعكم » (لوقا ٤ : ٢٠ ، ٢١) .

« لأنى أقول لكم إنه ينبغى أن يتم فى أيضاً هذا المكتوب : وأحصى
مع أئمة ، لأن ما هو من جهتي له انقضاء » (لوقا ٢٢ : ٣٧) .
« لكى تم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم ؛ لأنهم أبغضوني بلا سبب »
(يوحنا ١٥ : ٢٥) .

٢ — وقد أشار الرسل إلى هذه النبوات فى الشواهد التالية :

« وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح ، قد تممه
هكذا » (أعمال ٣ : ١٨) .

« له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا »
(أعمال ١٠ : ٤٣) .

« ولما تمموا كل ما كتب عنه ، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر ،
ولكن الله أقامه من الأموات » (أعمال ١٣ : ٢٩) .

« فدخل بولس إليهم حسب عادته ، وكان يحاجهم ثلاثة سبوت من
الكتب ، موضحاً ومبيناً أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات ،
وأن هذا هو المسيح يسوع الذى أنا أنادى لكم به » (أعمال ١٧ : ٢ ، ٣) .

فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً : أن المسيح مات من أجل
خطايانا حسب الكتب ، وأنه دفن ، وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب»
(١ كورنثوس ١٥ : ٣ ، ٤) .

« الذى سبق فوعده به بأنبيائه فى الكتب المقدسة » (رومية ١ : ٢) .

« لذلك يتضمن أيضاً فى الكتاب : هذا أضع فى صهيون حجر زاوية
مختاراً كريماً ، والذى يؤمن به لن ينحزى » (١ بطرس ٢ : ٦) .

« فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم : أين يولد المسيح ؟
فقالوا له : فى بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب بالنبي :

وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن
منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل » (متى ٢ : ٤ - ٦) .

٣ - وقد تحققت فى المسيح كل الأعياد الكهنوتية اليهودية فيه (جاء
ذكر هذه الأعياد فى سفر اللاويين أصحاح ٢٣) .

العيد	تحقيقه في المسيح
الفصح (ابريل)	موت المسيح (١ كورنثوس ٥ : ٧)
القطير (ابريل)	الحياة المقدسة (١ كورنثوس ٥ : ٨)
الباكورة (ابريل)	القيامة (١ كورنثوس ١٥ : ٢٣)
الخمسين (يونيو)	حلول الروح القدس (أعمال ١ : ٥ ، ٢ : ٤)
الأبواق (سبتمبر)	جمع إسرائيل (متى ٢٤ : ٣١)
الكفارة (سبتمبر)	التطهير بالمسيح (رومية ١١ : ٢٦)
المظال (سبتمبر)	الراحة والثبوت في المسيح (زكريا ٢٤ : ١٦ - ١٨)

وتحقيق هذه النبوات يدل على :

١ - هناك فكر إلهي واحد من وراء العهدين القديم والجديد .

٢ - إثبات حقيقة الله .

٣ - صحة ألوهية المسيح .

٤ - صحة وحي الكتاب المقدس .

ونحن نجد في العهد القديم نحو ٣٠٠ نبوة عن المسيح ، تحققت كلها فيه . وقد يوجه أحدهم إلينا اعتراضاً بأن هذه النبوات كتبت في زمن المسيح أو بعده بقليل ، وهكذا تبدو لنا اليوم أنها حقيقة ! .

ولكن هذا القول مردود بأن آخر أسفار العهد القديم كتب قبل المسيح بـ ٤٥٠ سنة ، كما أن ترجمة العهد القديم لليونانية (المعروفة بالسبعينية) أكملت في عهد بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م) . وان كانت الترجمة

قد تمت عام ٢٥٠ ق.م ، فلا بد أن الأصل كان موجوداً من قبل ذلك !
ويكفي هذا دليلاً على أن النبوات عن المسيح كتبت قبل مولده بمائتي
وخمسين سنة على الأقل ، وقد تحققت جميعها فيه .

ثالثاً - شهادات بأن يسوع هو المسيا الذي تحققت فيه النبوات :

١ - من نسل المرأة

النبوة	التحقيق
« وأضع عداوة بينك (الحديث للحية) وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلك . هو يسحق رأسك ، وأنت تسحقين عقبه » . (تكوين ٣ : ١٥) .	« ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس » (غلاطية ٤ : ٤ ، انظر متى ١ : ٢٠) .

« ويقدم ترجوم يهودى تكوين ٣ : ١٥ هكذا : « وأضع عداوة بينك
وبين المرأة ، وبين ابنك وابنها . سيدكر ما فعلته معه منذ البدء ، وأنت
ستراقبينه حتى النهاية » (عن ترجوم أونيكلوس) .

ويقدم الترجوم المنسوب ليوناثان تكوين ٣ : ١٥ هكذا : « وأضع
عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلك . وعندما يحفظ نسل المرأة
وصايا الناموس فإنهم يصوبون نحوك تصويماً صحيحاً ، ويضربونك على
رأسك . ولكن عندما يتركون وصايا الناموس فانك تصوبين نحوهم تصويماً
صحيحاً وتخرجين عقبهم . لكن هناك علاجاً لهم ، أما لك أنت فلا علاج .
وفي المستقبل يصنعون سلاماً مع العقب ، في أيام الملك المسيح » .

ويقول دافيد كوبر : « في تكوين ٣ : ١٥ أول نبوة عن مخلص العالم الذى يدعى « نسل المرأة » . فهنا نبوة عن الصراع الطويل بين نسل المرأة وبين نسل الحية والذى سيفوز فيه نسل المرأة . وهذا الوعد القديم يدل على الصراع بين مسيح إسرائيل ، مخلص العالم ، من جانب ، وبين الشيطان عدو النفس البشرية من جانب آخر . وهو يتنبأ بالانتصار الكامل للمسيا . ويعتقد بعض المفسرين أن حواء أدركت تحقيق هذا الوعد في التكوين ٤ : ١ عندما قالت عن قايين ابنها البكر ، « اقتنيت رجلاً من عند الرب » . لقد أدركت أن الله وعدّها بالخلاص في نسلها ، لكنها أخطأت عندما ظنت أن قايين هو ذلك المخلص . وكلام حواء في اللغة العبرية يحتمل معنى : « اقتنيت رجلاً هو الرب » ، وكأن حواء كانت تتوقع أن المخلص هو الرب » (٣٢) .

٢ - مولوداً من عذراء

النبوة	التحقيق
« ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل . (أشعيا ٧ : ١٤) .	« وجدت حبل من الروح القدس ، فيوسف . . لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ، ودعا اسمه يسوع . (متى ١ : ١٨ ، ٢٤ ، ٢٥ - انظر لوقا ١ : ٢٦ - ٣٥) .

وهناك كلمتان في العبرية تترجمان « عذراء » .

- ١ - « بتولا » عذراء لم تزوج ، وردت الكلمة في التكوين ٢٤ : ١٦ ، اللاويين ٢١ : ١٣ ، التثنية ٢٢ : ١٤ و ٢٣ و ٢٨ ، القضاة ١١ : ٣٧ ، ١ ملوك ١ : ٢ .

٢ — « علماء » فتاة في عمر الزواج ، وهي الكلمة المستعملة في أشعيا ١٤: ٧ . ولم يستخدم الروح القدس على فم أشعيا كلمة « بتولاه » لأنه كان يجب استخدام كلمة تجمع بين معنى العذراوية والعمر المناسبة للزواج لتنطبق على الواقع التاريخي المباشر والمرمى النبوي الذي يركز على ولادة المسيا من عذراء .

أما كلمة عذراء في اليونانية فهي كلمة « بارثينوس » وهي تعني : عذراء — عذراء في عمر الزواج — عذراء طاهرة (متى ١: ٢٣ ، ٢٥: ١ و ٧ و ١١ ، لوقا ١: ٢٧ ، أعمال ٢١: ٩ ، ١ كورنثوس ٧: ٢٥ و ٢٨ و ٣٤ ، ٢ كورنثوس ١١: ٢) .

وقد ترجم مترجمو السبعينية كلمة « علماء » العبرية إلى « بارثينوس » اليونانية ، فقد كان أشعيا ٧: ١٤ في مفهومهم يدل على أن المسيا سيولد من عذراء

٣ — ابن الله

النبوة	التحقيق
« اني أخبر من جهة قضاة الرب . قال لي : أنت ابني . أنا اليوم ولدتك » (مزمور ٢: ٧ — انظر ١ أخبار أيام ١٧: ١١ — ١٤ ، ٢ صموئيل ٧: ١٢ — ١٦)	« وصوت من السماء قائلا : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » (متى ٣: ١٧ — انظر متى ١٦: ١٦ ، مرقس ٩: ٧ ، لوقا ٩: ٣٥ ، ٢٢: ٧٠ ، أعمال ١٣: ٣٠ — ٣٣ ، يوحنا ١: ٣٤ ، ٣٩) .

في مرقس ٣: ١١ تحققت الشياطين أنه ابن الله .

في متى ٢٦: ٦٣ تحقق رئيس الكهنة أنه ابن الله .

يقول هستنبرج في كتابه : « المسيا في العهد القديم » : « انه لمن الحقائق الثابتة التي لاشك فيها والتي يقر بها الجميع بلا استثناء ، أن اليهود الأقدمين كانوا جميعاً يعتبرون المزمور الثاني نبوة عن المسيا » فقد أدخل « الابن البكر » إلى العالم عند التجسد (عبرانيين ١ : ٦) ولكنه أعلن أنه ابن الله الوحيد بقيامته من بين الأموات . ويعبر بولس عن هذا بقوله : « الذي صار من نسل داود حسب الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات » (رومية ١ : ٤) .

٤ - ابن ابراهيم

التحقيق

النبوة

« ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض ، من أجل أنك سمعت لقولي » (تكوين ٢٢ : ١٨ - انظر تكوين ١٢ : ٣ و ٢) .
 « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم » (متى ١ : ١) .
 « وأما المواعيد فقيلت في ابراهيم وفي نسله . لا يقول : وفي الأنسال ، كأنه عن كثيرين ، بل كأنه عن واحد : وفي نسلك ، الذي هو المسيح » (غلاطية ٣ : ١٦) .

وتتضح أهمية الأحداث التي وردت في تكوين ٢٢ : ١٨ من أن الله يقسم بنفسه هنا للمرة الوحيدة في علاقته بالآباء . ويقول متى هنري تفسيراً لهذه الآية : « في نسلك ، أي في شخص بالذات من ذريتك ، لأنه لا يتكلم ، عن كثيرين . (عن واحد كما يقول الرسول) وفي هذا الواحد تتبارك كل أمم الأرض » (أو يتبركون به راجع أشعيا ٦٥ : ١٦) .
 وهذه النبوة تحدد أن المسيا المخلص الآتي سيجيء من الجنس اليهودي .

٥ - ابن اسحق

النبوة	التحقيق
« فقال الله لإبراهيم . . . لأنه باسحق يدعى لك نسل » (تكوين ٢١ : ١٢)	« يسوع . . . ابن اسحق » (لوقا ٣ : ٢٣ ، ٣٤ - انظر متى ١ : ٢)

كان لإبراهيم ابنان : اسحق واسماعيل . وهنا يستبعد الله نصف نسل إبراهيم .

٦ - ابن يعقوب

النبوة	التحقيق
« يبرز كوكب من يعقوب ، ويقوم قضيب من إسرائيل » (العدد ٣٤ : ١٧ انظر تكوين ١٠ - ١٢)	« يسوع . . . ابن يعقوب » (لوقا ٣ : ٣٤ - انظر متى ١ : ٢) (لوقا ١ : ٣٣)

يقدم ترجوم يونانان ترجمة لتكوين ٣٥ : ١١ ، ١٢ تقول : « فقال له الرب أنا الله القدير . أثمر وأكثر . شعب مقدس وجماعة أنبياء وكهنة سيخرجون من صلبك ، كما يخرج من صلبك ملكان . والأرض التي أعطيتها لإبراهيم واسحق لك أعطيها ، ولنسلك من بعدك أعطى الأرض . »

ويقدم ترجوم أونكيلوس العدد ٢٤ : ١٧ هكذا : « يبرز ملك من يعقوب ، ويقوم المسيح من إسرائيل » .

ومن هاتين الترجمتين نرى أن اليهود رأوا أن هذه النبوة تشير إلى المسيا . وقد ثار اليهود على عهد الامبراطور هارديان (١٣٢ م) ضد الاستعمار الروماني بقيادة باركوخبا ، وأطلقوا عليه لقب « ابن الكوكب » لأنهم ظنوا

أن نبوة بلعام في العدد ٢٤ : ١٧ تحققت في زعيم الثورة « باركونيا » الذي سيخلصهم من الاستعمار الروماني ! وقد اعتقد اليهود أن « المسيا » الآتي هو داود الثاني ، لأنهم رأوا في داود انتصاراته الزمنية صورة للمسيح وانتصاراته الروحية والتي يشير إليها النبي هنا (حسب هذا التفسير) :

وقد ولد اسحق ابنين هما يعقوب وعيسو. وهنا يستبعد الله نصف نسل اسحق.

٧- من سبط (قبيلة) يهوذا

النبوة	التحقيق
« لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجله ، حتى يأتي شيلون ، وله يكون خضوع شعوب » (تكوين ٤٩ : ١٠ انظر أيضاً ميخا ٥ : ٢) .	« يسوع ... ابن يهوذا » (لوقا ٣ : ٢٣ ، ٣٣ - انظر أيضاً متى ١ : ٢ ، عبرانيين ١٤ : ٧) .

يقدم ترجوم يوناتان تكوين ٤٩ : ١٠ و ١١ هكذا « لن ينقطع الملوك
والحكام من عائلة يهوذا ، ولا معلمو الشريعة من نسله ، حتى يجيء الملك
المسيا أصغر أبنائه ، وبمعونته يجتمع الناس معاً . ما أعظم الملك المسيا الآتي
من نسل يهوذا » .

كان ليعقوب اثنا عشر ابناً ، صار كل واحد منهم قبيلة في الأمة العبرانية
وقد استبعد الله منهم إحدى عشرة قبيلة !

٨- من عائلة يسي

النبوة	التحقيق
« ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ، (أشعيا ١١ : ١ و ١ ، انظر أيضاً ميخا ٥ : ٢) .	« يسوع ... ابن يهوذا » لوقا ٣ : ٢٣ و ٣٢ - انظر متى ١ : ٦) .

والقول « من جذع يسي » يعنى أنه من بقية النسل الملكى الذى اندثر ، يقوم غصن صغير يحل محل الجذع ويحمل التاج ويبدو الغصن فى أوله ضعيفاً ، والجذع واهنا ، لكنه ينمو ويقوى . هكذا ظهر يسوع محتقراً ضعيفاً من الناصرة ، لكنه صار المخلص العظيم .

٩ - من بيت داود

النسوة	التحقيق
« وأقيم لداود غصن بر ، فيملك ملك وينجح ويجرى حقاً وعدلاً فى الأرض » (أرميا ٢٣ : ٥ - انظر صموئيل ٧ : ١٦ ، مزمور ١٣٢ : ١١) .	« يسوع ... ابن داود » (لوقا ٣ : ٢٣ و ٣١ - انظر متى ١ : ١ ، ٩ : ٢٧ ، ١٥ : ٢٢ ، ٢٠ : ٣٠ و ٣١ ، ٩ : ١٠ ، ٤٧ و ٤٨ ، لوقا ١٨ : ٣٨ و ٣٩ ، أعمال ١٣ : ٢٢ و ٢٣ رؤيا ٢٢ : ١٦) .

فى ٢ صموئيل ٧ : ١١ يوضح ناثن النبي أن الوعد ليس لداود نفسه بل لنسله ، وأن داود لن يبنى بيت الرب ، لكن الرب هو الذى سيبنى بيت (عائلة) داود .

وقد قال العالم اليهودى ميموندس أن المسيا الآتى سيكون شخصاً قابلاً للموت ، لكنه يختلف عن باقى الناس فى أنه سيكون أكثر حكمة وقوة وبهاء من البشر ، وأنه يكون من نسل داود ، ويهتم مثله بدراسة التوراة وحفظ الشريعة (٣٣) .

كان ليسى ثمانية أبناء على الأقل (١ صموئيل ١٦ : ١٠ و ١١) وقد استبعد الله سبعة منهم ، واختار داود .

١٠ - يولد في بيت لحم

النبوة

التحقيق

«أما أنت يا بيت لحم أفراثة ،
وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف
يهودا ، فنك يخرج لي الذي
يكون متسلطاً على إسرائيل
ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل»
(ميشا ٥ : ٢) .

«ولد يسوع في بيت لحم
اليهودية » (متى ٢ : ١ - انظر
يوحنا ٧ : ٤٢ ، متى ٢ : ٤ - ٨ ،
لوقا ٢ : ٤ - ٧) .

في متى ٢ : ٦٦ ، نرى أن كتبة اليهود أفادوا هيرودس عن ولادة يسوع
في بيت لحم ، وهم متأكدون ، فقد كان اليهود يعلمون أن المسيا سيولد هناك
(يوحنا ٧ : ٤٢) وكانوا يعلمون أن بيت لحم ، ومعناها بيت الخبز ، ستكون
مكان ميلاد المسيح خبز الحياة .

وها هو الله يستبعد كل مدن العالم إلا واحدة لتكون مكان دخول ابنه
الوحيد إلى العالم .

١١ - يقدمون له الهدايا

النبوة

التحقيق

«ملوك ترشيش والجزائر
يرسلون مقدمة ، ملوك شبا وسبأ
يقدموا هدية » (مزمور ٧٢ :
١٠ - انظر أشعيا ٦٠ : ٦) .

«... مجوس من المشرق قد
جاءوا إلى أورشليم ... فخرؤا
وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم
وقدموا له هدايا ... » (متى
٢ : ١ و ١١) .

الحديث المباشر عن هذه الهدايا أنها لسليمان ، لكن من مزمو ٧٢ :
 ١٢-١٥ يتضح أن النبوة هي عبارة عن المسيا. وقد سكن أهل سبأ وشبا في العربية،
 التي تدعى في الكتاب « أرض المشرق » (تكوين ٢٥ : ٦) . وتسمى العرب
 « بنو المشرق » (قضاة ٦ : ٣) . وقد جاء المحوس من المشرق بهدايا من
 نتاج بلادهم .

١٢ - الملك هيرودس يقتل الأطفال

النبوة	التحقيق
« هكذا قال الرب : صوت سمع في الرامة ، نوح ، وبكاء مر ، راحيل تبكي على أولادها ، وتأبى أن تتعزى عن أولادها ، لأنهم ليسوا بموجودين » (أرميا ٣١ : ١٥)	« حينئذ لما رأى هيرودس أن المحوس سخرؤا به ، غضب جداً ، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم ، وفي كل تخومها ، من ابن سنتين فما دون ، بحسب الزمان الذي تحققه من المحوس » (متى ٢ : ١٦) .

يتكلم أرميا عن أحزان السبي في (أرميا ٣١ : ١٧ ، ١٨) ، فما صلة
 هذا بقتل هيرودس لأطفال بيت لحم ؟ ترى هل أخطأ متى فهم ما قصده
 أرميا ؟ أم أن قتل الأطفال يشبه قتل أبرياء يهوذا وإسرائيل ؟

كلا بكل يقين ! ان الحديث في أرميا ٣٠ : ٢٠ إلى ٣٣ : ٢٦ حديث
 نبؤى عن المسيا ، وتحدث الاصحاحات الأربعة عن اقتراب خلاص الرب ،
 وعن مجيء المسيا الذي سيقم مملكة داود على عهد جديد أساسه مغفرة الخطايا
 (٣١ : ٣١ - ٣٤) وفي هذه المملكة سيجد كل حزين تعزيتة (أعداد
 ١٢ - ١٤ و ٢٥) . وكنموذج لهذا يعطى الله تعزية للأمم التي فقدن
 أطفالهن لأجل المسيح .

١٣ - وجود المسيح الأزلى

النبوة	التحقيق
« أما أنت يا بيت لحم أفراته ، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهودا ، فنلك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزل » (ميخا ٥ : ٢ - انظر أشعيا ٩ : ٦ و ٧ ، ٤١ : ٤ ، ٤٤ : ٦ ، ٤٨ : ١٢ ، مزمور ١٠٢ : ٢٥ ، أمثال ٨ : ٢٢ ، ٢٣) .	« الذى هو قبل كل شىء » وفيه يقوم الكل » (كولوسى ١ : ١٧ - انظر يوحنا ١ : ٢ ، ١ : ٨ : ٥٨ ، ١٧ : ١ ، ٢ : ٨ ، ٢٢ : ١٣)

ويقول هستنبرج عن ميخا ٥ : ٢ « هنا نجد تأكيداً بأن المسيح كائن منذ الأزل - قبل مولده الزمنى فى بيت لحم - فهو الأزلى الأبدى » .

١٤ - يدعى رباً

النبوة	التحقيق
« قال الرب لربى : أجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » (مزمور ١١٠ : ١ - انظر أرميا ٢٣ : ٦) .	« ولد لكم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لوقا ٢ : ١١) « وقال لهم : كيف يقولون أن المسيح ابن داود ، وداود نفسه يقول فى كتاب المزامير : قال الرب لربى أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . فإذا داود يدعوهُ رباً ، فكيف يكون ابنه ؟ » (لوقا ٢٠ : ٤١ - ٤٤) .

في مدراس تهليم عن المزامير (٢٠٠ - ٥٠٠ م) ، في تفسير لمزمور
 ٢١ : ١ « الله يدعو الملك المسيا باسمه هو . لكن ما هو اسمه ؟ الإجابة :
 الرب (يهوه) رجل الحرب » (خروج ١٥ : ٣) .
 ونقرأ في أرميا (٢٣ : ٦) : « وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب
 (يهوه) . . . »
 ونحن نلاحظ أن داود يدعو المسيا (رباً) وليس ربه هو فقط ، فالمسيا
 رب العالمين .

١٥ - هو « عمانوئيل » (الله معنا)

النبوة	التحقيق
« ولكن يعطيكم السيد نفسه آية : ها العذراء تحبل وتلد ابناً ، وتدعو اسمه عمانوئيل » (أشعياء ٧ : ١٤) .	« هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل ، الذي تفسيره الله معنا » (متى ١ : ٢٣ - أنظر لوقا ٧ : ١٦) .

ويقول دليتس ، تعليقاً على أشعياء ٩ : ٦ ، ان « ايل » الموجودة في آخر
 الاسم « عمانوئيل » هو اسم الله ، كما يورده أشعياء في نبواته . والنبي واع تماماً
 بالتناقض بين « ايل » وبين « آدم » كما في اصحاح ٣ : ٣ (قارن هوشع ١١ : ٩)

١٦ - سيكون نبياً

النبوة	التحقيق
« أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » (التثنية ١٨ : ١٨) .	« فقالت الجموع : هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل » (متى ٢١ : ١١ - أنظر لوقا ٧ : ١٦ ، يوحنا ٤ : ١٩ ، ٦ : ١٤ ، ٧ : ٤٠) .

قال ميموندس ، عالم الدين اليهودي : « سيكون المسيا نبياً عظيماً أعظم من كل الأنبياء باستثناء معلمنا موسى ، وسيكون أعظم مكانة وشرفاً منهم جميعاً ، إلا موسى . وسيختصه الله الخالق بمميزات لم يختص بها موسى وحده ، لأنه قيل عنه « ولذته تكون في مخافة الرب ، فلا يقضى بحسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه » (أشعيا ١١ : ٣) .

ولقد كان المسيح مثل موسى :

- ١ - نجا من موت قاس في طفولته .
- ٢ - قبله أن يكون مخلصاً لشعبه (خروج ٣ : ١٠) .
- ٣ - عمل وسيطاً بين يهوه وشعبه (خروج ١٩ : ١٦ ، ١٦ : ٢٠ ، ١٨ : ١٨)
- ٤ - شفع في الخطاة (خروج ٣٢ : ٧ - ١٤ و ٣٣ ، العدد ١٤ : ١١ - ٢٠) .

وقالت السامرية للمسيح : « يا سيد أرى أنك نبي » (يوحنا ٤ : ١٩) . وقد كان اليهود يتوقعون أن يكون المسيا نبياً كموسى (كما جاء التثنية ١٨) كما كانوا يتوقعون أن يكون صانع معجزات . « لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبیسوع المسيح صاراً » (يوحنا ١ : ١٧) .

١٧ - كاهن

النسوة	التحقيق
« أقسم الرب ولن يندم : أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق » (مزمو ١١٠ : ٤)	« لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع » (عبرانيين ٣ : ١) .
« كذلك المسيح أيضاً لم يمجده نفسه ليصير رئيس كهنة ، بل الذي قال له : أنت ابني ، أنا اليوم	

ولدتك ، كما يقول أيضاً في موضع
آخر : أنت كاهن إلى الأبد على
رتبة ملكي صادق » (عبرانيين
٥ : ٥ و ٦) .

لم يكن كهنوت هرون في العهد القديم بقسم من الله ، لكن كهنوت
المسيا المخلص الآتي ، بقسم لا رجوع فيه « على شبه ملكي صادق ... ليس
بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حياة لا تزول » (عبرانيين
٧ : ١٥ و ١٦) وفي هذا الوعد بقسم من الله الآب الله الابن ما يريح قلوب
أولاد الله . ولقد حاول الملك عزريا أن يقوم بعمل الكاهن ، فعاقبه الله ، مما
يثبت أن داود لا يمكن أن يكون الملك الكاهن (٢ أخبار ٢٦ : ١٦ - ٢١)
وقسم الله يبين أن الملك الكاهن لا مثيل له ، فإن داود مات ، لكن هذا
الكاهن على رتبة ملكي صادق حي إلى الأبد . ويصف زكريا ٦ : ٩ - ١٥
المسيا بالقول « يجلس ويتسلط على كرسيه ، ويكون كاهناً على كرسيه » .

١٨ - قاض

النبوة	التحقيق
« فإن الرب قاضياً . الرب شارعنا . الرب ملكنا ، هو يخلصنا » . (أشعيا ٣٣ : ٢٢) .	« كما أسمع أدين ودينونتي عادلة ، لأنني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني » (يوحنا ٥ : ٣٠ - أنظر ٢ تيموثاوس ٤ : ١) .

يقول الترجوم : « فإن الرب قاضينا الذي أخرجنا من مصر بقوته .
الرب معلمنا الذي أعطانا تعليمات شريعته في سيناء . الرب ملكنا الذي يخلصنا
وينتقم لنا من أعدائنا جوج » .

وقد اعتقد اليهود أنه القاضى . . معطى الشريعة . . الملك « حكم الله »
(الثيوقراطية) المثالى الذى يتحقق فى عهد المسيا وحده الذى سيمارس بنفسه
كالمملك السلطة القضائية والتشريعية والتنفيذية أصحاحات ١١ : ٤ ، ٣٢ : ١) .

١٩ - الملك

النبوة	التحقيق
« أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى » (مزمور ٢ : ٦ - انظر زكريا ٩ : ٩ ، أرميا ٢٣ : ٥)	« وجعلوا فوق رأسه عتسه مكتوبة : هذا هو يسوع ملك اليهود » (متى ٢٧ : ٣٧ - أنظر متى ٢١ : ٥ ، يوحنا ١٨ : ٣٣ - ٣٨) .

٢٠ - مسحة خاصة من الروح القدس

النبوة	التحقيق
« ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة وخفاة الرب » (أشعيا ١١ : ٢ انظر مزمور ٤٥ : ٧ ، أشعيا ٤٢ : ١ ، ٦١ : ١ و ٢) .	فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء ، وإذا السموات قد انفتحت له ، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتياً عليه ، وصوت من السماء قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (متى ٣ : ١٦ و ١٧ - انظر متى ١٢ : ١٧ - ٢١ ، مرقس ١ : ١٠ و ١١ لوقا ٤ : ١٥ - ٢١ و ٤٣ ، يوحنا ١ : ٣٢) .

٢١ - غيرة للرب

النبوة	التحقيق
« لأن غيرة بيتك أكلتني وتعيرات معيريك وقعت على » (مزمور ٦٩ : ٩) .	« فصنع سوطاً من جبال وطرده الجميع من الهيكل ... وقال ... ارفعوا هذه من ههنا . لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة » (يوحنا ٢ : ١٥ - ١٧) .

وفي العدد السابع من المزمور ٦٩ يقول : «لأني من أجلك لقد امتلأ»
المسيح غيرة ضد الفساد الذي في الهيكل ، فطرد الباعة . وقد أثار هذا غضب
المستولين عن الفساد ، ف وقعت تعيراتهم الموجهة إلى الله عليه .
(انظر أيضاً المزمور ١١٩ : ١٣٩) .

٢٢ - يسبقه رسول

النبوة	التحقيق
« صوت صارخ في البرية : أعدوا طريق الرب . قوموا في الفقر سيلا لإلهنا » (أشعيا ٤٠ : ٣ - انظر ملاخي ٣ : ١) .	« جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً : توبوا لأنه قد اقرب ملكوت السموات » (متى ٣ : ١ و ٢ - انظر متى ٣ : ٣ ، ١١ : ١٠ ، يوحنا ١ : ٢٣ ، لوقا ١ : ١٧) .

٢٣ - تبدأ خدمته في الجليل

النبوة

« ولكن لا يكون ظلام للتي
عليها ضيق . كما أمان الزمان
الأول أرض زبولون وأرض نفتالي
يكرم الأخير طريق البحر ، عبر
الأردن ، جليل الأمم » (أشعياء
٩ : ١) .

التحقيق

« ولما سمع يسوع أن يوحنا
أسلم انصرف إلى الجليل ، وترك
الناصرة . وأتى فسكن في كفر
ناحوم التي عند البحر ، في تخوم
زبولون ونفتاليم ... من ذلك الزمان
ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا
لأنه قد اقترب ملكوت السموات
(متى ٤ : ١٢ و ١٣ و ١٦) .

٢٤ - خدمته خادمة معجزات

النبوة

« حينئذ تتفتح عيون العمى ،
وآذان الصم تفتح . حينئذ يقفز
الأعرج كالأيل ، ويترنم لسان
الأخرس » (أشعياء ٣٥ : ٥ و ٦
- انظر أشعياء ٣٢ : ٣ ، ٤) .

التحقيق

« وكان يسوع يطوف المدن
كلها والقرى يعلم في مجامعها ،
ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفي
مرض وكل ضعف في الشعب ،
(متى ٩ : ٣٥ ، أنظر متى ٩ : ٣٢
و ٣٣ ، ١١ : ٤-٦ ، مرقس ٧ :
٣٣-٣٥ ، يوحنا ٥ : ٩-٩ ، ٩ :
٦-١١ ، ١١ : ٤٣ و ٤٤ و ٤٧) .

٢٥ - يعلم بأمثال

النبوة	التحقيق
« أفتح بمثل فى . أذيع ألغازاً منذ القدم » (مزمور ٧٨ : ٢) .	« هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال . وبدون مثل لم يكن يكلمهم... » (متى ١٣ : ٣٤) .

٢٦ - كان يجب أن يدخل الهيكل

النبوة	التحقيق
« ويأتى بعتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه ... » (ملاخى ٣ : ١)	« ودخل يسوع إلى هيكل الله ، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل » (متى ٢١ : ١٢) .

٢٧ - يدخل أورشليم راكباً حماراً

النبوة	التحقيق
« ابتهجى جداً يا ابنة صهيون . اهتنى يا بنت أورشليم . هوذا ملكك يأتى إليك ، هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمارا وعلى جمحش ابن أتان » (زكريا ٩ : ٩) .	« وأتيا به إلى يسوع وطرحا ثيابهما على الجمحش وأركبا يسوع . وفيا هو سائر فرشوا ثيابهم فى الطريق ، لما وقرب عنسد منحدر جبل الزيتون ... » (لوقا ١٩ : ٣٥-٣٧-انظر متى ٢١ : ٦-١١) .

٢٨ - حجر عثرة لليهود

النبوة

« الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية » (مزمور ١١٨ : ٢٢ - انظر أشعيا ٨ : ١٤ ، ٢٨ : ١٦) .

التحقيق

« فلکم أنتم الذين تؤمنون الكرامة ، وأما للذين لا يطيعون فالحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية » (١ بطرس ٢ : ٧ - أنظر رومية ٩ : ٣٢ و ٣٣) .

٢٩ - نور للأمم

النبوة

« فتسير الأمم في نورك ، والملوك في ضياء إشراقتك » (أشعيا ٦٠ : ٣ - أنظر أشعيا ٤٩ : ٦) .

التحقيق

« لأنه هكذا أوصانا الرب : قد أقتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض . فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب » (أعمال ١٣ : ٤٧ و ٤٨ - انظر أعمال ٤٦ : ٢٣ ، ٢٨ : ٢٨) .

٣٠ - القيامة

النبوة

« لأنك لن تترك نفسك في الهاوية لن تدع ثقلك يرى فساداً » (مزمور ١٦ : ١٠ - انظر مزمور ٣٠ : ٣ ،

التحقيق

« سبق فرأى وتكلم عن قيامه المسيح ، أنه لم تترك نفسه في الهاوية ، ولا رأى جسده فساداً ،

٤١ : ١٠ ، ١١٨ : ١٧ ، هوشع (أعمال ٢ : ٣١ - انظر أعمال
٦ : ٢) .
١٣ : ٣٣ ، لوقا ٢٤ : ٤٦ ، مرقس
١٦ : ٦ ، متى ٢٨ : ٦) .

ويقول التلمود البابلي : « لكل إسرائيل نصيب في العالم الآتي ، لأنه
مكتوب : « شعبك كلهم أبرار . إلى الأبد يرثون الأرض ، غصن غرسي
عمل يدي لأتمجده » . ولكن لا نصيب لمن يعتقد أن القيامة ليست تعلماً كتابياً ،
أو أن التوراة غير موحى بها من الله .

٣١ - الصعود

النبوة	التحقيق
« صعدت إلى العلاء »	« ارتفع وهم ينظرون ، وأخذته
(مزمور ٦٨ : ١٨) .	سحابة عن أعينهم » (أعمال ١ : ٩)

٣٢ - الجلوس عن يمين الله

النبوة	التحقيق
« قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً	« بعد ما صنع بنفسه تطهيراً
لقدميك » (مزمور ١١٠ : ١) .	لخطايانا جلس في يمين العظمة في
	الآعلى » (عبرانيين ١ : ٣ - انظر
	مرقس ١٦ : ١٩ ، ٢ : ٣٤ و ٣٥)

نبوات عديدة تتحقق في يوم واحد :

ملاحظة : هناك ٢٩ نبوة في العهد القديم تتحدث عن تسليم المسيح
ومحاكمته وموته ودفنه ، تنبأت عنها أصوات مختلفة خلال خمسة قرون من
١٠٠٠ - ٥٠٠ ق م ، وتحققت كلها حرفياً في أربع وعشرين ساعة من
الزمان .

٣٣ - خانه صديق

النسوة	التحقيق
« رجل سلامتي الذي وثقت به أكل خبزي ، رفع على عقبه » (مزمور ٤١ : ٩ - انظر مزمور ٥٥ : ١٢ - ١٤) .	« ... يهوذا الأسخريوطي الذي أسلمه » (متى ١٠ : ٤ - انظر متى ٢٦ : ٤٩ و ٥٠ ، يوحنا ١٣ : ٢١) .

٣٤ - بيع بثلاثين من الفضة

النسوة	التحقيق
« فقلت لهم : ان حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي ، وإلا فامتنعوا فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة » (زكريا ١١ : ١٢) .	« وقال : ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة » (متى ٢٦ : ١٥ - أنظر متى ٢٧ : ٣) .

٣٥ - إلقاء المال في بيت الله

النسوة	التحقيق
« فقال لي الرب : ألقها إلى الفخاري ، الثمن الكريم الذي ثمنوني به . فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب » (زكريا ١١ : ١٣) .	فطرح الفضة في الهيكل وانصرف » (متى ٢٧ : ٥) .

٣٦ - الثمن دفع لحقل الفخاري

النسوة	التحقيق
« .. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب » (زكريا ١١ : ١٣) .	« فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري ، مقبرة للغرباء » (متى ٢٧ : ٧) .

وفي النبوات الأربع الماضية تحققت النبوات التالية :

- ١ - الحيانة .
 - ٢ - من صديق .
 - ٣ - بثلاثين (ليس ٢٩ مثلاً) .
 - ٤ - من الفضة (وليس الذهب) .
 - ٥ - ألقيت (وليس وضعت) .
 - ٦ - في بيت الرب .
 - ٧ - واستخدم المال لشراء حقل الفخاري .
- ٣٧ - تلاميذه يتركونه

النبوة	التحقيق
« اضرب الراعي فتشتت الغنم »	« فتركه الجميع وهربوا »
(زكريا ١٣ : ٧) .	(مرقس ١٤ : ٥٠ - انظر متى
	٢٦ : ٣١ ، مرقس ١٤ : ٢٧) .

فسر المسيح نبوة زكريا عن تلاميذه ، فهم الغنم وهو الراعي (متى ٢٦ : ٣١ ، مرقس ١٤ : ٢٧) . وقد تحققت النبوة ، لكن الراعي لم يترك الغنم ، فإن الرب نفسه - عاملاً في رحل رفقته وبواسطته (يو ٥ : ١٩ و ٣٠) سيرد يده (أى سيساعد) على الصغار (أى تلاميذه المرتعبين (لوقا ٢٤ : ٤ و ١١ و ١٧ و ٣٧) (يوحنا ٢٠ : ٢ و ١١ و ١٩ و ٢٦) ، وهكذا أصبح هؤلاء المرتعبين شجعاناً كارزين بملكوت المسيح .

٣٨ - يشهدون ضده زوراً

النبوة	التحقيق
« شهداء زور يقومون ، وعمّا لم أعلم يسألونني » (مزمور ٣٥ : ١١) .	« وكان رؤساء الكهنة والشيّوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه ، فلم يجدوا . ومع أنّه جاء شهداء زور كثيرون لم يجدوا . ولكن أخيراً تقدم شاهداً زور وقالوا : هذا قال إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه » (متى ٢٦ : ٥٩ - ٦١) .

٣٩ - صامت أمام متهميه

النبوة	التحقيق
« ظلم أما هو فتدلل ولم يفتح فاه » (أشعيا ٥٣ : ٧) .	« وبينما كان رؤساء الكهنة والشيّوخ عليه لم يجب بشيء » (متى ٢٧ : ١٢ - ١٩) .

٤٠ - مجروح ومسحوق

النبوة	التحقيق
« وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه ، وبحبره شفينا » (أشعيا ٥٣ : ٧ - انظر زكريا ١٣ : ٦) .	« حينئذ أطلق لهم باراباس ، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب » (متى ٢٧ : ٢٦) .

وعلى الصليب ، من رأسه المكلل بالشوك إلى قدميه المسمرتين على الحشبة
كان جسده كله مجروحاً ومسحوقاً ودامياً .

٤١ - مضروب ومشول عليه

النبوة	التحقيق
« بذلت ظهري للضاربين وخدي للمتألمين . وجهي لم أستر عن العار والبصق » (أشعياء ٥٠ - ٦ أنظر ميخا ٥ : ١) .	« حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه ، وآخرون لطموه » (متى ٢٦ : ٢٧ - انظر لوقا ٢٢ : ٦٣) .

٤٢ - سخروا منه

النبوة	التحقيق
« كل الذين يرونني يسهزون بي . يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجيه . لينقذه لأنه سر به » (مزمور ٢٢ : ٧ ، ٨) .	« وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب » (متى ٢٧ : ٣١) .

٤٣ - سقط تحت حمل الصليب

النبوة	التحقيق
« ركبتي ارتعشتا من الصوم ولحمي هزل عن سمن . وأنا صرت عاراً عندهم . ينظرون إلى وينفضون رؤوسهم » (مزمور ١٠٩ : ٢٤ و ٢٥) .	« فخرج وهو حامل صليبه » (يوحنا ١٩ : ١٧) « ولما مضوا به أمسكوا سمعان ، رجلاً قبروانياً . . ووضعوا عليه الصليب خلف يسوع » (لوقا ٢٣ : ٢٦ - انظر متى ٢٧ : ٣١ و ٣٢) .

حمل يسوع صليبه ، ولما ارتعشت ركبتاه تحت الحمل ، سخرُوا
سيمعان ليحمله عوضاً عنه .

٤٤ - ثقب يديه ورجليه

النبوة	التحقيق
« ثقبوا يدي ورجلي »	« ولما مضوا به إلى الموضع
(مزمور ٢٢ : ١٦ - انظر زكريا	الذي يدعى جمجمة صليبه »
(١٢ : ١٠) .	(لوقا ٢٣ : ٣٣ انظر يوحنا ٢٠ :
	٢٥) .

صلب يسوع بالطريقة الرومانية ، التي فيها تثقب اليدان والقدمان
بالمسامير الخشنة لتعلق الجسد على الخشبة .

٤٥ - يصلب بن اللصوص

النبوة	التحقيق
« سكب للموت نفسه ، وأحصى	« حينئذ صلب معه لصان .
مع أثمة » (أشعيا ٥٣ : ١٢) .	واحد عن اليمين وواحد عن
	اليسار » (متى ٢٧ : ٣٨ - انظر
	مرقس ١٥ : ٢٧ ، ٢٨) .

لم يكن قانون العقوبات اليهودي يعرف الصلب ، ولكنهم كانوا يعلقون
الزاني والمجذوف على شجرة بعد موته بالرجم ، كملعون من الله ، كما تقول
التثنية ٢١ : ٢٣ « المعلق ملعون من الله » . وقد طبق اليهود هذه الآية على
المصلوب . وإذا كان الصلب يعتبر - في أعين العالم الوثني - أحقر وأحط
وسيلة للقصاص ، فإن اليهود - فوق كل ذلك - كانوا يعتبرون المصلوب
ملعوناً أيضاً من الله . ولم يقبل اليهود موت الصليب إلا تحت الحكم الروماني
فقد كانوا يجرون الاعدام بالرجم .

ومن هذا نرى أن نبوة أشعيا ٥٣ ومزمور ٢٢ عن الصليب شيئاً غريباً على اليهود ، الذين لم يعرفوا الصليب إلا بعد هذه النبوات بمئات السنين .

٤٦ - صلي لأجل صاليه

النبوة	التحقيق
« وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين » (أشعيا ٥٣ : ١٢) .	« يا أبتاه أغفر لهم ، لأنهم لم يعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) .

لقد بدأ شفاعته على الصليب (لوقا ٢٣ : ٣٤) وهو يستمر فيها في السماء (عبرانيين ٩ : ٣٤ ، يوحنا ٢ : ١) .

٤٧ - رفضه شعبه

النبوة	التحقيق
« محتقر ومخذول من الناس . رجل أوجاع ومختبر الحزن . وكسرت عنه وجوهنا ، ومحتقر فلم نعتد به » (أشعيا ٥٣ : ٣ - انظر مزمور ٦٩ : ٨ ، ١١٨ : ٢٢) .	« لأن اخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به » (يوحنا ٧ : ٥) . « ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به ؟ » (يوحنا ١١ : ٤٨ : ٧) (انظر يوحنا ١ : ١١ : ٢٢) .

٤٨ - مكروه بلا سبب

النبوة	التحقيق
« أكثر من شعر رأسي السدين يبغضونني بلا سبب » (مزمور ٦٩ : ٤ - انظر أشعيا ٤٩ : ٧) .	« ولكن لكي تم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب » (يوحنا ١٥ : ٢٥) .

٤٩ - وقف أصحابه بعيداً عنه

النبوة	التحقيق
« أحبائي وأصحابي يقفون تجاهي ضربتي ، وأقاربى وقفوا بعيداً » (مزمور ٣٨ : ١١) .	« وكان جميع معارفه ، ونساء كن قد تبعنه من الجليل ، واقفين من بعيد ينظرون ذلك » (لوقا ٢٣ : ٤٩ - انظر مرقس ١٥ : ٤٠ ، ٢٧ : ٥٥ ، ٥٦) .

٥٠ - الناس يهزون رؤوسهم

النبوة	التحقيق
« وأنا صرت عاراً عندهم . ينظرون إلى وينغضون رؤوسهم » (مزمور ١٠٩ : ٢٥ - انظر مزمور ٢٢ : ٧) .	« وكان المحتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم » (متى ٢٧ : ٣٩) .

وهز الرأس علامة على أنه لا رجاء للمتألم في النجاة ، وأن ناظره
يسخرون منه (أيوب ١٦ : ٤ ، مزمور ٤٤ : ١٤) .

٥١ - ينظرون إليه

النبوة	التحقيق
« أحصى كل عظامي ، وهم ينظرون ويتفرسون في » (مزمور ٢٢ : ١٧) .	« وكان الشعب واقفين ينظرون (لوقا ٢٣ : ٣٥) .

٥٢ - على ثوبه يقرعون

النبوة	التحقيق
« يقسمون ثيابي بينهم ، وعلى لباسي يقرعون » (مزمور ٢٢ :	« فقال بعضهم لبعض : لانشقه بل نقترع عليه لمن يكون ، ليتم الكتاب القائل : اقتسموا ثيابي بينهم ، وعلى لباسي ألقوا قرعة . هذا فعله العسكر » (يوحنا ١٩ : ٢٣ ، ٢٤) .

لقد أخذ العسكر ثياب يسوع وجعلوها أربعة أقسام ، لكل عسكري قسماً ، وأخذوا القميص أيضاً ، وكان القميص منسوجاً من قطعة واحدة بغير خياطة ، فلم يمزقوه بل ألقوا عليه قرعة .

٥٣ - يعطش

النبوة	التحقيق
« وفي عطشي يسقونني خلا » (مزمور ٦٩ : ٢١) .	« بعد هذا قال (يسوع) عطشان » (يوحنا ١٩ : ٢٨) .

٥٤ - يعطونه الخل والمر

النبوة	التحقيق
« ويجعلون في طعامي علقماً ، وفي عطشي يسقونني خلا » (مزمور ٦٩ : ٢١) .	« أعطوني خلا ممزوجاً بمرارة ليشرّب » (متى ٢٧ : ٣٤ - انظر يوحنا ١٩ : ٢٨ ، ٢٩) .

أعطوه ليشرّب مخدراً للتخفيف عن آلامه من قبيل الرحمة ، لكنه رفض أن يشرب . قدم الخل ليسوع مرتين : المرة الأولى كان ممزوجاً بمرارة

(متى ٢٧ : ٣٤) أو بمر (مرقس ١٥ : ٢٣) ولكنه لما ذاق لم يرد أن يشرب لأنه لم يشأ أن يتحمل الآلام وهو مخدر من تأثير المر . ولكي يتم الكتاب قال : « أنا عطشان » فقدموا له خلا ليشرب (يوحنا ١٩ : ٢٨ ، متى ٢٧ : ٤٨) .

٥٥ - صرخته وحده

النبوة	التحقيق
« إلهي إلهي ، لماذا تركتني ؟ »	« نحو الساعة التاسعة صرخ
(مزمور ٢٢ : ١) .	يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلي
	إيلي لما شبقنتي ؟ أي : إلهي إلهي
	لماذا تركتني ؟ » (متى ٢٧ : ٤٦) .

لقد تكررت عبارة « إلهي » ثلاث مرات في المزمور الثاني والعشرين وكأنه يريد أن يعلن بقوة أن الله هو إلهه رغم كل الظروف التي تناقض ذلك . لقد حولت تلك الصرخة أنظار الناس إلى المزمور الثاني والعشرين فهو نبوة صريحة عن الصليب .

٥٦ - يستودع نفسه الله

النبوة	التحقيق
« في يدك أستودع روحي »	« ونادى يسوع بصوت عظيم
(مزمور ٣١ : ٥) .	وقال : يا أبتاه في يدك أستودع
	روحي » (لوقا ٢٣ : ٤٦) .

٥٧ - عظامه لم تكسر

النبوة	التحقيق
« يحفظ جميع عظامه ، واحد منها لا ينكسر » (مزمور ٣٤ : ٢٠) .	« وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات » (يوحنا ١٩ : ٣٣) .

وهناك نبوتان أخريان عن عظام يسوع :

١ - « انفصلت كل عظامي » (مزمور ٢٢ : ١٤) وهذا يصدق على ميتة الصليب .

٢ - « أحصى كل عظامي » (مزمور ٢٢ : ١٧) فإن عظام المصلوب النافرة يمكن أن ترى وتعد .

٥٨ - انكسر قلبه

النبوة	التحقيق
« صار قلبي كالشمع . قد ذاب في وسط أمعائي » (مزمور ٢٢ : ١٤) .	« لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة . وللوقت خرج دم وماء » (يوحنا ١٩ : ٣٤) .

خروج الدم والماء من جنبه المطعون برهان على انفجار قلبه .

٥٩ - جنبه المطعون

النبوة	التحقيق
« ينظرون إلى الذي طعنوه » (زكريا ١٢ : ١٠) .	« لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة » (يوحنا ١٩ : ٣٤) .

٦٠ - ظلمة على الأرض

النبوة	التحقيق
« ويكون في ذلك اليوم ، يقول السيد الرب ، انى أغيب الشمس في الظهر ، وأقم الأرض في يوم نور » (عاموس ٨ : ٩) .	« ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة » (متى ٢٧ : ٤٥) .

الساعة السادسة عند اليهود ، هى ساعة الظهر ، لأنهم كانوا يحسبون الوقت من شروق الشمس إلى مغيبها (اثني عشرة ساعة) .

٦١ - دفن في قبر غنى

النبوة	التحقيق
« وجعل مع الأشرار قبرة ، ومع غنى عند موته » (أشعيا ٥٣ : ٩) .	« جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف . . وطلب جسد يسوع ، فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى ، ووضع في قبره الجديد » (متى ٢٧ : ٥٧ - ٦٠) .

رابعاً - النبوات التى تحققت تبرهن أن يسوع هو المسيا ، المسيح ، ابن الله

هناك بعض الاعتراضات على ما ذكرناه . . هى :

١ - النبوات التى تحققت فى المسيح كانت مقصودة مدبرة :

وللاجابة على ذلك نقول أن الكثير من النبوات التى تحققت لم تكن فى طوق البشر ، أن يتحكموا فيها ، مثل :

- مكان الميلاد (ميخا ٥ : ٢) .
- وقت الميلاد (دانيال ٩ : ٢٥ ، ، تكوين ٤٩ : ١٠) .
- طريقة الميلاد (أشعيا ٧ : ١٤) .
- خيانة يهوذا له .
- طريقة موته (مزمور ٢٢ : ١٦) .
- مواقف الناس من موته (السخرية – البصق – النظر) .
- طعن جنبه .
- دفنه .

٢ – النبوات التي تحققت في المسيح كانت محض صدفة :

يقول النقاد إننا نجد بعض النبوات تحققت في كيندي أو غيره مثلاً . . . وللإجابة نقول إننا قد نجد نبوة أو اثنتين تصدقان عن شخص ما ، لكن كيف نتحقق ٦٠ نبوة كبرى ؟ ! ولو أن هناك شخصاً – من الأحياء أو الأموات . غير يسوع ، تحققت فيه نصف النبوات التي قيلت في المسيا فإن جون ملداو صاحب شركة النشر « كرسنيان فكتوري » في دنفر مستعد أن يعطي ألف دولار لمن يكشف عنه !

وقد قام بعض العلماء بحسابات – بناء على نظرية « الاحتمالات » – عن احتمال تحقيق ثمانية من هذه النبوات ، فوجد أن احتمال تحقيق الثمانية معاً في شخص واحد تتحقق في شخص من كل ١٧١٠ (أي واحد أمامه ١٧ صفراً) . ولتصوير هذه الحقيقة نقول اننا لو أحضرنا ١٧١٠ من الدولارات الفضية وفرشناها على أرضية ولاية تكساس الأمريكية لغطينا كل أرض الولاية بعمق ٦٠ سنتماً ! والآن : نخذ واحداً من هذه الدولارات وضع عليه

علامة ، واخلطه مع بقية الدولارات وانثرها في كل الولاية غط عيني واطلب منه أن يسافر حيثما يشاء ، ليستخرج هذا الدولار بالذات أى فرصة تكون أمامه ليجد هذا الدولار ؟ هكذا كانت الفرصة أمام الأنبياء وهم يكتبون هذه النبوات ثم تتحقق هذه النبوات الثمانية في شخص واحد . . . هذا لو أنهم كتبوا هذه النبوات بحكمهم الأرضية ! .

لابد أن الله كان من خلف هذه النبوات ، فإن فرصة صدق الأنبياء في تحقيق ثمانية من نبواتهم بطريق الصدفة — في شخص واحد — هي فرصة واحدة في كل ١٧١٠ فرصة ! !

أما فرصة تحقيق ٤٨ نبوة بالصدفة في شخص واحد فهي فرصة واحدة في كل ١٥٧١٠ فرصة ولنعط مثلاً . . لنقل أننا نختار الكترون . . . ولو وضعنا الكترونات عددها ٢,٥ — ١٥١٠ لصنعنا سطرأ رقيقاً طوله بوصة واحدة ! ! ولو حاولنا احصاء هذه الالكترونات بواقع ٢٥٠ الكترونات كل دقيقة ، واستمر العد ليلاً ونهاراً لاستغرقنا ١٩ مليون سنة ونحن نحصى الالكترونات في هذه البوصة الواحدة أما إذا أخذنا بوصة مكعبة من هذه الالكترونات وحاولنا عددها بمعدل ٢٥٠ الكترونات في الدقيقة لاستغرقنا ١٩ مليون سنة \times ١٩ مليون سنة \times ١٩ مليون سنة أى $٦,٩ \times ١٠^{٢١}$ من السنين .

والآن لنأخذ أحد هذه الالكترونات ونضع عليه علامة ما ، ونخلطه مع البقية ، ولنطلب من شخص معصوب العينين أن يستخرجه ، فأى فرصة تكون له ليجد الالكترون المطلوب ؟ !

هذه فرصة الأنبياء في أن تتحقق ٤٨ نبوة من نبواتهم في يسوع المسيح ، لو أن تحقيق نبواتهم كان بطريق الصدفة !

خامساً - نبوات تتحقق عن موعد مجيء المسيا

١ - زوال القضيب :

« لا يزول قضيب من يهوذا ومشرع من بين رجله ، حتى يأتي شيلون ،
وله يكون خضوع شعوب » (تكوين ٤٩ : ١٠) .

وكلمة « قضيب » تعني « عصا السبط أو القبيلة » . وقد كان لكل سبط
من أسباط إسرائيل الاثني عشر عصا كتب عليها اسمه . وهذه الآية تعني
أن عصا سبط يهوذا لن تزول حتى يجيء شيلون . وقد رأى علماء اليهود
والمسيحيين في اسم « شيلون » اسماً من أسماء « المسيا الآتي » .

ونحن نعلم أنه خلال السبي البابلي لمدة سبعين سنة زال السلطان من سبط
يهوذا ، لكن السبط لم يفقد « عصاه » أو شخصيتهم القومية المميزة وكان لهم
قضاةهم ومشرعوهم حتى وهم في بلاد السبي (عزرا ١ : ٥ و ٨) .

وقد توقع اليهود حدوث أمرين حالا بعد مجيء المسيا :

١ - زوال القضيب ، أو عصا سبط يهوذا .

٢ - انهيار السلطة القضائية .

وقد جاءت العلامة المنظورة الأولى على بدء زوال القضيب من سبط
يهوذا عندما حكم هيرودس الكبير (وهو ليس يهودياً) بعد حكم الأمراء
المكابيين الذين كانوا من سبط لاوى ، وآخر اليهود الذين حكموا في أورشليم .
وقبل محاكمة المسيح بثلاثة وعشرين عاماً لم يعد لمجلس السنهدريم اليهودي حق
إصدار أحكام الإعدام ، فقد أخذت منه هذه السلطة ! وكان ذلك في عهد
أرنخيلاوس عام ١١ م ، وهو ابن هيرودس الكبير وخليفته . ويقول المؤرخ

تاسيتوس أن الرومان احتفظوا لأنفسهم بحق الإعدام واستعمال السيف ، وتركوا كل ما عدا ذلك . وقد احتفظ مجلس السنهدريم بالحقوق الآتية :

١ - حق الحرمان أو القطع (يوحنا ٩ : ٢٢) .

٢ - حق السجن (أعمال ٥ : ١٧ ، ١٨) .

٣ - حق الضرب بالعصى (أعمال ١٦ : ٢٢) .

ويقول التلمود : « قبل خراب الهيكل بأكثر من أربعين سنة سلب الرومان حق إصدار حكم الإعدام من اليهود » ويقول الربى « رشمين » أن أعضاء السنهدريم وقفها ذروا الرماد على رؤوسهم ، ولبسوا المسوح على أجسادهم ، وصرخوا : « ويل لنا ، ، فقد زال القضيب من سبط يهوذا قبل أن يجيء المسيا » (٣٤) .

ويقول المؤرخ يوسيفوس (الذى كان شاهد عيان لهذه الأحداث) : بعد موت الوالى فستوس ، وقبل مجيء الوالى الجديد ألبينوس ، أسرع رئيس الكهنة حنان بدعوة مجلس السنهدريم ، وأمر بحضور يعقوب أخى يسوع الذى يدعى المسيح ، مع آخرين لحاكمة سريعة ، وأصدر عليهم حكم الموت رجماً . وقد عبر الرجال الحكماء المحافظون على الشريعة عن استيائهم ، وذهب بعضهم إلى ألبينوس نفسه - الذى كان قد ذهب إلى الاسكندرية - وأفادوه بالعمل غير القانونى الذى قام به حنان ، بدعوة السنهدريم بغير تصريح من السلطة الرومانية .

وقد أراد أعضاء السنهدريم تفادى الحرج من حرمانهم من إصدار أحكام الموت ، فألغوا حكم الإعدام ، وقالوا : « لاحظ أعضاء السنهدريم زيادة عدد القتلة ، حتى أصبح إعدامهم جميعاً مستحيلاً ، فرأوا من المناسب أن يغيروا مكان اجتماعهم حتى يتفادوا إصدار حكم الإعدام » . ويقول

ميمونيدس : « قبل خراب الهيكل الثانى بأربعين سنة توقف إصدار حكم الإعدام فى إسرائيل ، رغم أن الهيكل كان مازال قائماً ، وذلك لأن أعضاء السنهدريم هجروا قاعة « الحجارة المنحوتة » وصاروا يعقلون اجتماعاتهم فى أماكن أخرى » (٣٤) .

ويقول ليفتوت : قرر أعضاء السنهدريم عدم إصدار أحكام بالإعدام طالما أن بلادهم واقعة تحت سيادة روما ، فإن إصدار حكم بالإعدام على أحد أولاد إبراهيم بينا اليهودية تدوسها أقدام الغزاة الرومانيين هو إهانة للدم العريق ، دم الآباء . لذلك قالوا : فلنترك إذا قاعة الحجارة المنحوتة ، لأنه فى خارجها لا يمكن الحكم على أحد بالموت ، فلنعلن احتجاجنا على ذلك بهجر هذه القاعة والكف عن إصدار الأحكام لأنه وإن كانت روما تحكم العالم إلا أنها لا يمكن أن تتحكم فى حياة اليهود ونواميسهم .

لقد ضاعت القوة القضائية ، وتوقف السنهدريم عن العمل القضائى ، وقالوا : « ويل لنا ، فقد زال القضيب من سبط يهوذا قبل أن ينجىء المسيا » بينما كان المسيا الناصرى الشاب يتمشى فى وسطهم وهم لا يعلمون !

٢ - خراب الهيكل :

« ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه » (ملاخى ٣ : ١) .

هذا الشاهد وأربعة شواهد أخرى تفيد أن المسيا سيأتى وهيكل أورشليم قائم (والشواهد هى : مزمور ١١٨ : ٢٦ ، دانيال ٩ : ٢٦ ، زكريا ١١ : ١٣ حجي ٢ : ٧ - ٩) . وهذه النبوة ذات دلالة عظيمة خصوصاً إذا علمنا أن الهيكل أخرج سنة ٧٠ م ولم يبق منذ ذلك الوقت !

« وبعد اثنين وستين أسبوعاً يقطع المسيح وليس له ، وشعب رئيس آت يخرّب المدينة والقدس » (دانيال ٩ : ٢٦)

وهذه النبوة مذهلة ، فهي تقدم البرنامج الزمني الآتي :

١ - المسيا يجي .

٢ - المسيا يقطع (يموت) .

٣ - تخرب المدينة (أورشليم) والقدس (الهيكل) .

وقد أخرج تيطس الروماني وجيشه أورشليم والهيكل عام ٧٠ م . فأما أن يكون المسيا قد جاء ، أو أن تكون النبوة كاذبة !

٣ - أسابيع دانيال التسعة والستون :

« سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الأثم ، وليؤتى بالبر الأبدى ، ولتتم الروثيا والنبوة ، ولمسح قدوس القدوسين » .

فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها ، إلى المسيح الرئيس ، سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً ، يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الأزمنة .

وبعد اثنين وستين أسبوعاً يقطع المسيح وليس له ، وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس ، وانهاؤه بغماره ، وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها .

ويثبت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد . وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة ، وعلى جناح الأرجاس مخرب ، حتى يتم ويصب المفضي على المخرب » (دانيال ٩ : ٢٤ - ٢٧) .

تتعلق هذه النبوة بإسرائيل - شعب دانيال ، وبأورشليم مدينة دانيال (آية ٢٤) .

ويذكر دانيال رئيسين :

(أ) المسيح (آية ٢٥) .

(ب) رئيس آت (آية ٢٦) .

وتحدد فترة الزمن بسبعين أسبوعاً (آية ٢٤) .

(أ) كوحدة زمنية (آية ٢٤) .

(ب) مقسمة إلى ثلاث حقب : سبعة أسابيع ، ٦٢ أسبوعاً ، وأُسبوع واحد (آيتا ٢٥ ، ٢٧) .

وهناك بدء آية محددة للسبعين أسبوعاً (آية ٢٥) .

يظهر المسيا في نهاية ٦٩ أسبوعاً (آية ٢٥) .

خراب المدينة والقدس بفعل رئيس آت (آية ٢٦) .

عهد بين إسرائيل والرئيس الآتي في بداية الأسبوع الأخير (آية ٢٧)

ويكسر هذا العهد في منتصف الأسبوع (آية ٢٧) .

في نهاية السبعين أسبوعاً يؤتى بالبر الأبدى لإسرائيل (آية ٢٤) .

والآن تعالوا ندرس الوقت المتضمن في النبوة :

كلمة أسبوع في العبرية هي « سبوع » وتعني « سبعة » . وعلى هذا فإن سبعين أسبوعاً هي سبعين سبعة . وكان اليهود يتحدثون عن أسبوع أيام أو أسبوع سنين (راجع اللاويين ٢٥ : ٢ - ٨) . وهناك ما يجعلنا نقرر أن أسابيع دانيال هي أسابيع سنين :

(أ) كان دانيال يفكر في أسابيع السنين في أوائل هذا الإصحاح

(٩ : ١ ، ٢) .

(ب) كان دانيال يعلم أن السبي البابلي يرجع إلى عدم حفظ سنة اليوبيل. ولما كان اليهود في السبي ٧٠ سنة فيكون عدم حفظهم لليوبيل قد استمر ٤٩٠ سنة (اللاويين ٢٦ : ٣٢ - ٣٥ ، ٢ أخبار أيام ٣٦ : ٢١ ، دانيال ٩ : ٢٤) .

(ح) تشير القرينة إلى أن المقصود هنا سنوات .

(د) في دانيال ١٠ : ٢ و ٣ يتحدث دانيال عن « ثلاثة أسابيع أيام » . فلو أنه قصد هنا أسابيع أيام لقال ذلك .

(هـ) « في وسط الأسبوع » (آية ٢٧) تظهر أن المقصود ثلاث سنوات ونصف . وقد جاءت الفسكرة نفسها في الرؤيا ١٣ : ٤-٧ على أنها تستغرق ٤٢ شهراً ، أي ثلاث سنوات ونصف ، وفي الرؤيا ١٢ : ٦ نجد ١٢٦٠ أي ثلاث سنوات ونصف ، فالسنة الكتابية هي ٣٦٠ يوماً . أما بداية السبعين أسبوعاً فنجدها عن الملك أرتخشستا (نحميا ٢ : ١ - ٨) وتاريخها كالاتي :

(١) « في شهر نيسان ، في السنة العشرين لأرتخشستا الملك » .

(ب) ارتقى أرتخشستا العرش عام ٤٦٥ ق.م. ، وعلى هذا فإن نحميا ٢ : ١ يكون في ٤٤٥ ق.م.

(ح) عندما لا يحدد الكاتب العبري يوم الشهر يكون المقصود عادة اليوم الأول من الشهر .

(د) يكون اليوم حسب تقويمنا هو ١٤ مارس ٤٤٥ ق.م.

وقد استغرق إعادة المدينة ٤٩ سنة (آية ٢٥) . وقد انتهت النبوة اليهودية في العهد القديم بملاخي الذي جاء بعد ٤٩ سنة من صدور أمر أرتخشستا في ٤٤٥ ق.م.

وجاء آخر نبي في العهد القديم (ملاخي) ٤٩ سنة بعد عام ٤٤٥ ق.م. .
وهكذا نجد أن التسعة والستين أسبوعاً .

١ - تحويل الأسابيع إلى أيام .

(أ) ٦٩ أسبوعاً $\times ٧$ سنوات $\times ٣٦٠$ يوماً = ١٧٣,٨٨٠ يوماً .

(ب) ١٧٣,٨٨٠ يوماً من ١٤ مارس ٤٤٥ ق.م. تنتهي في ٦ أبريل
عام ٣٢ م ..

٢ - قال السير روبرت أندرسون ، بعد حسابات كثيرة ، أن ١٠
نيسان في التقويم اليولياني هو ٦ أبريل ٣٢ م . فإلى المدة بين إصدار الأمر
بإعادة بناء أورشليم وبين مجيء المسيح الرئيسي - أى بين ٤٤٥ ق.م. .
و ٣٢ م ؟ أنها بالضبط ١٧٣,٨٨٠ يوماً ، أو ٦٩ أسبوعاً من السنين النبوية .

وهالك الحساب بتقويمنا الحالي : -

من ٤٤٥ ق.م. إلى ٣٢ م ٤٧٦ سنة (من ق.م. إلى ١ م سنة واحدة)

٤٧٦ $\times ٣٦٥$ يوماً = ١٧٣,٧٤٠ يوماً

إضافة السنوات الكبيسة = ١١٦ يوماً

١٤ مارس - ٦ أبريل = ٢٤ يوماً

المجموع ١٧٣,٨٨٠ يوماً

حوادث هامة في نهاية الـ ٦٩ أسبوعاً :

١ - المناداة بالملك والملوكوت .

والتاريخ المذكور أعلاه هو اليوم الذي حقق فيه المسيح نبوة زكريا

٩ : ٩ (قارن لوقا ١٩ : ٢٨ - ٤٤) .

وهناك حادثتان هامتان بعد الـ ٦٩ أسبوعاً وقبل الأسبوع السبعين :

(١) قطع المسيح الرئيس (صلبه) .

(ب) خراب المدينة والقدس (أخرب تيطس أورشليم عام ٧٠ م) .

ومهما كان حسابك للتواريخ (حتى لو رفضت حسابات السير روبرت أندرسون) فإنك تجد أن المسيا يجب أن يجيء قبل خراب أورشليم .

سادساً – نبوات العهد القديم التي تحققت حرفياً في المسيح

قال « كانون ليدون » – وهو حجة في دراسات العهد القديم – أن
بالعهد القديم ٣٣٢ نبوة تحققت حرفياً في المسيح :

١ – مجيئه الأول :

الحقيقة : تكوين ٣ : ١٥ ، تثنية ١٨ : ١٥ ، مزمور ٨٩ : ٢٠ ،
أشعيا ٩ : ٦ ، ٢٨ : ١٦ ، ٣٢ : ١ ، ٣٥ : ٤ ، ٤٢ : ٦ ، ٤٩ : ١ ،
٥٥ : ٤ ، حزقيال ٣٤ : ٢٤ ، دانيال ٢ : ٤٤ ، ميخا ٤ : ١ ، زكريا ٣ : ٨ .
الوقت : تكوين ٤٩ : ١٠ ، العدد ٢٤ : ١٧ ، دانيال ٩ : ٢٤ ،
ملاخي ٣ : ١ .

ألوهيته : مزمور ٢ : ٧ و ١١ ، ٤٥ : ٦ و ٧ و ١١ ، ٧٢ : ٨ ، ١٠٢ :
٢٤ – ٢٧ ، ٨٩ : ٢٦ و ٢٧ ، ١١٠ : ١ ، أشعيا ٩ : ٦ ، ٢٥ : ٩ ،
٤٠ : ١٠ ، أرميا ٢٣ : ٦ ، ميخا ٥ : ٢ ، ملاخي ٣ : ١ .

ناسوته : تكوين ١٢ : ٣ ، ١٨ : ١٨ ، ٢١ : ١٢ ، ٢٢ : ١٨ ،
٢٦ : ٤ ، ٢٨ : ١٤ ، ٤٩ : ١٠ ، ٢ صموئيل ٧ : ١٤ ، مزمور ١٨ :
٤ – ٦ و ٥٠ ، ٢٢ : ٢٢ و ٢٣ ، ٨٩ : ٤ ، ٢٩ : ٣٦ ، ١٣٢ : ١١ ،
أشعيا ١١ : ١ ، أرميا ٢٣ : ٥ ، ٣٣ : ١٥ .

٢ - سابقه (من يتقدمه) :

أشعيا ٤٠ : ٣ ، ملاخي ٣ : ١ ، ٤ : ٥ .

٣ - ميلاده وسنوات طفولته :

الحقيقة : تكوين ٣ : ١٥ ، أشعيا ٧ : ١٤ ، أرميا ٣١ : ٢٢ .

المكان : العدد ٢٤ : ١٧ و ١٩ ، ميخا ٥ : ٢ .

سجود الجوس له : مزمور ٧٢ : ١٠ و ١٥ ، أشعيا ٦٠ : ٣ و ٦ .

النزول لمصر : هوشع ١١ : ١ .

مذبحة الأطفال : أرميا ٣١ : ١٥ .

٤ - رسالته وعمله :

رسالته : تكوين ١٢ : ٣ ، ٤٩ : ١٠ ، العدد ٢٤ : ١٩ ، التثنية

١٨ : ١٨ و ١٩ ، مزمور ٢١ : ١ ، أشعيا ٥٩ : ٢٠ ، أرميا ٣٣ : ١٦ .

كاهن مثل ملكيصادق : مزمور ١١٠ : ٤ .

نبي مثل موسى : التثنية : ١٨ : ١٥ .

تجديد الأمم : أشعيا ١١ : ١٠ ، التثنية ٣٢ : ٤٣ ، مزمور ١٨ : ٤٩ ،

١٩ : ٤ ، ١١٧ : ١ ، أشعيا ٤٢ : ١ ، ٤٥ : ٢٣ ، ٤٩ : ٦ ، هوشع

١ : ١٠ ، ٢ : ٢٣ ، يوثيل ٢ : ٣٢ .

خدمته في الجليل : أشعيا ٩ : ١ و ٢ .

معجزاته : أشعيا ٣٥ : ٥ و ٦ ، ٤٢ : ٧ ، ٥٣ : ٤ .

فضائله الروحية : مزمور ٤٥ : ٧ ، أشعيا ١١ : ٢ ، ٤٢ : ١ ،

٥٣ : ٩ ، ٦١ : ١ ، ٢ .

كرازته : مزمور ٢ : ٧ ، ٧٨ : ٢ ، أشعياء ٢ : ٣ ، ٦١ : ١ ، ميخا
٢ : ٤ .

تطهيره الهيكل : مزمور ٦٩ : ٩ .

٥ - آلامه :

اليهود والأمم يرفضونه : مزمور ٢ : ١ ، ٢٢ : ١٢ ، ٤١ : ٥ ،
٥٦ : ٥ ، ٦٩ : ٨ ، ١١٨ : ٢٢ و ٢٣ ، أشعياء ٦ : ٩ و ١٠ ، ٨ : ١٤ ،
٢٩ : ١٣ ، ٥٣ : ١ ، ٦٥ : ٢ .

اضطهاده : مزمور ٢٢ : ٦ ، ٣٥ : ٧ و ١٢ ، ٥٦ : ٥ ، ٧١ : ١٠ ،
١٠٩ : ٢ ، أشعياء ٤٩ : ٧ ، ٥٣ : ٣ .

دخوله الانتصاري لأورشليم : مزمور ٨ : ٢ ، ١١٨ : ٢٥ و ٢٦ ،
زكريا ٩ : ٩ .

صديقه يخنونه : مزمور ٤١ : ٩ ، ٥٥ : ١٣ ، زكريا ١٣ : ٦ .

تسليمه بثلاثين من الفضة : زكريا ١١ : ١٢ .

موت الخائن : مزمور ٥٥ : ١٥ و ٢٣ ، ١٠٩ : ١٧ .

شراء حقل الفخاري : زكريا ١١ : ١٣ .

هجر التلاميذ له : زكريا ١٣ : ٧ .

اتهامات كاذبة : مزمور ٢٧ : ١٢ ، ٣٥ : ١١ ، ١٠٩ : ٢ ، مزمور
٢ : ١ و ٢ .

سكوته أمام متهميه : مزمور ٣٨ : ١٣ ، أشعياء ٥٣ : ٧ .

السخرية به : مزمور ٢٢ : ٧ و ٨ و ١٦ ، ١٠٩ : ٢٥ :

- شتمه والتفل عليه وجلده : مزمور ٣٥ : ١٥ و ٢١ ، أشعياء ٥٠ : ٦ .
- صبره على الآلام : أشعياء ٥٣ : ٧ - ٩ .
- صلبه : مزمور ٢٢ : ١٤ و ١٧ .
- تقديم المرواحل له : مزمور ٦٩ : ٢١ .
- صلاته لأجل أعدائه : مزمور ١٠٩ : ٤ .
- صرخاته على الصليب : مزمور ٢٢ : ١ ، ٣١ : ٥ .
- موته في عز شبابه : مزمور ٨٩ : ٤٥ ، ١٠٢ : ٢٤ .
- موته مع الأشرار : أشعياء ٥٣ : ٩ و ١٢ .
- الطبيعة تشارك : عاموس ٥ : ٢٠ ، زكريا ١٤ : ٤ و ٦٠ .
- إلقاء قرعة على ثوبه : مزمور ٢٢ : ١٨ .
- عدم كسر عظامه : مزمور ٣٤ : ٢٠ .
- طعنه : مزمور ٢٢ : ١٦ ، زكريا ١٢ : ١٠ ، ١٣ : ٦ .
- موته طوعا : مزمور ٤٠ : ٦ - ٨ .
- موته الكفارى : أشعياء ٥٣ : ٤ - ٦ و ١٢ ، دانيال ٩ : ٢٦ .
- دفنه مع غنى : أشعياء ٥٣ : ٩ .
- ٦ - قيامته :

مزمور ١٦ : ٨ - ١٠ ، ٣٠ : ٣ ، ٤١ : ١٠ ، ١١٨ : ١٧ ، هوشع ٦ : ٢ .

٧ - صعوده :

مزمور ١٦ : ١١ ، ٢٤ : ٧ ، ٦٨ : ١٨ ، ١١٠ : ١ ، ١١٨ : ١٩ .

٨ - مجيئه الثاني :

مزمور ٥٠ : ٣-٦ ، أشعياء ٩ : ٦ و ٧ ، ٦٦ : ١٨ ، دانيال ٧ :
١٣ و ١٤ ، زكريا ١٢ : ١٠ ، ١٤٠ : ٤-٨ .

سلطانه شامل ودائم : أخبار أيام أول ١٧ : ١١-١٤ ، مزمور ٧٢ : ٨

أشعياء ٩ : ٧ ، دانيال ٧ : ١٤ ، مزمور ٢ : ٦-٨ ، ٨ : ٦ ، ١١٠ ،

١-٣ ، ٤٥ : ٦ و ٧ .

مراجع الفصل الخامس إلى التاسع

1. F.F. Brue, *The New Testament Document, are they Reliable* Inter-Varsity Press.
2. John W. Montgomery, *History and Christianity*, Inter-Varsity Press.
3. Elgin Moyer, *Who Was Who in Church History ?* Moody Press.
4. Joseph Klausner, *Jesus of Nazareth*, Macmillan.
5. Charles E. Deland, *The Mis-Trials of Jesus*. Boston : Richard G. Badger.
6. G.S. Lewis, *Mere Christianity*, Macmillan.
7. Kenneth Latourette, *A History of European Morals from Augustus to Charlemagne*, D. Appleton and Co.
9. Philip Schaff, *History of the Chhristian Church*, 8 Vols., Eerdmans.
10. Philip Schaff, *The Person of Christ*, American Tract Society.
11. C.S. Lewis, *Miracles, A Preliminary Study*, Macmillan.
12. Vernon C. Grounds, *The Reason of our Hope*, Moody Press.
13. Clement F. Rogers, *The Case of Miracles*, Spck London.
14. John R. Rice, *Is Jesus God ?* Sword of the Lord Publishers.
15. J. Gresham Machen, *The Virgin Birth of Christ*, Baker Book House.
16. James Orr. *The Virgin Birth of Christ*, Charles Scribner's Sons.
17. Origin, *Contra Clesum*, Cambridge U. Press.
18. Henry M. Morris, *The Bible Has The Answer*, Baker Book House.

19. John R. Scott, *Basic Christianity*, Inter-Varsity Press.
20. Charles E. Jefferson, *The Character of Jesus*, Thomas Y. Crowell Co.
21. Kenneth Latourette, *A History of Chrristianity*, Harper and Row.
22. Frank Mead, *The Encyclopedia of Religious Quotations*, Fleming Revell.
23. William Lecky, *History of European Morals from Augustus to Charlemagne*, D. Appleton and Co.
24. Paul Little, *Know ghy You Believe*, Sscripture Press Publications.
25. C. S. Lewis, *Miracles*, Macmillan.
26. Bernard Ramm, *Protestant Christian Evidences*, Moody Press.
27. John Young, *Christ of History*, Strahan and Co.
28. Johnston Ross, *The University of Jesus*, Fleming H. Revell.
29. Griffith Thomas, *Christianity is Christ*, Moody Press.
30. Kenneth Latourette, *American Historical Review*, LIV, January. 1949.
31. *Ten Scientists Look At Life*, Westchester : Good News Publishers (Tract).
32. David L. Cooper, *God and Messiah*, Biblical Research Society.
33. Jacob S. Minkin, *The World of Moses Maimonides*, Thomas Yoseloff.
34. M. M. Le Mann, *Jesus Before The Sanhedrin*, Supthern Methodist Pubislhing House.

القيامة : خدعة أم حقيقة؟

في هذا الفصل نعرض الحقائق الآتية :

أولاً - أهمية القيامة .

ثانياً - إعلان المسيح أنه سيقوم من الموت .

ثالثاً - معالجة تاريخية :

١ - القيامة حادثة تاريخية .

٢ - شهادة التاريخ والقانون .

٣ - شهادة آباء الكنيسة الأولين .

رابعاً - مشاهد حول حادثة القيامة :

١ - يسوع مات .

٢ - القبر .

٣ - الدفن .

٤ - الحجر .

٥ - الختم .

٦ - الحراس .

٧ - التلاميذ الهاربون .

خامساً — مشاهد بعد حادثة القيامة :

١ — القبر الفارغ .

٢ — الأكفان .

٣ — وضع الحجر .

٤ — الختم .

٥ — الحرس الروماني .

٦ — ظهورات المسيح .

٧ — صمت الأعداء .

سادساً — حقائق ثابتة عن القيامة :

١ — حقائق تاريخية ثابتة .

٢ — حقائق نفسية ثابتة .

٣ — حقائق اجتماعية ثابتة .

سابعاً — نظريات فاسدة ضد القيامة :

١ — نظرية الاغماء .

٢ — نظرية السرقة .

٣ — نظرية الهلوسة .

٤ — نظرية الخطأ في القبر .

ثامناً — الخاتمة :

بالحقيقة قام !

وصلت بعد دراسة متعمقة إلى أن حقيقة قيامة المسيح قد تكون أردأ خدعة دست على عقول البشر ، أو أنها أروع حقائق التاريخ .

وللمسيح ثلاث مميزات تشهد له :

١ - تأثير حياته على التاريخ .

٢ - تحقيق النبوات القديمة فيه .

٣ - قيامته . والمسيحية والقيامة يقومان معاً أو يسقطان معاً .

تعالوا نقرأ القصة كما أوردتها البشير متى :

« وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر . وإذا زلزلة عظيمة حدثت . لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه . وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . فن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات . فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنما . فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب . لبس هو ههنا لأنه قام كما قال . هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه . واذها سريعا قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات . ها هو يسبقكم إلى الجليل . هناك ترونه . ها أنا قد قلت لكما . فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه . وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما . فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له . فقال لهما يسوع : لا تخافا ، اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني .

وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس وجاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان » (متى ٢٨ : ١ - ١١) .

أولا - أهمية القيامة

تقوم كل ديانات العالم العظمى على افتراضات فلسفية ، ما عدا أربع منها ، تعتمد على شخصيات أكثر مما تعتمد على الفلسفات . والمسيحية وحدها هي التي تنادى بأن قبر مؤسسها فارغ . إبراهيم أب اليهودية - مات منذ نحو ١٩٠٠ ق.م دون أن يدعى أحد أنه قام .

وفي الكتابات الأولى القديمة عن بوذا نقرأ عن موته ، ثم التعليق بأنه « بهذا الموت لا يبقى بعده شيء بالمرة » .

ولقد مات نبي الإسلام في الثامن من يونيو ٦٣٢م بالمدينة في الحادية والستين من عمره ، ويزور قبره اليوم ملايين المسلمين . وكل هذه الملايين من أتباع اليهودية أو البوذية أو الإسلام يقرون بأن مؤسسي دياناتهم قد ماتوا ولم يبق أحد منهم من تراب الأرض .

وتقوم المسيحية على حقيقة قيامة المسيح ، فقد قال هو إنّه ذاهب لأورشليم ليصلب وفي اليوم الثالث يقوم . ولو أن القيامة باطلة لكانت المسيحية كلها باطلة ، ولو أنها صحيحة لوجب أن نصدق كل ما قاله المسيح .

وتوضح القيامة أن المسيح هو فعلاً « ابن الله » - لأنه أولاً قام من الموت بقوة الشخصية . كان له السلطان أن يبذل نفسه للموت ، وله السلطان أن يأخذها أيضاً (يوحنا ١٠ : ١٨) . ولا تناقض هنا بين القول إن الآب أقامه أو أنه أقام نفسه ، فإن الابن قادر أن يفعل كل ما يفعله الآب ، كما يعزى الخلق وغيره من الأعمال إلى الآب وإلى الابن وإلى الروح القدس . ثانياً إن المسيح قد أعلن أنه ابن الله ، وقيامته تصديق من الآب على صدق ما أعلنه المسيح . فلو أن المسيح بقي في قبره ، رغم إعلان أنه سيقوم ، لكان هذا يعني أن الله لم يوافق على ذلك الإعلان بأنه ابن الله . أما وقد أقامه من

الموت ، فهذا معناه أن الله يقول : أنت ابني ، واني اليوم أعلن هذه الحقيقة على الملأ .

ولقد بنى بطرس موعظته ، يوم الخميس ، على حقيقة القيامة ، حتى أنه لو انتفتت القيامة لسقطت العقيدة المسيحية كلها . ويوضح بطرس أن القيامة : (١) توضيح لموت المسيح . (٢) تحقيق للنبوات عن المسيا المخلص الآتي . (٣) شهد بها الرسل جميعاً . (٤) سر انسكاب الروح القدس . (٥) شهادة على مكانة يسوع الناصري كالمسيح الملك . وهكذا نرى أن كل ما قاله بطرس عن المسيح يعتمد ويقوم على حقيقة القيامة ، فبناء الموعظة المسيحية الأولى مؤسس على القيامة .

ويقول أدولف هارناك ، أحد منكري قيامة المسيح : « إن ثقة التلاميذ الوطيدة في المسيح تنبع من إيمانهم بأنه لم يبق في القبر ، ولكن الله أقامه . ولقد رأوا بأنفسهم أنه قام يقيناً ، كما رأوا أنه مات يقيناً ، فأصبحت القيامة هي الموضوع الرئيسي لكراساتهم » (١) .

ولقد أثرت حقيقة القيامة على حياة المسيحيين الأولين . فتراها متغلغلة في كل العهد الجديد ، ومرسومة على القبور في سراديب روما (الكاتاكومبز) وملحنة في الترانيم القديمة ، ومأخوذة كأساس لكل كتابات الدفاع عن المسيحية في القرون الأربعة الأولى ، وكرکز لكل عظات الآباء قبل نيقية وبعدها ، وكعقيدة راسخة في كل قوانين الإيمان . لقد كان مركز الفكر المسيحي « يسوع والقيامة » ، فإن الإيمان بالقيامة نسيج كيان الكنيسة ، ومن أجل ما قيل : « صار قبر المسيح الفارغ مهد الكنيسة » .

ويقول سباروسميسون : « ولو لم يكن المسيح قد قام لبقيت شوكة الموت المؤلمة ومعها كل نتائج الخطية ، ولبقى المؤمنون بالمسيح بعد خطاياهم كما

كانوا قبل سماعهم باسم يسوع ! وفوق هذا كله لصار المسيح كاذباً ، فإنه قدم أوراق اعتماده كمخلص للعالم على أنه المخلص الحى المقام .

وقد دار الهجوم كله ضد المسيحية حول القيامة ، ذلك لأن المسيحيين جعلوها أساس إيمانهم كله ، التى بدونها لا يكون لإيمانهم أساس ! .

والمسيحية ديانة تاريخية ، تعلن أن الله عمل فى تاريخ البشر ، وعلى هذا فإن صدق القيامة تاريخياً دليل قوى على صدق المسيحية !

لقد قامت القيامة كقلعة للإيمان المسيحى ، قلبت العالم كله فى القرن الأول الميلادى ، ورفعت المسيحية فوق اليهودية ، وفوق كل ديانات حوض البحر الأبيض المتوسط . وما أصدق القول : « إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم ! » (١ كورنثوس ١٥ : ١٧) .

ثانياً – إعلان المسيح أنه سيقوم من الموت

راجع الشواهد التالية :

متى ١٢ : ٣٨ – ٤٠ ، ١٦ : ٢١ ، ١٧ : ٩ ، ١٧ : ٢٢ و ٢٣ ، ٢٠ : ١٨ و ١٩ ، ٢٦ : ٣٢ ، ٢٧ : ٦٣ .

مرقس ٨ : ٣١ – ٩ : ١ ، ٩ : ١٠ و ٣١ ، ١٤ : ٢٨ و ٥٨ ، ١٠ : ٣٢ لوقا ٩ : ٢٢ – ٢٧ .

يوحنا ٢ : ١٩ – ٢٢ ، ١٢ : ٣٤ ، أصحاحات ١٤ – ١٦ .

فنقرأ فى :

متى ١٦ : ٢١ « من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، ويقتل ، وفى اليوم الثالث يقوم » .

متى ١٧ : ٩ « وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا :
لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الأموات » .

متى ١٧ : ٢٢ و ٢٣ « وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع :
ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس ، فيقتلونه ، وفي اليوم الثالث يقوم
فحزنوا جداً » .

متى ٢٠ : ١٨ و ١٩ « ها نحن صاعدون إلى اورشليم ، وابن الإنسان
يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم
لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه . وفي اليوم الثالث يقوم » .

متى ٢٦ : ٣٢ « ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل » .

مرقس ٩ : ١٠ « فحفظوا الكلمة لأنفسهم ، يتساءلون ما هو القيام
من الأموات ؟ » .

لوقا ٩ : ٢٢ - ٢٧ « ينبغي أن ابن الإنسان يتألم كثيراً ويرفض من
الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ، وفي اليوم الثالث يقوم . وقال
للجميع : إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليسكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم
ويتبعني ، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجل
فهذا يخلصها ، لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه
أو خسرها ؟ لأن من استحي بي وبكلامي فهذا يستحي ابن الانسان متى جاء
بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين . حقاً أقول لكم ان من القيام ههنا
قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله » .

يوحنا ٢ : ١٨ - ٢٢ « فأجاب اليهود وقالوا له : أية آية ترينا حتى تفعل
هذا ؟ أجاب يسوع وقال لهم : انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه .

فقال اليهود : في ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل ، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه ؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده . فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا ، فامنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع .

واضح من هذا كله أن المسيح تنبأ بقيامة ، وأن تلاميذه لم يفهموا قصده ، لكن اليهود أخذوا كلامه مأخذ الجد . وعندما يقول شخص أنه سيموت ثم يقوم بعد ثلاثة أيام ، فإننا نحكم عليه بأنه مختل العقل ومحتاج إلى علاج نفسي . وما لم يتحقق ما قاله فعلا فإن ذلك يكون وبالا عليه وعلى تابعيه . ولم يحدث أن مؤسس دين من الأديان قال مثل ما قاله يسوع عن نفسه من جهة قيامته .

منذ بضع سنوات حاول محام بريطاني غير مؤمن أن يبرهن خطأ القيامة ، وبعد درس مضمّن وإطلاع واسع وصل فرنك موريسون إلى أن القيامة صحيحة ، فكتب كتاباً بعنوان « من دحرج الحجر ؟ » (مترجم إلى العربية وصادر عن دار النشر الأسقفية بالقاهرة) وقد قال فيه إن الذي يتنبأ بموته وقيامته بمثل هذه الدقة لابد أن يكون صادقاً !

ونلاحظ أن يسوع لم يتحدث عن موته إلا وذكر أنه سيقوم . وبولس في مطلع رسالته إلى رومية يقول إن المسيح تعين ابن الله بقوة بالقيامة من الأموات .

ثالثاً - معالجة تاريخية

١ - القيامة حادثة تاريخية :

قيامه المسيح حادثة تاريخية محددة ، حدثت في زمن معين وفي مكان محدد . صحيح أن لها معنى لاهوتياً ولكنها حقيقة تاريخية ، صحيح أنها غير طبيعية ، لكن الواضح أن قبر المسيح وجد فارغاً .

كان القبر مملوكاً لرجل غنى عاش في النصف الأول من القرن الأول الميلادي ، وكان محفوراً في صخر أحد التلال القريبة من أورشليم فلم يكن شيئاً وهمياً . وكان الحراس جنوداً من لحم ودم أحاطوا بالقبر . ومجلس السنهدريم الذي انعقد لبحث مشكلة القبر الفارغ مجلس معروف . ويسوع شخص تاريخي وتلاميذه أشخاص حقيقيون أكلوا وشربوا وناموا وتألموا ، هذه كلها ليست أوهاماً ولكنها حقائق ثابتة .

ويقول أغناطيوس ، أسقف أنطاكية (٥٠ - ١١٥ م) وتلميذ الرسول يوحنا ، وهو مواطن سوري ، في رسالة كتبها وهو في الطريق إلى روما ليلقي حتفه في أفواه الأسود كشهيد مسيحي : « صلب المسيح في حكم بيلاطس البنطي ، ومات فعلاً تحت بصر السماء والأرض وما تحت الأرض . وقام في اليوم الثالث . حكم عليه في الساعة الثالثة (أى ٩ صباحاً) من يوم الاستعداد ونفذ الحكم في الساعة السادسة ، وفي الساعة التاسعة أسلم الروح ، ودفن قبل غروب الشمس ، وبقي يوم السبت في قبر يوسف الراي .

لقد حمل به في البطن كما يحدث لنا ، وولد كما نولد نحن ، وتغذى باللبن وأكل وشرب فعلاً وحقاً كما نفعل نحن ، بعد أن عاش وسط الناس ثلاثين سنة ، عمده يوحنا المعمدان فعلاً وليس خيالا . وبعد أن بشر بالرسالة المفرحة ثلاث سنوات وعمل معجزات وعجائب ، ومع أنه الديان أدانه اليهود زوراً وحكم عليه بيلاطس ظلماً ، وجلد وضرب على خده وتفل عليه ولبس تاجاً من شوك وثوباً أرجوانياً ، وصلب فعلاً ، لا بالخيال ولا بالمظهر ولا بالخداع ، لقد مات حقاً ودفن وقام من بين الأموات » .

ويقول المؤرخ ألفرد إدرشايم في كتابه « حياة يسوع المسيح وزمانه » :
« كاد يوم الربيع القصير يصل إلى « مساء السبت » . ولقد كان أمر الشريعة أن لا يبقى جسد المجرم معلقاً لصباح اليوم التالي . وربما تغاضى اليهود

عن أن يطلبوا من بيلاطس تقصير آلام المصلوبين ، لأن الموت بالصليب كان يستغرق أحياناً أياماً . ولكنهم طالبوا بيلاطس بانزال جسد المسيح قبل السبت ، لأنه كان يوم سبت ، وثاني أيام عيد الفصح .

وقال جستن مارتر (١٠٠ - ١٦٥ م) الفيلسوف والشهيد والمدافع عن المسيحية بعد أن درس الرواقية وفلسفة أرسطو وفيثاغورس وأفلاطون ، قال : « وجدت فلسفة المسيح وجدها أمينة ونافعة » . وقد اكتشفت أن فلسفات العالم تقدم مجرد افتراضات عقلية ، أما المسيحية وحدها فهي التي تقدم الله نفسه فعالاً في الزمن والمكان بواسطة المسيح ، وهو يقول : « ولد المسيح منذ ١٥٠ سنة تحت حكم كيرنيوس . . . في ومن بيلاطس البنطي » .

ويقول ترتليان أسقف قرطجنة (١٦٠ - ٢٢٠ م) : « تضايق قادة اليهود من تعاليمه لأن الشعب انحاز إليه ، فجروه أمام بيلاطس البنطي ، وإلى سوريا الروماني ، وبصراخهم استصدموا عليه حكم الموت صلباً » .

وكتب المؤرخ اليهودي يوسيفوس في القرن الأول الميلادي : « وفي نحو ذلك الوقت عاش رجل حكيم اسمه يسوع - أن كان يحق أن تدعوه إنساناً ، لأنه عمل معجزات عظيمة . كان معلماً مقتدرأ تلقى الناس تعاليمه بفرح ف جذب إليه الكثيرين من اليهود واليونانيين . هذا الرجل كان المسيح . حكم بيلاطس عليه بالصلب ، بناء على إتهام الرجل الكبير فينا ، أما الذين أحبوه منذ البدء فلم يتركوه ، لأنه ظهر لهم حياً في اليوم الثالث . ولقد سبق أن تحدث عنه الأنبياء القديسون بهذه الأمور وبألاف الأشياء العجيبة . وحتى اليوم ولا زال يوجد أتباعه المسيحيون .

وقد حاول البعض أن يبرهنوا أن هذه الكتابة مدسوسة على يوسيفوس ، لكننا نرى أن المؤرخ يوسابيوس اقتبسها عن يوسيفوس في القرن الرابع

الميلادى ، ويوسيفوس قد كتب لارضاء الرومان ، ولم يكن ممكناً أن يكتب ذلك - وهو ما لا يرضيهم - لو لم يكن الحق الثابت .

والعهد الجديد يورد لنا قصة التغير العجيب الذى طرأ على حياة تلاميذ المسيح . فأولئك الخائفون صاروا شجعاناً لأنهم عرفوا أن يسوع حى . ويقول لوقا إن المسيح « أراهم نفسه حياً براهيم كثيرة » (أعمال ١ : ٣) . وكلمة « أراهم » تعنى الدليل الملموس القوى ، فقد آمن الرسل بالقيامة بعد أن رأوا ولمسوا بحواسهم ، ونقلوا شهادتهم لنا . وعلى هذا فالقيامة قصة تاريخية صادقة - بكل المقاييس - وهى حافز قوى على الإيمان بالمسيح مخلصاً.

وقد كتب لوقا سفر الأعمال ما بين عام ٦٣ و ٧٠ م ، ويوضح فى مقدمة انجيله أنه جمع معلوماته من مصادر موثوق بها لأنهم شهود عيان ، وتابع تقديم ما وصل إليه فى سفر الأعمال . وكثيراً ما يقول « نحن » مما يدل على أنه قد كتب هو ما رآه شخصياً . لقد عاش لوقا وسط الأحداث والكراسة فهو من شهود العيان الأولين . وقبلت الكنيسة الأولى سفر أعمال الرسل ، ولا بد أنها كانت تعرف تاريخها تماماً ، وقبول الكنيسة منذ البداية لهذا السفر لدليل على صحة ما جاء به من معلومات تاريخية .

ورسائل العهد الجديد دليل تاريخى - لا يدحض - على صحة القيامة ، فقد كتب بولس رسائله إلى غلاطية وكورنثوس ورومية فى أثناء رحلاته التبشيرية ، ويرجع تاريخها إلى ٥٥ - ٥٨ م ، وهذا تاريخ قريب من حادثة القيامة (بعدها بفترة لا تتجاوز خمسة وعشرين عاماً فقط) ولما كان ما كتبه فى الرسالة هو نفسه الذى سبق فركز لهم به ، فإن تاريخ الكرازة أكثر قرباً لحادثة القيامة .

والذى يقرأ قصة الأناجيل عن الصلب والقيامة يرى التوسع الكامل فى الرواية ، فالكاتب يعطى تفاصيل دقيقة ، ويوضح أن القيامة تنفيذ لخطة الله السابقة لحياة المسيح ، وتكملة طبيعية للحياة فوق الطبيعية التى عاشها المسيح ابن الله وابن الإنسان .

القيامة إذاً حادثة تاريخية ، والبرهان الذى نسوقه على صحتها برهان تاريخى . ولقد جعلت الكنيسة الأولى شروطاً لمن يعتبر رسولاً ، أولها أن يكون قد شاهد القيامة (أعمال ١ : ٢٢) . وقد قال بولس فى عظته لأهل أثينا إن جوهر تعليمه هو « يسوع والقيامة » (أعمال ١٧ : ١٨) . وهكذا قال بطرس فى عظته الأولى : « يسوع هذا أقامه الله ، ونحن جميعاً شهود لذلك » (أعمال ٢ : ٣٢) .

ولقد قوى إيمان الرسل بالمسيح بعد أن قام ، ومنحتهم قيامته شجاعة وعزماً وجعلتهم يحتملون كل اضطهاد .

٢ - شهادة التاريخ والقانون :

عندما تحدث حادثة ويراهها عدد كبير من الأحياء ، أو يشترك فيها عدداً كبيراً منهم ، ثم تسجل فى كتاب وينشر دون أن يعترض هؤلاء على ما جاء به ، فإن ذلك لدليل لا يدحض على صحة الحادثة ويسمى هذا « البرهان من الظروف » . وفى قصة الأناجيل نرى الكتاب الأربعة يعتبرون حادثة القيامة أهم حوادث حياة المسيح ، التى يعتمد عليها كل الإيمان . ويورد كتاب الأناجيل ، كما يورد بولس أسماء الذين رأوا المسيح بعد قيامته . ويمكن القول أن البرهان على صدق القيامة أقوى من أى برهان على أى معجزة أخرى ، بل أن بولس يقول : « إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم » .

ولعل أكبر دليل على صدق العهد الجديد أنه كتب بعد حادثة القيامة بنحو ثلاثين أو أربعين سنة ، ليقراه أناس عاصروا الحوادث المسجلة فيه واشتركوا فيها ، فلا بد أن تكون الرواية صحيحة ، خصوصاً وأن عدد الأعداء كان كبيراً ! ولنفترض أن مؤرخاً أراد تسجيل حياة ملك بعد وفاته بأربعين سنة أو أقل ، هل يجروا أن يذكر أكاذيب ؟ ان معاصري ذلك الملك سيعلمون احتجاجهم . ويقول أمروز فلمنج : « لم تتأسس المسيحية إذاً على أساطير أو خيالات ، أو كما يقول برس على « خرافات مصنعة » ، لكنها تأسست على حقائق تاريخية ، قد تبدو غريبة ، لكنها صادقة ، وهى أعظم ما حدث فى تاريخ العالم » .

ولقد حاول المحامى البريطانى فرنك موريسون أن يكتب كتاباً ضد القيامة ، يحلل فيه أحداث الأيام الأخيرة من حياة المسيح على الأرض . ولكنه عندما درس الحقائق بكل دقة اضطر أن يغير رأيه ، وكتب كتابه فى صف القيامة ، وجعل عنوان الفصل الأول منه « الكتاب الذى رفض أن يكتب » . أما عنوان الكتاب فهو « من دحرج الحجر ؟ » ، وهو كتاب من أروع وأدق ما كتب .

وقد كتب أحد المحامين لقسيس صديق له يقول : « كمحام درست بالتفصيل براهين حوادث القيامة ، ووجدت البراهين قاطعة . وقد كسبت أحكاماً من المحكمة العليا فى قضايا براهين أقل من البراهين التى وجدتتها فى قصة القيامة . ان الاستنتاج يتبع البرهان ، والشاهد الصادق لا يزوق الحقائق ويزدرى كل محاولة للتأثير . والبراهين على صدق القيامة من هذا النوع ، واننى كمحام أوافق — بدون أى تحفظ — على صدق القيامة من شهادة الشهود الصادقين » (٢) .

وقال توماس أرنولد أستاذ التاريخ الحديث في أكسفورد : « أن الآلاف المؤلفه من العلماء درسوا قصة القيامة بطريقة نقدية ، وأنا واحد منهم . لقد اعتدت دراسة التاريخ وتحليل حوادثه ، والحكم على المؤرخين وبراهينهم . ولم أجد قصة أقوى برهاناً من قصة القيامة ، فإنها تقنع كل باحث مخلص عن الحق » (٣) .

وقال اللورد لندهرست وهو أكبر العقول القانونية التي أنجبتها بريطانيا ، وبلغ أعلى المراتب القضائية فيها : « أننى أعرف جيداً ما هو الدليل أو البرهان واننى أقول إن برهان قصة القيامة غير قابل للنقض » (٣) .

من أشهر أساتذة القانون سيمون جرينليف (١٧٨٣ - ١٨٥٣ م) من جامعة هارفارد . وقد كتب كتاباً عنوانه : « فحص لشهادة البشيرين الأربعة حسب قوانين محاكم العدل » قال فيه :

« أعلن الرسل الحقائق العظيمة عن قيامة المسيح من الأموات ، وأن رجاء الخلاص هو بالتوبة عن الخطية والإيمان به . وقد أعلن الرسل ، بلسان واحد ، هذا وحده في كل مكان ، في مواجهة المفشلات والفساد الأخلاقي والفكرى . كان معلمهم قد مات كمجرم صلب عليه حكم الاعدام . ولكنهم كانوا ينشدون نشر عقيدتهم لتحل محل كل العقائد الأخرى . كانت قوانين كل الدول ضد تعاليمهم ، وكانت رغبات الحكام وعواطفهم ضدهم ، وكانت اتجاهات الناس ضدهم ، لكنهم حاولوا نشر عقائدهم باللفظ والسلام فواجهوا الاحتقار والكراهية والمقاومة والاضطهاد المر والجلد والسجن والتعذيب والموت بأساليب فظيعة . غير أنهم نشروا دينهم بكل غيرة ، واحتملوا العذاب كله بسرور . ومات الواحد منهم بعد الآخر ، لكن الباقين أكملوا الرسالة في حماسة وعزم متزايدين كانت في بطولة تفضى من كل بطولة

أمامهم فرصة مراجعة إيمانهم وفحص الأدلة على صدقة ، وكان من المستحيل أن يثبتوا على عقيدتهم لولا ثقتهم في صحتها المطلقة ، وتأكدتهم أن المسيح قد قام فعلاً من الأموات ، وأن هذه هي الحقيقة اليقينية مثل أى حقيقة أخرى أكيدة . ولو أن أحداً خدعهم حتى صدقوا القيامة ، فقد كانت تحيط بهم عوامل كثيرة تدفعهم ليعيدوا التفكير ويكتشفوا الخديعة ، ولم يكن ممكناً أن يستمروا في تصديق أكذوبة تعرضهم للاضطهاد القاسى من الخارج والإحساس بالذنب من الداخل بلا رجاء في السلام ولا راحة للضمير ولا انتظار لكرامة أو تقدير بين الناس ، وبالجمله بلا رجاء في هذا العالم ، ولا في العالم الآتى .

ان الدراسة تظهر أن الرسل كانوا أشخاصاً عاديين مثلنا في طبيعتهم ، تحركهم ذات الدوافع ، وتحذوهم ذات الآمال ، ونحضم ذات الأفراح ، وتكتنفهم ذات الأحزان ، وتؤثر فيهم ذات المخاوف ، وتعرض نفوسهم لذات التجارب والضعفات والعواطف مثلنا وتدل كتاباتهم على رجاحة عقولهم . وما لم تكن شهادتهم صادقة فإننا لا نستطيع أن نرى دافعاً آخر لهم يجعلهم يخترعون خدعة لينشروها على الناس « (٤) » .

وحسناً قال كليفور هرشل مور أستاذ جامعة هارفارد : « ان المسيحية عرفت أن مخلصها وفاديا ليس كباقي الآلهة الذين وردت أسمائهم في الأساطير التى تلفها عناصر خرافية بدائية . فيسوع شخص تاريخى لا خرافى ، فلا يوجد شىء خرافى فى العقيدة المسيحية التى تأسست على حقائق إيجابية أكيدة » .

ويقول بنيامين ورفيلد من جامعة برتستون : « أن تجسد الله الأزلى هو بالضرورة مسألة عقيدة فلا يمكن لعين بشرية أن تراه وهو يتنازل ليأخذ صورة الإنسان ، ولا يمكن للسان بشرى أن يشهد بذلك ، ومع ذلك فلو لم

يكن التجسد حقيقة لكان إيماننا باطلا وظللنا في خطايانا. أما قيامة المسيح فحقيقة ثابتة ، حادثة وقعت فعلا ، تدخل في دائرة معرفة الإنسان وإدراكه ، ويمكن اثباتها بمختلف الشهادات والأدلة ، وهي التعليم الأساسي في المسيحية وعليها تتوقف باقي التعاليم .

قال أحد العلماء العظماء ، الدكتور أينى ، رئيس قسم الكيمياء في جامعة الينوى : « أؤمن بقيامة المسيح الجسدية : أنا أوؤمن وأقدر أن أدافع عن إيماني بالعقل . . . صحيح أننى لا أقدر أن أبرهن إيماني هذا بذات الطريقة التى أبرهن بها بعض الحقائق العلمية . ولكن بعض هذه الحقائق كان غامضاً منذ مئة سنة كما لا تزال حقيقة القيامة اليوم . وعلى أساس البرهان التاريخي للمعلومات البيولوجية الراهنة ، فإن العالم الأمين لفلسفة العلم يمكن أن يشك في قيامة المسيح بالجسد ، لكنه لا يملك أن ينكرها ، لأن هذا يعنى أنه يستطيع إثبات أنها لم تحدث . صحيح أن علم البيولوجي اليوم يقول إننا لا نقدر أن نقيم جسداً مات وقبر منذ ثلاثة أيام ، ولكن إنكار قيامة المسيح على أسس علم البيولوجي كما هي الآن ، هو موقف غير علمي حسب علمي بفلسفة الموقف العلمي السليم . » (٥) .

في عام ١٧٤٧ أصدر عالمان كتاباً . . . وقصة إصداره أن شاين هما جلبرت وست ولورد لتلتون عزمًا على مهاجمة الكتاب المقدس ، فعزم لتلتون على برهنة أن شاول الطرسوسي لم يصرمسيحياً . وعزم وست على برهنة أن المسيح لم يقيم من قبره !

والتقيا بعد وقت للدارسة ما وصلا إليه فإذا كل منهما قد اكتشف عكس ما كان يريد اثباته فكتبوا كتاباً عنوانه : « ملاحظات على تاريخ قيامة المسيح وبراهينها » وكتبوا على غلافه « لا تلوموا قبل أن تفحصوا الحقائق » . (٦)

وقد ذكر فيه : إن الأدلة قاطعة بتلك الحقيقة أنه في اليوم الثالث قام يسوع من بين الأموات ، وهى نفس النتيجة التى وصل إليها لورد دارلنج كبير قضاة انجلترا ، ففى إحدى المآدب دار الحديث حول صحة المسيحية وبخاصة موضوع القيامة . . . فقال لورد دارلنج بكل مهابة وحزم : « نحن المسيحيين مطالبون بأن نقبل أشياء كثيرة بالإيمان مثل تعاليم يسوع ومعجزاته ، ولو كان علينا أن نقبل كل شىء بالإيمان ، لراودنى الشك ، ولكن ذروة المسألة هى ما يختص بحقيقة هل عاش يسوع فعلاً وماذا قال عن نفسه ، وكل ذلك يستند إلى حقيقة القيامة ، فعلى هذه الحقيقة يرتكز إيماننا ، والأدلة على هذه الحقيقة أدلة قاطعة حاسمة إيجابياً وسلبياً ، سواء من جهة الوقائع أو الظروف ، حتى أنه لا يوجد رجل قانون عاقل يتردد فى الحكم بصحة قصة القيامة » .

٣ - شهادة آباء الكنيسة الأولين :

احتلت القيامة المكانة الثانية بعد مكانة تجسد المسيح فى كتابات آباء الكنيسة . ولقد دلت الآباء الأولون على صحة القيامة منذ بدء المسيحية ، فذكرها أكليمندس الرومانى فى رسالته إلى كورنثوس (٩٥ م) . كما أوردتها كلى قوانين الإيمان لم يعارضها أحد .

وقد قال أغناطيوس (٥٠ - ١١٥ م) أن المسيحية هى « الإيمان به (بالمسيح) والمحبة له ، الإيمان بآلامه وقيامته » وهو يدعو كل مسيحي « ليقنع اقتناعاً عميقاً بالميلاد والآلام والقيامة » ويقول أن رجاءنا هو قيامة المسيح ، لأن قيامته وعد بقيامتنا . ويقول أغناطيوس أن الكنيسة تفرح بآلام المسيح وقيامته ، ويقول أن القيامة كانت بالروح وبالجسد (٧) .

وفى رسالة بوليكاربوس لأهل فيلي (حوالى ١١٠ م) يتحدث عن المسيح الذى « احتمل حتى الموت لأجل خطايانا ، ولكن الله أقامه ناقضاً

أوجاع الموت « ويقول : « إن الله أقام ربنا يسوع من الأموات وأعطاه مجداً ،
وعرشاً عن يمينه ، وأخضع له كل ما في السماء والأرض » والمسيح المقام
آت « ليدفن الأحياء والأموات » وإن الذي « أقامه من الأموات سيقمنا نحن
أيضاً ، إن كنا نفعل مشيئته ونسلك في وصاياه » . وكانت صلاة بوليكاربوس
الآخيرة قبل استشهاده أن يكون له « نصيب في عداد الشهداء في كأس
المسيح ، إلى قيامة الحياة الأبدية للروح والجسد في عدم فساد » .

أما حديث جستن مارتير عن القيامة (١٠٠ - ١٦٥ م) فهو دفاع عن
العقيدة المسيحية ، وكان معاصروه يقولون إن القيامة مستحيلة ، بل إنها غير
مطلوبة لأن الجسد هو مصدر الشر ، بل أنها غير معقولة لأنه لا معنى لاستمرار
أعضاء الجسد . وكان المعاصرون يقولون إن قيامة المسيح شبيهة لهم ، ولكنها
لم تكن حقيقة بالجسد . وجاوب جستن مارتير على هذه الأفكار ، ودحضها

أما ترتليان فقد كان مدافعاً عن المسيحية (١٦٠ - ٢٢٠ م) وكتب
باللغتين اليونانية واللاتينية في جميع فروع الثقافة من قانون وسياسة وبلاغة .
وبعد أن عاش ثلاثين أو أربعين سنة في حياة الخلاعة ، اعتنق المسيحية بإيمان
عميق ، وكرس باقي حياته للدفاع عن المسيحية ضد الوثنيين واليهود والهرطقة .
وكان مدافعاً قوياً عن الإيمان .

رابعاً - مشاهد حول حادثة القيامة

١ - يسوع مات :

يسجل مرقس ما يلي بعد محاكمة المسيح :

« فيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس ،
وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب . . . وألبسوه أرجواناً ، وضمفروا إكليلاً

من شوك ووضعوه عليه ، وابتدأوا يسلمون عليه قائلين : السلام يا ملك اليهود ! وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويصقون عليه ، ثم يسجدون جاثين على ركبهم . وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ، ثم خرجوا به ليصلبوه » (مرقس ١٥ : ١٥ - ٢٠) .

ولكى يجلد المجرم كانوا يجردونه من ثيابه ويربطونه إلى عامود ، ثم تنال عليه الضربات الوحشية من عساكر متخصصين . ومع أن اليهود كانوا يحددون عدد الجلدات بأربعين ، إلا أن الرومان لم يجعلوا للجلدات حدوداً ، فكان المجلود تحت رحمة جلاديه . وكان سوط الجلد ذا نهايات جلدية بها قطع معدنية تمزق بدن المجلود . وقد وصف الأسقف يوسابيوس القيصرى ومؤرخ الكنيسة من القرن الثالث الميلادى آثار الجلد بقوله إن عضلات وأعصاب وأحشاء المجلود كانت تبرز من مكانها .

وبعد أن احتمل المسيح آلام الجلد ، كان عليه أن يحمل صليبه إلى « الجلجثة » مكان الصليب . .

١ - ولا بد أن التجهيز لهذه المسيرة كان سبب ألم شديد للمسيح ، فيقول متى : « وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصليب » (متى ٢٧ : ٣١) . ولا شك أن نزع الرداء والباسه ثيابه على الجروح سببت الألم الكثير .

٢ - ان عبارة مرقس « وجاءوا به إلى موضع جلجثة » (مرقس ١٥ : ٢٢) . تعنى أن يسوع عجز عن السير ، فحملوه قسراً إلى موضع الصليب ! وهكذا انتهت آلام التجهيز للصليب ، لتبدأ عذابات الصليب نفسه (٨) ! .

ويسجل مرقس قصة الصليب ، فيقول :

وجاءوا به إلى موضع جلجثة (الذى تفسيره موضع جمجمة) وأعطوه خمرًا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل . ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد . وكانت الساعة الثالثة فصلبوه ، وكان عنوان علته مكتوباً : ملك اليهود . وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره ، فم الكتاب القائل : وأحصى مع أئمة . وكان المجتازون يجذفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين : آه ! ياناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام . خلص نفسك وانزل عن الصليب . وكذلك رؤساء الكهنة وهم مستهزئون فيما بينهم مع الكتبة قالوا : خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها . لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن . واللذان صلبا معه كانا يعيرانه !

ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة . وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً ألوى ألوى لما شبقتنى ؟ الذى تفسيره : إلهى إلهى ، لماذا تركتنى ؟ فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا : هوذا ينادى إيليا . فركض واحد وملاً اسفنجة خلا وجعلها على قصبة وسقاه قائلاً : اتركوا . لنر هل يأتى إيليا لينزله . فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح . وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل . ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال : حقاً كان هذا الإنسان ابن الله » (مرقس ١٥ : ٢٢ - ٣٩) .

إن أهوال الصليب أرهب من كل تصور حتى أن شيشرون خطيب روما الشهير يقول : يجب ألا ترد كلمة الصليب على شفاه مواطنى روما ، بل يجب ألا تخطر على بالهم أو تمر أمام عيون خيالهم أو تطرق مسامعهم .

بعد أن قضى يسوع ليلة بلا نوم ، لم يعط خلالها أى طعام ، واحتمل
السخرية فى محاكمتين ، وجلد بفظاعة ، حملوه إلى مكان الصلب ، أشنع وسيلة
للاعدام ، فيه كانت كل خلايا جسد المصلوب تصرخ من الألم .

كان موت الصليب يحمل العذاب كله : الدوخة ، التوتر ، العطش ،
الجوع ، عدم النوم ، الحمى ، التسمم ، الخزى والعار ، استمرار التعذيب
الموت البطيء من الجروح . . . آلام رهيبة خالية من أى أثر للرحمة ولكنها
تقف بالمصلوب دون حد الاغماء ليستريح قليلا من آلامه .

وكان وضع المصلوب عذاباً ، فكل جسمه مشدود ، وجروحه معرضة
للجو والحشرات . . وتحتقن رأسه ورثاه بالدماء ، ومما يزيد فى آلامه العطش
الشديد المستمر . . كل هذه الآلام تجعل من لحظة الموت رحمة ! !

وقد استغرب بيلاطس لما عرف بسرعة موت المسيح ، فسأل قائد المئة
الذى قال إنه مات فعلاً . وكان الجنود الرومانيون يعرفون ما هو الموت ،
بعد أن مارسوه فى كل مكان . وكانت العادة أن يفحص المصلوب أربعة من
جلاديه ليعطوا شهادة بوفاة . ولا بد أن الأربعة فحصوا جسد يسوع وتأكدوا
تماماً من موته ، قبل أن يسمح بيلاطس ليوسف الراى أن يأخذه (٦) .

« ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح ،
قال : حقاً كان هذا الانسان ابن الله . . فتعجب بيلاطس أنه مات كذا
سريعاً ، فدعا قائد المئة وسأله : هل له زمان قد مات ؟ ولما عرف من قائد
المئة وهب الجسد ليوسف » (مرقس ١٥ : ٣٩ و ٤٤ و ٤٥) .

ولا شك أن الجنود الذين أنزلوا الجسد تأكدوا أن صاحبه قد مات .

ويقول البشير يوحنا أن العسكر « لما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات . لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم وماء » (يوحنا ١٩ : ٣٣ ، ٣٤) .

ويقول الدكتور صموئيل هفتن أستاذ الفسيولوجيا من جامعة دبلن ،
التعليقات التالية على موت المسيح :

« عندما طعن الجندي جنب المسيح كان قد مات ، وخروج الدم والماء قد يكون ظاهرة طبيعية قابلة للتفسير ، أو أنه معجزة . ويبدو من رواية يوحنا أنه لو لم تكن هذه معجزة فإنها على الأقل ليست ظاهرة عادية ، ويظهر هذا من تعليق يوحنا على هذا بأنه كان شاهد عيان صادق الرواية .

ومن ملاحظاتي على الإنسان والحيوان في معمل التجارب وجدت النتائج التالية : عندما يطعن الجسد في الجانب الأيسر ، بعد الوفاة ، بسكين كبيرة تساوى في الحجم حربة الجندي الروماني ، فإن النتائج التالية يمكن أن تحدث :

١ - لا يخرج شيء إلا قطرات قليلة من الدم .

٢ - سيل من الدم فقط يخرج من الجرح .

٣ - دفع من الماء فقط تتبعه قطرات قليلة من الدم .

وفي هذه الحالات الثلاث تغلب الحالة الأولى . أما الحالة الثانية فتحدث في حالات الموت غرقاً أو بتسمم الاستركنين . وقد تحدث في الحيوان الذي يموت بهذا السم ، ويمكن البرهنة على أنها الحالة العادية للشخص المصلوب . أما الحالة الثالثة فتحدث في حالة الموت بذات الجنب أو لإلتهاب التامور أو تمزق القلب .

وهناك حالتان لم تسجلا في كتب (إلا في إنجيل يوحنا) ولم يكن من حظي أن ألتقي بهما :

٤ - سيل غزير من الماء يتبعه سيل غزير من الدم ، عند الجرح .

٥ - سيل غزير من الدم يتبعه سيل غزير من الماء ، عند الجرح .

ويحدث الصليب احتقان الرئتين بالدم كما في حالة الفرق أو التسمم بالاستركنين . وتحدث الحالة الرابعة للمصلوب الذي كان يعاني قبل الصليب من حالة انسكاب رئوي . أما الحالة الخامسة فتظهر في المصلوب الذي يموت على الصليب نتيجة انفجار أو تمزق في القلب . ودراسة تاريخ الأيام الأخيرة من حياة المسيح ، تظهر أنه لم يكن مصاباً بحالة انسكاب رئوي قبل الصليب . وعلى هذا لا يبقى أمامنا إلا احتمال خروج الدم والماء من جنب المسيح بسبب الصليب وتمزق القلب أو انفجاره . وأعتقد أن هذا الفرض الأخير هو الصحيح ، ويتفق معى فيه الدكتور وليم سيراود (٩) .

ويمضى الدكتور هفتن فيقول إن يوحنا لم يكن في إمكانه أن يخترع قصة خروج الدم والماء ، فإن روايته رواية شاهد عيان يتعجب مما يراه ، ويعتبر أن معجزة قد صاحبت الصليب (٩) .

مع أن هذه الطعنة في جنب المسيح ، لو جاءت وهو حي لتدفق دم فقط مع كل نبضة من قلبه ، لكن هذه الرواية الإنجيلية من البشير الذي لم يدرس الباثولوجى تبرهن لنا أن المسيح قد مات فعلا (٦) .

وأخذ يوسف جسد يسوع بعد أن تأكد بيلاطس من قائد المئة أن يسوع قد مات ، ولفه بالأكفان مع الأطباء ، وهذا برهان على موت يسوع ، فإن رائحة الأطباء النفاذة كانت تعيد إليه صوابه لو أنه كان مغمى عليه .

إن لف جسده بثوب كتانى وتغطية وجهه بمنديل « كما لليهود عادة أن يكفنوا »
لبرهان على موت المسيح .

ولو أن المسيح كان حياً ووضع في القبر المنحوت في الصخر لمات فيه ، ذلك أنه عندها سيحتاج إلى الهواء الطلق ، كما أن رائحة الأطياب كانت ستؤثر عليه تأثيراً مميتاً .

لقد مات يسوع مصلوباً « والذي عاين شهد ، وشهادته حق ، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم » (يوحنا ١٩ : ٣٥) .

٢ - القبر :

يذكر البشرون الأربعة القبر ٣٢ مرة وهم يروون قصة القيامة ، ذلك لأن القبر الفارغ كان موضع اهتمامهم البالغ .

لم يكن الرومان يهتمون بدفن المصلوب ، بل كانوا يتركون جثته للطيور . لكن اليهود كانوا يهتمون بدفن الميت . صحيح أنه كانت هناك استثناءات لهذه القاعدة ، لكن العادة المتبعة كانت دفن المصلوب . وكان أفراد العائلة يتقدمون لدفن الجسد ، أما في حالة المسيح فقد تقدم يوسف الرامى ليدفن الجسد .

وقد وصف يوسايبوس القيصرى - أبو التاريخ الكنسى - قبر المسيح الذى اكتشفته الامبراطورة هيلانة ، قال : « أما القبر نفسه فكهف محفور في الصخر ، لم يحدث أن دفن فيه أحد آخر . ومن المدهش أن ترى هذه الصخرة قائمة وحدها على أرض مستوية بها كهف واحد . ولو كان هناك أكثر من كهف لصارت معجزة قيامته غامضة » .

وقال رجل الحفريات ويليس الأستاذ بجامعة كامبريدج وصفاً لقبور ذلك الزمن : « هناك حفر مجوف بعمق بوصة أو بوصتين ليوسد فيه الجسد ، ومكان مرتفع كالوسادة لتوضع عليه الرأس . وتوجد فتحة مستطيلة الشكل في واجهة القبر ، عتبها السفلى أعلى من أرضية القبر ، ويسمح اتساعها بمرور الجسد إلى الداخل وأعلاها مقوس » (١٠) .

ويقول الأستاذ جوينبر في كتابه « يسوع » صفحة ٥٠٠ العبارة التالية : « الحق أننا لا نعرف ، وغالباً لم يكن التلاميذ أنفسهم يعرفون أين ألقى جسد يسوع بعد إنزاله من على الصليب بواسطة جلاديه على الأرجح . والأغلب أنه ألقى في حفرة المصلوبين ، أكثر من أنه قد وضع في قبر جديد » (٣) .

١ — وهذا الأستاذ لا يقدم أى برهان على صدق نظريته .

٢ — كما أنه يغفل شهادة شهود الأحداث الموجودة في الكتابات الدنيوية والكنسية من القرون الثلاثة الأولى .

٣ — وهو يغفل قصة الأناجيل الواضحة .

(١) لماذا نجد الحقائق التالية ، ان لم يكن يوسف الرامى قد أخذ الجسد فعلاً ؟ .

« ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف ، وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوع . فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع . فأمر بيلاطس حينئذ أن يعطى الجسد » (متى ٢٧ : ٥٧ ، ٥٨) .

« ولما كان المساء ، إذ كان الاستعداد (أى ما قبل السبت) جاء يوسف الذى من الرامة ، مشير شريف ، وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله ، فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فتعجب بيلاطس أنه مات

كذا سريعاً ، فدعا قائد المئة وسأله : هل له زمان قد مات ؟ ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف « (مرقس ١٥ : ٤٢ - ٤٥) .

« وإذا رجل اسمه يوسف ، وكان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً - هذا لم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم . وهو من الرامة ، مدينة لليهود . وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله . هذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع » (لوقا ٢٣ : ٥٠ - ٥٢) .

ثم أن يوسف الذى من الرامة ، وهو تلميذ يسوع ، ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود ، سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع . فأذن بيلاطس ، فجاء وأخذ جسد يسوع « (يوحنا ١٩ : ٣٨) .

ان هذه الروايات واضحة . لم يحدث أن ألقى جسد يسوع فى حفرة .

(ب) ثم ماذا عن تجهيز يسوع للدفن ؟

« فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان تقي » (متى ٢٧ : ٥٩) .

« فاشترى كتاناً فأنزله وكفنه بالكتان » (مرقس ١٥ : ٤٦) .

« وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة

حنوطاً ليأتين ويدهنه » (مرقس ١٦ : ١) .

« وتبعنه نساء كن قد أتين معه من الجليل ، ونظرن القبر وكيف وضع

جسده ، فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً » (لوقا ٢٣ : ٥٥ ، ٥٦) .

« يوسف الذى من الرامة . . ونيقوديموس . . وهو حامل مزيج مر

وعود نحو مئة منا ، فأخذنا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود

عادة أن يكفنوا » (يوحنا ١٩ : ٣٨ - ٤٠) .

« لماذا تسجل هذه الحقائق إن لم تكن الاستعدادات للدفن قد جرت فعلا ؟

(ج) وماذا عن النسوة اللاتي راقبن يوسف الراى ونيقوديموس يكفنان الجسد ويضعانه فى القبر ؟

« وتبعته . . ونظرن القبر وكيف وضع جسده » (لوقا ٢٣ : ٥٥) .
« وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر »
(متى ٢٧ : ٦١) .

« وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع » (مرقس ١٥ : ٤٧) لقد عرفت النسوة مكان القبر . هذا واضح من القصة .
(د) وكيف نتجاهل المعلومات التي وردت عن القبر .

« ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة » (متى ٢٧ : ٦٠) .

« ووضعه فى قبر كان منحوتاً فى صخرة » (مرقس ١٥ : ٤٦) .
« ووضعه فى قبر منحوت لم يكن أحد وضع قط » (لوقا ٢٣ : ٥٣) .
« وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط » (يوحنا ١٩ : ٤١) .

ونلاحظ ما يأتى :

متى يقول إن القبر كان خاصاً بيوسف . يوحنا يقول إنه فى بستان فى الموضع الذى صلب فيه يسوع . وكلهم ما عدا مرقس يقولون إن القبر كان جديداً . ولكن يوحنا لا يذكر أن القبر كان ملكاً ليوسف .

أما السبب الذى جعل يوسف يطلب الجسد فهو قرب قبره من مكان الصليب ، وكان الاستعداد للسبت يستوجب السرعة .

لقد كان القبر محفوراً فى صخر ولم يكن كهفاً طبيعياً ، ولم يكن محفوراً إلى أسفل ، بل أفقياً فى الصخر .

(هـ) لماذا طلب اليهود من بيلاطس أن يضع حراساً على القبر ، إن لم يكن هناك قبر ؟

« وفى الغد الذى بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين : يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى : إني بعد ثلاثة أيام أقوم . فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات ، فنكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى ! فقال لهم بيلاطس : عندكم حراس . اذهبوا واضبطوه كما تعلمون . فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر » (متى ٢٧ : ٦٢-٦٦) ولو أن جسد المسيح ألقى فى حفرة المجرمين ما كان هناك داع لحراسة القبر .

(و) ثم ماذا عن زيارة النسوة ، للقبر صباح الأحد ؟

« وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر » (متى ٢٨ : ١) .

« وباكرآ جداً فى أول الأسبوع أتتا إلى القبر إذ طلعت الشمس » (مرقس ١٦ : ٢) .

« ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتتا إلى القبر حاملات الخنوط الذى أعددنه ومعهن أناس » (لوقا ٢٤ : ١) .

« وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق
فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر » (يوحنا ٢٠ : ١) .

لو أن يسوع لم يدفن في قبر يوسف الراى ، ما كانت هناك حاجة لمحجىء
النسوة .

(ز) ثم ماذا نقول عن زيارة بطرس ويوحنا للقبر بعد أن سمعا أخبار
النسوة ؟

« فقام بطرس وركض إلى القبر ، فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها
ففى متعجباً في نفسه مما كان » (لوقا ٢٤ : ١٢) .

فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر ، وكان الاثنان يركضان
معاً ، فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً إلى القبر ، وانحنى فنظر الأكفان
موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر
الأكفان موضوعة والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان
بل ملفوفاً في موضع وحده . فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء
أولاً إلى القبر ورأى فأمن » (يوحنا ٢٠ : ٣ - ٨) .

(ح) ان جوينبر ينكر ما تذكره الأناجيل الأربعة بوضوح من أن جسد
يسوع وضع في قبر يوسف الراى ، ولكنه لا يورد أدلة على إنكاره ،
ويجىء بكلمات من خياله ، نابعة من تفكيره وفلسفته لا من التاريخ ذلك لأنه
ينكر حدوث المعجزات (٣) .

٣ - الدفن :

المعلومات التي عندنا عن دفن المسيح في قبر يوسف الراى تفوق في
تفصيلاتها أى معلومات تاريخية عندنا عن دفن أى شخص آخر سواء من

العهد القديم ، أو ملوك بابل ، أو فراعنة مصر ، أو فلاسفة الأغريق ، أو قياصرة الرومان . إننا نعرف من أخذ جسده من على الصليب ، ونعلم شيئاً عن تعطير جسده بالأطياب وعن أكفانه ، ونعرف القبر الذى دُفن فيه واسم صاحبه ، يوسف الرامى ، ونعرف أن موضع القبر كان فى بستان قريب من مكان الصليب ، خارج أسوار المدينة . وعندنا أربعة سجلات تاريخية عن الدفن ، تتوافق كلها ، واحد منهم هو متى تلميذ المسيح الذى حضر حادثة الصليب . والثانى مرقس الذى كتب قصته بعد صعود المسيح بأقل من عشر سنوات . والثالث لوقا رفيق بولس والمؤرخ العظيم . والرابع يوحنا آخر من غادر مكان الصليب ، وكان مع بطرس ، أول التلاميذ الاثني عشر ، اللذين رأيا القبر الفارغ (٣) .

ويقول المؤرخ ألفرد ادرشايم : « لم يكن الأغنياء وحدهم هم الذين يملكون قبوراً خاصة ، بل كان متوسطو الحال يفعلون ذلك ، وكانوا يجهزون القبر قبل الحاجة إليه بوقت طويل . وكانوا يحفرون القبور فى الصخور ويضعون فيها الجسد بعد تعطيره بالأطياب والحنوط وماء الورد وزيته . وكانوا يلفون الجسد بالأكفان ، وفى أقشة قديمة تكون غالباً قد سبق أن لفت بها كتب الشريعة . وكانت القبور أحياناً كهوفاً طبيعية » (١١) .

ويقول ادرشايم عن دفن المسيح : « لعله بسبب اقتراب السبت وضرورة الاستعجال ، أن يوسف الرامى اقترح دفن المسيح فى قبره الجديد الذى لم يسبق لأحد أن وضع فيه .

وأُنزل الصليب إلى مستوى الأرض ، وجذبت منه المسامير الخشنة . ولف يوسف الرامى ومن معه الجسد بقماش من الكتان النقى ، وأسرع به إلى قبره المنحوت فى الصخر فى بستان قريب ، حيث يلائم النحت وضع جسد الميت . وكانوا عادة يلحقون بالقبر غرفة نحو تسعة أقدام مربعة يضعون

فيها التابوت ، وفيها يتمكن حاملو الميت من القيام بآخر الواجبات من نحو الجثة (١١) .

ولقد تم تطيب الجسد في تلك الغرفة الملحقة بالقبر . وكانوا عادة يستخدمون كمية كبيرة من المر والعود على جسد ذى المكانة الخاصة (١١) . ويخبرنا إنجيل يوحنا أن نيقوديموس أحضر نحو مئة منا (نحو سبعين رطلا) من الأطياب لتكفين جسد يسوع .

ولابد أن يوسف الرامي أراد أن يعوض جبنه من نحو المسيح ، فاشترى الكثير من الأطياب كما أنه كان غنياً . ولم تكن كمية الأطياب — مع ضخامتها — غير عادية ، فقد طيبوا جسد غملاثل (معاصر يسوع) بنحو ثمانين رطلا من الأطياب .

ويصف يوسفوس ، المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي ، جنازة أرسطوبولوس الذى قتل وهو في الثامنة عشرة من عمره ، وكان رئيساً للكهنة لمدة سنة واحدة فقط ، قال إن الملك هيرودس بذل عناية خاصة لتجهيز القبر الذى يوضع فيه الجسد ، وزوده بكمية كبيرة من الأطياب ، ودفن معه بعض أدوات الزينة (٦) .

ولقد كان المر دواء يلصق بالجسد ويلتحم به حتى يصعب نزع الأكفان عن بدن الميت . وكانت عادة اليهود في التكفين أن يغسلوا الجسد ، ويسووه ، ثم يلفونه من البطن إلى الكعبين بقماش كتانى بعرض قدم . وكانوا يضعون الأطياب بين طيات الأكفان لحفظ الجسد وللصق الكتان . وتعبير يوحنا تعبیر دقيق « لفاه بأكفان مع الأطياب » .

وفي صباح اليوم الأول بعد الدفن اختفى جسد يسوع ، لكن بقيت الأكفان !

ولقد اتبع يوسف الراى الوصية القائلة : « فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله . فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إهلك نصيباً » (تثنية ٢١ : ٢٣) . ويعلق بولس على هذا قائلاً : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » (غلاطية ٣ : ١٣) .

ولا زالت عادات الدفن قائمة حتى اليوم فى الشرق ، فالجثة تغسل ، وتلف بالأكفان ، وتطيب بالأطياب ، ويغشى الوجه بمنديل (يو ١١ : ٤٤) .

٤ - الحجر :

كان اليهود عادة يضعون حجراً على باب القبر ليحفظ جسد الميت من عبث الناس والحيوانات . وكان الحجر عادة ثقيلاً يحتاج لبضعة رجال ليزحزحوه . ولما كان قبر المسيح مهدداً باحتمال سرقة التلاميذ له ، فقد اختاروا له حجراً ضخماً أكبر من المعتاد . وقد وجد فى نسخة قديمة (نسخة بيزا) من القرن الثانى لإنجيل مرقس تعليق بين قوسين على مرقس ١٦ : ٤ ، هكذا : « فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج ، لأنه كان عظيماً جداً (لا يستطيع عشرون رجلاً أن يزحزحوه) » . وكانت العادة أن يكتب القراء ملاحظاتهم على هامش الإنجيل . لكن كتابة هذه العبارة بين قوسين وسط النص يعنى أن هذه ملاحظة قديمة ، لعل شخصاً معاصراً شاهد عيان كتبها تعليقاً على ضخامة الحجر ، وكانت ضخامة الحجر قد أدهشته (١٢) .

وتوضح القصة الكتابية أن الحجر كان ضخماً ، حتى أن النسوة لم يكن قادرات على دحرجته . ويقول المؤرخ ادرشايم ، اليهودى الأصل : « وهكذا وضعوا جسده داخل القبر الجديد المنحوت فى الصخر ، وعند خروجهم دحرجوا حجراً عظيماً جداً على الباب ، حسب عادة اليهود ، اسمه « جوليل » .

ولعلمهم سندوا الحجر الكبير بحجر آخر صغير يسمونه « دوفج » . والأغلب أن السلطات وضعت الختم عند اتصال الحجرين حتى يظهر أقل تغير يطرأ عليهما « (١١) » .

ويقدم المحامي فرنك موريسون في كتابه « من دحرج الحجر » تعليقاً على زيارة مريم وصديقاتها لقبر يسوع باكراً صباح الأحد فيقول : « لا بد أن مسألة دحرجة الحجر شكلت حيرة ملحوظة للنسوة ، فقد رأت اثنتان منهن على الأقل المنظر من قبل وعرفتا الموقف . وكان الحجر الكبير على الباب محل حيرتهن وتقول أقدم الروايات الانجيلية ، وهي رواية مرقس « وكن يقلن فيما بينهن : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ » (مرقس ١٦ : ٣) وهذا يرينا أن مشكلة الحجر لم تكن مشكلة نفسية وحسب ، لكنها كانت عنصراً تاريخياً في الموقف كله إلى أن وصلن إلى القبر « (١٣) » .

ويدعو موريسون الحجر « الشاهد الصامت الذي لا يخطيء » ويقول إن هناك حقائق تستدعي الدراسة الدقيقة والبحث في مسألة الحجر : « أولاً حجمه وصفاته . لا شك أنه كان كبيراً ثقيلاً الوزن ، حتى يقول مرقس : « كان عظيماً جداً » . ويقول متى : « دحرج حجراً كبيراً على باب القبر » . وقد حارت النسوة في تحريكه . ولو لم يكن ثقيلاً ما تحيرت ثلاث نسوة في مشكلة دحرجته ، فلا بد أنه كان أثقل مما يستطعن زحزحته » (١٣)

٥ - الختم :

يقول متى : « فوضوا وضبطوا القبر بالحراس ، وختموا الحجر » (متى ٢٧ : ٦٦) وكانت إحدى طرق الختم أن يشدوا حبلاً على الحجر يثبتونه من طرفيه بصلصال لاصق ، كما قيل في دانيال ٦ : ١٧ : « وأتى بحجر ووضع على فم الجب وختمه الملك بخاتمه وخاتم عظمائه ، لئلا يتغير القصد في

دانيال « . ولقد تم الختم في حضور عسكر الرومان الذين بقوا لحراسة القبر
ليمنعوا السرقة أو القيامة ، لكنهم أصبحوا شاهداً جديداً على القيامة !

وكان الرومان يضعون الأختام ليبرهنوا على صحة الأمر وصدقه ، كما
كانوا يضعونه على الوصايا والوثائق الهامة ، ليحل محل التوقيع والإمضاء .
وكان الختم ضماناً للسرية ، إذ لا بد من فض الختم قبل الاطلاع على محتويات
الوثائق .

كان الختم على الحجر إذاً ضماناً لعدم زحزحته عن باب القبر ، إذ أن أى
تحريك له يكسر الأختام . وهو كما ذكرنا يكون بشد حبس على الحجر
يثبتونه من طرفيه بصلصال لاصق ثم يختم على الصلصال ، أو بوضع عارضتى
خشب بهيئة صليب ، فوق الحجر ، يختمون أطرافها الأربعة إلى باب القبر .
وقد تم كل هذا أمام الحراس لضمان سلامة الختم الذى كان يمثل كرامة
الامبراطورية الرومانية ، وكل من يتعدى عليه ، فإنه يتعدى على شرف
الامبراطورية .

قال القديس يوحنا فم الذهب ، أسقف القسطنطينية فى القرن الرابع ،
عن إجراءات الأمن التى اتخذت عند قبر المسيح :

ذهب قادة اليهود إلى بيلاطس قائلين : « يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك
المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم . فرب بضبط القبر إلى اليوم الثالث ،
لئلا يأتى تلاميذه ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات » . وعلى
هذا فقد وجب أن يختم الحجر على باب القبر . وهذا الختم ، وهذه الحراسة
المشددة دليل واضح على عدم وجود خداع فى قيامة المسيح . ولما كانت
هذه الإجراءات قد اتخذت فإن وجود القبر خالياً لبرهان قاطع على أنه قام .
هل ترى إذاً كيف قدموا البرهان على صدق حقيقة القيامة ، دون قصد؟ » (١٤)

٦ - الحراس عند القبر :

ذهبت جماعة من رؤساء اليهود ، بقيادة رئيس الكهنة إلى بيلاطس الوالى مطالبين بختم القبر وحراسته تحت إشراف عسكر الرومان . وكانت الحجة التى ساقوها هى أن يحموا القبر من سطو تلاميذ المسيح ليلا ، حتى لا يدعوا أن المسيح قام . وقال بيلاطس : « عندكم حراس . اذهبوا واضبطوه كما تعلمون » . ولابد أن عدداً (عادة ما بين عشرة وثلاثين جندياً) من عسكر الرومان مضى معهم تحت إشرافهم لختم الحجر على القبر المملوك ليوسف الراى ، بختم النسر الرومانى ، مع ختم الوالى الرومانى . وكان فض مثل هذا الختم جريمة كبرى ضد الدولة . وكان هذا الإجراء أكبر برهان يدحض الاتهام الذى وجهه اليهود فيما بعد لتلاميذ المسيح من أنهم جاءوا ليلا وسرقوا جسد يسوع . ولابد أن قائد العسكر الرومانى كان برتبة قائد مشة ، وعمل ثقة عند بيلاطس ، وقد حفظ التقليد لنا أن اسمه بتر ونيوس .

ولقد قام عسكر الرومان بواجبهم فى حراسة القبر ، كما سبق وقاموا بواجبهم فى تنفيذ حكم الصلب ، فقد كان عسكر الرومان يؤدون واجبهم دوماً بأمانة وانضباط . وكان الختم الذى يحمل النسر الرومانى أكثر قداسة عندهم من كل فلسفات إسرائيل وعقائدها القديمة . . ولا عجب فإن الجنود الذين يقترعون على رداء مصلوب دون اهتمام بالآلامه ، لا يمكن أن يخدعهم جليليون ضعفاء أو أن يناموا فى أثناء نوبة حراستهم فيعرضون نفوسهم للموت .

ولقد جرى جدال كثير حول قول بيلاطس : « عندكم حراس . اذهبوا واضبطوه كما تعلمون » (متى ٢٧ : ٦٥) فجاء السؤال : هل كان الحراس جنوداً رومانيين ، أم كانوا من حرس الهيكل ؟ ذلك أن قول بيلاطس : « عندكم حراس » قد تعنى (١) أن عندهم حرس الهيكل أو (٢) أخذوا حراساً من الجند الرومانى .

ولكننا نرى أن الحراس كانوا من الرومان. فلماذا يذهب اليهود لبيلاطس لطلب حراس وعندهم الحراس ؟ ولماذا قالوا للحراس بعد اكتشاف القبر الفارغ : « وإذا سمع ذلك عند الوالى فتحن نستعطفه ونجعلكم مطمئين » (متى ٢٨ : ١٤) . لاشك أنهم جنود الوالى وهم يستعطفون لهم الوالى . ثم أن قولة بيلاطس « عندكم حراس » تحمل معنى الأمر ، أى « خذوا حراساً » . كما أن كلمة « حراس » فى اللغة الأصلية تطلق عادة على الحرس الرومانى ، وقد وجدت وصفاً للعسكر الرومان فى بردية ترجع إلى عام ٢٢ م. كما أن رؤساء الكهنة طلبوا من بيلاطس أن يأمر بضبط القبر (مت ٢٧ : ٦٤) .

وسياق القصة كلها فى أصحاح ٢٧ و ٢٨ من انجيل متى يظهر أن الحرس كان رومانياً ، فإن اليهود يمكن أن يساحوا الحرس اليهودى إذا نام ، لكن الوالى الرومانى هو الذى يسامح الحرس الرومانى إذا نام ! (راجع متى ٢٨ : ١١ ، ١٤) . لقد أخبر الحراس رؤساء الكهنة بقصة القبر الفارغ ، ليتدبروا الأمر معهم ، ولو أنهم أخبروا بيلاطس لوقع عليهم العقاب بالموت .

لقد طلب قادة اليهود حرساً رومانياً ، فأعطاهم الوالى الحرس . ولما كان العقاب واجباً على الحرس فقد استعطف قادة اليهود الوالى حتى لا يوقع العقاب على حرسه .

وقد كان انضباط الجندى الرومانى مذهلاً ، وكانت عقوبة الموت توقع على الجندى فى الأحوال الآتية ، حسبما وردت فى قوانين جستنيان :

البقاء مع الأعداء - الهروب - قطع عضو من الجسد للهروب من الخدمة - العصيان زمن الحرب - صعود سور أو متراس - بدء تمرد - رفض حماية القائد - التهرب من الخدمة - القتل - مد اليد على رتبة أعلى أو شتم قائد - الهروب الذى يجعل آخرين يهربون - إفشاء السر للأعداء - ترك مكان الخدمة -

جرح زميل بسيف — ترك الحراسة الليلية — كسر عصا قائد المئة عند تنفيذه التأديب — الهروب من السجن — تعكير السلام (١٥) .

وكانت العقوبة تتم بالقتل بالسيف ، أو بالرّى من جبل عال . ولقد كان العقاب قديماً قاسياً للغاية بمقارنته بالعقاب الذى يوقع اليوم على الجندى المقصر . وبهذا انتصرت روما فى حروبها الكثيرة (١٥) .

وقد كانت فرقة الحراسة الرومانية تتكون من عدد يتراوح بين ٦٠ و ١٢٠ جندياً ، ينقسمون إلى فرق صغيرة من أربعة جنود . أربعة يحرسون الخيمة من الأمام وأربعة يحرسونها من الخلف وسط الخيول . وكان أحد الأربعة يقف وقفة انتباه بينما يستريح زملاؤه الثلاثة بعض الشيء ! ولكنهم جميعاً يكونون متنبهين لأى إنذار . ولقد كان هناك أربعة عساكر عند الصليب (يوحنا ١٩ : ٢٣) .

أما حرس الهيكل فقد كانوا ينتشرون ليلاً فى ٢٤ مكاناً عند الأبواب وفى الأفنية ، ٢١ منهم من اللاويين فقط ، وثلاثة من الكهنة معاً . وكانت كل فرقة منهم تتكون من عشرة رجال ، وهكذا نجد أن هناك ٢٤٠ لاوياً و ٣٠ كاهناً يعملون فى الحراسة كل ليلة . وكان حرس الهيكل يستريحون نهاراً ويعملون ليلاً . وكان الرومان يقسمون حراسة الليل إلى أربع حراسات لكن اليهود كانوا يقسمونه على الأرجح إلى ثلاث . وكان هناك قائد عام لحرس الهيكل ليحفظ النظام فى الهيكل . وليفتش على الحرس ليلاً . وكان الرؤساء والولاة يعينون القائد العام للحرس (١٦) .

وعندما كان القائد العام يصل إلى حرس الهيكل كانوا يقومون لتحيته . وكان الحارس النائم يضرب أو تحرق ثيابه عقاباً له . ومن هذا نفهم معنى قول الرويا ١٦ : ١٥ « طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عرياناً » (١٦) . وتقول المشنا ان حارساً كان يسير أمام القائد العام لحرس الهيكل يحمل مشعلاً . وكان كل جندى يقف ليقول للقائد : « يا قائد حرس الهيكل ،

سلام لك » وما لم يقف بهذه التحية فعنى ذلك أنه كان نائماً ، ويستحق ضرب العصا أو إحراق ثيابه . وعندما يسأل زملاؤه عن سبب الضوضاء في الهيكل كانوا يسمعون : « وجدنا فلاناً نائماً في نوبة حراسته وهم يضربونه ويحرقون ثيابه ! » . بل إنهم أحياناً كانوا يحرقون قبص النائم على جسده ، ليكون عبرة لغيره !

فلو أن حراس القبر كانوا من الرومان أو من اليهود ، فإن حراستهم كانت دقيقة . ولم يحدث أن لقي قبر كل هذه العناية . .

٧ - التلاميذ الهاربون :

يشرح لنا متى جبن التلاميذ بقوله : « حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » (متى ٢٦ : ٥٦) وهكذا يقول مرقس « فتركه الجميع وهربوا » (مرقس ١٤ : ٥٠) .

ومن الواضح أن التلاميذ لم يكونوا شجعاناً بوسائل ولا متسعى الفكر ، ولذلك فانهم هربوا جميعاً تاركين معلمهم للذين قبضوا عليه ، بل أن بطرس لعن وحلف أنه لا يعرف « هذا الرجل » ! وذلك أمام جارية !

لقد ملأ الرعب قلب بطرس فأنكر المعلم الذى أحبه والذى دعاه لترك الشباك ويصيد الناس .

لقد كان التلاميذ صيادين لا يعرفون حياة المدن ، ولكنهم تبعوا المعلم الجليلي بأمانة وإخلاص ، حتى جاءت الساعة الفاصلة عندما قبض عليه في البستان ، فأرعبتهم أضواء مشاعل الجند ، فهربوا جميعاً ! وظل التلاميذ مختفين حتى جاءتهم مريم المجدلية بأخبار القيامة في اليوم الثالث . ولقد ظنوا أن المرأة تهذى ، فإن معلمهم قد مات وانتهى ! ولم يكونوا بعد يعرفون الكتب أن مخلصهم ينبغي أن يقوم من الأموات !

خامساً - مشاهد بعد حادثة القيامة

١ - القبر الفارغ :

لم يدفع القبر الفارغ التلاميذ على الإيمان بالقيامة ، والقول إن يوحنا رأى وآمن (يوحنا ٢٠ : ٨) سيده أن يوحنا تذكر ما سبق أن قاله المسيح عن قيامته . إن مريم المجدلية والنسوة وبطرس لم يؤمنوا بالقيامة عندما رأوا القبر الفارغ . ولكن ظهورات المسيح لتلاميذه بعد القيامة هي التي جعلتهم يؤمنون . أما القبر الفارغ فقد قام حقيقة تاريخية محققاً أن الذي ظهر للتلاميذ هو نفسه يسوع الناصري .

ويلاحظ دارس العهد الجديد أن حقيقة القبر الفارغ لم ترد إلا في الأناجيل أما في مواعظ الرسل للجمهور - كما يسجلها سفر الأعمال - فإنهم لم يذكروها مع تأكيدهم الشديد على القيامة - ما السبب ؟ إن هذه الحقيقة كانت معروفة للجميع ، فلم يكن هناك ما يدعو إلى برهنتها . لقد عرف الجمهور كله أن قبر المسيح فارغ ، فكان المهم هو : ما هي دلالة القبر الفارغ ؟ لماذا هو فارغ ؟

والقبر الفارغ يقف صخرة راسخة كدليل من أقوى الأدلة على قيامة المسيح . لقد ربح الرسل كثيرين للإيمان بالمسيح - بالرغم من عداوة السامعين بعده أن أعلنوا خبر القيامة المفرح ، وهم على بعد قريب من القبر ، يمكن لمن يشاء أن يذهب إليه بنفسه . فهل كان يمكن أن يربحوا كل هؤلاء لو أن جسد المسيح كان مسجى في قبره ؟ ! وهل يمكن أن يقبل الكهنة والفريسيون وقادة اليهود ما أعلنه التلاميذ البسطاء ، بدون مقاومة ، لو لم يكن القبر فارغاً فعلاً ؟ ! إن حقيقة القيامة ما كان يمكن أن تعلن في أورشليم لو لم يكن القبر قد خلا خفياً من جسد المسيح ، فقد كان اليهود قادرين على إحضار الجسد لو أنه كان موجوداً ! (١٣) .

حاول قادة اليهود أن يرشوا الحراس ليقولوا أن تلاميذ المسيح سرقوا جسده ، وهم نيام (متى ٢٨ : ١١ - ١٥) . وهذا في ذاته برهان على أن القبر كان فارغاً . . لكن المشكلة هي في تفسير سر هذا الفراغ !

لقد وزع اليهود في القرن الثاني عشر كتابات تحوى تفسيراً للقبر الفارغ ، تقول أن الملكة عندما سمعت أن الرؤساء قتلوا يسوع ودفنوه وأنه قام أيضاً ، أمرتهم أن يبحثوا بجسد يسوع في بحر ثلاثة أيام وإلا قتلهم . عندئذ قال يهوذا : « تعالوا لتروا الرجل الذى تطلبونه لأنى أنا الذى أخذته من القبر . لقد خفت أن يسرقه التلاميذ ، فأخذته وخبأته في بستان وعملت مجرى ماء فوق مكانه » . وتكمل القصة بأن الجسد قد ظهر . (عن « توليدوث يسوع ») (١٧) . وواضح أن هذه القصة هي من إنتاج فكر العصور الوسطى ، ولكنها دليل على أن القبر كان فارغاً . وأن الأمر يعوزه التعليل . ولعله لهذا السبب تغفل معظم الكتابات المناهية للمسيحية ذكر القبر الفارغ ، لأن القبر الفارغ ضربة مميتة لكل الاعتراضات على الشهادة المسيحية ، والصخرة التى تتحطم عليها كل النظريات المخادعة .

ويلاحظ دارس تاريخ الكنيسة أن المسيحيين في القرون الأولى لم يجعلوا من قبر المسيح مزاراً ، فإن الجسد لم يكن هناك . فلماذا الزيارة ؟ فلا الأناجيل ولا سفر الأعمال ولا الرسائل ولا كتابات الأبوكريفا ولا الكتابات القديمة تذكر أن للمسيحية مزاراً . ألم تشتق سيدة واحدة من اللواتى أحسن المسيح إليهن أن تزور قبره ؟ ألم يشتق أندراوس أو بطرس أو يوحنا أن يحجوا إلى قبره ؟ ألم يرد شاول الطرسوسى أن يزور القبر ليذرف الدمع ندماً على ما سبق أن اقترفه في حق صاحبه ؟ . . لو أنهم عرفوا أن جسد المسيح مسجى هناك لأسرعوا لزيارته (١٣) .

٢ - الأكفان :

تتضح من رواية يوحنا أهمية الأكفان كبرهان للقيامة . أنه يقول :

« فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر ، وكان الاثنان يركضان معاً ، فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً إلى القبر ، وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة ، والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان ، بل ملفوفاً فى موضع وحده . فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذى جاء أولاً إلى القبر ، ورأى فآمن ، لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب : أنه ينبغى أن يقوم من الأموات » (يوحنا ٢٠ : ٣ - ٩) .

كانت مريم المجدلية قد أخبرت بطرس ويوحنا أن المسيح ليس فى القبر ، فجريا حتى سبق يوحنا بطرس ، وانحنى ينظر فرأى الأكفان موضوعة وتبعه بطرس . وكان المنديل الذى يغطى الرأس ملفوفاً وحده بعيداً عن الأكفان . والكلمة « موضوعة » فى اليونانية تعنى العناية فى وضعها ، وهى فى صيغة التوكيد ، بمعنى أنها ليست ملقاة بل فى موضعها الذى كانت فيه على الجسد ، وفى موضع الرأس كان المنديل ما يعنى أن الجسد قد انسحب من أكفانه . عندما رأى يوحنا ذلك لم يحتاج إلى شهادة إنسان ولا ملاك بل رأى فآمن ، وسجل شهادته لنا . ويقول كيرلس الاسكندرى (٣٢٦ - ٤٤٤ م) إن الطريقة التى وضعت بها الأكفان قادت التلاميذ للتأكد من القيامة .

ويقول بروفيسور ا. ه. داي : أن رواية يوحنا تتميز بلمسة شخصية ، أنها لا تحمل شهادة شاهد عيان فحسب ، بل وشهادة مراقب دقيق الملاحظة . إن ركض التلميذين وترتيب وصولهما إلى القبر ودخولهما إليه ، وكيف أن يوحنا انحنى أولاً ونظر من خلال باب القبر ورأى الأكفان موضوعة ، بينما

بطرس أكثرهما جسارة — كان أول من دخل ونظر (وهي في اليونانية تعنى التدقيق والفحص) ، ووصف موضع الأكفان والمنديل — وهو وصف لا تصنع فيه — لكنه وصف دقيق فقد انطبع ما رآه في ذاكرته ، كان نقطة تحول في إيمانه وحياته . فلم يكن الأمر قاصراً على القبر الفارغ فحسب ، بل والأكفان التي ظلت في موضعها كما هي .

لقد سجل لنا يوحنا أن يوسف الراى ونيقوديموس أتيا بمزيج مر وعود نحو مئة منا ، ولقا الجسد بالأكفان مع الأطياب . . ولكن ها يوحنا يسجل ما رآه هو وزميله بطرس عندما أتيا إلى القبر في صباح القيامة :

١ — الأكفان موضوعة بعناية كما لو أن الجسد ما زال داخلها .

٢ — المنديل الذي كان على الرأس ليس موضوعاً مع الأكفان .

٣ — المنديل ملفوفاً ، وكأنه ما زال على الرأس ، على مسافة قريبة من بقية الأكفان ، في موضع الرأس .

لقد كانت جميعها في مكانها كما هي لم تلمسها يد ، ولم تطوح بها في أى مكان ، بل كانت جميعها كالشرنقة التي خرجت منها الفراشة وطارَت :

وبعد التلميذين نظرت المجدلية فرأت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً يجلس عند الرأس والآخر عند القدمين ، والأكفان بينهما . ويضيف كل من متى ومرقس أن أحد الملاكين قال : « قد قام . ليس هو ههنا . هوذا الموضع الذي وضعوه فيه » . وقد أكد هذا كله للتلاميذ أن القيامة قد حدثت ! (٢) .

ولاشك أن بطرس ويوحنا اختبرا ما يمكن أن يقولاه عنه : « حقاً ! الرب في هذا المكان » (١٠) وكأن الأكفان والأطياب والمنديل قالت للمشاهدين : « كل ما تألم به المسيح قد تغير ومضى . . أما نحن الأكفان والأطياب والمنديل ، فإننا من الأرض ونبقى » (١٠) .

٣ - وضع الحجر :

الكلمة اليونانية التي تصف وضع الحجر لها معناها .

متى ٢٧ : ٦٠ « دحرج حجراً كبيراً » .

مرقس ١٦ : ٣ ، ٤ يستعمل « دحرج » مع إضافة كلمة يونانية أخرى لتعني أن مدخل القبر كان منحطراً أو مائلاً قليلاً .

لوقا ٢٤ : ٢ يستعمل « دحرج » مع إضافة كلمة يونانية أخرى لتعني منفصلاً ، أو بعيداً قليلاً . أى أن الحجر كان بعيداً قليلاً في المسافة عن القبر كله .

يوحنا ٢٠ : ١ كلمة أخرى هي « مرفوعاً عن القبر » أى بعيداً عنه كله .

لقد كان يلزم جهد ضخم لدحرجة مثل هذا الحجر الكبير .

٤ - الختم :

ولقد تم ختم القبر بحضور الجند الرومان . ولن يفتح باب القبر إلا إذا كسر الختم ، وهذه جريمة ضد الدولة الرومانية !

ولكن الختم كسر ، والحجر دحرج ، وكان على الحراس أن يقدموا تقريراً لقادتهم ورؤسائهم . . فقد كان الكل يخافون كسر الختم الروماني !

٥ - الحرس الروماني :

يقدم متى الملاحظات الآتية :

« وإذا زلزلة عظيمة حدثت ، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه ، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض

كالثلج ، فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات . . . قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأنخروا رؤساء الكهنة بكل ما كان ، فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين : قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام . وإذا سمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين . فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم . فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم » (متى ٢٨ : ٢ - ٤ ، ١١ - ١٥) .

ارتعب الحراس - الغلاظ وقساة القلوب - من المنظر المصاحب لقيامة المسيح حتى صاروا كأموات ! ولم يكن لديهم أدنى اهتمام بطبيعة العمل الذى أوكل إليهم ، بل كان كل همهم أن يقوموا بالحراسة فقط ، إخلالاً منهم للنسر الرومانى الموضوع على الختم فقد كان هذا الختم شيئاً مقدساً عندهم وأكثر أهمية من كل فلسفة اليهود وعقائدهم ولم يستطيعوا أن يقولوا أنهم كانوا نائمين لأن هذا يعنى حكم الموت عليهم . وكان عليهم أن يعتمدوا على وعد رؤساء الكهنة لهم فى استعطافهم للوالى (١٢) إذاً لا سبيل أمامهم غير ذلك فالحجر قد دحرج والختم كسر والجسد غير موجود !

٦ - ظهورات المسيح :

يقول كليف لويس إن الحقيقة الأولى فى التاريخ المسيحى هى أن بعض الناس رأوا القيامة . ولو أنهم ماتوا دون أن يخبروا بما رأوه لما كتبت الأناجيل التى تحمل الأخبار السارة لنا (١٨) .

وقد هاجم البعض قصص ظهورات المسيح باعتبار أنها قصص خيالية ، ولكن النقاد اليوم لا يستطيعون قول ذلك ، فقد ظهر المسيح مرة لأكثر من ٥٠٠ شخصاً . ولنفكر فى شخصية الأشخاص الذين ظهر لهم المسيح من رجال ونساء ، قدموا للعالم أسمى المقاييس الأخلاقية ، وعاشوا بشهادة أعدائهم

فى مستوى المقاييس التى علموا بها . وفكر فى جماعة من الجبناء المتكوريى فى
علية وقد تغيروا فجأة إلى شجعان أبطال لم تستطع كل الاضطهادات أن
تسكتهم فهل نغزو سر هذا التغيير إلى خيال أو كذب ؟ !

إن الذين تحدثوا عن ظهورات المسيح كانوا شهود عيان ، أعلنوا
ما رأوه لمعاصريهم الذين عاينوا كل شيء . ويقول بولس أن المسيح ظهر
لأكثر من ٥٠٠ أخ أكثرهم باق إلى وقت ما كتبه بولس (سنة ٥٦ م)
(١ كورنثوس ١٥ : ٦) . لقد كان من السهل جداً أن يدحض أحدهم هذا
الكلام لو أنه كان غير صحيح .

ولو لم تكن القيامة قد حدثت فإن بولس يكون قد خدع الرسل وهو
يقول لهم أن المسيح قد ظهر له ! ويكون الرسل قد خدعوا بولس وهم يقولون
له أن المسيح قد ظهر لهم !

وهاك قائمة بظهورات المسيح يسوع :

لمريم المجدلية (يوحنا ٢٠ : ١٤ ، مرقس ١٦ : ٩)

للنسوة الراجعات من القبر (متى ٢٨ : ٩ ، ١٠)

لبطرس قرب نهاية يوم القيامة (لوقا ٢٤ : ٣٤ ، ١ كورنثوس ١٥ : ٥) .

لتلميذى عمواس (لوقا ٢٤ : ١٣ - ٣٣) .

لرسل فى غياب توما (لوقا ٢٤ : ٣٦ - ٤٣ ، يوحنا ٢٠ : ١٩ - ٢٤)

لرسل فى حضور توما (يوحنا ٢٠ : ٢٦ - ٢٩) .

لسبعة عند بحيرة طبرية (يوحنا ٢١ : ١ - ٢٣) .

لأكثر من خمسمائة أخ (١ كورنثوس ١٥ : ٦) .

ليعقوب (١ كورنثوس ١٥ : ٧) .

للأحد عشر (متى ٢٨ : ١٦ - ٢٠ ، مرقس ١٦ : ١٤ - ٢٠ ، لوقا ٢٤ : ٣٣ - ٥٢ ، أعمال ١ : ٣ - ١٢) .
وقت الصعود (أعمال ١ : ٣ - ١٢) .
لبولس (أعمال ٩ : ٣ - ٦ ، ١ كورنثوس ١٥ : ٨) .
لاستفانوس (أعمال ٧ : ٥٥) .
لبولس في الهيكل (أعمال ٢٢ : ١٧ - ٢١ ، ٢٣ : ١١) .
ليوحنا في جزيرة بطمس (رؤيا ١ : ١٠ - ١٩) .

٧ - صمت الأعداء :

لم ينف الأعداء قيامة المسيح ، بل ظلوا صامتين .
يسجل لنا لوقا عظة بطرس يوم الخميس (أعمال ٢) ولكن أحداً من اليهود لم يقاوم بطرس ولا نفي ما أعلنه عن قيامة المسيح ، لأن البرهان كان واضحاً في القبر الفارغ لكل من يريد أن يرى !

وفي أعمال ٢٥ نرى بولس سجيناً في قيصرية ، وجلس فستوس على كرسي الولاية وأمر أن يؤتى ببولس . فلما حضر وقف حوله اليهود الذين كانوا قد جاءوا من أورشليم ، وقدموا على بولس دعاوى كثيرة وثقيلة لم يقدروا أن يبرهنوها . لكن ما هو الذى ضايق اليهود في شهادة بولس ؟ وما هو الذى لم يقدروا أن يبرهنوه ؟ أن فستوس يوضح الأمر للملك أغريباس « كان لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم ، وعن واحد اسمه يسوع قد مات وبولس يقول إنه حي » (أعمال ٢٥ : ١٩) لم يقدر اليهود أن يفسروا سر القبر الفارغ ! لقد اتهموا بولس بمسائل كثيرة ولكنهم صمتوا عن إثارة موضوع القيامة أمام شهادة القبر الفارغ .

ان سكوت اليهود يتحدث بصوت أعلى من كلام المسيحيين على صدق القيامة . لقد كانت قصة القيامة أضعف ما في المسيحية وكان يمكن للأعداء أن يصيبروها في مقتل ، لو أن القيامة لم تكن قد حدثت حقاً . ولكن الأعداء ظلوا صامتين من جهتها . كان يمكنهم أن يحطموا الكنيسة والمسيحية بمهاجمة أكبر عقائدها ، لكنهم لم يفعلوا . لقد ضربوا المسيحيين وجلدوهم وقتلوهم بسبب إيمانهم ، وكان من الأسهل أن يقارعوا حجبتهم بحجة أقوى ! ولكنهم لم يفعلوا . ولا شك أن اليهود بذلوا جهدهم في فحص القبر وموضوع القيامة ولو وجلوا لهم منفذاً للدخول هذه الحقيقة لسجلوها وحفظوها لتظل حجة في أيديهم . إن سكوت الأعداء شهادة بالقيامة لا تقل عن شهادة الرسل .

وفي أماكن أخرى لاقت فكرة القيامة السخرية ، لكنها لم تلاق الهجوم العاقل التاريخي .

في أثينا مثلاً عندما تحدث بولس عن المسيح ، لم يكن لدى سامعيه ما يقاومون تعليمه به : « ولما سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون » (أعمال ١٧ : ٣٢) لقد سخروا لأنهم لم يقبلوا أن يفهموا كيف يقوم ميت ، ولم يحاولوا مجرد الدفاع عن موقفهم ، ولسان حالهم يقول : « لا تربكني بهذه الحقائق ، فإن عقلي قد تجمد على ما فيه » .

لماذا لاقي بولس عدم إيمان في أثينا ، على خلاف ما لاقى في أورشليم ؟ الجواب : أن القبر الفارغ كان موجوداً في أورشليم لكل من يريد أن يفحص الحقائق ، لكن برهان القبر الفارغ كان بعيداً عن أثينا . ولم يهتم سامعو بولس في أثينا أن يفحصوا ويتحروا ، واكتفوا بالاستهزاء . وهذا في رأينا قمة الانتحار الفكري !

وفى موقف آخر لبولس أمام الملك أغريباس والوالى فستوس فى وسط
حشد عظيم فى قيصرية ، أعلن بولس : « إنا لا أقول شيئاً غير ما تكلم الأنبياء
وموسى . . . المسيح يكن أول قيامة الأموات . . . نور للشعب وللأمم » . . .
فقاطعه فستوس قائلاً : « أنت تهذى يا بولس ! الكتب الكثيرة (بمعنى
لكثرة ما درست) تحاولك إلى الهذيان » فأجاب بولس : « لست أهذى أيها
العزير فستوس ، بل أنطق بكلمات الصدق والصحو ، لأنه من جهة هذه
الأمور عالم الملك (أغريباس) الذى أكلمه جهاراً ، إذ أنا لست أصدق أن
يخفى عليه شىء من ذلك ، لأن هذا لم يفعل فى زاوية . أتؤمن أيها الملك
أغريباس بالأنبياء ؟ أنا أعلم أنك تؤمن ! فقال أغريباس لبولس : بقليل
تقنعنى أن أصير مسيحياً » (أعمال ٢٦ : ٢٣ - ٢٨) .

لقد تحدث بولس هنا عن « يسوع والقيامة » (أعمال ٢٦ : ٢٣) ولم
يقدم أحد من السامعين دليلاً ضد القيامة ، ولكنهم سخرُوا من بولس وقال
فستوس إنه يهذى . وقال بولس إن كلماته صاحبة وافية صادقة ، وأن
ما يحكيه عن القيامة لم يحدث فى زاوية ، بل على رؤوس الأشهاد ، فقد
كان بولس يتكلم فى قيصرية القريبة من أورشليم ، وكان الجميع قادرين على
التأكد بأنفسهم من قبر المسيح الفارغ .

سادساً - حقائق ثابتة عن القيامة

١ - حقائق تاريخية ثابتة :

القبر الفارغ شهادة صامتة لقيامة المسيح ، لم يقدر أحد أن يلحظها ،
فلا اليهود ولا الرومان استطاعوا أن يجيئوا بجسد المسيح أو يوضحوا أين ذهب .
كل ما فعلوه أنهم رفضوا أن يؤمنوا ، لا لنقص الأدلة ، بل لسوء النية .
لقد كانت مشكلتهم مشكلة إرادة ، إيمان ، لا اقتناع بالإيمان .

لقد قام المسيح من قبره ، وتركه فارغاً . ثم ظهر للكثيرين من أتباعه معاً وعلى انفراد . . هذه شهادة تاريخية صادقة !

٢ - حقائق سيكولوجية ثابتة :

إن التغير الهائل الذى حدث فى حياة تلاميذ يسوع هو أكبر برهان على القيامة ، فقد كان من المستحيل عليهم أن يصروا على تأكيد الحقائق التى رويوها لو لم يكن المسيح قد قام من الأموات فعلاً ، ، ولو لم يتأكدوا من هذا تأكيداً جازماً قوياً . ولا نجد فى ملاحم الحروب قصصاً تعادل فى قوتها قوة شجاعة التلاميذ وصبرهم وبطولتهم وهم يعلنون صدق القيامة محتملين الاضهاد والموت .

وهل يمكن أن هؤلاء الرسل الذين غيروا قيم العالم الأخلاقية ، يكونون كذابين ؟ وهل يحتملون كل ما احتملوا من تعذيب من أجل كذبه اخترعوها ؟

وتعال نراقب التغير الذى جرى فى حياة يعقوب « أخى الرب » الذى لم يكن قبل القيامة يؤمن برسالة أخيه . وبعد القيامة انضم إلى التلاميذ فى الكرازة بقيامة يسوع ، وكتب فى رسالته يقول : « يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح » (يعقوب ١ : ١) والسر الوحيد لتغير هذه الحياة هو ما ذكره بولس من أن المسيح المقام ظهر ليعقوب ! (١ كورنثوس ١٥ : ١٧)

وتعالوا نراقب توما وهو يحسب أن موت المسيح موت للمكوتة ، فقال « لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه » (يوحنا ١١ : ١٦) . لم يكن عند توما إيمان فى قيامة المسيح ، فلا يمكن أن الذى يقترح أن يموت مع شخص آخر ، يتوقع أن يرى هذا الشخص حياً بعد ساعات قليلة . كان توما يعلن نهاية ثقته العقلية بحياة المسيح . . بالنسبة له : مات المسيح ومات ملكوته ، فليمت معه تلاميذه ! إنه اليأس !!

ولكن توما ركع عند قدمي المسيح قائلاً : « ربّي وإلهي » (يوحنا ٢٠: ٢٨)
لقد رأى المسيح المقام ، فتغير تماماً وظل يركز بالإنجيل إلى أن مات شهيداً .
وهاك وصفاً للتغيير الذي جرى في حياة الرسل ، بعد القيامة :

في يوم الصلب امتلأوا جميعهم بالحزن ، وفي اليوم الأول من الأسبوع
امتلأوا جميعاً بالفرح . في يوم الصلب ملكهم اليأس . وفي اليوم الأول من
الأسبوع ضاءت قلوبهم باليقين والرجاء . وعندما جاءتهم رسالة القيامة ،
أول ما جاءت ، كانوا مكذّبين من العسير اقناعهم . . أما وقد تأكدوا من
القيامة فقد استحوّلت شكوكهم يقيناً . فما الذي أجرى هذا التغيير المذهل في
حياتهم في مثل هذا الوقت القصير ؟ إن نقل الجسد من القبر ما كان يمكن أن
يحدث هذا كله في نفوسهم وشخصياتهم ! وثلاثة أيام لا تكفي لنشر خرافة
مؤثرة هذا التأثير كله ، فإن الخرافات تحتاج لوقت طويل جداً لتأصل . .
هذه حقيقة سيكلوجية تستلزم تفسيراً لما حدث ! .

فكر في هؤلاء الرجال والنساء ، الذين أعطوا العالم أسمى تعاليمه الأخلاقية ،
والذين طبقوا ما تعلموه في حياتهم ، بشهادة أعدائهم . . فكر في جماعة
مغمورة من التلاميذ المهزومين الجبناء ، المتكورين في عليّة مغلقة الأبواب ،
وقد تغيروا إلى شجعان لا يسكتهم الاضهاد . هل يمكن أن كذبة مصطنعة
تحدث كل هذا التغيير المذهل ؟ !

ولا زال هذا التغيير يحدث اليوم ، فإن المسيح خلال التسعة عشر قرناً
يجري التغيير نفسه . وسنقدم في نهاية هذا الكتاب قصص تغيير مذهلة أجراها
المسيح .

ان هذا التغيير برهان صادق يجعلنا نؤمن بالقيامة . أنه برهان ذاتي يشهد
للحقيقة الموضوعية أن المسيح قد قام في اليوم الثالث ، لأن يسوع الحي وحسده
هو القادر على إحداث مثل هذا التغيير .

٣ - حقائق سوسولوجية (اجتماعية) ثابتة :

حدثت تغييرات في المجتمع لا يمكن حدوثها بدون قيامة المسيح ، أولها تأسيس مؤسسة هي الكنيسة ، وجعل يوم الأحد يوم العبادة ، وممارسة المؤمنين للعشاء الرباني والمعمودية .

(أ) الكنيسة مؤسسة مسيحية :

نتيجة لوعظ التلاميذ عن القيامة تأسست الكنيسة المسيحية :

« فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج ، منذ المعمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا ، يصير واحد منهم شاهداً معنا بقيامته » (أعمال ١ : ٢١ ، ٢٢) .

« هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق ، وبأيدي أئمة صلبتموه وقتلتموه ، الذي أقامه الله ، ناقضاً أوجاع الموت ، إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه » (أعمال ٢ : ٢٣ ، ٢٤) .

(راجع الشواهد التالية التي تظهر إعلان التلاميذ للقيامة كأساس قامت عليه الكنيسة المسيحية : أعمال الرسل ٢ : ٣١ ، ٣٢ ، ٣ : ١٤ و ١٥ و ٢٦ ، ٤ : ١٠ ، ٥ : ٣٠ ، ١٠ : ٣٩ - ٤١ ، ١٣ : ٢٩ - ٣٩ ، ١٧ : ٣٠ و ٣١ ، ٢٦ : ٢٢ ، ٢٣) .

ولا يمكن تفسير قيام الكنيسة بغير الإيمان بالقيامة ، فقد لقي التلاميذ الأولون أمر الاضهاد بل والتعذيب والموت من اليهود والرومان بسبب إيمانهم لأنهم عرفوا أن ربهم قد قام من القبر .

ولقد كان تعليم القيامة أساس الإيمان المسيحي ، فتعليم الكنيسة عن الخلاص يرسو على القيامة ، فإن لم يكن المسيح قد قام « فباطلة كرازتنا

وباطل أيضاً إيمانكم ، هكذا قال بولس ! وبفضل هذا الإيمان بالمسيح المقام سميت المسيحية على اليهودية ، وانتشرت في كل العالم .

لم تتأسس الكنيسة سنة ٣٢ م بالصدفة ، لكن بسبب محدد . ولقد قيل عن أعضاء الكنيسة الأولى في إنطاكية إنهم « فتنوا المسكونة » (أعمال ١٧ : ٦) وكان سبب كل هذا التأثير هو القيامة !

ولو أن حياة المسيح انتهت بالصليب لاستحال أن تنتشر المسيحية ، ولما تأسست الكنيسة على أساس أن المسيح هو المخلص المنتظر ، فإن « المسيا » المصلوب فحسب ، ليس المسيا الذى يمكن أن يخلص . لقد تعين أى تبرهن أن المسيح ابن الله بقوة القيامة من الأموات (رومية ١ : ٤) .

ولو لم يقم المسيح لصار مجرد صالح لقي حتفه ، لما تأسست كنيسته !

(ب) يوم الأحد يوم عبادة :

كان يوم السبت هو يوم العبادة عند اليهود ، لأن الله استراح فيه من عمل الخلق . وكان حفظ السبت وصية من الوصايا العشر ، وأحد الأعمدة الهامة في الديانة اليهودية . وكان تقديس السبت من أهم مظاهر حياة اليهود .

وقد اجتمع المسيحيون للعبادة يوم الأحد ، تذكراً لقيامة المسيح يوم الأحد ، وغير المسيحيون تقليد العبادة يوم السبت ، رغم رسوخه عصوراً طويلة بالعقيدة والممارسة . فإذا عرفنا أن الرسل كانوا يهوداً ، لرأينا مقدار الجهد الذى تطلبه الأمر لتغيير يوم العبادة بالنسبة لهم . وكيف نجد تفسيراً لتغيير يوم السبت بيوم الأحد إلا بالقيامة ؟ ! لقد كان التلاميذ الأولون يهوداً متمسكين بالسبت ، ولا يمكن تغيير هذا التمسك العقائدى والاجتماعى إلا بسبب أقوى ، وهو القيامة !

(ج) فريضة عيدان جديدتان :

١ - فريضة العشاء الرباني (أعمال ٢ : ٤٦ ، يوحنا ٦ ، متى ٢٦ : ٢٦ ، مرقس ١٤ : ٢٢ ، لوقا ٢٢ : ١٩ ، ١ كورنثوس ١١ : ٢٣ و ٢٤) .
العشاء الرباني تذكاري لموت المسيح ، لكنهم كانوا يمارسونه بفرح !
(أعمال ٢ : ٤٦) فكيف نفسر فرحهم بموت المسيح إلا بالقيامة ؟ لقد كانت وليمة العشاء السابق للصلب ألياً لا يحتمل للتلاميذ ، ولكننا نجد في العشاء الرباني مصدر فرح . كيف حدث هذا التغيير ؟

الإجابة : إنهم لم يحتفلوا بالمصلوب فقط ، لكن بالمقام أيضاً ، الذي ينتظرون مجيئه ثانية (١ كورنثوس ١١ : ٢٦) . وعندنا عبارة قصيرة بالأرامية كانوا يتلونها وقت ممارسة العشاء الرباني تقول : « ماران أثا » أي « أيها الرب تعال » (١ كورنثوس ١٦ : ٢٢) . هذا يعني أنهم عرفوا أن المسيح المصلوب قام ، وأنه سيجيء مرة أخرى .

٢ - فريضة المعمودية (كولوسي ٢ : ١٢ ، رومية ٦ : ١ - ٦) .

اختلف المسيحيون عن اليهود في أن اليهود مارسوا الختان ، بينما مارس المسيحيون المعمودية ، حسب أمر المسيح . وكان على كل إنسان أن يموت عن خطاياه ويؤمن بالمسيح المقام ، ثم يتعمد . ويقول بولس إن المؤمن في المعمودية يتحد بالمسيح ، فيموت معه ويقوم معه . فعندما يوضع في الماء « يموت ويدفن مع المسيح » وعندما يخرج من الماء يكون قد « قام مع المسيح » ولا يوجد في المسيحية ما هو أقدم من هاتين الفريضتين ، وكلتاهما مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً بموت المسيح وقيامته ، ولم يكن ممكناً وجودهما في الكنيسة لو لم يكن المسيح قد قام ، فهما شاهدان دائمان على قيامة المسيح ، التي قامت عليها الكنيسة .

لقد كان أوائل المؤمنين بالمسيحية من أصل يهودى ، واليهود معروفون بتمسكهم الشديد بشريعة دينهم . لكن هؤلاء المسيحيين الأولين أبدلوا السبت ، يوم عبادتهم ، بالأحد ، احتفالاً بقيامة المسيح . وفى يوم الأحد احتفلوا بالعشاء الربانى ، لا ذكرى لموت المسيح فقط ، بل شكراً على البركات التى يغدقها عليهم المسيح الحى أيضاً . أما المعمودية فأعلان للدفن مع المسيح وللقيامة معه (كولوسى ٢ : ١٢) .

لقد أضفت القيامة معناها على كل ما فعله التلاميذ .

سابعاً – نظريات فاسدة ضد القيامة

نقدم هنا النظريات التى هاجمت قيامة المسيح وحاولت أن تنقضها ، وسنقدم كل نظرية مع الرد عليها .

وقد تبدو إحدى النظريات وجيهة ، ولكننا عندما ندرس قصة القيامة ككل تنهار تلك النظرية ، ذلك أن القيامة حادثة تاريخية ، كما أوضحنا .

١ – نظرية الانغماء :

ان المسيح لم يمت على الصليب ، لكنه أغمى عليه فقط . وعندما وضع فى قبر يوسف الرامى كان حياً ، وبعد بضع ساعات ، فى هواء القبر البارد ، قام وخرج من القبر . وكان أول من نادى بهذه النظرية رجل اسمه « فنتورينى » منذ نحو قرنين . وتنشرها فى هذه الأيام طائفة الأحمدية التى مركزها فى لندن . وتقول النظرية أن المسيح سمر على الصليب فعلاً ، وأنه قاسى جداً من الصدمة وتزيف الدم والألم ، فأغمى عليه ، ولكنه لم يمت . ولما كانت المعرفة الطبية فى ذلك الوقت محدودة فقد حسبوه قد مات ، حتى أن بيلاطس اندمى من « موته السريع » . وأنزلوه من على الصليب باعتبار أنه « مات » ثم وضعوه

فى القبر . وفى القبر بعد الراحة والبرودة أفاق وخرج من قبره . وقد ظن
تلاميذه الجهلة أنه قام من الأموات ، ولم يفطنوا لحقيقة ما حدث . ويقولون
إن رائحة الأطياب التى وضعت وسط الأكفان ساعدت على إفاقة !

والرد على هذه النظرية نقول :

١ - ان المسيح مات فعلا على الصليب بشهادة العسكر الرومان ، ويوسف
ونيقوديموس .

أليس غريباً أن هذه النظرية لم تخطر ببال أحد من معاصري الصليب
أو من جاءوا بعدهم طيلة القرون السابقة ، رغم مقاومتهم الشديدة للمسيحية ؟
ان كل السجلات القديمة تشهد أن المسيح مات فعلا .

قاسى المسيح الآلام التالية قبل الصليب : الحزن العميق فى البستان ، القبض
عليه فى منتصف الليل ، المعاملة الوحشية فى دار رئيس الكهنة وفى دار
الولاية ، الرحلة المضنية بين بيلاطس وهيرودس والعودة ، الجلد الرومانى
الزهيىب ، السير إلى الجلجثة ، والوقوع تحت حمل الصليب ، عذاب الصليب
الخفيف ، العطش والحمى على الصليب . لقد كان كثيرون من المصلوبين
يموتون فى أثناء عملية الصليب لفرط التعذيب . لذلك لا يمكن مطلقاً افتراض
أن المسيح يمكن أن يحتمل كل هذا الألم ويبقى حياً ، رغم ضعفه ورقته (١٢) .

هل كان يمكن أن يحتمل المسيح عذاب الساعات الست وهو معلق على
الصليب والمسامير تمزق يديه وقدميه ، ثم يصرخ ويسلم الروح ثم يطعنه عسكرى
رومانى بالحربة فى جنبه ، ويوضع فى قبر مغلق ، ثم يقوم بعد هذا كله فى
اليوم الثالث ليظهر للتلاميذ بكل الحيوية والقوة ؟

هل كان يمكن بعد إغمائه أن يطعن بالحربة في جنبه للتأكد من موته ،
ثم يضعونه في قبر حجري مغلق ، في وقت الفصح الذي فيه تشتد البرودة
ليلاً في فلسطين ، بدون علاج لجروحه ، ملفوف في قماش ملتصق بالأطياب ..
ثم يفيق بعد ذلك ؟

إننا نحسب أن هذه كلها كانت تؤدي إلى موته ، ولو أنه كان مغمى
عليه عندما دفن !

وكيف كان يقوم من إغمائه ، ضعيفاً ، مجروح القدمين ليفك الأكفان
المربوطة بأحكام حوله والمثقلة بنحو مائة رطل من الأطياب ، وليزحزح
الحجر الضخم عن القبر ، الذي قلقت ثلاث نسوة من زحزحته ، ثم يمشي
المسافات الطويلة على قدميه الجريحتين من المسامير الغليظة ؟ وكيف للجريح
الجامع المنهك القوى أن يهرب من الجنود الرومان الذين يحرسون القبر ،
وكيف يظهر في نفس اليوم لتلاميذه بالصورة القوية التي شدت ولاءهم
وعبادتهم ؟

وكيف كان يصرف أربعين يوماً في فلسطين مختبئاً معظم الوقت ، يظهر
خلالها لتلاميذه على غير انتظار منهم ويرسلهم ليحملوا رسالته للعالم كله ،
ويعدهم بأنه معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر ، ثم يروونه بعيونهم صاعداً
عنهم إلى السماء ! !

لم يشك اليهود والجنود الرومان والجموع المحتشدة حول الصليب في أنه
مات . واندعش بيلاطس من سرعة موته ، لكن قائد المئة أكد له أنه مات .
وعندما طعنه الجندي بالحربة في جنبه لم يتحرك الجسد ، بل خرج دم وماء ،
علامة موته الأكيدة منذ فترة ولم يشك أعدى أعدائه (شيوخ اليهود) في أنه
مات . شكوا في أن تلاميذه قد يسرقون جسده ، لكنهم لم يشكوا في حقيقة

موته وهم يشاهدونه يسلم الروح . ثم جاء أحباؤه وأنزلوه من على الصليب ، دون أن تبدو منه حركة ، مثلما لم تبد منه حركة عند طعنه بالحربة ، بل رقد مائتاً بين أذرعهم فرفعوه وحملوه بعيداً ولفوه بالأكفان ووضعوه في القبر ! . . فهل نصدق أن المسيح الكامل ينخدع لتلاميذه والعالم كله ، قائلاً إنه قام ، بينما هو في الحقيقة قد أفاق فقط ؟ ! إن هذا أبعد احتمالاً من حقيقة القيامة نفسها !

٢ - لم ير التلاميذ أن المسيح قد أفاق من مجرد انغماء !

« لسنا نظن أن شخصاً تسلل من قبره في ضعف وانهاك ، وفي حاجة ماسة إلى علاج طبي وتضميد لجروحه وفي أشد الحاجة إلى فترة للنقاها ، يقدر أن يؤثر على تلاميذه بأنه قاهر الموت والقبر ، وأنه رئيس الحياة ، ويرسلهم بسلطان لكي ينشروا رسالته في العالم كله ! ما كان يمكن مثل هذا الواهن الجريح يقدر أن يبدل حزن تلاميذه إلى حماسة ، ويرفع احترامهم له إلى درجة العبادة ! » هذا الاقتباس هو من كلمات دافيد فردريك ستراوس الذي لا يؤمن بالقيامة ! قاله وهو ينفى نظرية الإغماء ! (١٩) .

وعندما ظهر المسيح لتلاميذه في العلية كانوا خائفين ، وقد أخذوا يعدون العدة للرجوع لأعمالهم الأولى التي كانوا يزاولونها قبل التعرف عليه . . وحالما رأوه امتلأوا بالفرح والشجاعة والحيوية ، وقرروا الاستمرار في التلمذة له ، ونشر رسالته . فهل كان يمكن أن المسيح الجريح الضعيف يبعث فيهم كل هذا الحماس ؟

وهناك فكرة أخرى : ان الذين يقولون إن المسيح أفاق من انغماء ، ولم يمت ، لابد أن يقولوا إنه كان قادراً على إجراء معجزة أخرى هي التخلص من الأكفان التي كانت تلف جسده بقوة حول كل ثنيات جسده . وكانت

الأطياب مواد لاصقة تلتصق الأكفان ببعضها وبالجسد . ولكن الأكفان بقيت ملتصقة بهيئتها الأولى بعد أن انسحب الجسد منها . ولقد زحزح صاحب الجسد الضعيف الحجر الثقيل ، وخرج دون أن ينتبه العسكر أو يتزعجوا ، ثم خطا فوقهم ومشى ! ولا بد أن معجزة حدثت حتى أن هذا المغمى عليه الذى أفاق يسير على قدميه إلى قرية عمواس التى تبعد عشرة كيلو مترات عن أورشليم ! (لوقا ٢٤ : ١٣) .

لقد سار المسيح على قدميه ، التى ثقبها المسامير يوم الجمعة ، من أورشليم إلى عمواس ، ثم اختفى عن التلاميذ وسبقهم ليقابل باقى التلاميذ فى عليه أورشليم ، ولا يمكن لمغمى عليه أفاق أن يفعل هذا كله !

وهل نصدق أن المسيح الذى أفاق من اغماء يخدع تلاميذه ويقول لهم إنه قد قام من الأموات ؟ وهو من هو من البر والقداسة لم يستطيع أحد خصومه أن ينسب له خطية !

ولو أننا صدقنا نظرية إفاقة المسيح من اغماء، لوجب أن نحذف من الأناجيل قصة القيامة والصعود ، فلا بد أن المسيح اختفى عن تلاميذه لموت بعد ذلك بعيداً عنهم جميعاً . فالذى أفاق من اغماء لابد سيواتيه الموت بعد ذلك .

ولو أن هذه النظرية صدقت لكان التلاميذ مخدوعين ، يموتون لأجل إيمان بمسيح مخادع مخفف عنهم حتى يواتيه أجله !

ثم : أليس غريباً أن شخصاً يؤلف نظرية فى القرن الثامن عشر يفسر بها القبر الفارغ ؟ ! لقد انهارت نظريته ولم يعد أحد يأخذ بها .

٢ - نظرية السرقة :

سرق تلاميذ المسيح جسده وقالوا إنه قام ! ويسجل متى منشأ هذه النظرية فيقول :

« قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين : قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام . وإذا سمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين .

فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم . فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم » (متى ٢٨ : ١١ - ١٥) .

وتتضح من كتابات جستين الشهيد وترتليان وغيرهما أن هذه النظرية كانت منتشرة بين اليهود ، ففي محاوره جستين وتريفو رقم ١٠٨ نقرأ حديث اليهود عن « واحد اسمه يسوع جليلي مخادع صلب ، ولكن تلاميذه سرقوا جسده ليلاً من القبر الذى وضعوه فيه بعد إنزاله من على الصليب . وأعلن التلاميذ أنه قام ثم صعد إلى السماء » (١٢) .

وفى دفاع ترتليان رقم ٢١ يقول : « وجد القبر فارغاً إلا من الأكفان . ولكن شيوخ اليهود الذين أرادوا إخضاع الناس لأفكارهم ، نشروا الكذبة التى تقول أن تلاميذه سرقوه ، أو أن البستانى أخفى الجسد حتى لا يجيء الزوار ويدوسوا على الخس الذى كان يزرعه فى البستان ! » .

وفى كتابة يهودية من العصور الوسطى أن التلاميذ سرقوا الجسد قبل دفنه ، ثم تمثيلية القبر الفارغ ، وأجلوا إعلان القيامة خمسين يوماً حتى يتحلل الجسد تماماً (١٢) .

والرد على هذه النظرية نقول :

١ - لا زلنا محتاجين لتفسير لحقيقة القبر الفارغ !

خلا القبر بفضل معجزة إلهية أو بعمل يد بشرية . ولم يكن لأعداء يسوع مصلحة في نقل الجسد ، ولم يكن لأصدقاء يسوع قدرة على نقله . وكان من مصلحة المستولين في الحكومة أن يبقى الجسد حيث هو . وسرقه التلاميذ لجسد المسيح مستحيلة ، فلا بد أن يد الله هي التي تدخلت لتجعل القبر فارغاً !

ويقول لى كامو : « إن كان يسوع قد وضع في القبر يوم الجمعة ولم يوجد به يوم الأحد ، فإنه يكون إما قد نقل أو أنه خرج من القبر بقوة نفسه ! ولا يوجد بديل ثالث . فهل نقل ؟ من نقله : أعداؤه أم أصدقاؤه ؟ إن الأعداء أحاطوا الجسد بالعسكر ليحفظوه داخل القبر ، فليس لهم مصلحة في نقله ، بل إن نقله يروج أكثر لفكرة قيامته التي سيخترعها التلاميذ . ولذلك فإن بقاءه في القبر يساعد أعداء المسيح على القول : « هذه هي جثته . . أنه لم يقيم » .

أما عن أصدقائه فإنهم لم يملكوا القوة ولا النية على نقله (٢٠) .

ولم يستطع الجنود أن يعطوا تفسيراً للقبر الفارغ ، فرشاهم رجال السنهدريم ليروجوا كذبة سرقة التلاميذ للجسد وهم نيام !

٢ - سرقة التلاميذ للجسد شرح غير معقول للقبر الفارغ .

(١) لم يناقش أحد العسكر في تفسيرهم للقبر الفارغ من أن التلاميذ سرقوا الجسد وهم نيام ، فإن رؤساء اليهود استعطفوا الوالى ، فلم يعاقب العسكر (متى ٢٨ : ١١) . . ولكن الحقيقة هي أن العسكر قدموا أعظم برهان على القيامة ، فانهم لم يكذبوا

وهم يخبرون الكهنة بما رأوه . ولم يذهب رؤساء اليهود للقبر ليتحققوا بأنفسهم من كذب الحراس . لقد صدق شيوخ اليهود العسكر ، وكان عليهم أن يجدوا تعليلا لسر القبر الفارغ ، بدون مناقشة لهم .

(ب) اتخذ اليهود والرومان احتياطات كثيرة حتى لا يسرق القبر . وكانت هذه الاحتياطات عقبات في طريق التلاميذ ، إن هم أرادوا أن يسرقوا القبر . قال اليهود لبيلاطس أنهم يخافون من خدعة جديدة هي القيامة ، وعندنا كل الدليل على أنهم بذلوا كل الجهد لمنعوا التلاميذ من سرقة الجسد . . وهذا في حد ذاته دليل على أن التلاميذ لم يحاولوا سرقة الجسد ، فكيف لجماعة الصيادين اليهود البسطاء أن يهاجموا الجنود الرومان المسلحين ؟

(ج) ان جبن التلاميذ . برهان على عجزهم عن مهاجمة الجنود الرومان لسرقة الجسد ، فلم يكن مزاجهم النفسى يسمح لهم بعمل شيء من هذا . لقد هربوا عند محاكمة المسيح ، وبعد صلبه اختبأوا في علية . . فكيف يجرؤون على سرقة جسده ؟ لقد أنكر قائدهم ، بطرس ، المسيح وحلف ولعن أنه لا يعرفه ، وذلك حتى يخلص بجلده من اتهام جارية ، فإذا جرى لبطرس بعد ساعات قليلة ليجعله يهاجم الحراس ؟ لقد أنكر ثلاث مرات أنه يعرفه ! فكيف يعرض نفسه لموت أكيد لو أنه هاجم الحراس ، وبخاصة بعد أن مات المعلم وضاعت كل آمالهم في أنه المسيا ؟

ان مجرد التفكير في سرقة الجسد لم يحدث ، بسبب المزاج النفسى الذى كان التلاميذ فيه .

(د) لو أن العسكر كانوا فعلاً نائمين ، فكيف عرفوا أن الذين سرقوا الجسد هم التلاميذ ؟ !

قال القديس أغسطينوس : إنهم إما كانوا نائمين أو مستيقظين فلو كانوا مستيقظين لما سمحوا بسرقة الجسد ، ولو كانوا نائمين لما استطاعوا أن يحكموا بأن الجسد قد سرق وأن سارقيه هم التلاميذ . فإن النائم لا يدري بما يحدث من حوله ! إنها أكذوبة تهدم نفسها ، إذ أن نصفها الأول يكذب نصفها الثاني لأن الحراس النائمين لا يمكنهم معرفة ما حدث .

لقد كان العذر الذي ساقه العسكر عذراً سخيفاً ، فكيف ينام كل الحراس ؟ وكيف ينامون كلهم ونوبة الحراسة هذه هامة لأن هناك تحذيراً مسبقاً من احتمال سرقة الجسد ؟

إن القصة التي قدمها العسكر عن سرقة الجسد كانت مخيفة حتى إن متى لم يشأ أن يرد عليها ! إن شهادة العسكر بسرقة التلاميذ لجسد المسيح تنفيها اعترافاتهم بأنهم كانوا نائمين .

(هـ) لم يكن ممكناً أن ينام كل الحراس ، لأن هذا يعنى توقيع حكم الإعدام عليهم . لقد كان الإعدام حكماً على الجندي الذي ينام في نوبة حراسته ، فهل يقبل الحراس رشوة تكلفهم حياتهم ؟ ! الذي حدث أنهم أخذوا الرشوة وذهبوا إلى قائلهم وقالوا له الحق ! وهل كنا ننتظر منهم أن يفعلوا غير ذلك ؟ يضحكون على الكهنة ويأخذون رشوتهم ، ويخبرون الوالي بما حدث فعلاً !

وسؤال آخر : لو أن الوالي عرف أن التلاميذ سرقوا الجسد ليلاً في أثناء نوم الحراس ، فلماذا لم يحضر التلاميذ ليحضر التحقيق

معهم ؟ ان كسر الختم الروماني معناه الموت ! فلماذا لم يحكم
الوالى على التلاميذ بالموت صلياً ؟ أو لماذا لم يجبرهم على إحضار
الجسد الذى سرقوه ! ؟

(و) لقد كان الحجر كبيراً جداً ، فحتى لو أن الحراس كانوا نائمين
لاستيقظوا على صوت دحرجة الحجر . إن محاولة التلاميذ دحرجة
الحجر الكبير وكسر الأختام وأخذ الجسد كانت تحدث ضوضاء
كافية لإيقاظ بعض العسكر على الأقل !

(ز) إن بقاء الأكفان فى حالتها ، برهان صامت على أن أحداً لم يسرق
الجسد ، فليس لدى السارق الوقت الكافى لیسحب الجسد من بين
الأكفان ثم يرتب الأكفان بالوضع الذى كانت عليه ! ان
الخوف كان يجعلهم يسحبون الجسد من الأكفان بعجلة فيتركون
القبر فى حالة من الفوضى !

ان الوصف الذى تقدمه الأناجيل لحالة الأكفان يبعث
على الدهشة والتساؤل عنى كان يملك الوقت والهدوء والتنظيم
ليسحب الجسد من الأكفان ، ويبعد المنديل من على الرأس .
والجرمون لا يتركون مكانهم منظماً لأنهم يخافون إلقاء القبض
عليهم . يقول جريجورى التزيتزى الذى كتب منذ ١٥٠٠ سنة :
إن غطاء الرأس (المنديل) الذى كان ملفوفاً فى موضع وحده
والأكفان « الموضوعه » بنظام ، تظهر أن خروج الجسد كان فى
هدوء وراحة ، وتدين فكرة سرقة الجسد . ويقول القديس
يرحنا فم الذهب فى القرن الرابع إن الذى يسرق كان سيأخذ
الجسد ملفوفاً بأكفانه ، لا لكى يستر الجسد العزيز عليه وحسب ،

بل ليسرع بالجسد ملفوفاً حتى لا يلقوا القبض عليه . إن المر
يلصق الكفن بالجسم ، فلم يكن هناك وقت لتخليص الجسد من
كفنه . إن قصة سرقة الجسد غير معقولة (١٤) . هل فات التلاميذ
غضب اليهود وما يمكن أن يفعلوه بهم ؟ ثم ماذا يعود على التلاميذ
من سرقة الجسد إذا كان معلمهم قد مات ولم يقيم من الأموات ؟

ويقول جرينليف أستاذ القانون إن يوحنا وهو يرى الأكفان
صدق أنه قام ، فلا يمكن أن عدواً أو صديقاً يترك المكان بمثل
الترتيب الذي كان القبر عليه ، لو أن جسد المسيح سرق منه (٤).

ويقول هنري لاثام : « لم يذكر أحد شيئاً عن الأطياب
لو أن الجسد سرق ، مع ترك الأكفان داخل القبر لوقعت الحنوط
والأطياب من المر والعود على أرضية القبر ومدخله ، ولصارت
دليلاً على السرقة ولكن إغفال ذكرها دليل على أنها بقيت
بين طيات الأكفان » (١٠) .

(ح) لم يكن هناك ما يدعو التلاميذ لسرقة الجسد ، فإن الجسد كان
يرقد في تكريم في قبره . قام يوسف الراى تجاه الجسد بالواجب
كله ، ولم يطلب من التلاميذ نقل الجسد . ولم يكن ممكناً أن
هؤلاء التلاميذ الذين عاشوا مع المسيح ثلاث سنوات ، يكذبون
كان وسطهم يهوذا الخائن ، لكنه كان قد مات منتحراً . أما
الأحد عشر فقد كانوا يسمعون وعظ المسيح عن البر والحق .
ولم يكن ممكناً أن يجتمع الأحد عشر ليتفقوا على سرقة الجسد
والكذب معلنين أنه قام ! (٣) .

(ط) لم يكن التلاميذ قد أدركوا بعد معنى القيامة ، فكيف يزورون فكرة القيامة بالسرقة ؟ (انظر ما جاء في لوقا ٢٤) بل أن التلاميذ اندهشوا عندما عرفوا أنه قام ! ومن الواضح أنهم وهم في هذه الحالة ما كانوا ليزوروا ويخدعوا ليقنعوا الناس بما لم يدركوه بعد ! لقد ملك اليأس قلب التلاميذ حتى أنهم كانوا شبه أموات من الخوف لا يجسرون على الحركة ! فهل كان يمكن أن يسرقوا لينشروا فكرة القيامة التي لم يصدقوا بها ؟ وهل كان يمكن أن يحتملوا الاضطهاد الذي وقع عليهم لو أنهم كانوا يعلمون أنهم مخادعون مضلون لصوص ؟ ! أنهم لم يكونوا يعرفون الكتب التي قالت إنه سيصلب وفي اليوم الثالث يقوم .

(ى) احتمل التلاميذ كل تعذيب لأجل بشارة القيامة ، حتى الموت ، ولم يتراجع واحد منهم أمام التعذيب ليعترف أن القصة ملفقة ! لقد احتملوا كل ضرب وجلد وسجن وجوع وموت دون أن ينكر واحد منهم حقيقة القيامة !

ان ما نعرفه عن شخصيات التلاميذ المستقيمة وأمانتهم الكاملة تجعلنا نستبعد تماماً أن يكذبوا ويسرقوا لينشروا فرية خلقوها بأنفسهم !

ولو أن بعضهم قاموا بالسرقة وخدعوا زملاءهم لاكتشف الزملاء هذا الخداع ذات يوم ، فقد كانوا يعيشون في قرب قريب من بعضهم ! ان تعاليم التلاميذ الأخلاقية ، ونوعية حياتهم ، وثبوتهم في وجه الاضطهاد تجعلنا نرفض فكرة سرقتهم للجسد .

ويقول ولبر سمث إن كثيرين من علماء اليهود اليوم يرفضون فكرة سرقة التلاميذ للجسد ، بما فيهم كلاوزنر الذي قال إن التلاميذ كانوا أشرف من أن يأتوا بمثل هذه الخديعة (٢١) .

وهل كانت سرقة الجسد تسمح لبطرس ينادى رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل بكل شجاعة معلناً أن يسوع قام ؟ (أعمال ٤ : ٨ - ١٢) .

لقد كان بطرس يعظ بما آمن به في عظته يوم الخمسين ، حتى ربح ثلاثة آلاف نفس فآمنوا بما آمن هو به ! ولا يمكن أن يعظ إنسان أكاذيب بمثل هذه القوة ! ولقد ظل التلاميذ يكرزون بالقيامة حتى « فتنوا المسكونة » (أع ١٧ : ٦)
لقد مات كل التلاميذ ميتة الاستشهاد - فيما عدا يوحنا - لأنهم أعلنوا أن يسوع قام ، والناس يموتون في سبيل ما يؤمنون بصحته ، ولا يمكن أن يموتوا لأجل كذبة اخترعوها !

٣ - لا يمكن أن يكون اليهود أو الرومان أو يوسف الراى قد نقلوا جسد يسوع من مكانه ، وذلك للأسباب الآتية :

(أ) لا يمكن أن يكون اليهود قد نقلوا الجسد . فبعد سبعة أسابيع كان التلاميذ قد ملأوا البلاد بالكراسة أن يسوع قد قام ، حتى تضايق شيوخ اليهود جداً ، فإن التلاميذ حملوهم مسئولية صلب المسيح ، ملك المجد ! ولو أن اليهود كانوا قد نقلوا جسد يسوع لأعلنوا هذا بسرعة ودحضوا فرية التلاميذ ! ولنادوا الناس ليروا الجسد . بل لو وضعوا الجسد في عربة تجرها الجياد وداروا بها في أورشليم . ولو أنهم فعلوا هذا لقتلوا المسيحية في مهدها !

(ب) وكان من مصلحة الحاكم الروماني أن تبقى الجثة في قبرها ، فإن ييلاطس كان حريصاً على سلام البلاد ، ونقل الجسد يحدث هياجاً - لا داعي له - بين اليهود والمسيحيين .

ولو أن بيلاطس كان يعرف مكان الجسد لأعلن ذلك حتى يقتل « الفتنة »
في مهبها ! فيلاطس يريد السلام .

(ج) وما كان يمكن أن ينقل يوسف الرامى الجسد بدون أن يخبر باقى
التلاميذ بذلك . فهو تلميذ مختلف . ولر أن يوسف نقل الجسد بدون إفادة
التلاميذ ، لأفادهم بذلك بعد أن سمعهم يقولون إن المسيح قد قام .
وخير ما نختم به ردودنا هنا هو أن نقول أنه لو كانت صعوبة الإيمان
بقصة القيامة كما أوردتها الأناجيل كبيرة . فإن سنخف عدم الإيمان ومنافاته
للعقل أكبر !!

٣ - نظرية الهلوسة :

ان ظهورات المسيح بعد القيامة كانت خيالات ، والذي حدث فعلا
هو مجرد هلوسة من الذين قالوا أنهم رأوا المسيح المقام .

ولرد على هذه النظرية نقول :

قال كليف لويس فى كتابه « المعجزات » : « فى أيام المسيحية الأولى
وضعوا تعريفاً للرسول بأنه شخص رأى القيامة بعينه . وبعد أيام قليلة من
الصلب رشح التلاميذ شخصين ليحل أحدهما محل يهوذا ، وكان شرط ترشيح
كل منهما أن يكون شاهد عيان للمسيح قبل الصلب وبعده ، حتى يشهد للعالم
بما رآه من جهة القيامة (أعمال ١ : ٢٢) . وبعد أيام قليلة من ذلك وقف
الرسول بطرس يقول : « فيسوع هذا أقامه الله ، ونحن جميعاً شهود لذلك »
(أعمال ٢ : ٣٢) . وفى رسالة الرسول بولس الأولى لأهل كورنثوس يقدم
بولس ورق اعتماده كرسول على أنه قد رأى المسيح المقام » (١٨) .

ولو أن ما رآه الرسل كان مجرد هلوسة ، فإن لإرساليتهم تكون باطلة من أساسها ! ويكون إيماننا المسيحى ظاهرة مرضية نشرها جماعة من المرضى العصبيين !

فهل كان ما رآه التلاميذ من ظهورات المسيح مجرد رؤى وخيالات؟

ان تعريف الرؤيا أنها (على حد قول وايس) رؤية شيء لا يتمشى مع المنظورات الحسية ، فلم تتأثر أعصاب العين بذبذبة ضوئية ، ولكنها تأثرت بسبب نفسى داخلى ! وفى الوقت نفسه يظن صاحب الرؤيا أن تأثره النفسى الداخلى حقيقة موضوعية واقعية (٣) .

فهل كان ما رآه التلاميذ هلوسة رؤى لا يسندها الواقع ؟

ان وصف العهد الجديد ينبنى هذه النظرية . ويقول هليز ستراتون أن المهلوسين لا يمكن أن يصبحوا أبطالاً ! ولكن الذين شاهدوا المسيح المقام كانوا أبطالاً ذهبوا للموت بأقدام ثابتة من أجل ما رأوه .

ونظرية الهلوسة تناقض بعض ما يقوله الأطباء النفسيون عن الرؤى :

(أ) ان المصابين بالهلوسة هم عادة أصحاب خيال واسع ومتوترون ، ولكن المسيح ظهر لعدد كبير من الناس المختلفين فى أمرجتهم ، فريم المجدلية كانت تبكى ، والنسوة كن خائفات ومندهشات ، ويطرس كان نادماً ، وتوما كان شكاكاً ، وتلميذا عمواس كانا يراجعان أحداث الأسبوع ، والتلاميذ فى الجليل كانوا يصيدون . . ولا يمكن أن يكون كل هؤلاء من المصابين بالهلوسة .

(ب) الهلوسة ترتبط باختبارات الفرد الماضية المترسبة فى عقله الباطن . ويقول راوول مورجو العالم النفسى أن ظواهر الهلوسة غير مستمرة ولا

متشابهة ، فالهلوسة ليست استاتيكية بل ديناميكية تعكس عدم الاستقرار بسبب العوامل والظروف المصاحبة لأصولها .

وعلى هذا فن غير المحتمل أن شخصين تصيبهما الهلوسة ذاتها في الوقت ذاته !

لقد ظهر المسيح لأكثر من خمسمائة شخص في مرة واحدة . . . وليس من المعقول أن يكون هؤلاء جميعاً مصابين بذات الهلوسة ، فإنهم مختلفون نفسياً ، ومن خلفيات وأمزجة مختلفة ، والترسبات السابقة في عقولهم الباطنة مختلفة ، فلا يمكن أن يصابوا جميعاً وفي وقت واحد بهلوسة وروية المسيح (١٢) .

ونخبرنا العلم عن حالات رأت فيها جماعة من الناس ذات الرؤيا في ذات الوقت ، لكنها كانت مصحوبة بإثارة مرضية للحالة العقلية مع حالة مرضية بدنية خصوصاً بسبب عواطف عصبية . فإذا افترضنا أن بعض التلاميذ كانوا في مثل هذه الحالة . فإننا لا يمكن أن نقول إنهم جميعاً كانوا كذلك ، فإنهم مختلفون . لقد كان تلميذا عمواس يدرسان الحالة بعقل واع ، وتوما الشكاك كان يحلل الأمور ، وبطرس الصياد الخشن ، وأكثر من ٥٠٠ أخ . . . هؤلاء وغيرهم التقوا بيسوع في أوقات مختلفة (في الصباح عند القبر - في حديث على الطريق - في حلقة صيد عند البحيرة) . هؤلاء جميعاً لم يكونوا في ذات المكان ولا تحت نفس التأثيرات وهل يمكن أن كل هؤلاء «المهلوسين» يعلنون الخبر نفسه باتفاق كامل في التفاصيل ، ويقنعون السامعين أنهم عقلاء ؟ لابد أن واحداً منهم سيراجع نفسه فيما بعد ، ، خصوصاً بعد أن يقع عليه الضرب والجلد !

ان المسيح عندما اختار التلاميذ لم يختار مرضى نفسيين ، فإنه علم ما في الإنسان . ولو أنه اختار هؤلاء المرضى لشفاهم . ولو أنه اختار المرضى : لينشروا هلوساتهم لكان هو صانع الخطأ وناشر الخلداع ! وهذا مستحيل ! (٣)

(ج) يقول العالمان النفسيان هنزى وشاتسكى من جامعة أوكسفورد :
« الوهم إدراك حسي خاطيء ، واستجابة خاطئة لما يثير الحواس » (٢٣)
ثم يقولان : « ولكن لدى الشخص العادى قدرة أن يكشف الوهم ، إذ
تسرع بقية حواسه لانقاذه منه » (٢٣) .

ولا يمكن أن تكون ظهورات المسيح إدراكات حسية خاطئة . ويقول
ولبر سمث إن لوقا عالم مدقق يفحص الموضوع الذى يكتب عنه . ولوقا
يقول فى مطلع سفر الأعمال إن يسوع أراهم نفسه حياً يبراهين كثيرة
والأنجيل تسجل ما لمسته يد المصادر التى أخذ عنها قصته ، وما سمعته آذانهم
وما رأته عيونهم . . وهذه هى « البراهين العملية الكثيرة » (٣) .

ويقول سبارو سمبسون أن ظهورات المسيح لمست حواس التلاميذ المختلفة
من بصر وسمع ولمس (٧) ونرى هذا من الروايات الانجيلية التالية :

« انظروا يدي ورجلي . إني أنا هو . جسوني وانظروا فإن الروح ليس
له لحم وعظام كما ترون لى . وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه . . ناولوه
جزءاً من سمك مشوى وشيئاً من شهد غسل فأخذ وأكل قدامهم » (لوقا
٢٤ : ٣٩ - ٤٣) .

« أراهم يديه وجنبه ، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب » (يوحنا ٢٠ : ٢٠) .
قال توما : « إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع أصبعى فى أثر
المسامير ، وأضع يدي فى جنبه لا أوئن » . قال يسوع لتوما : « هات
اصبعك إلى هنا ، وابصر يدي . وهات يدك وضعها فى جنبى . ولا تكن
غير مؤمن بل مؤمناً » (يوحنا ٢٠ : ٢٥ - ٢٩) .

لقد رأوا يسوع ، ولمسوه ، وسمعوه (متى ٢٨ : ٩ ، ١٠) .

(د) الهلوسة عادة محدودة بموعد ومكان خاص ، وتحدث عادة في مكان وجو يصعب استعادته واسترداده ، أو في وقت يستغرق فيه الإنسان في الذكريات (٢٤) .

ولكن ظهورات المسيح كانت في أماكن لا تجلب الهلوسة ، بحسب كلام علماء النفس . فلو أن ظهورات المسيح حدثت في مكان أو اثنين لهما صفة قدسية أو ذكريات خاصة ، حيث يكون التلاميذ في حالة انتظار ، لقلنا إن هذه هلوسة . ولكن هذا لا يصدق على ظهورات المسيح . لو أن كل الظهورات حدثت في العلية ، أو لو أن كل الظهور حدث للأحد عشر في مكان صرف فيه المسيح آخر ساعاته معهم قبل الصلب ، وظل المكان خالياً انتظاراً لعودته ، وهم يرددون وعده بالعودة ، حتى تتحول توقعاتهم إلى رؤيا وهمية . . . لكان لنا الحق أن نقول إن ظهور المسيح هلوسة (٢) .

ولكن ظهورات المسيح كانت في أماكن كثيرة ، ليس لكلها صفة خاصة . . ولم يكن التلاميذ يتوقعون ظهوره . ثم أنهم لم يروه فقط ، لكنهم تحدثوا معه ، وكانت المناقشات في ظروف متعددة متنوعة ، وكان هناك شهود كثيرون . لم تكن مقابلتهم له عابرة ، بل طويلة عامرة بالحديث !

ظهر صباحاً للنسوة عند القبر (متى ٢٨ : ٩ ، ١٠) .

وبعد الظهر لتلميذي عمواس في الطريق العام (لوقا ٢٤ : ١٣ - ٣٣) .

وفي ضوء النهار عقد محادثتين خاصتين (لوقا ٢٤ : ٣٤) ، (١)

كورنثوس ١٥ : ٧) .

و ذات صباح عند البحيرة (يوحنا ٢١ : ١ : ٢٣) .

وعلى جبل بالجليل ظهر لأكثر من ٥٠٠ مؤمن (١ كورنثوس ١٥ : ٦) .

هذه ظهورات متنوعة ، في أماكن متعددة مختلفة ، ولا يمكن أن تكون هلوسات رؤى وهمية .

(هـ) الهلوسة عادة تجيء للأشخاص الذين يتوقعون برقاء حدوث شيء ، فتكون أشواقهم مولدة للهلوسة ! (٢٤) . إن إيمانهم بالفكرة وتوقعهم لها وتشوقهم إليها يجعلهم يرونها . وعلى هذا فإن رؤية جماعة من الناس للرويا الوهمية يحتاج إلى استعداد نفسى خاص يستغرق وقتاً طويلاً (١) فمثلاً الأم التي فقدت ابنها في الحرب والتي كانت معتادة أن يرجع إلى البيت كل يوم في السادسة مساء ، لو أنها جلست كل يوم في نفس الموعد ، في كرسيها المريح تتوقع عودته ، فإنها أخيراً تظن أنها تراه داخلاً وتحديثه ، وتكون عندئذ قد انفصلت عن الواقع !

ولكن الذى حدث مع التلاميذ كان غير ذلك . لقد آمنوا بالقيامة بالرغم من إرادتهم . ولم تخلق من داخل عقولهم لكنها جاءتهم من خارج إرادتهم . لقد صدقوا قيامة المسيح ببطء شديد ، بعد أن ألح عليهم المنطق والحقائق الدامغة !

فاجأ اليوم الأول للقيامة التلاميذ وهم في اتجاهات فكرية مختلفة ، لم يكن من ضمنها انتظارهم القوى ولا استعدادهم لمشاهدته . كان إيمانهم به قد اهتر بعد كارثة موته ، موت الملعون الذى علق على خشبة ، كما يقول ناموسهم (تثنية ٢١ : ٢٣) فكانت آمالهم محطمة جعلت عودتهم للأمل بطيئة ! (١) .

بل إن التلاميذ لم يتوقعوا القيامة بالمرّة ، فريم تأخذ الحنوط معها صباح الأحد لكى تدهن جسده المسجى في القبر . وعندما رآته ظنت أنه البستاني (مرقس ١٦ : ١ ويوحنا ٢٠ : ١٥) . وعندما ظهر للتلاميذ في العلية جزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً (لوقا ٢٤ : ٣٧) حتى أن المسيح طلب

منهم أن يجسوه ليؤمنوا ! « لأن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون
بي » (١١) .

ويقول كليف لويس أنه في ثلاث حالات من الظهورات كانت الهلوسة
بعيدة جداً عن معرفة أن يسوع قام (لوقا ٢٤ : ١٣ - ٣١ ويوحنا ٢٠ :
١٥ ، ٢١ : ٤) (١٨) .

(و) الهلوسة تظهر عادة في فترات متباعدة من الوقت بانتظام ملحوظ
وقد يزيد ظهورها حتى تحدث أزمة ، أو يقل ظهورها تدريجياً حتى يبطل (٢٤)
ويقول كليف لويس أن هذا ليس الحال مع المسيح في ظهوراته . إن
الشبح يختفي ، ولكن الشخص الحي لا بد أن يذهب إلى مكان ما ويحدث
معه شيء (١٨) . وهذا ما حدث للمسيح فقد صعد إلى السماء بعد قيامته .
لقد توالى ظهورات المسيح مدة أربعين يوماً ثم توقفت ، فيما عدا ظهوره
لشاول الطرسوسي في ظروف خاصة . فإن كانت ظهورات المسيح هلوسة ،
فلماذا توقفت فجأة ؟ ولماذا لم يعد محبو المسيح يرونه بعد صعوده رغم شوقهم
لذلك . لقد حل محل ذلك قيام التلاميذ ببرنامج ضخم لتبشير العالم ، كلهم
الكثير !

لم يكن التلاميذ ساذجين بل حريصين شكاكين « بطيئى القلوب في
الإيمان » . وعلى هذا فإنهم لم يكونوا معرضين للهلوسة ، ولم تكن الرؤى
الغريبة تشبعهم ، بل كان إيمانهم مؤسساً على الحقائق الواقعة والاختبارات
الحقيقية (٢) .

ولم يحدث أن الهلوسة جعلت الناس يقومون بمثل هذا العمل الضخم
الناجح ، يؤدونه بولاء ونكران ذات ويقاسون في سبيله . ولم يحدث أن
هلوسة حركت العالم هكذا وغيرته !

٤ - نظرية الخطأ في القبر :

إن النسوة وكل الباقيين قصدوا قبراً غير الذى دُفن فيه يسوع . وصاحب هذه النظرية اسمه « ليك » .

ويقول ليك إن من المشكوك فيه أن النسوة عرفن القبر الصحيح ، فإن أورشليم كانت محاطة بعدد كبير من القبور المحفورة فى الصخور ، حتى يصعب معرفة القبر المقصود . ومن المشكوك فيه أن النسوة كن قريبات من القبر وقت الدفن والأرجح أنهن كن يراقبن يوسف الراى من بعيد ، لأنه كان يمثل اليهود أكثر من تمثيلية للتلاميذ ، وعلى هذا فإنه كان يصعب عليهن تمييز القبر . ومن المحتمل إذاً أنهن أتبن إلى قبر آخر . ومما يبرهن هذه النظرية أنهن كن قلقات بشأن الحجر الكبير ، ولكنهن لم يجدنه ، بل وجدن القبر مفتوحاً .

وتكون القصة أن النسوة جئن فى الصباح الباكر إلى قبر مفتوح فارغ باعتبار أنه قبر المسيح . كن ينتظرن قبراً مغلقاً ، فإذا به مفتوح وبداخله شاب خن الهدف من مجيئهن ، فقال لهن : « ليس هو ههنا . هوذا الموضع الذى وضعوه فيه » وأشار إلى القبر التالى ، ولكن النسوة الخائفات هربن !

ولرد على هذه النظرية نقول :

من الواضح أن هذه النظرية تفترض أن النسوة ذهبن فعلاً لزيارة القبر صباح الأحد . وهى قصة حدثت فعلاً يرويها البشير مرقس والبشير متى ولوقا ، ويؤكدها يوحنا ، كما يؤكدها تلميذا عمواس . يعترف ليك بأن الزيارة حدثت ولكن مع خطأ فى القبر ! ولكننا نقول :

(١) لقد عرفت النسوة مكان دفن يسوع ، قبل زيارتهن للقبر بأقل

من ٧٢ ساعة ، فيقول متى : « وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر » (متى ٢٧ : ٦١) .

ويقول مرقس : « وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع » (١٥ : ٤٧) .

ويقول لوقا : « وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ، ونظرن القبر وكيف وضع جسده » (٢٣ : ٥٥) .

فهل نظن أن شخصاً عاقلاً ينسى بسرعة مكان شخص عزيز ، وضع فيه منذ أقل من ٧٢ ساعة ؟ .

(ب) أخبرت النسوة الرسل بما رأين ، فذهب بطرس ويوحنا إلى لقبر فوجداه فارغاً (القصة في يوحنا ٢٠ : ٢-٨) .

فهل ذهب بطرس ويوحنا إلى قبر خطأ ؟ لسنا نظن أنهما هما أيضاً وقعا في نفس الخطأ وذهبا إلى القبر الخطأ !

(ج) قال الملاك للمرأتين : « هلما أنظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه » (متى ٢٨ : ٦) — فهل أخطأ الملاك أيضاً ؟

وقد قام معلق غريب يقول — لاثبات هذه النظرية — إن الملاك قال : « أخطأتما المكان . تعاليا إلى هنا لترى المكان الذى كان الرب مضطجعا فيه » . ولم يحدث فى كل تاريخ دراسة المخطوطات أن سمعنا مثل هذا السخف ! فإن كل المخطوطات القديمة تقدم كلمات الملاك حسب النص الذى عندنا فى الإنجيل اليوم .

(د) لو أن النسوة ذهبن للقبر الخطأ ، فلماذا لم يذهب رجال السنهدريم للقبر الصحيح ليعلنوا للملأ كذب فكرة القيامة ويفحموا التلاميذ ؟

ولا شك أن رؤساء الكهنة وسائر الأعداء كانوا قادرين على الذهاب إلى القبر الصحيح وإشهار كذب التلاميذ !

(هـ) ولو أن النسوة والرومان واليهود والكل ذهبوا إلى القبر الخطأ — فلماذا لم يصلح يوسف الراى الأمور ؟ لقد كان يعرف قبره !

(و) يقول ليك فى نظريته أن الشاب قال كلاماً للنسوة ولكنه يقدم اقتباساً ناقصاً . ويقول مرقس : « ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً على اليمين ، لابساً حلة بيضاء ، فاندھشن ، فقال لهن لا تندھشن أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب » (مرقس ١٦ : ٥ . . ونورد هنا الاقتباس الصحيح والاقتباس الناقص) :

الاقتباس الناقص :

« ليس هو ههنا . هوذا الموضع الذى وضعوه فيه » ولا يذكر قول الملاك : « قد قام » .

الاقتباس الصحيح :

« قد قام . ليس هو ههنا . هوذا الموضع الذى وضعوه فيه » .

والعالم الحقيقى هو الذى يثبت الحقائق كلها ولا يقدم اقتباساً ناقصاً .

(ز) . بعد رجوع النسوة للتلاميذ كان يمكن حدوث أمر من اثنين : أن يذهب التلاميذ للقبر للتحقق من كلام النسوة . أو أن يبدأوا إعلان القيامة على الملأ فوراً .

ولكن البدء فى الكرازة بالقيامة حدث بعد ذلك بسبعة أسابيع . ويقول فرنك موريسون إن اعتماد النسوة على الرسل يهدم نظرية الخطأ فى القبر . .

لقد اضطر ليك أن تقول بأن النسوة بقين في أورشليم حتى صباح الأحد الذي ذهبن فيه إلى القبر ، وأن الرسل غادروا أورشليم قبل الشروق يوم الأحد ، لأن النظرية تقول أن النسوة لم يخبرن أحداً . ويضطر ليك أن تقول أن النسوة بقين في أورشليم عدة أسابيع كان التلاميذ أثناءها قد رجعوا إلى بيوتهم ، ومارسوا أشغالهم المختلفة ، ثم رجعوا إلى أورشليم ، ويقول موريسون أن كل هذه افتراضات كاذبة ، لتجعل نظرية الخطأ في القبر مقبولة (١٣) .

(ح) كانت النسوة قد جئن بمنحوط لدهن الجسد ، وليس من المعقول أن يرجعن بدون استعمالها ، خصوصاً بعد أن أشار لهم الشاب إلى القبر الصحيح (كما تدعى النظرية !) .

(ط) لم تكن هذه مقبرة عامة ، بل كان القبر خاصاً في بستان ، ليس معه احتمال خطأ في الذهاب إلى قبر آخر ، يحتاج معه الأمر إلى أن شاباً يشير للنسوة إلى القبر الصحيح (كما تدعى النظرية) فيهملن هذا التوجيه ! !

(ك) لماذا يذهب شاب ليجلس في قبر في وقت مبكر ، سواء كان في مقبرة عامة أو في قبر خاص في بستان ؟ ما هو الدافع ؟ إن هذه النظرية لا ترد على هذا التساؤل . وإن كان هذا الشاب أحد التلاميذ المحبين ليسوع ، فلماذا خافت النسوة منه ؟ !

يقول مرقس إن النسوة دخلن القبر ورأين الشاب داخل القبر . . هذا يعني أنه كان يشير إلى المكان الذي وضع فيه يسوع داخل القبر .

(ل) قال البعض إن هذا الشاب هو البستاني . لكن إن كان نور النهار كافياً له ليعمل فإن النسوة كن يقدرن أن يعرفنه ، أما إن كان النور ليس كافياً فلم يكن هناك داع لوجوده في داخل القبر !

ولو أن هذا الشاب كان البستاني ، وأرشد النسوة إلى خطئهن في القبر ، فلماذا لم يستخدمه رؤساء الكهنة ليطعن في قصة القيامة ؟ لم يكن هو البستاني بل كان ملاكاً من السماء ، وعرف الجميع أن قبر يسوع أصبح فارغاً وكان سؤال الجميع هو : كيف حدث هذا ؟ !

(م) ان قصة ذهاب النسوة إلى قبر خطأ لا تسندها حقائق تاريخية ، لكنها تنبع من رفض حدوث ما هو « فوق طبيعي » !

ثامناً - الخاتمة : بالحقيقة قام !

يقول جون وأوريك مونتيجرى :

صرف المسيح أيامه يصنع خيراً للآخرين ، لكنه ربح الضرر لنفسه ! أنه مثل سقراط في أنه أثار مواطنيه حتى قتلوه . لقد كان هدف سقراط أن يعرف مواطنوه نفوسهم ، أما المسيح فكان هدفه أن مواطنيه يعرفونه هو : « من تقولون إني أنا ؟ » . « ماذا تظنون في المسيح ؟ » .

« ابن من هو ؟ » ولم يترك المسيح الناس في شك من جهة حقيقته .

فقد قال المسيح لتوما : « أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي » (يوحنا ١٤ : ٦) . وقال بولس إن المسيح تعين (أى أعلن أنه) ابن الله بقوة القيامة من الأموات (رومية ١ : ٤) .

وتهدف المسيحية إلى أن تعرف أنت موقفك من المسيح الحي المقام . وعليك أن تأخذ قرارك تجاهه . ماذا تظن في المسيح ؟ أمام كل هذه الحقائق والأدلة الدامغة على صدق إنجيل المسيح .

يسوع قام . بالحقيقة قام !

مراجع الفصل العاشر

1. E. Hermitage Day, on *The Evidence of the Resurrection* SPCK London.
2. John Scott, *Basic Christianity*, Inter-Varsity Press.
3. Wilbur Smith. *Therefore, Stand : Christian Apologetics*, Baker Book House.
4. Simon Greenleaf, *Testimony of the Evangelists, Examined by the Rules of Evidence Administered in courts of Justice*, Baker Book House.
5. Wilbur M. Smith, "Scientists and the Resurrection", *Christianity Today*, April 15, 1957.
6. Michael Green, *Man Alive*, Inter-Varsity Press.
7. W. J. Sparrow-Simpson. *The Resurrection and the Christian Faith*, Zondervan.
8. John P. Mattingly, *Crucifixion : Its Origin and Application to Christ*, Unpubilshed Th. M. Thesis : Dallas Theo Seminary May 1961.
9. Frederick Cook, *Commenttary on the Holy Bible*, John Murray.
10. Henry Latham, *The Risen Master*, Deighton, Bell and Co.
11. Alfred Edersheim, *The Life and Times of Jesus the Messiah*, Eerdmans.
12. Thomas James Thorburn, *The Resurrection Narratives and Modern Criticism*, Trench, Trubner and Co.
13. Frank Morrison, *Who Moved the Stone*, Faber and Faber.
14. Chrysostom, *Homilies on the Gospel of Saint Mathew*, Christian Literature Company.
15. George Currie, *The Military Discipilne of the Romans From the Founding of the city of the Close of the Republic*.

16. Alfred Edersheim, *The Temple : Its Ministry and Services*, Eerdmans.
17. James Hastings, John Selbie and John Lambertt (eds.), *A Dictionary of Christ and the Gospels*, Charles Scribner's Sons.
18. C.S. Lewis, *Miracles, A Preliminary Study*, Macmillan.
19. David Friedrich Strauss, *The Life of Jesus for the People*, Williams and Norgate.
20. E. Le Camus, *The Life of Christ*, Cathedral Library Assoc.
21. Wilbur M. Smith, *A Great Certainty in this hour of World Crisis*, Van Kampen Press.
22. Hillyer H. Straton, 'I believe our Lord's Resurrection', *Christianity Today*, March 31, 1958.
23. L.E. Hinsie and J. Shatsky, *Psychiatric Dictionary*, Oxford U. Press.
24. J.N.D. Anderson, *Christianity : The Witness of History*, Tyndale Press.

الجزء الثالث

اليد عمل في التاريخ ، وفي حياة البشر

لو أن الله موجود وحى اليوم لاستطعنا أن نرى تأثيره في مجريات التاريخ
كما في حياة الأفراد .

ولقد ترك الله تأثيره فعلا في مجريات التاريخ ، كما نرى ذلك في النبوات
التي تحققت . . .

كما ترك تأثيره في تغيير حياة الناس عبر العصور . .

وفي هذا الجزء سنرى الله الذي عمل في التاريخ وفي حياة البشر .

في هذا الجزء

الفصل الحادى عشر — النبوة :

١ — مقالة — تعريف بالنبوة .

٢ — فحوص النبوة الصادقة .

٣ — الاعتراض على النبوات .

٤ — نبوات تحققت عن :

صور - صيلون - السامرة - غزة وأشقلون - موآب وعمون - البتراء
وأدوم - طيبة وممفيس - نينوى - بابل - كورزين وبيت صيدا وكفر
ناحوم - اتساع أورشليم - فلسطين .
هـ - الاحتمالات النبوية .

الفصل الثاني عشر - الاختبار المسيحي القريد :
(تفصيل محتوى هذا الفصل موجود فى أوله)

الفصل الحادى عشر

نهدف فى هذا الفصل إلى ذكر نبوات جغرافية وتاريخية تحققت ،
مما يظهر قوة الله التى حققها ، بالرغم من أن تحقيقها كان يبدو مستحيلا .

ومن النادر أن يجد الباحث فرصة لمثل هذه الدراسة الممتعة ، ولكن
عند الدرس والبحث نرى يد الله كانت على كتف أولئك الأنبياء عندما
أعلنوا رسالة الله لسامعيهم . أن النبوات تظهر أن الله كلى العلم وكلى القدرة
كما أنها برهان على وحى الكتب المقدسة .

ولقد قسمنا النبوات التى نقدمها هنا إلى اثنى عشر قسما فى كل قسم نبوة
خاصة ببلد أو أمة . غير أننا قدمنا لهذا الفصل بمقدمة عامة تساعد على متابعة
البحث .

وهاك ملخص يساعد على متابعة ما جاء فى هذا الفصل :

أولا - مقدمة :

- ١ - تعريف بالنبوة .
- ٢ - فحوص النبوة الصادقة .
- ٣ - الاعتراض على النبوات .

ثانياً - نبوات تحققت عن :

- ١ - صور .
- ٢ - صيدون .

- ٣ - السامرة .
- ٤ - غزة وأشقلون .
- ٥ - موآب وعمون .
- ٦ - البتراء وآدوم .
- ٧ - طيبة وممفيس .
- ٨ - نينوى .
- ٩ - بابل .
- ١٠ - كورزين وبيت صيدا وكفرناحوم .
- ١ - اتساع أورشليم .
- ١٢ - فلسطين .

ثالثاً - الاحتمالات النبوية .

أولاً - مقدمة :

١ - تعريف بالنبوة :

قدمت دائرة المعارف البريطانية التعريف الآتى : « السجلات المدونة للنبوة العبرية في سفر اشعيا توضح أن معنى النبوة الأساسى هو الكلمة أو الرسالة الشفوية التى يعلن فيها رسول خاص من الله لإرادة الله . أما العنصر النبوى في التهديد أو المواعيد فهو مشروط باستجابة السامعين (١ : ١٨ - ٢٠) ، أو آية تحدث في المستقبل (٧ - ١٤) لأن كل ما يحدث يتم مقاصد إرادة الله » . ثم تمضى دائرة المعارف ذاتها لتقول : « ويضع أشعيا أهمية خاصة على إبراز أوجه الفرق بين آلهته بابل وبين يهوه ، في أن يهوه ينفذ ما سبق أن أنبأ به (٤٨ : ٣) . فنبوات الأنبياء هي إعلان لمقاصد الله الحى ، أكثر منها لمصير الإنسان » (١) .

أما التعريف الكتابي للنبي فهو أنه الشخص الذى يعلن إرادة الله والمستقبل للشعب كما يرشده الوحي الإلهي . وعلاوة على أنه ينادى بالقضاء على الخطأ والدفاع عن الحق والبر ، والشهادة لسمو الأخلاق على الطقوس الشكلية فإن النبوة وثيقة الارتباط بمقاصد نعمة الله من نحو شعبه (ميخا ٥ : ٤ ، ٧ : ٢٠ ، أشعياء ٦ : ٣ ، ٦٥ : ٢٥) .

ويهدف النبي إلى جوار إعلان الآيات أن يعلن صفات الله وما يعمل ، حسب مسرة مشيئته . وباختصار هو يعرف الناس بالله وبارادته وعمله . ولكن نبي أسلوبه الخاص في الاعلان . . ومع أن الطابع الشخصي لكل واحد منهم باق إلا أن ما يعلنونه هو الحق الواحد بفضل سيطرة الروح القدس الكاملة !

ويظن البعض أن كل ما يفعله النبي هو الاخبار بالمستقبل ، وهذا حق ولكن كانت رسالة النبي تشمل الإصلاح الاجتماعى والسياسى ، عن طريق الكرازة بالبر والنهضة الروحية ، مع إعلان القصص للمخطيء والجزاء للمحسن . وقد تكلم الأنبياء بطريقة روحية تعكس إرادة الله وتطالب بالطاعة له .

ولم تكن إعلانات الأنبياء للاثارة ، لكنهم أعلنوها بسبب الأحوال التى كانت تحيط بهم (قارن تثنية ١٨ : ٢٢) . وفى كل اصحاب انبياء بالخراب نجد السبب الذى جاء بهذا الخراب .

وترجع النبوة الأولى في الكتاب إلى عصر آدم وحواء ، عندما جاء الوعد بالفداء في التكوين (٣ : ١٥ و ١٦) . وكان أخنوخ وإبراهيم وموسى من الأنبياء الأولين (العدد ١٢ : ٦ - ٨ ، التثنية ١٨ : ١٨ ، يوحنا ٦ : ١٤ ، ٧ : ٤٠) .

والنبوة مصدرها الله (١ صموئيل ٩ : ٩ ، ٢ صموئيل ٢٤ : ١١)
ويوضح الكتاب أن التنبؤ بالمستقبل علامة على قوة الله ومجده ، وبرهان
على سمو كلامه ، كما أنه استجابة الله لصلوات البشر واحتياجاتهم ، لأنه
لما كان الله يعلن المستقبل (العمل الذي يعجز البشر عن عمله) ولما كان يرى
المستقبل قبل وقوعه ، فإن كل مؤمن يجب أن يطمئن لأنه لا يحدث شيء
لم يعينه الله ! (٢) .

٢ - فحوص النبوة الصادقة :

حدثت في التاريخ الكتابي منازعات حول « من هو النبي الصادق ؟ »
(ملوك أول ١٣ : ١٨ - ٢٢ ، اصحاح ٢٢ ، ارميا ٢٨) . وكان حل النزاع
عملياً أكثر منه أكاديمياً ، فإن هناك صفات تظهر النبي الكاذب من الصادق .
ومن صفات النبي الكاذب « النشوة الصوفية النبوية » وهي حالة تظهر بلون
إنذار سابق وفي حالات خاصة ، خصوصاً بعد سماع نوع خاص من الموسيقى .
وقد ظهر مع مثل هذه الحالات خروج عن الشعور ، مع ضياع الاحساس
ولكن ليست هذه الصفة فيصلاً في الحكم على النبي الكاذب ، رغم أنها
ظهرت على أنبياء البعل الكنعانيين . . فان النبي اشعيا (في رؤياه في الهيكل)
وحزقيال النبي عموماً اختبرا ما نسميه « نشوة صوفية » .

وهناك صفة أخرى للنبي الكاذب ، وهو أنه عادة مأجور من الملك
« ليتنبأ » بما يريده الملك . لكن هذه الصفة أيضاً ليست فيصلاً في الحكم على
النبي الكاذب ، فان الأنبياء صموئيل وناثان وحتى عاموس ، كانوا يعتبرون
لحد ما أنبياء رسميين للدولة ، ولكنهم كانوا أنبياء صادقين .

ولكن العهد القديم يقدم لنا ثلاث فقرات كتابية هي التثنية ١٣ ، ١٨ ،
أرميا ٢٣ ، وحزقيال ١٢ : ٢١ - ١٤ : ١١ .

أما التثنية ١٨ فيقول إن النبوة التي لا تتحقق ، هي كاذبة . ولكن هذه صفة سلبية ، فليست كل نبوة تتحقق هي من الله ، فإن النبي الكاذب عندما يقول شيئاً يتحقق يكون هذا امتحاناً للشعب . أما التثنية ١٣ فيقول إن النبي الذي ينادى بآلهة أخرى خلاف الله فهو ليس من الله (يهوه) . وكل نبي يتنبأ بنبوة تتحقق ، ولكن تعليمه يخالف تعاليم موسى يكون كاذباً !

أما ما جاء في أرميا ٢٣ فهو توسع في الحديث الذي جاء في التثنية ١٣ ، عندما يقول أرميا أن النبي الكاذب هو رجل فاسق (بات ١٠ - ١٤) يقود الآخرين للشر (آية ١٧) . وهو ينادى بسلام مزيف غير إلهي . والنبي الحقيقي يجيء برسالة توبيخ تسبب التوبة (آية ٢٩) ويدعو الناس للتوبة والطاعة (آية ٢٢) .

ويخطيء بعض الناس في انتقاد الأنبياء لأن رسالتهم كلها إعلاناً للخراب ، لكن إعلان الخراب لم يكن كل شيء قالوه ! صحيح أنهم لم ينادوا أولاً بالسلام الحقيقي ، لأن سلام الله يجيء نتيجة للقداسة والبر والتوبة . ويقول أرميا النبي إن النبي الكاذب يسرق اسم الله لكي يمجد نفسه (آيات ٣٠ - ٣٢) ولكن النبي الصادق هو الذي أرسله يهوه ، وهو الذي يتكلم باسم يهوه وبسلطانه .

أما حزقيال فيقول (١٢ : ٢١ - ١٤ : ١١) إن الأنبياء الكذبة جاءوا من تلقاء ذواتهم وينادون بنبوات من عندهم (١٣ : ٢ ، ٣) ويعطون الناس تأكيدات كاذبة (١٣ : ٤ - ٧) . والسلام الذي يعلنونه سلام كاذب (١٣ : ١٠ - ١٦) لا يبنون حياة الناس الروحية (١٣ : ٢٢) . أما النبي الصادق فيدعو الناس إلى فحص نفوسهم ليروا مطالب الله منهم (١٤ : ٤ - ٨) . وهو الذي يعلن بأسلوب جديد الحقائق الإلهية التي لا تتبدل ولا تتغير .

٣ - الاعتراض على النبوات :

الاعتراف الأساسي هو القول بأن تسجيل النبوة وكتابتها حدث بعد وقوعها وليس قبلها . ولذلك فإننا نقدم هنا تواريخ نبوة الأنبياء كما قدمها « مرل أنجر » في قاموسه ، وقد استمد حكمه من واقع ما جاء في النبوات نفسها ، خصوصاً عندما يسجل النبي تاريخ نبوته . يوثيل وعوبديا وحدهما لا يحددان تاريخاً لنبوتيهما .

حزقيال	تنبأ من ٥٩٢ - ٥٧٠ ق م
أشعيا	٧٨٣ - ٧٣٨ (القسم الأول)
	٧٣٥ - ٧١٩ (القسم الثاني)
	٧١٩ - ٧٠٤ (القسم الثالث)
أرميا	٦٢٦ إلى ما بعد ٥٨٦ ق م
عاموس	الربع الثاني من القرن الثامن ق م
هوشع	٧٤٨ - ٦٩٠ ق م
ميخا	نحو ٧٣٨ - ٦٩٠ ق م
عوبديا	قبل ٣٠٠ ق م
ناحوم	بعد ٦٦١ إلى ما قبل ٦١٢ ق م
صفنيا	بين ٦٤٠ - ٦٢١ ق م
اللاويين	(موسى) ١٥٢٠ - ١٤٠٠ ق م
يوثيل	قبل ٣٠٠ ق م
دانيال	٦٠٥ - ٥٣٨ ق م
متى	٥٠ م

وقد تمت ترجمة كل نبوات العهد القديم إلى اللغة اليونانية حوالى عام ٢٨٠ ق م (الترجمة المعروفة بالسبعينية) . وعلى هذا فإن كل النبوات ، بما فيها يوثيل وعوبديا ، قد كتبت قبل هذا التاريخ .

ونود أن نورد بعض الحقائق عن نبوة حزقيال ، حيث أننا سنقتبس منها كثيراً فى هذا الفصل . وتعود كتابة السفر إلى سنة ٥٧٠ ق م . ولنبدأ بإيراد ما قالته دائرة المعارف البريطانية عنه :

« توجد أفكار متنوعة عن وحدة سفر حزقيال وتاريخ كتابته . ولكن السفر يوضح أن خدمة النبي امتدت من ٥٩٢ إلى ٥٧٠ ق م ، ولكن واحداً من العلماء (جيمس سميث) يقول إنه تنبأ فى القرن السابع ق م فى أيام الملك منسى وآخر (ميسيل) يقول إنه تنبأ بعد زمن نحشيا حوالى عام ٤٠٠ ق م لكن معظم العلماء يقبلون التاريخ الأول . وقد وجدت نسخ من السفر فى مخطوطات البحر الميت بوادى قمران .

وتتضح الوحدة الأدبية للسفر من تكرار عبارة « فيعرفون أنى أنا الرب » أكثر من خمسين مرة ، وعبارة « حى أنا يقول السيد الرب » ١٣ مرة ، وعبارة « سبوتى » ١٢ مرة ، « يسلكون فى شرائعى » ١١ مرة . الخ (٢) .

ولقد حدث هجوم شديد على صحة نبوة حزقيال التاريخية بسبب قوله أن الله كلمه فى « السنة الخامسة من سبى يوبياكين الملك » . ولكن الحفريات الحديثة جاءت فى صف هذا التاريخ . فقد وجدت ثلاث جرار مكتوب عليها « ألباقيم وكيل يوبياكين » . مما يدل على أن الياقيم كان وكيلاً لممتلكات يوبياكين أثناء وجود يوبياكين فى السبى ، ومن الواضح أن الشعب كان يعتبر أن يوبياكين هو ملك يهوذا ، وأن صدقيا كان يملك كقائم مقام يوبياكين ابن أخيه . ومن هذا نرى أن كلمات حزقيال فى تأريخ سفره صحيحة ومناسبة

للفكر اليهودى فى وقته ، الذى اعتبر يوياكين ملكاً ، رغم أنه كان فى منفاه (٤) . ونخلص من هذا أن قوله حزقيال « السنة الخامسة من سبى يوياكين الملك » برهان على صحة السفر التاريخى ، وليست (كما قال النقاد) هجوماً ضدها .

ويرى دارسو الأدب القديم أن سفر حزقيال وحده أدبى ، تتضح من وحدة أسلوب كاتبه ، ووحدة خطه الفكرى ، فإن الكاتب يكتب بضمير المتكلم ، وهو يعطى زمن كثير من نبواته ومكان حدوثها ، مما يبرهن أن السفر كله من نتاج قلم كاتب واحد . وهذا يجعلنا نقول أن حزقيال هو الكاتب (٥) .

وقد قال بىتر ستونر فى كتابه « العلم يتكلم » إن النبوات التى جاءت فى الكتاب عن البلاد المختلفة مثل صور وصيدون والسامرة وغزه وأشلقون وغيرها لا يمكن أن تكون قد كتبت بعد حدوثها ، فإن الفترة الزمنية التى مضت بين الكتابة والتحقيق كبيرة . لقد قيل إن ما جاء فى النبوات هو تاريخ عن أشياء حدثت ، وليس نبوة بأشياء ستحدث ، ولكن هذه النبوات جاءت قبل ميلاد المسيح ، لأنها فى العهد القديم . وقد تحققت نبوة كاملة منها ، وأجزاء فقط من اثنتين منها قبل ميلاد المسيح ، ولكن الباقى كله تحقق بعد الميلاد . وحتى لو أسقطنا ما تحقق قبل الميلاد ، فإن العدد الذى تحقق بعد الميلاد كثير جداً (٦) .

وقد راجعت كتاب ستونر لجنة من كبار علماء « الجمعية العلمية الأمريكية » وكتب أحدهم مقدمته . فقال أن المعلومات الواردة به صحيحة علمياً ، وأن الحسابات الواردة فيه قد أجريت طبقاً للنظريات العلمية الصحيحة (٦) .

ولو أننا طرحنا النبوات التي فيها شك من جهة تأريخها ، وجعلنا الشك في جانب رفضها ، لبقى الكثير المذهل بعد ذلك !

والحقيقة أن الذين يشكون في صدق النبوات يفعلون ذلك لأنهم لا يؤمنون بوجود الله ولذلك فالمعجزات مستحيلة ، ومن ثم لا توجد نبوات عن المستقبل ولذلك فإنهم عندما يقرأون أقوال النبي ويرون أنها قد تحققت في زمن بعد النبي بكثير ، فإنهم يزعمون أن النبوة قيلت بعد وقوع الحادث ، وليس لأنهم درسوا الحفريات والاكتشافات الأركيولوجية الحديثة التي تقدم أدلة دامغة على صدق هذه النبوات .

ثانياً - نبوات تحققت

سنقدم هنا نبوات جاءت في الكتاب ، مع تعليقات عن تاريخية كل نبوءة منها ، حتى تتضح لنا دقة تلك النبوات .

وعندما ندرسها نبوة بعد نبوة ، ونراها كلها تتحقق بصورة مذهلة . سينزاح الشك الذي قد يكون خامرنا ، وينقشع .

ويقول أحد علماء الحفريات : « هناك مشاكل بالطبع في التوفيق بين الحفريات والتاريخ الكتابي ، لكنها ليست خطيرة . وأعتقد أنها ستنجلي بعد الاكتشافات الجارية . ولكن الاتفاقات بين اكتشافات علم الآثار والكتاب المقدس كثيرة جداً ، ولا يوجد اكتشاف منها يجعلنا نشك في صحة التاريخ الكتابي » (٧) .

وقد أطلقت أعيرة نارية كثيرة ضد الكتاب المقدس ، ولكننا هنا نطلق اثني عشر عياراً نارياً في صف الكتاب ، عبارة عن اثني عشرة نبوة كتابية تحققت . وهي أعيرة عالية ، طويلة المدى ، يصعب إسكاتها !

١ - صور

من أغرب النبوات الكتابية التي تحققت تلك التي وردت عن مدينة صور . وتستعمل كل كتب الدفاع عن المسيحية هذه النبوة ، ولها الحق في ذلك . وهاك كلمات النبي :

حزقيال ٢٦ (٥٩٢ - ٥٧٠ ق.م) .

٣ لذلك هكذا قال السيد الرب : « هأنذا عليك يا صور ، فأصعد عليك أمماً كثيرة ، كما يعلى البحر أمواجه » .

٤ « فيخرجون أسوار صور ويهدمون أبراجها ، وأسعى ترايبها عنها ، وأصيرها ضح الصخر » .

٧ لأنه هكذا قال السيد الرب : « هأنذا أجلب على صور نبوخذ نصر ملك بابل من الشمال ، ملك الملوك ، بنجيل وبمركبات وبفرسان وجماعة وشعب كثير » .

٨ « فيقتل بناتك في الحقل بالسيف ، ويبني عليك معقل ، ويبني عليك برجاً ، ويقم عليك مترسة ، ويرفع عليك ترساً » .

١٢ « وينهبون ثروتك ، ويغنمون تجارتك ، ويهدون أسوارك ، ويهدمون بيوتك البهيجة ، ويضعون حجارتك وخشبك وترايبك في وسط المياه » .

١٤ « وأصيرك كضح الصخر فتكونين مبسطاً للشباك . لا تبين بعد ، لأنى أنا الرب تكلمت » يقول السيد الرب .

٢١ « أصيرك أهوالاً ولا تكونين ، وتطلين فلا توجدن بعد إلى الأبد » يقول السيد الرب .

وفي هذه النبوة نرى الحقائق الآتية عن مدينة صور .

- ١ - يخرّب الملك نبوخذ نصر ، ملك بابل ، مدينة صور (آية ٨) .
- ٢ - تقوم دول كثيرة على صور (آية ٣) .
- ٣ - تصير صور صحرة عارية (ضح الصخر) (آية ٤) .
- ٤ - يبسط الصيادون شبّا كههم لتجف ، على موقعها (آية ٥) .
- ٥ - يلقون أنقاضها في الماء (آية ١٢) .
- ٦ - لن تبني صور أبداً (آية ١٤) .
- ٧ - لا توجد صور بعد إلى الأبد (آية ٢١) .

والنبوة كما نراها واضحة ، وقد تبدو متناقضة ، ولكن التاريخ لا تناقض فيه ، فلندرس تاريخ صور لنرى كيف تحققت النبوة .

تحقيق النبوة :

- ١ - توضّح نبوة حزقيال (خصوصاً ٢٧ : ٥) أهمية مدينة صور وتجارتها وثروتها . وقد حاصر نبوخذ نصر ملك بابل صور ، بعد نبوة حزقيال بثلاث سنوات . وتقول دائرة المعارف البريطانية أنه بعد حصار دام ١٣ سنة (٥٨٥ - ٥٧٣ ق . م) استسلمت صور للملك نبوخذ نصر الثاني وقبلت شروطه . وفي سنة ٥٣٨ ق م كانت صور وكل فينيقية قد أصبحت تحت السيادة الفارسية (١) .

وعندما اقتحم نبوخذ نصر أبواب صور وجد المدينة خالية تقريباً ، فقد هجرها سكانها بالسفن إلى جزيرة تبعد نصف ميل عن الشاطئ وحصنوا مدينة هناك . وأخرجت صور سنة ٥٧٣ . ولكن المدينة الجديدة في الجزيرة بقيت قوية وعمرت عدة قرون . (وهكذا تحققت نبوة حزقيال ٢٦ : ٨) .

٢ - بعد ذلك جاء الاسكندر الأكبر . وتقول دائرة المعارف البريطانية أن الاسكندر الأكبر في حربه ضد فارس ، بعد أن هزم داريوس الثالث في موقعة أسوس (٣٣٣) اتجه جنوباً نحو مصر ، داعياً المدن الفينيقية لفتح له أبوابها حتى لا تستخدم سفن الجيش الفارسي موانئها . ولكن أهل صور رفضوا طلبه ، فحاصر الاسكندر مدينتهم . ولما لم تكن لديه سفن فقد أخرج المدينة الأصلية وألقى بأنقاضها في الماء ، جاعلاً منها طريقاً عرضة ٦٠ متراً ، وصل به إلى المدينة الجديدة في الجزيرة وبني قلاعاً وآلات حرب (١) .

(وهكذا تحققت نبوة حزقيال ٢٦ : ١٢)

أخذ نبوخذ نصر المدينة الأصلية وترك المدينة الجديدة ، ولكن الاسكندر أخذ الاثنين ، رغم صعوبة أخذ الثانية المحاطة بالمياه وبالأسوار الحصينة . ومع أن الأسطول الفارسي كان يحميها إلا أن الاسكندر صنع طريقاً في البحر من أنقاض صور . ولم يكن هذا الهجوم سهلاً ، فقد كان الصوريون يهاجمون العمال الذين يرمون الأنقاض في البحر . فبنى اليونانيون برجين عاليين لحماية العمل ، وكان اليونانيون كلما تقدموا في العمل وجدوا البحر يزيد عمقاً . وأحرق الصوريون الأبراج التي بناها اليونانيون ، وعطلوا تقدم الغزاة ، وعزلوا جزءاً من الجيش عن البقية ، وكانت الخسائر جسيمة جداً . ورأى الاسكندر شدة حاجته إلى السفن ، فجعل أهل البلاد التي هزمها تساعد في صناعة سفن الحرب ، فقدمت له صيدا وأرفاد وبيبلوس نحو ٨٠ سفينة ، وعشرا من رودس ، وثلاثاً من سولي ومالوس ، وعشرا من ليكية ، وواحدة كبيرة من مكلونية و ١٢٠ من قبرص (وهكذا تحققت نبوة حزقيال ٢٦ : ٣) .

وعندما حصل الاسكندر على السفن ، وتقدم بناء الطريق في البحر ، عرف أن انتصاره على صور أكيد . وقد كان !

ولا تزال الطريق التي صنعها الاسكندر موجودة ، تربط الجزيرة بالأرض . وبعد حصار دام سبعة شهور سقطت صور ، وقتل ثمانية آلاف من سكانها وبيع ثلاثون ألفاً في سوق العبيد (٨) وكان الاسكندر قد تكلف الكثير في غزو صور ، وملاؤه الحقد على أهلها ، فتصرف بكل قسوة لينتقم منهم ، فأخرب المدينة تماماً عام ٣٣٢ ق م : « وقد قامت صور من عثارها بعد ذلك ، لكنها لم ترجع أبداً إلى مكانتها في العالم . الجزء الأكبر ومن موقع المدينة اليوم صخرة عارية يجفف عليها الصيادون شباكهم » (٨) - (وهكذا تحققت نبوة حزقيال ٢٦ : ٤ و ١٤) .

ولم يتوقف تاريخ صور بعد الاسكندر ، فقد بنيت وهدمت عدة مرات ولكنها أخربت بعد ١٦ قرناً ولم تبن بعد ذلك أبداً !

٣- وبعد ذلك جاء أنتيجونس وقد انتصر على بابل ، واستولى على المدن الفينيقية ، ولكنه قوبل بمقاومة شديدة من صور . وكانت قد مضت ثمانى عشرة سنة على استيلاء الاسكندر عليها . وحاصر أنتيجونس صور ١٥ شهراً فسقطت وأخربها . ويرجع تاريخ أنتيجونس إلى سنة ٣١٤ ق م .

٤- وجاءت كارثة أخرى على صور في عهد بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧ ق م) الذي بنى ميناء برنيس على البحر الأحمر ، وربط مجرى النيل بخليج السويس ، فتحول مجرى التجارة إليه بعد أن كان يمر بخليج العقبة إلى ميناء إيلات ومنها إلى بترأ ومن ثم إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط لتحمله سفن صور . وكانت هذه ضربة قاسية على تجارة صور ، إذ خسرت تجارتها لتربجها الاسكندرية .

٥ - ولكن المدينة استردت بعض غناها . ويصف زائر للمدينة سنة ١٠٤٧ م حالتها فيقول : « لقد بنوا جزءاً صغيراً من المدينة لا يزيد عن ١٠٠ ياردة فقط على صخرة في البحر ، أما معظم المدينة فيقع فوق المياه . أما الحوائط فبنية من الحجارة المنحوتة ، تغطي الفواصل بينها بالبيتومين لعزل الماء . وترتفع البيوت إلى خمسة أو ستة طوابق . وهناك نافورات للمياه ، والأسواق نظيفة ، وعلامات الغنى في كل مكان . وهي مدينة مشهورة بثروتها بين كل الموانئ السورية . وقد أقاموا « المشهد » عند مدخل المدينة حيث الطنافس الثمينة والثريات الذهبية والفضية . وهم يجلبون الماء اللازم لهم من الجبل » (٩) .

٦ - وقد استولى المسلمون على المدينة ، وحاربهم الصليبيون وأخذوها ، ولكن المسلمين استعادوها . ويقول أحد المؤرخين : « بعد أخذ بتولميس وخرابها ، أرسل السلطان أحد الأمراء مع فرقة من جيشه لأخذ صور ، فلما رعب قلوب أهلها ففتحوا الأبواب بدون أى مقاومة ، فذبح بعض سكانها وبيع الآخرون عبيداً . وهدمت المعابد والأسواق ، وأبىد كل شيء بالسيف أو بالحريق » (١٠) (وهكذا تحققت نبوة حزقيال ٢٦ : ١٤) .

وقد عاد المسلمون واستولوا على المدينة عام ١٢٩١ وأخربوها تماماً . وقد زار ابن بطوطة خرائب المدينة سنة ١٣٥٥ ، وكتب ما ترجمته (عن الانكليزية) : « كانت المدينة قبلاً مضرب الأمثال في قوتها ، تغسلها مياه البحر من ثلاثة جوانب . ولم يبق اليوم سوى آثار من أسوارها ومينائها ، مع سلسلة كانت في مدخل الميناء » (١١) .

(وهكذا تحققت نبوة حزقيال ٢٦ : ١٤) .

وكان بلنى الكبير قد كتب يقول : « صور معروفة بأنها أم المدن ، لأنها ولدت من حولها مدن لبئس ويوتيكاً . وهى تنافس روما وقرطنة وكاذر » . ولكن شهرتها اليوم تقوم على أصداف بحرية وصبغة أرجوانية (١١) (هكذا تحققت نبوة حزقيال ٢٦ : ٢١) .

٧ - ونعود للوصف الحالى لصور كما تقلعه نينا جديان ، فى كتابها الذى أصدرته دار المشرق ببيروت « صور عبر العصور » ، تقول : « لازل القسم الصيدونى من صور مستعملاً اليوم ، وهناك سفن صغيرة للصيد ، ولكن فحص الأساس يظهر أعمدة جرانيتية من العصر الرومانى استعمالها الصليبيون لتدعيم الأسوار . وصار الميناء اليوم ملجأ لسفن الصيد الصغيرة ، ومكاناً لتجفيف الشباك . . وهناك مدينة اليوم اسمها صور ، لكنها ليست صور القديمة ، لأنها مبنية على موقع آخر غير صور القديمة . أن صور سيدة البحار ومركز العالم التجارى لعدة قرون قد انتهت إلى غير رجعة ! لقد بسط الصيادون شباكهم على أحجارها التاريخية العظيمة . . أن أحجار صور توجد اليوم فى بيروت وعقرون ، ولكن الحفريات أظهرت عظمة هذا الميناء الفينيقي ، فإن صور القديمة العظيمة قد سقطت تحت الركام ، ولا يوجد منها فوق سطح الأرض سوى بعض الأعمدة المتناثرة وأنقاض برج الكاتدرائية المسيحية . وعندما يتطلع الواحد منا تحت الماء يرى أعمدة الجرانيت الضخمة والأحجار الملقاة فى قاع البحر . وحطام صور فوق الماء قليل » (١١) . (وهكذا تحققت نبوة حزقيال ٢٦ : ١٢) .

ومن هذا نرى بوضوح :

- ١ - أخرب نبوخذ نصر مدينة صور الأصلية القديمة .
- ٢ - قامت أم كثيرة ضد صور ، إذ هاجمتها جيوش بعد جيوش فى عصور متوالية ، وهو ما ترمى إليه النبوة (٢٦ : ٣ - ٦) .

٣ - جعل الاسكندر الأكبر المدينة القديمة صخرة عارية رمى حجارته
وخشبها وحتى ترابها في الماء . . لقد صارت صخرة جرداء !

٤ - تكررت الإشارة إلى أن الصيادين بسطوا شباكهم على حجارته
لتجف !

٥ - رمى الاسكندر الأكبر أنقاض المدينة في البحر ليعمل طريقاً
في الماء !

وهكذا تحققت حرفياً نبوة حزقيال ٢٦ : ١٢ « يهدون أسوارك ،
ويهدمون بيوتك البهيجة ، ويضعون حجارتك وخشبك وترابك في وسط
المياه » .

٦ - ولم تبق للمدينة قائمة بعد ذلك ! لقد هلمت مدن كثيرة وأعيد
بناؤها ، ولكن يهودياً مسيئاً في بابل قال عن صور بأمر من الله : « لا تبني
بعد » فبقيت صور صخرة جرداء منذ خمسة وعشرين قرناً . وعندما يريد
أحد اليوم أن يعرف موقع صور ، فانهم يشيرون إلى مكان عار !

ولا زالت الينابيع التي كانت تروى صور القديمة موجودة ، وكلها تصب
في البحر ! وتعطى نحو عشرة ملايين جالون من الماء يومياً ، تكفي لإعاشة
مدينة كبيرة ، ومع ذلك فإن صور لم تبني ! ولكن بعض الصيادين البسطاء
يسكنونها اليوم ويبسطون شباكهم في موقعها تحقيقاً للنبوة ، ولكنها لم ترتفع
أبداً لمكانتها الأولى .

ويقول ستونر : « لقد نظر حزقيال إلى صور في أيامه ، عظيمة بالغة
قوة العظمة ، وتنبت عليها سبع نبوات . وحسب الحكمة البشرية تكون نسبة
صحة نبواته ، لو أنها كانت بالصدفة ، فرصة واحدة من ٧٥ مليون فرصة !!
ولكن نبواته كلها تحققت بكل تفاصيلها » (٦) .

٢ - صيدون

قدم النبي حزقيال النبوة التالية على صيدون ، زميلة صور ، سنة ٥٩٢ - ٥٧٠ ق م : حزقيال ٢٨ :

٢٢ هكذا قال السيد الرب : « هأنذا عليك يا صيدون ، وسأتمجد في وسطك فيعلمون أنى أنا الرب ، حين أجرى فيها أحكاماً وأتقدس فيها .

٢٣ وأرسل عليها وبأ ودماً إلى أزقتها ، ويسقط الجرحى في وسطها بالسيف الذى عليها من كل جانب ، فيعلمون أنى أنا الرب » .

وفي هذه النبوة ترى الحقائق الآتية عن مدينة صيدون :

١ - لا ذكر لخربائها .

٢ - دماء في شوارعها (آية ٢٣) .

٣ - السيف عليها من كل جانب (آية ٢٣) .

ويقول جورج ديفس في كتابه « نبوات تحققت تبرهن صحة الكتاب المقدس » : « تختلف النبوات التي جاءت عن صور عن تلك التي جاءت عن صيدون ، فصور تخرب لتكون صخرة جرداء لا تبني ، أما صيدون فجاء عنها أن الدم يسيل في شوارعها ، وأن جرحاها يسقطون وسطها ويلاحقها السيف من كل جانب . . ولكنها لا تخرب » (١٢) .

لقد كان مصير صور وصيدون واحداً سياسياً ، فمن القرن الحادى عشر إلى القرن الرابع ق م قبضت صور - بدون منازع من صيدون . - على زمام السلطة على كل فينيقية ، ونشر أسطولها التجارى شهرتها في كل الآفاق (٨) فكانت سيدة وملكة البحر المتوسط . وفي القرن الرابع سنة ٣٥١ ق م)

ثار الصيّدونيون على ملك فارس الذي كانوا خاضعين له ، وحصنوا مدينتهم ضده بنجاح . ولكن ملكهم سلم المدينة ، لينقذ حياته . ولما كان الصيّدونيون يعرفون انتقام الملك الفارسي فقد اختبأ أربعون ألفاً منهم في بيوتهم ثم أشعلوا فيها النار ، لأن هذا الانتحار عندهم كان أسهل من تعذيب الفارسيين . وهكذا كانت الدماء في شوارعها . (وتحققت نبوة حزقيال ٢٨ : ٢٣) .

وفي مرات عديدة سالت الدماء في شوارعها وجاء عليها السيف من كل جانب (١٢) .

ومع أن صيّدون أخرجت عدة مرات ، إلا أن أهلها أعادوا بناءها . ويسكنها اليوم حوالي ٢٥ ألفاً . سالت الدماء فيها مراراً ، ولكنها بقيت قائمة . حتى اليوم . وفي أثناء الحروب الصليبية وقعت في أيدي الصليبيين ثلاث مرات ، واستردها المسلمون ثلاث مرات . وفي العصور الحديثة كانت موضع نزاع بين الأتراك والدروز ، ثم بين الأتراك والفرنسيين ، وفي سنة ١٨٤٠ م اشتركت أساطيل بريطانيا وفرنسا وتركيا في ضربها (١٢) .

لقد كان تاريخ صيّدون تاريخ الدم والحرب ، لكنها بقيت إلى اليوم !

ومن هذا نرى بوضوح :

ولم يكن عقل بشري منذ ٢٥٠٠ سنة يعقل أن صور ستنتهي وأن صيّدون ستبقى وتجاوز الأهوال ، فقد كان الأقرب للحكمة البشرية أن يحدث العكس ! ان نبوة حزقيال اليوم تشبه من يتحدث عن لوس أنجيلوس وسان فرانسيسكو . أيهما تسقط وأيها تبقى ، أو هل تسقطان . أو هل تقومان ؟ ولكن حزقيال بروح النبوة قال ان صور ستسقط وأن صيّدون ستمر بتاريخ دموي ، وهكذا كان !

٣ - السامرة

تنبأ النبيان هوشع وميخا ضد السامرة ، قالوا :

هوشع ١٣ :

١٦ « تجازى السامرة لأنها قد تمردت عل إلهها . بالسيف يسقطون . تحطم أطفالهم ، والحوامل تشق » .

ميخا ١ :

٦ « فأجعل السامرة خربة في البرية مغارس للكروم . وألقى حجارته إلى الوادى ، وأكشف أسسها » .

وفي هذه النبوة نرى الحقائق الآتية عن السامرة :

١ - تسقط السامرة بعنف (هوشع) .

٢ - تصبح كومة خراب في البرية (ميخا) .

٣ - تزرع الكروم في موقعها (ميخا) .

٤ - ترمى حجارته في الوادى (ميخا) .

٥ - تكشف أساساتها (ميخا) .

وتاريخ السامرة قصير نسبياً وعاصف جداً ، فقد كانت عاصمة المملكة اليهودية الشمالية (إسرائيل) وفيها حدث الارتداد عن عبادة يهوه . وقد حاصر شلمناصر السامرة ، وأكمل سرجون الحصار واستولى على المدينة عام ٧٢٢ ق م ثم استولى عليها الاسكندر عام ٣٣١ ق م ، ثم استولى عليها جون هيركانوس عام ١٢٠ ق م . وقد أحدث كل من الغزاة الثلاثة الخراب في المدينة وقتل الكثيرين من سكانها (وهكذا تحققت النبوة رقم ١) .

يقول أحد المؤرخين سنة ١٦٩٧ ان سابستا هي السامرة القديمة ، وقد صارت الآن مزارع للكروم ولم يبق فيها سوى بعض الأعمدة في الجزء الشمالى لتنبىء عن مكان السامرة القديمة التى كانت عاصمة لعشرة أسباط من اليهود ، بعد انفصالهم عن حكم عائلة الملك داود ! أما في الجزء الشرقى فأطلال كنيسة كبيرة ولا يزال تل « سابستا » خصباً مزروعاً بالكروم والتين والزيتون . ولما كانت الأرض تخرث باستمرار ، فمن الصعب العثور على أسس وحجارة المدينة القديمة . (وهكذا تحققت النبوتان رقم ٢ ، ٣) .

أما تحقيق النبوتين ٤ ، ٥ فتقرأه في وصف زائر لها يقول : « السامرة كومة كبيرة من الأحجار . حرثت شوارعها وتغطت بحقول القمح وأشجار الزيتون . لقد أخرجت المدينة ، لكن أحجارها ألقيت في الوادى . وقد اكتشفت الأحجار القديمة الرمادية لقصور عمرى وآخاب ملقاة على جوانب التل ! » (١٣) .

واليوم نرى قمة التل ، حيث كانت السامرة ، مزروعاً ، ونرى وسط الزراعة أساسات الأعمدة التى تبين موقع القصور القديمة . أما أسفل التل ، في الوادى ، فإننا نجد بقية أحجار أساسات المدينة ! (وهكذا تحققت النبوتان ٤ ، ٥) .

ومن هذا نرى بوضوح :

يقول جون أركهارت : « لقد وقع الخراب على السامرة ، وتحقق التنبؤ الذى طالما ضحك منه سامعوه . لقد أخذ المزارعون أحجار المدينة العظيمة وكوموه معاً أو رموه في الوادى حتى يهبطوا موقع السامرة للزراعة » (١٢) .

ويقول ستونر : « لو أن ميخا تنبأ هذه النبوات الخمس عن السامرة ، بحكمته البشرية لكانت نسبة نجاحه واحداً ٤ × (فرصة التنبؤ بالخراب)

× ٥ (فرصة أن تصبح كومة) × ١٠٠ (فرصة أن يزرع مكانها بالكروم
× ١٠ (فرصة أن ترمى حجارته في الوادي) × ٢ (فرصة كشف أساساتها)
— أى فرصة واحدة من أربعين ألف فرصة ! « (٦) .

لقد وقع الخراب على السامرة ، وتحققت النبوة ضدها ، لأنها عبدت
الوثن ، وارتدت عن عبادة الإله الحقيقي .

٤ — غزة وأشقلون

غزة وأشقلون مدينتان على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، غربى البحر
الميت ، وقد جاء ذكرها في النبوات .

عاموس ١ : (٧٧٥ — ٧٥٠ ق م) .

٨ « واقطع الساكن من أشدود ، وماسك القضيب من أشقلون ، وأرد
يدى على عقرون . فتهلك بقية الفلسطينيين » قال السيد الرب .

أرميا ٤٧ : (٦٢٦ — ٥٨٦ ق م) .

٥ « أتى الصلح على غزة . أهلك أشقلون مع بقية وطأنهم . حتى متى
تخمشين نفسك ؟ » .

صفنيا ٢ : (٦٤٠ — ٦٢١ ق م) .

٤ « لأن غزة تكون متروكة ، وأشقلون للخراب . أشدود عند الظهيرة
يطردونها ، وعقرون تستأصل .

٦ ويكون ساحل البحر مرعى ، بآبار للرعاة وحظائر للغنم .

٧ ويكون الساحل لبقية بيت يهوذا عليه يرعون . في بيوت أشقلون عند المساء يربضون . لأن الرب إلههم يتعهدهم ويرد سبيهم » .
ملحوظة : أشدود مدينة أخرى غير أشقلون ، على بعد عشرة أميال شمال أشقلون ، وتقع على الشاطئ أيضاً .

وفي هذه النبوة نرى الحقائق التالية :

- ١ — الفلسطينيون لن يستمروا (عاموس ١ : ٨) .
- ٢ — سيجيء الصلح إلى غزة (أرميا ٤٧ : ٥) .
- ٣ — سيجيء الخراب على أشقلون (صفنيا ٣ : ٤) .
- ٤ — تكون منطقة أشقلون للرعى (صفنيا ٢ : ٦) .
- ٥ — بقية بيت يهوذا يسكنون أشقلون (صفنيا ٢ : ٧) .

يقول جورج ديفس في كتابه « نبوات الكتاب تتحقق اليوم » : « لقد جاء القضاء على الفلسطينيين كما قالت النبوات ، فقد أخرج السلطان بيرس أشقلون عام ١٢٧٠ م وملاً ميناءها بالأحجار . ومنذ ذلك التاريخ ، لنحو ٧٠٠ سنة ، خربت أشقلون المدينة التي كانت عاصمة ناجحة » (١٤)
(وهكذا تحققت النبوة رقم ٣) .

ويضيف بيتر ستونر : « ومنذ أخرجها السلطان بيرس عام ١٢٧٠ م صارت أرض رعى ، وعلى موقعها اليوم أكواخ ومراع » (٦) . (وهكذا تحققت النبوة رقم ٤) .

ويمضي جورج ديفس ليقول : « ولم تخرب أشقلون فقط ، لكن كل الدولة الفلسطينية قطعت كما تنبأ النبي حزقيال منذ ٢٥٠٠ سنة ، حتى أنه لا يوجد فلسطيني واحد حتى في العالم اليوم » (١٤) (المقصود بكلمة فلسطيني

هنا : الشعب الذى كان يسكن فى فلسطين وقت إعلان نبوة حزقيال
٢٥ : ١٥ - ١٧ ، منذ ٢٥٠٠ سنة » . (وهكذا تحققت النبوة رقم ١) .

ويقول فلويد هاملتون : « كانت فى أشقلون كتيبة تركية حتى القرن
السابع عشر ، لكن منذ ذلك الوقت هجرت أشقلون . وتوجد اليوم أجزاء
من سورها وقلاعها الحربية . وهى الوحيدة فى مدن ذلك السهل التى بقى جزء
من سورها ! » (١٥) - (وهكذا تحقيق نبوة رقم ٣) .

ويقول هاملتون عن تحقيق النبوة الخامسة : « لا زالت بعض حوائط
البيوت قائمة . ولو أن الموقع كله مهجور . حتى الذين زرعوا الحدائق داخل
الأسوار يسكنون بعيداً عنها » (١٥) .

ويصف جورج ديفس الموقع الآن فيقول : « عندما جاء اليهود إلى
المكان قرروا أن يجعلوا أشقلون مدينة حدائق ، باسم « جاردن سيتى » وهكذا
تحقق قول النبي « فى بيوت أشقلون عند المساء يربضون » (نبوة رقم ٥) .

أما مدينة غزة فلها تاريخ أعجب ، ويقول بيتر ستونر : « توجد مدينة
اليوم باسم غزة ، ولذلك ظن كثيرون أن هذه النبوة عن غزة نبوة خاطئة .
ثم حدثت دراسة دقيقة لموقع غزة كما جاء فى الكتاب المقدس ، فظهر أن
غزة الحديثة ليست على موقع غزة القديمة . وتمت الحفريات فى موضع المدينة
القديمة فوجدت المدينة مدفونة تحت الرمال . لقد صارت فعلاً صلعاء !
فأى وصف تعطيه لمدينة مدفونة تحت كتيبان الرمال ، أفضل من أنها صارت
صلعاء ؟ ! » (٦) - (وهكذا تحققت نبوة رقم ٢) .

ويعلق جون أوركهايت على اختفاء غزة فيقول : « لقد ظهر أن غزة
القديمة دفنت تحت الرمال تماماً ، وأن المدينة الحديثة لم تبن على الموقع القديم .

أما غزة الفلسطينيين القديمة فهي على بعد ميلين من الشاطئ ، وهي الآن مجموعة تلال رملية . وهي « صلعاء » حتى لا يظهر حجر أو عامود للدلالة على المدينة القديمة ، والعين لا ترى فيها حتى ورقة نبات أخضر ! « (١٣) .

ومن هذا نرى بوضوح :

يقول بيتر ستونر : « الاحتمالات البشرية في تحقيق هذه النبوات هي واحد $\times ٥$ (أن الفلسطينيين يختفون) $\times ١٠٠$ (أى تغطي الرمال غزة) $\times ٥$ (أن أشقلون تخرب) $\times ٥$ (أن تكون أشقلون أرض رعى) . . أو أن فرصة تحقيق النبوة هي فرصة واحدة من ١٢ ألف فرصة ! « (٦) .

٥ - موآب وعمون

موآب وعمون مملكتان صغيرتان شرقي البحر الميت ، وتقع عمون إلى شمال موآب . وقد وقعتا تحت العقاب الإلهي . حزقيال ٢٥ : (٥٩٢ - ٥٧٠ ق.م) .

٣ « وقل لبني عمون : اسمعوا كلام السيد الرب . هكذا قال السيد الرب : من أجل أنك قلت « هه ! » على مقدسى ، لأنه تنجس ، وعلى أرض إسرائيل لأنها خربت ، وعلى بيت يهوذا لأنهم ذهبوا إلى السبي .

٤ فلذلك هاأنذا أسلمك لبني المشرق ملكاً ، فيقيمون صيرهم فيك ، ويجعلون مساكنهم فيك . هم يأكلون غلتك ، وهم يشربون لبنك » أرميا ٤٨ : (٢٦٦ - ٥٦٨ ق.م) .

٤٧ « ولكنني أرد سبي موآب في آخر الأيام ، يقول الرب » .

أرميا ٤٩ :

٦ « ثم بعد ذلك أرد سبي بني عمون ، يقول الرب » .

وفي هذه النبوات نرى الحقائق التالية :

- ١ — سيأخذ بنو المشرق البلاد ، ويسلبون غلتها (حزقيال ٢٥ : ٤) .
- ٢ — سيأخذ بنو المشرق بلاد عمون ويبنون مساكنهم فيها (حزقيال ٢٥ : ٤) .
- ٣ — أهل موآب وعمون الأصليون سيستعيدون أرضهم (ارميا ٤٨ : ٤٧ ، ٤٩ : ٦) .

ولندرس تاريخ هذه البلاد وهذه النبوات ماثلة في أذهاننا . يقول هوارد فوس : « إن دراسة طبوغرافية هذه البلاد تظهر طبيعتها الجبلية الحصينة ، وتوضح لنا كيف أرسل بعشا العموني جيشاً من عشرة آلاف مقاتل إلى كارجار سنة ٣٥٤ ق م ليحارب شلمنأصر ملك آشور . وقد كانت تلك الدولة في قمة غناها وقوتها وقت أن قال ارميا إن ربة عمون (العاصمة) ستصير خراباً ، حتى إن سامعى نبوته لابد شكوا في احتمال تحقيقها » (١٦) .

ويوضح فوس كيف تحققت النبوتان ١ ، ٢ عندما بنى الأمير عبد الله حاكم شرق الأردن قصره هناك ، وهكذا بنى بنو المشرق مساكنهم في العاصمة ربة . واليوم يسكن « عمون » عشرون ألفاً ، (١٩٣١) ، وهي تقع على خط سكة حديد دمشق — الحجاز . وقد زاد عدد السكان زيادة كبيرة ، خصوصاً لو عرفنا أن عددهم سنة ١٩٢٠ كان بضع مئات فقط ! (١٦) .

ويصف فوس كيف أن بنى المشرق « يرثون » اليوم موآب فعلاً . ولكن الوقت سيجيء عندما تتحقق نبوة أرميا عن استعادة موآب وعمون الأصليون لأرضهم . ان عمان عاصمة شرق الأردن هي ربة بنى عمون القديمة التي استولى عليها يوآب قائد جيش الملك داود . ومنذ بضع سنوات كان

عدد سكانها مئات فقط . ويحتمل أن السكان الحاليين ليسوا هم أحفاد السكان الأصليين (١٦) .

ويقول بيتر ستونر إن فرصة تحقيق هذه النبوات هي فرصة واحدة من خمس في أن بنى المشرق يستولون عليها ، وفرصة من عشر أن يبنوا قصورهم فيها ، وفرصة من عشرين في أن يعود الموآبيون والعمونيون إليها . أى أن تحقيق هذه كلها له فرصة من ألف فرصة (٦) .

٦ - البتراء وآدوم

آدوم دولة جنوب شرق البحر الميت ، عاصمتها البتراء . ولابد أنها كانت شريرة فعلاً حتى أن ستة أنبياء تكلموا ضدها هم : إشعياء ، إرميا ، حزقيال ، يوثيل ، عاموس ، عوبديا .

والنبوات ضد آدوم كثيرة ودقيقة ، ولا توجد عندنا فسحة كافية من الصفحات لمعالجتها ، ولكننا نقدم هنا بعضها :
أشعياء ٣٤ : (٧٨٣ - ٧٠٤ ق م) .

٦ «اللرب سيف قد امتلأ دماً ، اطلى بشحم ، بدم خراف وتيوس ، بشحم كلى كباش . لأن للرب ذبيحة في بصرة ، وذبحاً عظيماً في أرض آدوم .

٧ ويسقط البقر الوحشى معها ، والعجول مع الثيران ، وتروى أرضهم من الدم ، وتراهم من الشحم يسمن .

١٠ ليلاً ونهاراً لا تنطفىء . إلى الأبد يصعد دخانها ، من دور إلى دور تحرب . إلى أبد الآبدين لا يكون من يجتاز فيها .

١٣ ويطلع في قصورها الشوك . القريص والعوسج في حصونها . فتكون مسكناً للذئاب ، وداراً لبنات النعام .

١٤ وتلاقى وحوش القفر بنات آوى ، ومعز الوحش يدعو صاحبه .
هناك يستقر الليل ، ويجد لنفسه محلا .

١٥ هناك تحجر النكازة وتبيض وتفرخ تحت ظلها . وهناك تجتمع الشواهد
بعضها ببعض .

إرميا ٤٩ : (٦٢٦ — ٥٨٦ ق م) .

١٧ « وتصير أدوم عجبا لكل مار بها ، يتعجب ويصفر بسبب كل
ضرباتها .

١٨ كانقلاب سدوم وعمورة ومجاوراتهما يقول الرب ، لا يسكن هناك
إنسان ، ولا يتغرب فيها ابن آدم .

حزقيال ٢٥ : (٥٩٢ — ٥٧٠ ق م) .

١٣ لذلك هكذا قال السيد الرب : « وأمد يدي على أدوم ، وأقطع منها
الإنسان والحيوان ، وأصيرها خراباً من التيمن ، وإلى ددان يسقطون
بالسيف .

١٤ وأجعل نقمتي في أدوم بيد شعبي إسرائيل ، فيفعلون بأدوم كغضبي
وكسخطي ، فيعرفون نقمتي » يقول السيد الرب .

حزقيال ١٣٥ :

٥ « لأنه كانت لك بفضة أبدية ، ودفعت بني إسرائيل إلى يد السيف في
وقت مصيبتهم ، وقت أثم النهاية .

٦ لذلك ، حتى أنا يقول السيد الرب ، اني أهيك للدم ، والدم يتبعك ،
إذ لم تكره الدم ، فالدم يتبعك .

٧ فأجعل جبل سعي خراباً ومقبراً ، واستأصل منه الزاهب والآث » !

وفي هذه النبوات نرى الحقائق التالية :

- ١ - أدوم تصير خراباً (أشعيا ٣٤ : ١٣) .
- ٢ - لن تسكن للأبد (إرميا ٤٩ : ١٨) .
- ٣ - يهزمها الوثنيون (حزقيال ٢٥ : ١٤) .
- ٤ - تهزمها إسرائيل (حزقيال ٢٥ : ١٤) .
- ٥ - تاربخها دموى (حزقيال ٣٥ : ٥ ، ٦ ، أشعيا ٣٤ : ٦ ، ٧) .
- ٦ - تخرب أدوم حتى مدينة التيمن (حزقيال ٢٥ : ١٣) .
- ٧ - تسكنها الحيوانات المتوحشة (أشعيا ٣٤ : ١٣ - ١٥) .
- ٨ - تتوقف تجارتها (حزقيال ٣٥ : ٧ ، أشعيا ٣٤ : ١٠) .
- ٩ - يتعجب الناظرون إليها (إرميا ٤٩ : ١٧) .

وهذه النبوات المخيفة عن أدوم سببها أنها ابتعدت عن الله ، وآذت شعبه .
وهذه النبوات تفصيل للنبوة الأصلية في يوثيل ٣ : ١٩ . وعندما يزور الناس
موقع أدوم اليوم يندهلون من دقة تحقيق نبوة أشعيا ٣٤ .

ونقدم هنا تاريخ أدوم ، قبل هذه النبوات ، وبعدها :

أما تاريخ أدوم قبل هذه النبوات فهو عاصف لا يهدأ . فبعد موت الملك
أظهروا عداوتهم ، وإذ كان الملك داود مشغولاً باخضاع الملك هدد عزر
ملك صوبة في شمال سوريا ، هاجم الأوميون الجزء الجنوبي من يهوذا مهددين
العاصمة أورشليم ، فرجع داود وهاجم أدوم وقتل ١٨ ألف أدوميا في وادي
الملح جنوب البحر الميت . وظلت أدوم خاضعة لمملكة يهوذا حتى حكم
يهورام من ٨٥٣ - ٨٤١ ق م . وبعد موت يهورام بخمسين سنة غزا أمصيا
ملك يهوذا أدوم واستولى على حصنها سالع (سالع كلمة عبرية معناها
صخرة ، والبراء هي كلمة صخرة في اللغة اليونانية) .

وبعد اضمحلال آشور زحفت جحافل الكلدانيين على شرق الأردن
والتهمت أدوم وأماً أخرى (١٦) .

أما تاريخ أدوم بعد هذه النبوات ، فإن سقوط مملكة آشور كان الموعد
التقريبى لآتمام النبوات ضد أدوم . أما بقية تاريخ أدوم فهو ما حدث بعد أن
تحققت النبوات . ولعل النبطيين هم « بنو المشرق » المذكورون فى حزقيال
٢٥ : ٤ ، فقد طرد النبطيون الأدوميين من بلادهم واستولوا على عاصمتهم
الحصينة البتراء فى القرن السادس ق م . ومن المكابيين الأول ٥ : ٣ نرى
أن اليهود هزموا أدوم . ويقول يوسفوس أن جون هيركانوس وسمعان
الجيراسى هاجما أدوم تباعاً . وهكذا تحققت هذه النبوة .

وفى وقت ميلاد المسيح كانت البتراء مزدهرة ، فقد كانت فى طريق
التجارة إلى آسيا ، كما يقول المؤرخ سترابو وكانت سوقاً للتجارة العطور
والأطياب العربية . وفى خلال الحكم الرومانى جمعوا الأدوميون لليهود ،
وصار اسم المملكة الواحدة « أدومية » . وقبيل حصار تيطس لأورشليم
سمح لعشرين ألف أدومى بدخول المدينة المقدسة فعاثوا فيها سرقة وقتلا .
ومنذ ذلك الوقت اختفى ذكر الأدوميين (بنى عيسو) من التاريخ ١ (٢) :
وعندما اجتاح اليهود إلى العون فى أثناء الحصار الرومانى (٧٠ م) كان
الأدوميون أكثر ما يكونون أذى وبعد مذبحة اليهود ، عاد الأدوميون إلى
بلادهم ، ليختفى ذكرهم من صفحات التاريخ ، ولو أن عاصمتهم البتراء استمرت .
وتقول دائرة المعارف البريطانية أن اضمحلال البتراء بدأ قبل الغزو الإسلامى
لها فى القرن السابع الميلادى (نبوة رقم ٣) . وقد بنى الصليبيون قلعة هناك
فى القرن الثانى عشر ، واحتلها فيما بعد القبائل الرحل ، وظلت على هذه
الحال حتى اكتشف موقعها الرحالة السويسرى بوركهارت عام ١٨١٢ (١) —
(وهكذا تحققت النبوة رقم ٨) .

ويقول هنرى موريس أن أدوم تذكر كثيراً في الكتاب المقدس ولكنها سقطت من تاريخ العالم حتى القرن التاسع عشر . وقد ظن بعض النقاد أن أدوم لم يكن لها وجود حتى ظهرت كتابات عنها في الآثار المصرية والأشورية وأخيراً أظهرت الحفريات أطلال البتراء نفسها ، مدينة الصخرة ، فأفحم النقاد الذين كانوا يظنونها أسطورة « (٧) » .

كانت البتراء إحدى عجائب العالم القديم ، مبنية في جبل صخري ، وكان الكثير من أبنيتها محفوراً في الصخر الأحمر الوردي فكانت رائعة الجمال ، مستحيلة على الغزاة ، لها مدخل واحد ضيق يشبه الخندق يمكن أن تحميه فرقة صغيرة من العسكر تهزم جيشاً كبيراً من الأعداء .

ولكن ما هو حال البتراء اليوم ؟ يصفها جورج آدم سميث مقتبساً من كتاب مختلفين يقول :

« لقد تمت هذه النبوات عن أدوم بدقة متناهية . أن أصوات الشواهين والصقور والبوم الكثير ، يملأ المكان وتزيده وحشة . لقد قال النبي إنها تصير مسكن النكازة (أى الحيات) وهى اليوم تعج بالسحالي والثعابين والعقارب التى يخشاها الناس . . وقد قال الأدلاء لبعض السياح إنهم كثيراً ما رأوا الأسود والتمور فى البتراء ، ولو أنها لم تنزل إلى الوادى . ويذكر النبي « معز الوحش » وهى فى العبرية « الساطير » التى تعنى « ذات الشعر » . وقد وجد الكثير منه على الجبال فى البتراء » (وهكذا تحققت النبوات رقم ١ ، ٢ ، ٧ ، ٩) (١٧) .

وقد جاء النبطيون بعد الأدوميين وأسسوا حضارة عظيمة استمرت قروناً ولكن الله قال أن أدوم ستصير خراباً ، واليوم نجد أن أدوم صحراء ، تحقيقاً حرفياً للنبوة . لقد كان مسرحها يسع أربعة آلاف متفرج ، لكنها

اليوم خراب كامل ، تتغلى أرضها بأعمدة محطمة وأحجار مبعثرة تختفى فيها العقارب والثعابين والسحالي وتسكنها البوم . لقد قال بركهارت أنه لم يعرف الخوف فى حياته حتى زار البتراء ، عندما زعقت فيها بنات آوى ليلاً والأحجار التى كانت قصوراً عظيمة أصبحت مبعثرة يحيط بها العوسج والأشواك (١ ش ٣٤ : ١٠ - ١٤ ، إرميا ٤٩ : ١٦) .

انك عندما ترى البتراء تشعر بالرغبة والتواضع ، فقد سقطت العظمة والقوة وصارت حطاماً موحشاً . ويقول الكسندر كيث : « أود لو أن المتشكك وقف حيث وقفت أنا بين أحجار وخرائب هذه المدينة العظيمة ، وفتح الكتاب المقدس ليقراً ما خطه الأنبياء عن مصير هذه الغطيمة . اننى أتخيل وجهه يشحب وشفتيه ترتعشان وقلبه يرجف من الخوف ، فإن المدينة تصرخ بصوت قوى عال وكأنها ميت قام من الأموات ! وقد لا يؤمن بكلمات موسى والأنبياء ، لكنه لابد يؤمن وهو يرى كتابة أصبح الله على الخراب المحيط به ! » (١٨) .

ومن هذا نرى بوضوح :

تحققت النبوة رقم (١) وصارت أدوم خراباً ، ولم تعد مكان سكن ، وهكذا تحققت النبوة رقم (٢) . واستولى عليها الوثنيون كما استولى عليها اليهود ، فتحققت نبوتاً ٣ ، ٤ . وعندما تنبأ حزقيال (٢٥ : ١٤) أن إسرائيل ستهزم أدوم ، كانت إسرائيل فى السبي ، لكن بعد أربعة قرون هزم يهوذا المكابى ويوحنا هيركانوس أدوم ، وقتلوا الآلاف ، واضطر الباقون إلى ممارسة الختان ليصيروا يهوداً ! .

أما عن النبوة رقم (٥) فإننا نرى تاريخ أدوم اللامع ، فقد غزتها آشور واستبعتها ، ثم أخذها نبوخذ نصر ، ثم النبطيون . وأخيراً قتل يهوذا المكابى أربعين ألفاً منهم .

أما النبوة رقم (٦) عن التيمن - أو معان كما تسمى الآن - ، فإن هذه المدينة لا تزال عامرة على الحدود الشرقية لأرض أدوم ، والوحيدة المأهولة بالسكان من كل بلاد أدوم القديمة . فهل يكون تحقيق النبوات بدقة أكثر من هذا ؟ ! فكر في كيف يختار النبي مدينة واحدة من بين كل مدن أدوم يقول إنها ستبقى ، بينما تهلك كل الدولة ! لا يمكن أن يكون هذا إلا لأن النبي حزقيال (٢٥ : ١٣) كان يتكلم بكلام الله (١٥) .

تحدثنا عن تحقيق النبوة رقم ٧ فقد سكنت أدوم الحيوانات المتوحشة . أما النبوة رقم ٨ عن توقف تجارة أدوم ، فلم يكن منتظراً أن تحدث ، لأن أدوم تقع على طريق تجارة دولي ، ولكن هذا ما حدث فعلاً ! ولم تعد قافلة واحدة تعبر البلاد . وقد تحققت النبوة رقم ٩ ، ويتعجب اليوم كل الناظرين إلى هذه البلاد العظيمة وكيف صارت هذه البلاد الجبلية الحصينة على هذه الحالة من الخراب !

ويقول بتر ستونر إن احتمال تحقيق ثلاث فقط من هذه النبوات أمر مذهل (١) 10×1 أن تهزم أدوم (٢) 10×1 ألا تسكن (٣) 100×1 أن تصير خراباً . وهذا يعطى احتمال تحقيق النبوة فرصة واحدة في عشرة آلاف فرصة !

لقد كانت أدوم مستطيلة الشكل ، ١١٠ ميلاً بالطول وستين ميلاً بالعرض (نحو ٦٦٠٠ ميلاً مربعاً) . ولنفترض أن محافظة بهذه المساحة ، ولنفترض أن نبياً جاء يقول إن هذه المحافظة (١) ستصير خراباً (٢) لن يسكنها أحد (٣) يهزمها قادمون من الشرق من جهة البحر (٤) يهزمها أيضاً قادمون الشمال (٥) مستقبلها دموى أكثر من كل ما حولها (٦) ستخرب كلها حتى موقع معين (٧) تسكنها الحيوانات الوحشية .

ان احتمال تحقيق هذه كلها معاً هي فرصة واحدة في ٣٠٠ مليون فرصة !
ومن المذهل أن كل ما قاله الأنبياء عن أدوم قد تحقق بحذافيره !

٧ - طيبة وممفيس

تنبأ حزقيال عن مدن مصرية كثيرة ، نأخذ منها مدينتين كمثال :

حزقيال ٣٠ (٥٩٢ - ٥٧٠ ق م) .

١٣ « هكذا قال السيد الرب : وأبيد الأصنام وأبطل الأوثان من نوف
(ممفيس) . ولا يكون بعد رئيس من أرض مصر ، وألقى الرعب في
أرض مصر .

١٤ وأخرب قنوس وأضرم ناراً في صوعن ، وأجرى أحكاماً في نو
(طيبة) .

١٥ وأسكب غضبي على سين حصن مصر ، وأستأصل جمهور نو .

وفي هذه النبوات نرى الحقائق التالية :

١ - إبادة أصنام ممفيس (حزقيال ٣٠ : ١٣) .

٢ - تخرب طيبة وتحترق (حزقيال ٣٠ : ١٤) .

٣ - يستأصل جمهور طيبة (حزقيال ٣٠ : ١٣) .

٤ - لا يكون بعد رئيس من أرض (حزقيال ٣٠ : ١٣) .

قال جون أركهارت أنوف كان الاسم القديم الذي أطلقه المصريون على
ممفيس ، التي أسسها الملك منيس (مينا) وفيها وضعت الإجراءات لعبادة
الآلهة المصرية وخدمة الهياكل ، ولابد أنها كانت موضع التكريم الكامل .
وكانت ممفيس عاصمة مصر الوسطى عامرة بالأصنام . ومع أننا لا نملك
تسجيلاً لغزو نبوخذ نصر لممفيس وتخريبها ، إلا أن هيروديت يقول أن

فبيز أخذ سين (تل الفرما الحالية) وهى نقطة الدفاع الرئيسية عن مصر . .
أخذها بحيلة ماكرة ، ذلك أنه وضع أمام جيشه قططاً وغيرها من الحيوانات
التي يعبدونها المصريون فلم يرفع مصرى سلاحاً ضده . ثم ذبح العجل أبيس
وأحرق أصنام مصر ، وكان ذلك فى عام ٥٢٥ ق م . وهكذا تحققت النبوة

رقم ١

ويقول اركهارت أن الذى يفحص حالة ممفيس زمن المسيح يتحقق
استحالة تحقيق هذه النبوات ، وقد رأى سترابو أن ممفيس كانت ثانى مدن
مصر مساحة بعد الاسكندرية ، ولكن تأسيس القاهرة جعل ممفيس تضمحل
فى القرن السابع الميلادى حتى تلاشت ، ومنذ قرن من الزمان كان موضع
ممفيس محل تساؤل . وسجل اركهارت انطباعات بعض زوارها ، فقد اندهش
ولكنسون لضاءلة ما بقى من هذه المدينة الكبيرة ، واندهشت أماليا أدواذ
(فى كتابها : رحلة ألف ميل على النيل) من أن ما تبقى منها لا يسترعى الالتفات
حتى ليصعب تصديق أن مدينة عظيمة كانت موجودة فى هذا المكان (١٣) .

أما تاريخ طيبة فيختلف عن ذلك . لقد تلقت طيبة خبطتين طرحتاها
أرضاً وذلك بعد هذه النبوات . يقول اركهارت إن حزقيال عاش فى أثناء
حكم نبوخذ نصر ، وبعده بثلاثة عشر عاماً أصبحت مملكة فارس هى
الامبراطورية السائدة ، وفى سنة ٥٢٥ ق م غزا قبيز مصر وأخرب طيبة
وأحرق هياكلها وحاول تحطيم التماثيل العظيمة . وقد قامت طيبة من هذه
الكبوة بعد أن أصابها عرج ! ثم جاءت ضربة ثانية على طيبة فى القرن الأول
ق م ، فى سنة ٨٩ حوصرت المدينة ثلاث سنوات ، وسقطت أخيراً سقوطاً
عظيماً ، لم تقم بعده (١٣) .

كانت طيبة أغنى البلاد ، محيط دائرتها ميل وثلاثة أرباع الميل ، وسمك
سورها ثمانية أمتار وارتفاعه ٢٢ متراً ، ومنتجاتها قمة فى الدقة الصناعية .

ويقول سترابو الذي رأى المدينة عام ٢٥ ق م أنها قد انحطت إلى قرية صغيرة ، وهذا تحقيق للنبوة .

وللمقارنة بين مصير ممفيس وطيبة نرى أن طيبة تنكسر ويستأصل سكانها ، أما ممفيس فتبطل أصنامها . وقد حدث فعلاً أن بقيت أصنام طيبة وتمثيلها ، بينما تحطمت أصنام ممفيس . أهل طيبة استؤصلوا ، وأهل ممفيس بقوا ! ياله من تحقيق رائع للنبوة ! كيف اختار النبي ممفيس من دون مدن مصر القديمة ليقول إن أصنامها ستتخطم ؟ (١٥) .

ولقد تحققت النبوة الرابعة أنه لا يكون بعد رئيس من أرض مصر ، فكان الحاكم أجنبياً لقرون طويلة ، فقد أخذ الفرس مصر سنة ٥٢٥ ق م ، وبعدها توالى الغزاة !

ان هذه النبوات تخبرنا أن الله يقاوم المستكبرين ! وأنه لا بد أن يتم وعده ووعدته . (١٣) .

٨ - نينوى

كانت نينوى وبابل مدينتين عظيمتين في العالم القديم ، قويتين ، مأهولتين بالسكان ، غالبتين في الحروب . وفي إبان عظمتها توالى النبوات عليهما بالخراب ، وكان سقوطهما عظيماً . سقطت نينوى بعد حصار قصير جداً استغرق ثلاثة شهور ، وسقطت بابل بدون قتال !

وسندرس أولاً النبوة عن نينوى عاصمة الامبراطورية الآشورية وقد دعاها النبي ناحوم للتوبة ، لكنها لم تنب ، فسقطت .

ناحوم (٦٦١ إلى ما قبل ٦١٢ ق م) .

١ : ٨ « ولكن بطوفان عابر يصنع هلاكاً تاماً لموضعها ، وأعداؤه يتبعهم ظلام . . . » .

١ : ١٠ فانهم وهم مشتبكون مثل الشوك ، وسكرانون كمن خمرهم ،
يؤكلون كالقش اليابس بالكمال .

٢ : ٦ « أبواب الأنهار انفتحت ، والقصر قد ذاب » .

٣ : ١٠ « هي أيضاً قد مضت إلى المنى بالسبي ، وأطفالها حطمت
في رأس جميع الأزقة ، وعلى أشرافها ألغوا قرعة ، وجميع عظامها تقيسوا
بالقيود » .

٣ : ١٣ « هوذا شعبك نساء في وسطك. تنفتح لأعدائك أبواب أرضك
تأكل النار مغاليقك » .

٣ : ١٩ « ليس جبر لانكسارك . جرحك عديم الشفاء . كل الذين
يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك ، لأنه على من لم يمر شرك على الدوام؟ »

وفي هذه النبوات نرى الحقائق التالية :

١ — ستخرب نينوى وهي في حالة سكر (ناحوم ١ : ١٠) .

٢ — ستخرب في طوفان غامر (ناحوم ١ : ٨ ، ٢ : ٦) .

٣ — ستحرق (ناحوم ٣ : ١٣) .

٤ — ستخرب تماماً ولا تبنى (ناحوم ٣ : ١٩) .

٥ — تكون خافية (ناحوم ٣ : ١١) .

يمكن تحديد تاريخ نبوة ناحوم مما جاء في البوة ذاتها ، فإن التاريخ الأقدم
ظاهر من حديث النبي عن حرب « نوأمون » (٣ : ٨) التي هي طيبة .
ونحن نعرف أن هذا حدث سنة ٦٦٣ ق م على يد آشور بانيبال أما التاريخ .
الأحدث فيظهر أيضاً مما جاء بالسفر نبوة عن الخراب الآتي على نينوى ،
وقد أحرقت نينوى سنة ٦١٢ ق م . فتكون كتابة السفر بعد ٦٦٣ وقبل
٦٢١ ق م .

ولكى ندرك معنى النبوة عن الطوفان يجب أن نعرف أن أنهار نينوى لعبت جزءاً هاماً من تاريخها ، فقد كانت تفيض على جانبيها باستمرار فتسقط القصور وتخرّب المدينة . وقد عدل سنحاريب ، جد آشور بانيبال ، مجرى النهر حتى يضمن انسياب الماء بدون تعاريج ، وقوى أساسات الهيكل حتى لا يضعف بتأثير الماء .

أما وسائل نينوى الدفاعية فكانت عظيمة ، أعظم من كل المدن القديمة . فقد كان ارتفاع السور ٣٣ متراً (نحو عشرة طوابق) وسمكه ١٦ متراً (يكفى لمرور نحو ست عربات متجاورة) وكان ارتفاع أبراج السور ٦٦ متراً وكان لها ١٥ بوابة ، والخندق المائى المحيط بها عرضه خمسون متراً ، ومحيط دائرتها سبعة أميال . وكان على العدو الاتى على نينوى من الشرق (أضعف نقطة فيها) أن يهاجم سوراً تحصنه القلاع ، ثم خندقين ، ثم سورين آخرين فى مثل حجم السور الأول . كل هذا قبل الوصول للمدينة نفسها . وكانت المسافة بين السور الداخلى والسور الخارجى حوالى ٧٠٠ متراً . وتشهد البقايا الباقية اليوم من أسوار نينوى على صدق وصف ديودور الصقلى لعظمة وسائل الدفاع عن نينوى .

وكان سقوط نينوى سريعاً ومفاجئاً ، بدأ بثورة بسامتيك المصرى ضد الحكم الآشورى (نينوى عاصمة آشور) . وقد قضت هذه الثورة على مطامع آشور فى مصر ، ثم خسر الآشوريون أرض عيلام قبل موت آشور بانيبال . وبهذا كانت عجلة العناية تدور ضد آشور . ومن ألباز التاريخ الغامضة أن تسقط آشور التى بلغت قمة مجدها فى سنة ٦٦٣ ، بعد هذا التاريخ . بواحد وخمسين سنة ، ولا تقوم لها قائمة مرة أخرى لقد زحف عليها سيكزارس ولكنه لم يستطع أن يخترق أسوارها فرجع عنها إلى غيرها من مدن السهل مثل تاريس ونمرود ودمرها تماماً .

ان هناك شيئاً غامضاً يحيط بسقوط نينوى بهذه الصورة ، وهى فى أوج قوتها . فلم يكن فى قدرة أى قوة عسكرية أن تفعل بها ما تنبأ به ناحوم ، مهما أتيح لهذه القوة من أسلحة وحنكة حربية ، لم يكن فى مقدور أى قوة أن تخترق أسوار نينوى بسهولة ، تلك الأسوار الشاهقة وما عليها من أبراج قوية يتحصن داخلها جيش قوى ، علاوة على الخندق الذى بلغ اتساعه ١٥٠ قدماً . لا يمكن أن يسقط كل هذا فى خلال ثلاثة شهور من الحصار . وفى نهاية حكم آشور بانيبال اتفق الماديون مع القبائل المجاورة وهاجموا نينوى فسقطت عام ٦١٢ ق م بعد حصار ثلاثة شهور فقط . وهذه فترة حصار قصيرة جداً ، لو عرفنا أن بسماتيك حاصر أشدود تسعة وعشرين عاماً ، وهى مدينة أصغر وأقل تحصيناً من نينوى . وكان النبي ناحوم قد تنبأ أنها ستسقط بسهولة ، كما تسقط ثمرات التين من الشجرة (ناحوم ٣ : ١٢) .

ويقول ناحوم ٢ : ٦ أن هلاك نينوى سيكون بفيضان أنهار . وقد أظهرت الحفريات أن هذا هو ما جرى لنينوى ، فقط أسقط فيضان النهر الأسوار ، فاستطاع الماديون والكلدانيون أن يستولوا على المدينة بسهولة . وقد كتب ديودور الصقلى وصفاً لسقوط نينوى ، قال فيه ان الأعداء كانوا يحيطون بنينوى ، ولكن الملك لم يهتم لثقلته بانتصاراته السابقة . فأقام الحفلات لجنوده وسكروا . وعرف أرباسس قائد العدو هذه الحقائق من الفارين من المدينة ، فهاجمها ليلاً بنجاح عظيم ، وكانت خسائر الأشوريين هائلة بسبب السكر وعدم النظام . وحاول القائد الأشورى جمع الشمل وكانت ثمة نبوة عند أهل نينوى « لا يستطيع عدو أن يأخذ نينوى أبداً إلا إذا أصبح النهر عدواً للمدينة أولاً وفعلاً لم يستطع العدو أن يخترق الأسوار ، لما كانت المثونة متوفرة بالمدينة وظلت المدينة تقاوم ثلاث سنوات ولكن المطر نزل بشدة ففاض النهر ، وتهدمت أجزاء من الأسوار المنيعة ، فخاف الملك ظاناً أن النبوة قد تحققت ،

فجمع ممتلكاته ونساءه داخل قصره وأغلقه ثم أحرقه . وأقتحم الأعداء المدينة من الجزاء الذى تحطم من السور ودخلوها عنوة ، وتوج أرباسس – قائد الجيش المهاجم – ملكاً عليها .

وانهارت نينوى ، حتى إن العلماء الذين أرادوا استكشاف مكانها ، ساروا فوقه ذهاباً وجيئة دون أن يعرفوا أنهم فوق المكان الذى يفتشون عليه ! لقد تحققت نبوة ناحوم ٣ : ١١ !

ولقد ظل مكان نينوى مجهولاً حتى اكتشفه السير أوستن لايارد فى القرن التاسع عشر ، وهو رحالة بريطانى وعالم آثار . ولقد كان كل ما لدينا من معلومات عن نينوى قبل ذلك مستمد من الكتاب المقدس ، حتى قال الشكاكون إنه لم يكن لأشور ولا نينوى ولا بابل وجود ! ولكن الحفريات – التى وصلت إلى عمق ٣٠ – ٤٥ قدماً – كشفت موقع نينوى وأظهرت صحة التاريخ الكتابى ، وفوق ذلك أظهرت صحة النبوة الكتابية ! (٢) .

ويقدم العالم ملاوان وصفاً لنينوى يقول فيه : « الحالة التى وجدنا فيها حجرة العرش فى قلعة شلمناصر تظهر الكارثة التى حلت بها ، فطلاء الحوائط محترق ومسور بالهباب الذى تخلل طوب الحوائط . وقد أدت الحرارة الشديدة إلى ميل الحائط الجنوبي للداخل فى وضع خطير ودفنت الغرفة نفسها تحت أكوام الأنقاض التى ارتفعت متراً ونصف ، مغطاة بالرماد والفحم والقطع الأثرية . ووجدت مئات القطع العاجية محترقة ، وفى القصر وجدنا الأنقاض مختلطة بأطعمة مصنوعة من الحبوب مثل الشعير والقمح . ولقد رأيت مدناً كثيرة محترقة ، ولكنى لم أر مثل هذا الحريق الانتقامى الذى لا يزال رماده باقياً ولقد ظلت أطلال القصر باقية كما هى تحت الأنقاض حتى كشفنا عنها سنة ١٩٥٨ » (١٩) .

لقد ذكر ناحوم ثلاث مرات أن نينوى ستخرب بالماء ، في ١ : ٨ ،
٢ : ٦ ، ٢ : ٨ — وليست هذه الكلمات شعرية أو تصويرية ، فهو يصف
« طوفان عابر يصنع هلاكاً تاماً » و « أبواب الأنهار انفتحت » و « نينوى
كبركة ماء » . وقد حدث هذا فعلاً ، إذ فاض النهر فانهارت بعض دفاعات
نينوى ، وسهل على الأعداء اقتحامها وتدميرها .

ولقد كان سقوط نينوى في شهر آب (يوليو) ، ويتزل المطر عادة في
شهر مارس ، وتعلو مياه النهر في شهرى ابريل ومايو ، فيكون سقوط
الأسوار في شهر آب معقولا .

ولقد هاجم البعض هذه الفكرة بحجة أن نهر دجلة لا يمر بنينوى ،
كما هو الحال اليوم . ولكن معظم العلماء اليوم يقولون إن دجلة كان يمر
بغرب نينوى ، وذلك من الحفريات التي جرت في المنطقة .

وهاجم البعض الفكرة مرة أخرى وقالوا أن النهر لا يمكن أن يهدم
السدود ويسقط سور المدينة . ولكن نهر الدجلة قادر على ذلك ، علاوة على
أن هناك احتمالين آخرين :

الاحتمال الأول هو أن هناك نهراً ثانياً كان يمكن أن يسبب الفيضان ،
وهو نهر الخسر . وكان الأشوريون قد أقاموا سداً للتحكم في المياه ، وأقاموا
بوابة يمر منها الماء للمدينة بحساب . ويمكن للأعداء أن يحولوا ماء نهر الخسر
بعيداً عن المدينة ، فيقطعوا عنها ماء الشرب (ماء الدجلة لا يشرب) ثم
يطلقون الماء الموجود خلف السد ليغرقوا المدينة ! ويجرى نهر الخسر يتسع
قرب نينوى حتى يشبه « بركة الماء » (ناحوم ٢ : ٨) .

وهناك نهر ثالث هو « الزاب » أو « تابلتو » (تابلتو كلمة آشورية معناها
يمزق أو يجرف) وهو يمكن أن يفيض فيمزق نينوى ويحملها معه !

ومن هذا نرى بوضوح :

١ - ستخرب نينوى وهى مخمورة ، وربما كان سقوطها راجعاً لتفكير أهلها فى أن بلدهم لا تهزم ، فسكروا .

٢ - أخربت نينوى بطوفان ماء .

٣ - احترقت نينوى وصارت خربة تماماً ، لم تبـن .

٤ - صارت نينوى خافية .

٩ - بابل

كانت مدينة بابل عاصمة المملكة البابلية عاصمة للعالم فى وقتها ، ومركزاً للتجارة والثقافة والعلم . وكانت أيضاً موضوع بعض النبوات . أشعياء ١٣ : (٧٨٣ - ٧٠٤ ق م) .

١٩ « وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة .

٢٠ لا تعمر إلى الأبد ولا تسكن إلى دور فدور . ولا ينجم هناك إعرابى ، ولا يربض هناك رعاة .

٢١ بل تربض هناك وحوش القفر ، ويملأ البوم بيوتهم ، وتسكن هناك بنات النعام ، وترقص هناك معز الوحش .

٢٢ وتصيح بنات آوى فى قصورهم ، والذئاب فى هياكل التـنـعم ، ووقتها قريب المجيء وأيامها لا تطول .

أشعياء ١٤ :

٢٣ « وأجعلها ميراثاً للقنفذ ، وآجام مياه ، وأكنسها بمكنسة الهلاك ، يقول رب الجنود .

إرميا ٥١ : (٦٢٦ - ٥٨٦ ق م) .

٢٦ « فلا يأخذون منك حجراً لزاوية ، ولا حجراً لأسس ، بل تكون خراباً إلى الأبد ، يقول الرب » .

٤٣ « صارت مدنها خراباً ، أرضاً ناشفة وقفراً ، أرضاً لا يسكن فيها إنسان ، ولا يعبر فيها ابن آدم » .

وفي هذه النبوات نرى الحقائق التالية :

١ - تصوير بابل خراباً مثل سدوم وعمورة (أشعيا ١٣ : ١٩) .

٢ - لا تسكن أبداً (إرميا ٥١ : ٢٦ ، أشعيا ١٣ : ٢٠) .

٣ - لا يقيم فيها الأعراب خيامهم (أشعيا ١٣ : ٢٠) .

٤ - لا يرعى هناك رعاة (أشعيا ١٣ : ٢٠) .

٥ - تسكنها الحيوانات البرية (أشعيا ١٣ : ٢١) .

٦ - لا تؤخذ حجارتها لمباني أخرى (إرميا ٥١ : ٢٦) .

٧ - أرضها لا يعبر فيها إنسان (إرميا ٥١ : ٤٣) .

٨ - تصبح برك مياه (أشعيا ١٤ : ٢٣) .

تقول دائرة المعارف البريطانية أنه « حتى القرن التاسع عشر كانت كل المعلومات التي عندنا عن بابل وأشور مستقاة من الكتاب المقدس ، ومن عدد قليل من كتاب اليونان . ولم تتضح لنا تواريخ بابل وأشور إلا بعد اكتشاف الآثار والكتابات القديمة لها ، وفك رموز الخط المسماري الذي كانوا يكتبون به وقتها » (١) .

كانت بابل مدينة غنية قبل أن تهزم غريمتها نينوى ، مشهورة بتجارها مع كل دول العالم القديم ، بسبب موقعها على مجرى مائى صالح للملاحة ،

يبعد - في جزء منه - مائة ميل عن البحر الأبيض المتوسط ، ويصب في خليج متصل بالمحيط الهندي ، وكان يوازيه نهر دجلة ، الذي يكاد يضارعه في الأهمية - والذي كان يمر بربوع آشور الحصينة يحمل خيراتها إلى بابل . لقد كانت بابل حلقة الوصل التجاري بين الشرق والغرب (٢٠) .

وكانت بابل مشهورة بمبانيها ، ولقد أظهرت الحفريات الكثير من النقوش التي تبين نشاط نبوخذ نصر العظيم في البناء . وهناك ستة أعمدة منقوشة - هي من بقايا قصور بابل ، وموجودة حالياً في لندن - تعدد المباني التي أقامها لتجميل بابل (٤) ، . وقد بدأ نبوبولاسار وتبعه ابنه نبوخذ نصر في أواخر القرن السابع وأوائل القرن السادس ق م ببناء بابل حيث بلغت أوج شهرتها !

كان نهر الفرات يقسم المدينة قسمين ، وقد بقي أكثر الآثار في الجانب الشرقي من النهر . ولعل هذا يرجع إلى أن النهر . يغير مجراه ، مخلفاً وراءه بعض المستنقعات إلى جهة الغرب . وقد أقامت سميراميس جسوراً لكبح جماح النهر ، كما أن ملكة أخرى استغلت ذلك في عمل بحيرة عظيمة خارج الأسوار . كان الجزء الغربي من المدينة محاطاً بمستنقعات كثيرة تغذيها مياه نهر الفرات ، مما منع وصول الأعداء إليه من هذا الجانب (٢٠) .

وكانت مدينة بابل ١٩٦ ميلاً مربعاً ، أي أن كل ضلع من جوانبها ١٤ ميلاً ، ومحيطها ٥٦ ميلاً ، محاطة بخندق عرضه عشرة أمتار ، وحولها سوران ، الخارجى ارتفاعه أكثر من مائة متر (ارتفاع ثلاثين طابقاً) وعرضه نحو ثلاثين متراً (يتسع لثمانى مركبات حربية متجاورة) وبه مائة بوابة من النحاس ، و ٢٥٠ برج مراقبة ، ارتفاع كل منها أكثر من ثلاثين متراً فوق السور .

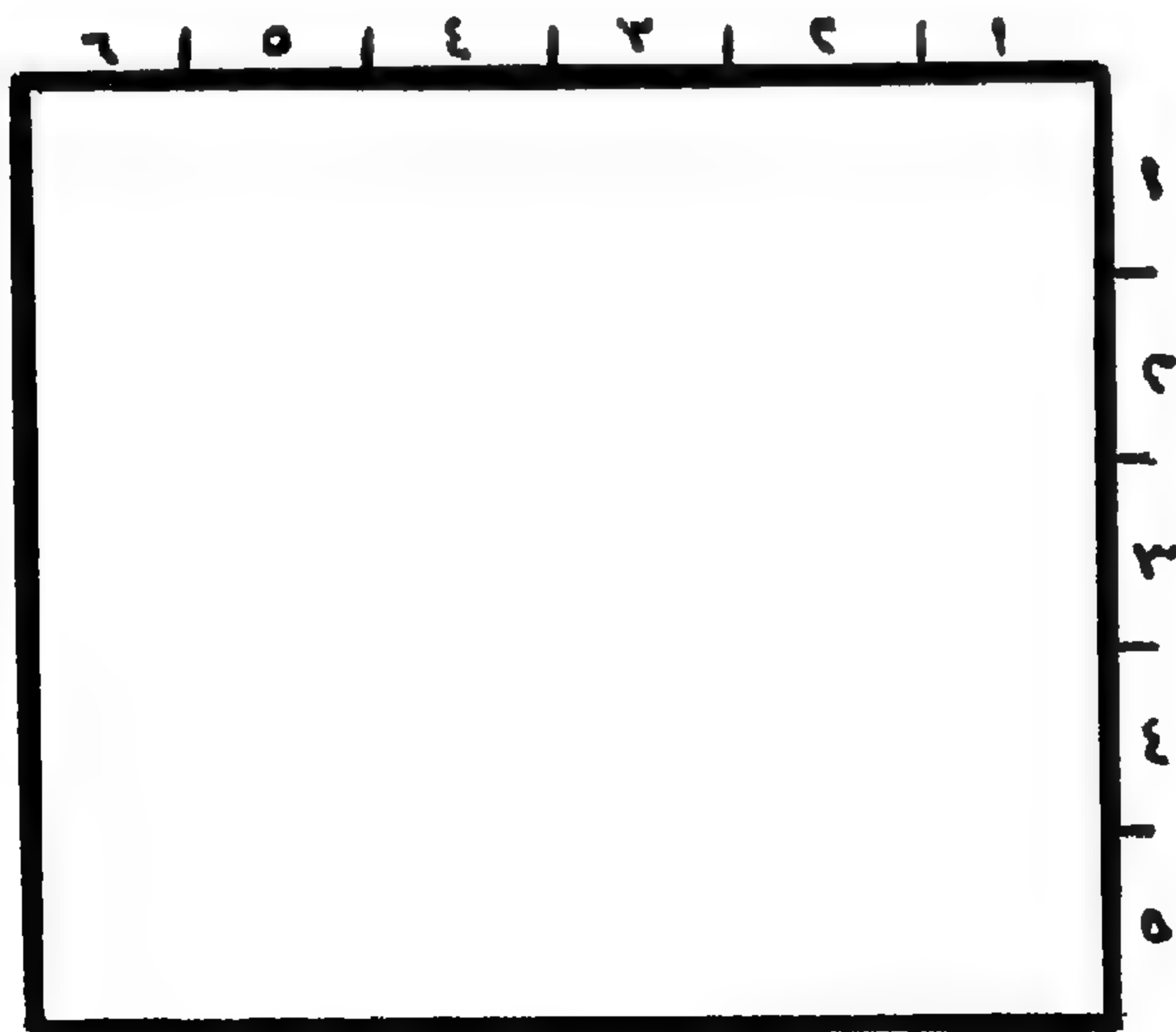
أما سقوط بابل العظيمة فيصفه كل من هيرودوت وزينوفون بالقول :
إن الفرس حاصروها . ولكنهم وجدوا استحالة كسر أسوارها . أو اختراق
أبوابها . وعرف القائد الفارسي أن نهر الفرات يجرى تحت هذه الأسوار
الضخمة باتساع كاف لمرور جيش . وكان رجالان من بابل قد هجرا
مدينتهما وانضما إلى جيش فارس : فطلب كورش الفارسي من جيشه أن
يحفر خنادق كبيرة لتحويل مجرى النهر ، وطلب من الخائنين وضع خطط
الهجوم من داخل الأسوار . وكان البابليون يضحكون على أعدائهم
« العاجزين » خارج الأسوار ، فأقاموا حفلا لآلهتهم شكراً لانتصارهم على
فارس ! (كما هو مسجل في سفر دانيال أصحاح ٨) دون أن يتنبهوا إلى أن
كورش الفارسي قد حول مجرى نهر الفرات من تحت أسوار بابل ، وأنه
يسير في مجرى النهر الجاف ليدخل مدينتهم . ولقد سقطت بابل بغير حرب
بفضل الخائنين وسكر أهل بابل ! اقرأ أشعيا ٢١ : ٥ ، ٤٤ : ٢٧ ، إرميا
٥١ : ٣٦ . عن موت بيلشاصر اقرأ أشعيا ١٤ : ١٨-٢٠ ، إرميا ٥١ : ٥٧).

ويصف مرل أنجر سقوط بابل الهادىء فيقول : « في ١٣ أكتوبر
٥٣٩ ق م سقطت بابل في يد كورش الفارسي ، ومنذ ذلك الوقت بدأ
اضمحلال المدينة ، فنهبها زركسيس . وحاول الاسكندر الأكبر إعادة بناء
هيكلها العظيم ، لكن النفقات الباهظة جعلته يتقاعس . وفي عهد خلفاء
الإسكندر اضمحلت المدينة بسرعة حتى أصبحت صحراء » (٢) .

والذى حدث أن خلفاء الاسكندر اختلفوا وتصارعوا ، وجرت المعارك
على أرض بابل ونهبها الجيوش المتحاربة فأخربت ، وأخيراً صارت من
نصيب السلوقيين . وكان إعادة بناء المدينة مكلفاً جداً حتى قرر السلوقيون
بناء مدينة جديدة ، دعوها سلوقية ، على بعد أربعين ميلاً شمال بابل ، على
نهر دجلة ، فانتقلت المؤسسات والتجارة تبعاً إلى المدينة الجديدة فاضمحلت

بابل شيئاً فشيئاً حتى ماتت . وقد زار سترابو بابل في أثناء حكم أغسطس (٢٧ ق م — ١٤ م) وقال : « لقد صارت المدينة العظيمة صحراء » . وفي عام ١١٦ م زار تراجان بابل في أثناء حملته على البارثيانيين ووجد المدينة ركاماً فوق ركام ! وفي عام ٣٦٣ م حارب الامبراطور جوليان الساسانيين حكام فارس ، وأخرب أسوار بابل التي كان الساسانيون قد أعادوا بناءها . واليوم ، على مسافة ٤٤ ميلاً جنوبى بغداد تجد الحطام المغطاة بالرمال ، التي كانت يوماً « بابل العظيمة » ! (٢١) .

وقد قال أحد علماء الآثار : « شتان ما بين عظمة الحضارة الماضية والخراب الحالي (نبوة رقم ١) الذي تجول فيه الحيوانات المتوحشة من بنات آوى والضبايع والذئاب وأحياناً الأسود » (نبوة ٥) (١٤) . وقارن رجال الحفريات بين أسوار المدن القديمة وأسوار بابل ، ففي مدن أخرى يتراوح سمك الأسوار بين ثلاثة وسبعة أمتار ، أما في حالة بابل فسمك الأسوار بين ١٧ و ٢٢ متراً ! ويبلغ ارتفاع الأتربة التي تغطي حطام الأسوار ما بين مترين وستة أمتار ، أما في حالة بابل فهو من ١٢ إلى ٢٤ متراً ! (٢١) .



أما هيكل مردوخ على الفرات فكان على رجال الحفريات أن يزجوا ملايين الأقدام المكعبة من الأنقاض قبل الكشف عن جزء منه . وكان نبوخذ نصر قد بناه ٥٠٠ متراً - ٦٠٠ متراً ومقابل الهيكل كان « الزيجورات » برج هيكل مردوخ . ويبلغ طول الهيكل ستة ملاعب كرة قدم ويبلغ عرضه طول خمسة ملاعب كرة قدم !

لقد أخربت بابل كما أخربت سدوم وعمورة ، ولو أنه ليس بنفس الطريقة ! (أشعيا ١٣ : ١٩) لم تعد هناك خيمة أعرابي ولا مكان رعى . أن موقع بابل صحراء جرداء فيها يصرخ اليوم ، فترجع الذئاب صدى صرخاته ! لقد حدث حرفياً أن بنات آوى تصبح في قصورهم ، والذئاب تعوى في هياكلهم وينعق اليوم في خرائبها ! (٢٠) ولعل سبب هجر الناس للمدينة كثرة الخرافات بصدها ، كما أن نوعية التربة تجعل الزراعة مستحيلة ، فلا توجد مراعي (٢٠) . وقد ذكر ستونر أن سبب عدم إعادة استعمال أحجار بابل في البناء مرة أخرى أنها كانت ضخمة ، تكلف الكثير في نقلها (٦) ولقد تنبأ إرميا (٥١ : ٢٦) أن أحجار بابل لا تؤخذ ، وقد حدث هذا . ولكن الطوب أخذ ، وأعيد بناؤه في أماكن أخرى ! فيالصدق النبوة !

ولقد تحققت نبوة إرميا (٥١ : ٤٣) أن لا يعبر فيها إنسان ومع أن السياح يزورون كل المدن القديمة ، إلا أن بابل قلما يزورها أحد (٦) . وتوضح دائرة المعارف البريطانية كيف أن بابل صارت برك مياه إذا أن معظم المدينة يقع فعلاً تحت مستوى سطح البحر (١) . أن الانهار التي أهملت قد أغرقت أرضاً كثيرة (انظر أشعيا ٢١ : ١) (٢٠) .

لقد تحققت النبوات الثماني كلها . لاحظ الفرق بين النبوات عن بابل وتلك التي درسناها عن مصر . بابل انتهت ، لكن مصر استمرت كدولة

ولكن ليس في عظمتها القديمة (١٥) تماماً كما ذكرت النبوات ! ! . ولم تكن بابل مدينة تجارة وحسب ، بل مدينة دين أيضاً ، كان بها ٥٣ معبداً لآلهة مختلفة ، ٥٥ مكاناً لعبادة مردوخ ، ٣٠٠ مكان عبادة لآلهة أخرى أرضية ، ٦٠٠ سماوية ، ١٨٠ مذبحاً لعشتاروث ، ١٨٠ للاله نرجل وهدد ، ١٢ مذبحاً لآلهة أخرى . ولقد كانت هناك مراكز عالمية للعبادة في العالم القديم مثل ممفيس وطيبة وبابل ونيينى وأورشليم ، ولم يبق أى مركز من هذه التى دعت لعبادة وثنية ، إلا أورشليم التى دعت لعبادة الإله الواحد .

ويقول بيتر ستونر إن احتمالات تحقيق النبوات السبع الأولى هى فرصة واحدة من خمسة بلايين فرصة هى : (١) ١٠×١ (أنها تخرب) ، (٢) ١٠٠×١ (أنها لا تسكن أبداً) ، (٣) ١×٢٠٠ (الأعراب لا يقيمون فيها خيامهم) ، (٤) ١×٤ (أن الرعاة لا يرعون فيها) ، (٥) ١×٥ (تسكنها الوحوش) ، (٦) ١×١٠٠ (أحجارها لا تؤخذ لمباني أخرى) ، (٧) ١×١٠ (أرضها لا يعبر فيها إنسان) . وهذا يعنى أن هناك فرصة واحدة من خمسة آلاف مليون فرصة ، أن هذه النبوات السبع عن بابل تتحقق (٦) .

ونسوق هنا ملاحظتين بخصوص النبوات عن نيينى وبابل ، أولاهما عن أساليب الدفاع . لم يحدث أن وجدت وسيلة حربية للتغلب على الأسوار الضخمة إلا بعد الحرب العالمية الأولى ، بعد اختراع الطائرات والمدفعية الحديثة ! ولكن لا توجد أسوار سميكة أو عالية ، ولا توجد خنادق عميقة تقدر أن تمنع عقاب الله . لا يستطيع البشر أن يتجاهلوا الله محتمين خلف سواتر مادية أو عقلية .

تأمل ضخامة أسوار كل من بابل ونيوى ، التى لم تمنع عقاب الله .

بابل	نيوى
١٤ ميل مربع	عرض الخندق ٥٠ متراً
خنادق تحيط بها أسوار مزدوجة	ارتفاع برج الحراسة ٢٠ طابقاً
ارتفاع ٣٠ طابقاً	ارتفاع السور ١٠ طوابق
وبعرض ٣٠ متراً	سمكه يكفى مرور ست سيارات
مائة بوابة نحاسية	أو ثلاث مركبات حربية معاً .
أرض كافية للزراعة داخل الأسوار	

والملاحظة الثانية هى عن احتمال سقوط مدينتين . لقد كانت هناك نواحي شبه بين نيوى وبابل ، كما كانت هناك نواحي اختلاف ، كآى مدينتين فى العالم . فلو سألنا أحداً اليوم : هل تسقط نيويورك أو لوس أنجيلوس لما عرف ، أو لقال إنهما لن تسقطا ، أو لاختار إحداهما فقط ! لكن بابل ونيوى سقطتا ولم يسكنهما أحد منذ ذلك الوقت ! !

ومن هذا نرى :

ونقدم هنا بعض ما كتبه أحد رجال الحفريات لزوجته فى أثناء قيامه بحفرياته فى قيش على بعد ثمانية أميال شرقى بابل ، يسجل انطباعاته الشخصية ، قال : « هذا المساء قمت بزيارتي المعتادة إلى التلال التى تغطى برج الهيكل القديم . . لا يظهر البرج عالياً عندما أنظر إليه من أسفل ، ولكن الحال تغير عندما صعدته . ان ارتفاعه أكثر من ١٥٠ متراً . ومن أعلاه ترى العين مساحات شاسعة ، يرى الناظر خرائب بابل . ويحيط بالبرج خرائب قيش

التي كانت من أعظم مدن ما بين النهرين ! لقد استحوالت شبكة الري الرائعة القديمة إلى حفر مملوءة بالقاذورات ، بعد أن غير نهر الفرات مجراه وهجر المكان !

إنها مدينة ميتة ! لقد زرت بومبي وأوستيا وبالاتين ، لكنها ليست مدناً ميتة إذ لا تزال تسمع فيها همهمة الحياة ، وتتألق الحياة من حولها . . . ولكن بابل وقيش قامتا بنصبيهما في خدمة الحضارة ، ثم غابتا عن العيون !

هنا موت حقيقي . ولا يوجد عمود واحد قائماً للدلالة على مهارة الإنسان . لقد سقط كل شيء في التراب . ان برج الهيكل الرائع فقد شكله الأصلي . أين مدارجه السبعة ؟ أين الدرج الذي كانوا يصعدون به قمته ؟ أين التماثيل التي زينته ؟ . ليس هناك إلا تلال التراب ! بقايا ملايين طوب البناء ، لكنها بلا شكل ، وقد قام الزمن والإهمال بتكملة هدم ما بقي ! !

وتحت قدمي حفر تسكن فيها بنات آوى والذئاب ، التي تهجر جحورها كل ليلة بحثاً عن طعامها . لقد شعرت الليلة بوجودي ، فظلت في أوجارها ولعلها تتطلع بعين الاستغراب الذي جاء يعكر سكون المكان وتتغطي التلة بعظام بيضاء هي بقايا طعامهم . لا شيء يعكر سكون الموت !

الآن ارتفع صوت ذئب ، جاوبت عليه الكلاب في القرى القريبة ، فأنهى الصمت للمحطات خاطفة ! !

ولكن سؤالاً يحيرني . لماذا اختفت مثل تلك المدينة الزاهرة عاصمة الامبراطورية العظيمة ؟ لماذا اختفت تماماً ؟ هل هي تحقيق لنبوة تقول إن الذئاب ستعوى في هياكلها ؟ هل كان ما عمله الناس في هذا المكان سبب هذا الخراب الذي جاء عليهم ؟ أم هو مصير كل حضارة بشرية أن تنهار عندما تبلغ أوج عظمتها . ولعل ما نعمله نحن الآن من محاولة التنقيب عن أسرار الماضي ، هو ما ستفعله أجيال قادمة تنقيباً عن تاريخنا وحضارتنا ! !

١٠ - كورزين وبيت صيدا وكفر ناحوم

نقرأ في العهد الجديد عن أربع مدن كانت على شواطئ بحر الجليل هي كفر ناحوم وكورزين وبيت صيدا وطبرية ، اندثرت ثلاث منها وبقيت الرابعة (١٤) . وهاك النبوة عن الثلاث مدن المندثرة :

متى ١١ (٥٠) م .

٢٠ حينئذ ابتداء يوبخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تنب .

٢١ ويل لك يا كورزين ، ويل لك يا بيت صيدا ، لأنه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد .

٢٢ ولكن أقول لكم إن صور وصيداء تكون لهما حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما .

٢٣ وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية ، لأنه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم .

٢٤ ولكن أقول لكم إن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لك .

ولا توضح هذه النبوات كيفية محددة لخراب هذه المدن ، ولكنها توضح الخراب الآتي عليها كلها . ويقدم لنا التاريخ قصة خاصة لهذه المدن الثلاث . وتقول دائرة المعارف البريطانية عن كفر ناحوم إنها «مدينة قديمة على الشاطئ الشمالي الغربي لبحر الجليل ، يقولون إن موقعها اليوم هو تل حوم . ولم تمنع شهرتها قديماً من اختفاء اسمها ومن الجدل حول موقعها » (١) . ويقول جورج ديفس : إن زلزالاً دمر كفر ناحوم عام ٤٠٠ م وهلك كورزين وبيت صيدا معها في الوقت ذاته . (١٤) . ويمضي ديفس ليقول : إن موقع

بيت صيدا على بحر الجليل كان جميلاً جداً حتى قرر الملك الوليد الأول عام ٧٠٠ م أن يبني قصراً شتوياً على موقع خرائبها ، ولكنه مات قبل إكمال القصر . ومرت القرون واندثر القصر ، ولا يبقى اليوم هناك إلا بعض أحجار الأساس وبعض البلاط الموزاييك في الأرضيات وقد غطى رجال الآثار هذا البلاط بالرمل حتى لا يسرقه اللصوص ويضيع كل أثر لمكان القصر (١٤) ويقول ديفس في وصف كفر ناحوم إن المجمع الموجود فيها ظل قروناً طويلة مدفوناً تحت التراب مثل بقية المدينة الحربة . وقد حاول أحدهم أن ينقب عن المجمع بين الخرائب ، فأعاد إقامة بعض حوائطه ، كما أعاد إقامة بعض أعمدته في مكانها . ولكن ما لم يتوقعه حدث ، فقد مات مهندس المشروع فجأة ، كما مات قبله الملك الوليد قبل أن يكمل قصره في بيت صيدا (١٤) .

ومرت مرل أنجر في قاموسه إن الخراب المعلن على كفر ناحوم وزمبليتهما غير المؤمنتين (متى ١١ : ٢٣) قد تحقق تماماً ، فإن تل حوم هو مجموعة من الخرائب مثل بيت صيدا وكورزين . وقد وجد بكفر ناحوم مجمع اكتشفوه بعد التنقيب ، يرجع للقرن الثالث الميلادي (٢) .

ويعلق ديفس على طبرية فيقول إن المسيح لم يقل كلمة واحدة ضد هذه المدينة . وقد أخرجت عدة مرات ، ولكن أعيد بناؤها في كل مرة . ويقول : « في كل مرة زرنا فيها هذه المنطقة اندهلنا من تحقيق نبوة المسيح . لقد أخرجت المدن الثلاث ، وبقيت طبرية قائمة طيلة تسعة عشر قرناً » (١٤) .

١١ - توسيع اورشليم

إرميا ٣١ : (٦٢٦ - ٥٨٦ ق م)

٣٨ « ها أيام تأتي ، يقول الرب ، وتبنى المدينة للرب من برج حنثيل إلى باب الزاوية .

٣٩ ويخرج بعد خيط القياس مقابلة على أكمة جارب ، ويستدير إلى جوعة .

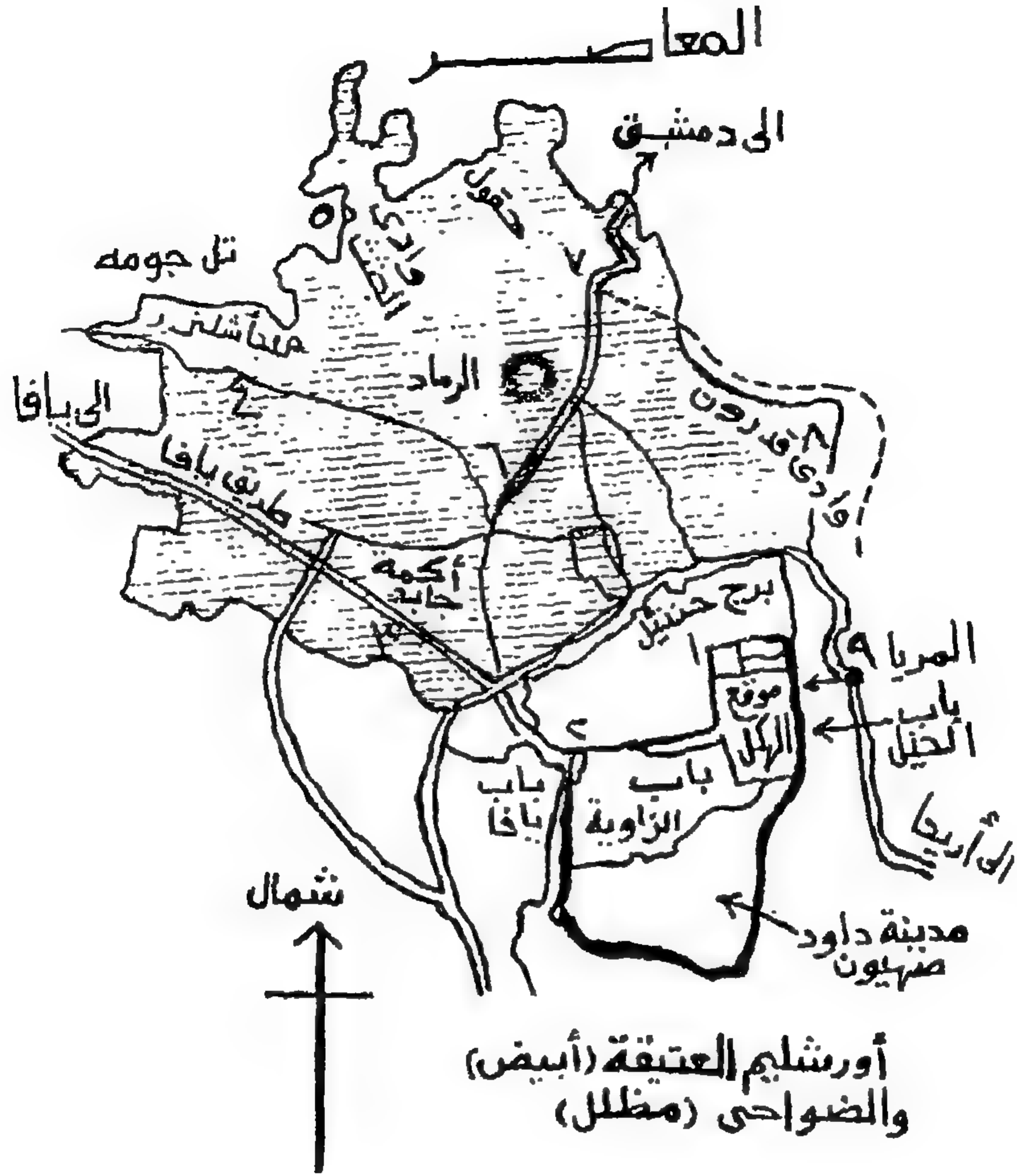
٤٠ ويكون كل وادى الجثث والرماد ، وكل الحقول ، إلى وادى قدرون إلى زاوية باب الخيل شرقاً ، قدساً للرب . لا تقلع ولا تهدم إلى الأبد .

تبدو هذه النبوة غامضة حتى ترى الخريطة المرفقة ، لأورشليم . وما نقله هنا اقتباس من كتاب جورج ديفس (مرجع رقم ١٢) .

يقدم أرميا علامات واضحة لنمو المدينة . وقد بقيت هذه العلامات قروناً طويلة ، التي لاشاها اتساع المدينة ، الذى هو تحقيق للنبوة . وقد قدم النبي زكريا نبوة مشابهة ، قال : « وتتحول الأرض كلها كالعربة ، من جيع إلى رمون جنوب أورشليم . وترتفع وتعمر في مكانها من باب بنيامين إلى مكان الباب الأول إلى باب الزوايا ، ومن برج حنثيل إلى معاصر الملك » (زكريا ١٤ : ١٠) .

وسنحاول هنا أن نعطي الأسماء الحديثة ، مع الإشارة إلى الاسم القديم . كانت أورشليم كما يصفها إرميا إلى جنوب المدينة الحديثة . وتظهر الخرائط الحديثة أن المدينة قد امتدت شمالاً .

الركن الشمالى الغربى فى نواحى جامع عمر هو موضع برج حنثيل . أما باب يافا الحالى فهو موقع باب الزاوية . أما المباني بين هذين الموقعين فقد بنيت قبل جيلنا الحاضر ، وبعد زمن إرميا . ولنتقل إلى أكمة جارب إلى الشمال الشرقى من باب الزاوية حيث توجد المساكن الروسية . وقد حدث الاتساع طبقاً للنبوة . أما ملجأ بشنلر ، وهو مدرسة ألمانية ، فهو فى موقع تل جوعة ، وهى نهاية اتساع المدينة للشمال (موقع ٤ على الخريطة) حسب النبوة ، ولو أن المدينة اتسعت ضواحيها فى هذا الاتجاه بسبب وجود طريق يافا (موقع ٣ على الخريطة) .



أما وادي الجثث فقد كان مقبرة من قبل (موقع ه على الخريطة) ، وهو المعنى في نبوة زكريا حيث أن معاصر الملك تقع إلى شمال هذا الوادي . وفي عام ١٩٢٥ امتد سكن اليهود اليمينيين إلى هذا القسم . أما تل الرماد (جنوب شرق جوعه) الذي يتكلم عنه إرميا . فقد اختفى بسبب المباني بين عامي ١٩٠٠ و ١٩٣٠ . وكان رماداً فعلاً ناتجاً عن ذبائح الهيكل . ولما كان الرماد

نافعاً لإضافته لمواد عمل الطوب ، فقد اختفى تدريجياً . وهكذا تم الاتساع والسكن فيه (موقع ٦ على الخريطة) .

أما المواقع ٧ ، ٨ ، ٩ على الخريطة فقد كانت حقول وادى قدرون ، وقد امتد الاتساع إليها منذ عام ١٩٣١ وبعده . وقد اختفى باب الخيل شرق سور المدينة القديمة بسبب امتداد العمران ، ولكنه غير بعيد من باب الذهب .

ولم يمتد اتساع المدينة عشوائياً ، ولكنه تبع خط نبوة إرميا ! إن إرميا وضح تدرج الاتساع ، وهذا ما حدث فعلاً . لقد لخص إرميا الاتساع الذى جرى من ١٨٨٠ إلى ١٩٣٥ حين قال : « قدساً للرب . لا تقلع ولا تهدم للأبد » (إرميا ٣١ : ٤٠) . لقد بدأ اتساع المدينة بالقسمين ١ ، ٢ من الخريطة ، وهذا داخل أسوار سليمان . ومنذ خمسين سنة امتدت أورشليم إلى ما خارج أسوارها نحو القسم (٣) حتى شملت الأجزاء التسعة بنفس الترتيب المذكورة فى نبوة إرميا .

ويقول بيتر ستونر : « لمدينة أورشليم ستة أركان ، وكان يمكن أن الاتساع يبدأ من أى من هذه الأركان ، ويمتد إلى أن اتجه كان ! وفرصة تحقيق نبوة إرميا هى فرصة واحدة من ١٠١٠×٨ من الفرص ، هذا لو أن نبوة إرميا كانت بحكمة إنسانية ! » (٦) . أنها فرصة واحدة من ٨٠ ألف مليون فرصة !

١٢ - فلسطين

اللاويين ٢٦ : (١٥٢٠ - ١٤٠٠ ق م) .

٣١ « وأصير مدنكم خربة ، ومقدسكم موحشة ، ولا أشتم رائحة سروركم .

٣٢ وأوحش الأرض فيستوحش منها أعداؤكم الساكنون فيها .

٣٣ وأذريكم بين الأمم ، وأجرد وراءكم السيف ، فتصير أرضكم موحشة ، ومدنكم تصير خربة .

حزقيال ٣٦ (٥٩٢ - ٥٧٠ ق م) .

٣٣ هكذا قال السيد الرب : « في يوم تطهيري إياكم من كل آثامكم أسكنكم في المدن فتبنى الحرب .

٣٤ وتفلح الأرض الخربة عوضاً عن كونها خربة أمام عيني كل عابر .

٣٥ فيقولون : هذه الأرض الخربة صارت كجنة عدن ، والمدن الخربة والمقفرة والمنهامة محصنة معمورة .

وفي هاتين النبوتين نرى الحقائق التالية :

١ - تصير مدن فلسطين خربة (لاويين ٢٦ : ٣١ ، ٣٣) .

٢ - ستكون مقادسها موحشة (لاويين ٢٦ : ٣١) .

٣ - تخرب البلاد (لاويين ٢٦ : ٣٢ : ٣٣) .

٤ - يسكنها الأعداء (لاويين ٢٦ : ٣٢) .

٥ - يتشتت سكانها (لاويين ٢٦ : ٣٣) .

٦ - يلقي اليهود الاضطهاد (لاويين ٢٦ : ٣٣) .

٧ - يعود السكان وتبنى المدن وتزرع الأرض (حزقيال ٣٦ : ٣٣-٣٥)

درس جون أركهارت تاريخ فلسطين بدقة ، ودرس النبوات عنها . ولقد حذر الله اليهود منذ دخلوا أرض الميعاد أنهم لو قاوموا خطته لحل بهم الحراب (لاويين ٢٦ : ٣١-٣٣) . وقد تحقق هذا عام ٧٠م عندما دمر الرومان البلاد وأهلكوا أهلها وأحرقوا الهيكل ، وعلقوا صورة الخنزير على مدخل بيت لحم . ومنذ ذلك الوقت لم يقدم اليهود ذبيحة ليهوه ! (النبوة ٢) .

على أن السكان اليهود لم يطردوا من فلسطين تماماً إلا سنة ١٣٥ م عندما صادر هادريان كل الأرضي وباعها لغير اليهود . وتغير السكان بعد ذلك ، لكنهم كانوا على اللوام من غير اليهود ، ومعادين لليهود . (تحققت نبوتا ٤ و ٥) .

على أن ترك اليهود للبلاد لم يتركها خربة ، فقد عمرها الملك الجدد . وعندما اعتلى الامبراطور قسطنطين العرش بنيت كنائس مسيحية على المواقع التي جاء ذكرها في الإنجيل ، وسكن البلاد كثيرون حتى تعطل الغزو الفارسي بقيادة كسرى في القرن السابع ، وحتى استغرق الحصار العربي لأورشليم أربعة شهور ، كما أن أورشليم قاومت الغزاة الصليبيين في القرن الحادي عشر (١٣) .

ولم يجد رجال الآثار أي أثر لليهود في فلسطين بعد عام ٧٠ م ، ولا حتى شاهد قبر يحمل كتابة عبرية . حتى مجمع كفر ناحوم صار حطاماً تحت الأنقاض (وهكذا تحققت نبوات ١ ، ٢ ، ٥) .

وقد وصف مارك توين فلسطين عام ١٨٦٩ يقول : « لا توجد قرية واحدة على امتداد ٣٠ ميلاً من كل الاتجاهات . هناك تجمعات قليلة لخيام البدو ، ولكن لا يوجد سكن دائم مبني . وقد يسافر الإنسان عشرة أميال دون أن يلاقى أكثر من عشرة أشخاص ! » (وهكذا تحققت نبوة ٣) . وقد تحدث مارك توين عن الجمال الرائع لتلك البلاد ، وما توحىه من ذكريات خالدة ، ولكنها مهجورة . ثم اقتبس توين اللاويين ٢٦ : ٣٢ - ٣٤ وقال إن كل من يزور عين الملاحه عام ١٨٦٩ لا يقلر أن ينكر أن هذه النبوة قد تحققت (٢٣) .

وحتى في عام ١٩٢٧ وصف أحدهم فلسطين أنها « أرض خراب » قاحلة (١٥) .

غير أن نبوة حزقيال التي قالها منذ ٢٥٠٠ سنة تحققت (النبوة رقم ٧) .
وكمثال نرى صحراء النقب اليوم مزروعة خصبة (١٤) ونرى مدناً كثيرة
مأهولة وعامرة بالناس .

ويقول بيتر ستونر أن فرصة تحقيق هذه النبوات هي واحدة من مائتي ألف
فرصة (٦) .

أما عن نبوة « وأجرد وراءكم السيف » (لاويين ٢٦ : ٣٣) فقد تحققت
أيضاً . ففي القرن الثاني الميلادي ثار اليهود في كل من قبرص ومصر وبابل
والقيروان ، لكنهم محقوا تماماً ، ومنعوا منعاً باتاً من الإقامة في قبرص .
وكان تصرفهم السيء مجلبة للنار على رؤوسهم ، فقد ساعدوا الفرس على
احتلال اورشليم في القرن السابع الميلادي ، وقتلوا الأهالي المسيحيين والأسرى
الفرس المسيحيين أيضاً . ونتيجة لذلك قتل بطرس الناسك الصليبي اليهود في
ألمانيا لحماية « الوطن المسيحي الأم » . ولم يكن حالهم في انجلترا أفضل ، ففي
مقاطعة يورك قتل منهم نحو ١٥٠٠ يهودياً ، في سنة ١٢١٠ وأخذت ثروتهم
وطردوا من البلاد حتى حكم تشارلس الثاني . ولقد عوملوا معاملة طيبة في
فرنسا ، ولكن المعاملة تغيرت فقتلوا وألغيت اللايون التي كانت لهم على
الناس ، كما جعلهم لويس الثامن عبيداً . وقامت ثورة ضدهم في باريس
عام ١٢٣٩ . وحرموا من البقاء في فرنسا ما بين أعوام ١٤٠٠ و ١٧٤٩ (١٣) ،
ولاقوا في أسبانيا ما هو أسوأ من ذلك .

ولنذكر ما جاء في الكتاب : « الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله »
(رومية ٣ : ٢٣) . ولقد دفعوا ثمن رفضهم لمجد الله !

ثالثاً - الاحتمالات النبوية

- ومن وجهة نظر الرياضيات ، لو أن كلمات الأنبياء عن المستقبل كانت بحكمة بشرية ، فما هي احتمالات تحقيقها ؟ .
- يقدم العالم بيتر ستونر الأرقام الآتية :
- صور فرصة واحدة من $7,5 \times 10^7$.
- السامرة فرصة واحدة من 4×10^4 .
- غزة وأشلقون فرصة واحدة من $1,2 \times 10^4$.
- أريحا فرصة من 2×10^0 .
- باب الذهب فرصة من 10^3 .
- صهيون تحرث فرصة من 10^2 .
- توسيع أورشليم فرصة من 8×10^{10} .
- فلسطين فرصة من 2×10^0 .
- موآب وعمون فرصة من 10^3 .
- أدوم فرصة من 10^4 .
- بابل فرصة من 5×10^9 .

أما احتمالات تحقيق هذه النبوات كلها فهي احتمال واحد في $5,76 \times 10^{91}$ فرصة !

وقد يقول قائل إن هناك متكررات كثيرة ومتشابهات في هذه النبوات. واننى أرجو من هذا الشخص أن ينقص العدد بحسب تقديره ، وسيجد أن هناك معجزة في ما تحقق من نبوات ، بالنسبة للاحتتمالات الرياضية . وعلى هذا الشخص أن يضيف نبوات أخرى جاءت في الكتاب عن كل من هذه

الأماكن ، فعلى سبيل المثال عن صيدون (حزقيال ٢٨ : ٢٠ - ٢٣) ،
عن كفرناحوم وبيت صيدا (لوقا ١٠ : ١٣ و ١٥) وعن الطريق لمصر
(أشعيا ١٩ : ٢٣) الخ .

وقد يعترض البعض بأن هذه النبوات كتبت بعد حدوث ما أنبأت به ،
ولكن هذا لغو فارغ ، لأن هذه كل النبوات تقريباً تحققت بعد الميلاد ،
وقد كتبت قبل الميلاد ! (نبوة واحدة فقط تحققت قبل الميلاد ، وجزء
من نبوتين) .

هل تعلم ما معنى احتمال واحد من $5,76 \times 10^{91}$ أن حجم الشمس قدر
حجم الأرض مليون مرة ، ولكن 5×10^{91} من الريالات الفضية يعمل
عددًا من الكرات الفضية بحجم الشمس ، يبلغ 10^{28} كرة ! ان عدد النجوم
في مجرتنا هو مائة ألف مليون نجم ، بعضها بحجم الشمس . (وهناك مجرات
أخرى مثل مجرتنا) . فلو أحصى عدد نجوم مجرتنا بواقع ٢٥٠ نجماً في الدقيقة ،
نهاراً وليلاً ، لاستغرق ذلك العد ٧٥٠ سنة . وتكون قد عدت نجوم مجرة
واحدة ! ويقولون إن في الكون ٢ ترليون مجرة ، في كل مجرة منها مائة ألف
مليون نجم . ان ريالاتنا الفضية 5×10^{91} تصنع في كل المجرات بنفس الحجم
الذي عليه النجوم فعلاً ، مرات مضاعفة عددها 2×10^{91} من المرات !

فلو أننا وضعنا علامة على أحد هذه الريالات ، وخططنا وسط كل هذه
الأعداد ، وطلبنا من شخص معصوب العينين أن ينتقى الريال ذا العلامة ،
فكيف يتصرف ؟ إنه يحتاج إلى خمس سنوات ليدور حول نجم واحد ،
لو أنه سافر بسرعة مائة كيلو متر في الساعة ، نهاراً وليلاً ! هذا يحتاج إلى
٥٠٠ بليون سنة لزيارة كل مجرة . ولو أن صاحبنا المعصوب العينين بلغ من
السرعة حتى أنه يستطيع المرور الموجودة في مائة ألف مليون نجم ، كل ثانية

(بدلاً من ٥٠٠ بليون سنة) لاستغرق 3×10^9 سنوات لينظر إلى كل
الريالات !

إن الفرصة للعثور على الريال ذى العلامة فى الكون كله ، تشبه الفرصة
التي كانت أمام تحقيق كل هذه النبوات لو أنها كانت صادرة عن حكمة
بشرية وليست من الله !!

ولكن جميع هذه النبوات قد تحققت ، وهى تقول لنا إن الله هو الذى
أوحى للأنبياء ليقولوا ما قالوه : « أخبروا بالآيات فيما بعد ، فنعرف
أنكم آلهة » (أشعياء ٤١ : ٢٣) . لقد ظهرت حكمة الله العظيمة فى كلمته ،
فى الكتاب المقدس .

ان يد الله تعمل فى التاريخ . لم يكن للأنبياء سلطان ليحققوا نبواتهم ،
كما لم يتكلموا بسلطان نفوسهم . لقد قالوا إنهم أنبياء الله العلى ، والله الحى
هو المسئول عن تحقيق قضائه .

الفصل الثاني عشر

الاختبار المسيحي الفريد!

في هذا الفصل نعالج الأمور الآتية :

أولاً - مقدمة .

١ - ما هو الاختبار المسيحي ؟

٢ - أهمية الاختبار المسيحي .

ثانياً - الاختبار المسيحي مبني على حقائق فريدة .

١ - النقطة المركزية في الاختبار المسيحي : يسوع المسيح .

٢ - الحقيقة الموضوعية من وراء الاختبار الشخصي .

٣ - الاختبار المسيحي اختبار عام .

ثالثاً - عينات من الاختبار المسيحي .

١ - من وظائف مختلفة .

٢ - من جنسيات مختلفة .

٣ - من خلفيات مختلفة .

٤ - متشككون تجددوا .

٥ - تألموا لأجل المسيح .

أولا - مقدمة

١ - ما هو الاختبار المسيحي ؟

انه حالة تحدث في طبيعة الإنسان العقلية والأخلاقية والروحية ، بقوة الروح القدس ، كنتيجة لقيام علاقة شخصية مع المسيح المقام .

٢ - أهمية الاختبار المسيحي : يجب أن يكون الاختبار المسيحي وثيق الصلة بكل وجوه الإنسانية . يقول برنارد رام : « كل شيء حقيقي يحدث يجب أن يمس الحياة والاختبار مساً مباشراً . . ونشك في أنه كان يمكن أن يكون للمسيحية كل هذا التأثير الذي لها على الملايين من الناس ، لو أنها لا تمس الحياة والاختبار مساً مباشراً . ان للمسيحية براهينها الفقهية والفلسفية ، ولكن برهانها الأعظم هو تأثيرها القوي في الاختبار البشري » (٢٤) .

ان المسيحية تفشل لو أنها لا تنطبق على الحياة في هذا العالم . ان الاختبار المسيحي يصبح بلا معنى لو أن حياة المسيح وموته وقيامته لم تكن حقيقة واقعية في التاريخ ، فالأمران متلازمان لا يمكن الفصل بينهما : « لم يحدث أن كان للمسيح هذا التأثير الواسع العميق على البشرية ، كما حدث في الأجيال الثلاثة أو الأربعة الماضية ، فقد تغير بتأثيره الملايين وبدأوا يعيشون على مثاله » ويمضي المؤرخ العظيم ليقول : « بواسطته تحركت المجتمعات نحو ما تعتقد أنه الأفضل لها ، في حياة الناس الشخصية ، وفي الأنظمة السياسية ، وفي إنتاج البضائع وتوزيعها لتقابل حاجة الإنسان المادية ، وفي شفاء الأمراض ، وفي العلاقات بين الأجناس وبين الأمم ، وفي الفن ، وفي الفكر . وعلى هذا فإن ميلاد المسيح وحياته وموته وقيامته كانت أهم حوادث التاريخ . وقياساً بتأثيره ، يكون المسيح مركز التاريخ الإنساني » (٢٥) .

ثانياً – الاختبار المسيحي مبنى على حقائق فريدة

١ – النقطة المركزية في الاختبار المسيحي : يسوع المسيح :

يظن كثيرون أن التجديد المسيحي اختبار سيكولوجي ينتج عن غسل العقل بكلمات مقنعة ، مع عرض عاطفي « للأسطورة » المسيحية . ويظنون أن المبشر سيكولوجي يسيطر على ضعفاء العقول ليوافقوا على وجهة نظره .

وقال البعض أن الاختبار المسيحي هو نتيجة انعكاسات لا إرادية في وضع معين . فعندما يتعرض شخص للفكر المسيحي ، مرات متكررة ، يقع في « تنويم مغناطيسي روحي » فيتجاوب ميكانيكياً بطرق معينة تحت أوضاع معينة . يجب بول لتل على هذا بقوله : « أن محاولة تفسير الاختبارات المسيحية على أسس سيكولوجية لا يتفق مع الحقائق . صحيح أننا يمكن أن نصفه سيكولوجياً ، ولكن هذا الوصف لا يوضح كيف يحدث ، كما لا يبنى صحة حدوته » (٢٦) .

ان سبب الاختبار المسيحي هو شخص يسوع المسيح ، وهذا يميز المسيحية عن كل دين آخر ، لأنها هي الوحيدة التي تعطي مصدراً جديداً تماماً لقوة الحياة ، إذ يجدد المسيحي في التاريخ مركز قوة . ليس الفرق بين المسيحية وغيرها كامناً في الأعراض النفسية ، لكنه كامن في العامل الفعال ، الذي هو يسوع المسيح . وهذا العامل الفعال هو « موضوع إيماننا » . وهو ليس اختراع عقل بشري ، لكنه حقيقة تاريخية أثبتنا في الفصول الماضية بأدلة دامغة أن صحتها الكاملة . أن إله المسيحية ليس إلهاً مجهولاً لا يدرك ، لكنه إله قد أعلن صفاته في الكتب المقدسة ، أعلن نفسه لنا في « التاريخ » إذ أرسل « ابنه » يسوع المسيح . ويؤمن المسيحيون أن خطاياهم قد غفرت ، لأن الغفران قد حدث فعلاً عندما سفك المسيح دمه على الصليب . ويقدر

المسيحي أن يؤمن أن المسيح « يجا فيه » الآن ، لأن قيامته قد حدثت فعلا (٧٤) .

٢ - الحقيقة الموضوعية من وراء الاختبار الشخصي :

كنت أقدم شهادة عن اختباري المسيحي في أثناء محاضرة في التاريخ ، وقبل أن أنتهي قاطعني الأستاذ قائلا : « تهمننا الحقائق لا الاختبارات . لقد قابلت كثيرين غير المسيح حياتهم » . شكرته ، وأكملت قصة اختباري ، ثم قلت : « يسأل كثيرين : ما معنى أن المسيح غير حياتك ؟ وأقول إن هذا قد برهن لي أن المسيح قد قام منذ ألفي سنة ، وأنه يغير حياة ملايين الناس اليوم من كل المشارب والبلاد ، من أساتذة الجامعات إلى أبسط الفلاحين ، عندما يضعون ثقتهم فيه . إن وراء الاختبار الشخصي حقيقة موضوعية ، هي شخص المسيح وقيامته » . ثم قلت : « لنفرض أن تلميذاً دخل الفصل الآن وقال : « أيها الزملاء ، في حداثي الأيمن الآن ثمرة طماطم مطهية ، غيرت حياتي ، ومنحتني السلام والمحبة والفرح كما لم أحصل عليها من قبل ! وليس ذلك فقط ، بل أنا الآن أقدر أن أجرى بسرعة ٦٠٠ متراً في الدقيقة » . والآن كيف نجادل هذا التلميذ لو أنه جرى قدامنا بسرعة ٦٠٠ متر في الدقيقة ان اختبار الشخص يبرهن حقيقة موضوعية . وعلى هذا فيجب ألا نرفض صحة الاختبار الشخصي » .

ثم مضيت أقول : « هناك فحضان أو امتحانان للاختبار الشخصي : أولاً : ما هي الحقيقة الموضوعية وراء الاختبار الشخصي ؟ وثانياً : كم عدد الناس الذين لهم مثل هذا الاختبار ؟ لنطبق هذين السؤالين على التلميذ مع ثمرة الطماطم في حداثه : الحقيقة الموضوعية أن في حداثه الأيمن ثمرة طماطم مطهية ، ثم أنه جرى ٦٠٠ متراً في الدقيقة . ولكن كم عدد البشر في الجامعة أو الدولة

أو العالم الذين اختبروا زياده في المحبة والسلام والفرح ، وجروا بسرعة نتيجة وضع ثمرة طماطم في أحذيتهم ؟ ! » وهنا ضحك كل التلاميذ ، فمن الواضح أن هذا لم يحدث لأحد !

والآن لأطبق هذين السؤالين على حالة الاختبار المسيحي :

١ - ما هي الحقيقة الموضوعية وراء الاختبار الشخصي في تغيير الحياة ؟

الجواب - شخص يسوع المسيح وقيامته .

٢ - كم عدد الناس الذين حدث معهم مثل هذا الاختبار ؟

الجواب : أمر مذهل ! فالصفحات الباقية من هذا الكتاب تحكي اختبارات أشخاص ، يمثلون ملايين من وظائف وبلاد وخلفيات مختلفة ، سميت حياتهم وزادت أفراحهم بتسليم حياتهم للمسيح !

كان سكير سابق يسمع محاضرة عن « ضلالة المسيحية » فقال : « شكرًا لله على الضلالة التي توبتني من الخمر . لقد حاولت أن أهجر الخمر وعجزت . ولكن بفضل المسيح صرت إنساناً ، هجرت الخمر ، وكسوت عيالي وأطعمتهم ، صار في بيتي فرح وسلام من بعد حزن وعراك . لو أن هذا ضلالاً ، فليرسل الله هذه الضلالة إلى المستعبدين للخمر ، لأن عبودية الخمر حقيقة وليست ضلالة ! » .

٣ - الاختبار المسيحي اختبار عام :

نلاحظ أن اختبارات المسيحيين متشابهة رغم اختلاف البلاد والبيئات والزمن . كلها تتفق في أن المسيح يشبع حاجات الإنسان الروحية والعقلية ، من كل العقلية والأعمار والأجناس .

يقول برنارد رام : « نشعر نحن المسيحيين أن عندنا ذات الاختبار الأساسي . . ليس أننا نقول أشياء متشابهة فحسب ، ولكنتا نشعر بالشعور ذاته من نحو ما نقول ، ونعتر به الاعتزاز ذاته . أنه الروح يشهد للروح . والسبب الكامن خلف هذا هو أننا قد خلصنا بواسطة إله واحد ، وبمخلص واحد ، وبإنجيل واحد » (٢٤) .

ويقول مولتز : « غندي برهان لا يدحض على وجود المسيح في داخلي . وعندما أضيف إلى هذا اختبارات عشرات الألوف من المسيحيين الأحياء ، مع عدد لا يحصى من الأموات منذ أيام المسيح وعندما أجد في العهد الجديد سجلاً حافلاً باختبارات مشابهة ، مع بيان واف لمصدر هذه الاختبارات ، يصبح تأكدي كاملاً . وعلى كل مسيحي أن يؤكد حقيقة الاختبار المسيحي بكل وضوح وحيوية وجدية » (٢٧) .

ويقول أولبرت : « في المسيحية نجد كل شيء . فللعقل النظري ، يمكن أن تتسع لكل ما اكتشفه العلم ، وتنحدها لبحث أعمق . وللعقل الاجتماعي ، تقدم سبيلاً واضحاً للحياة الاجتماعية العادلة الناجحة ، وحلاً لمشاكل الحرب . وللعقل الذي يحب علم الجمال ، تعطيه مفهوماً مقنعاً للتوافق والجمال وللعقل الاقتصادي والسياسي ، تعطى معنى للإنتاج والطاقة ، مع دليل للسلوك » .

ثم يمضي أولبرت فيقول : « إن أهداف المسيحية ومثالياتها تسمو فوق ما يستطيع أي إنسان بشري أن يصل إليه . وحتى بالنسبة لأعظم القديسين ، فالمسيحية تتقدمه ، لأن أهدافها أعلى مما نصل إليه . ولو أن إنساناً اختبر ولو للحظة واحدة — — سعادة اليقين ، فلن يكف عن محاولة الحصول عليها طيلة حياته ! » (٢٨) .

وفي التحليل النهائي يتضح لنا أن هذا المفهوم للإيمان المسيحي هو الذي يجعله فريداً .

لهذا يجب أن ندرس التجديد في المسيحية، لا من وجهة نظر السيكولوجي، بل من وجهة نظر دارس الكتاب المقدس، فليس لدى السيكولوجي ما يقيس به صدق الاختبار. وعلى السيكولوجي أن يدرس الكتاب المقدس، ويتجدد بالروح القدس، ليستطيع أن يدرس ظاهرة التجديد.

ثالثاً - عينات من الاختبار المسيحي

نقدم هنا اختبارات لأناس من مختلف الأصناف، مختلف البلاد والثقافات والبيئات والمهن لكنها جميعاً متفقة في أن مركز التغيير فيها هو يسوع المسيح. فكر في مئات الآلاف من أشخاص مشابهين طيلة الألفي سنة، جاوزوا مثل هذا الاختبار، لترى مدى التأثير الذي للمسيح في العالم.

هل الاختبار المسيحي صحيح؟ لقد اختبره الملايين وحياتهم تؤيد شهادتهم. وإذا قرأنا هنا العينات الست والخمسين التي نقدمها ترى كيف أعلن الله نفسه بطرق مختلفة، ولكنها كافية.

١ - من وظائف مختلفة :

١ - عالم طبيعيات :

« بعد أن درست سنتين في الدراسة « بعد الجامعية » اشتغلت باحثاً في الطبيعة عام ١٩٥٦ للدراسة الجو فوق الأرض... وتعرفت على عجائب الكون، وأن الإنسان يواجه مشكلات ضخمة أمام الأسلحة الذرية الفتاكة. واستمرت حياتي تمضي وأنا غير سعيد على الإطلاق. وتعرضت لشرب الخمر وكدت أكون مدمناً.

واتصلت بمحلل نفسي، ثم درست البوذية والكونفوشية والتاوية وغيرها وحاولت أن أصل إلى النرفانا... وأردت أن أموت، لكنني كنت أخشى أن أذهب إلى الجحيم لو أنني انتحرت.

وفي عام ١٩٦٢ ظهر في أفق حياتي بعض المسيحيين ، وسألتهم ذات الأسئلة التي سألتها للعلماء والفلاسفة وعلماء النفس ، واندهرشت عندما قدموا لي إجابات مقنعة من الكتاب المقدس . . . وسألني القس رالف كرافت : « هل أنت مسيحي ؟ » فأجبت بالنفي ، فسألني إن كنت أحب أن أصبح مسيحياً ، فأجبت : « لست واثقاً . لقد قال لي الطبيب النفسي أن أفحص دوافعي . ولكنني . . أريد أن أصير مسيحياً » .

وفي الأيام والأسابيع التالية حدثت معجزة بعد معجزة من عمل الله في حياتي ، وصار الكتاب المقدس كتاباً فوق العادي بالنسبة لي . وانتهت مشاكلي ورغباتي الأولى . . ولأول مرة شعرت بإنسانيتي وادميتي . وبعد سنوات من الدرس الذي قادني إلى لا شيء ، بدأت أبني فهماً جديداً للحق ، على أساس الصخر الثابت « يسوع المسيح » (٢٩) — (اختبار لامبرت دلفن) .

٢- خبير في الكمبيوتر :

« وعندما يحدث التجديد المسيحي ، ينسى الله خطايانا ، لكنه لا يمحوها من ذاكرتنا ، فهي تبقى « مقروءة » . ولكن في يسوع المسيح نال القدرة على أن نقول : « يارب استلمني » . هذا يعني طرد بعض المعلومات وإدخال معلومات أخرى . ويختلف الناس عن العقل الإلكتروني ، في أن العقل الإلكتروني لا يحب ولا يرتكب خطية ، ولكن الناس يشبهونه في أن « القرارات تصنع التعليمات » . ان التعليمات تحكمنا ، ولكن التعليمات التي تحكم سلوك البشر مشروطة بالقرارات التي اتخذت من قبل . فلعبة الجولف مثلاً لا تصبح جزءاً منا حتى يمارس اللعبة . وهذا الممارسة تحتاج إلى قرار . أن القرار الذي تتخذه يقودنا إلى ميادين نشاط لم تكن لنا من قبل .

وعندما يتجدد الإنسان تحدث معه معجزة حقيقية ، وقد حدث هذا معي ، . ان أحسن عقل الكتروني يعطى نتائج خاطئة لو شحناه بمعلومات غير مضبوطة . والتعليقات التي يتلقاها البشر تتوقف على اختباراتهم وقراراتهم ولا يستطيع إنسان أن يمحو قرارات سابقة ، مهما حاول ذلك ، تماماً كما أن العقل الـالكتروني لا يقدر أن يحرر نفسه . ولكي نغير البرنامج يجب أن نمحو ما سبق أن اختزن ثم شحنه بمعلومات جديدة . وهذا ما حدث في حياتي عندما طلبت من المسيح أن يمنعني من عمل ما لا يريدني هو أن أعمله « (٢٠) - (جرهارد دركس - صاحب هذا الاختبار مستشار إداري للبحوث والتطوير في شركة آي . بي . إم ، وهو ألماني نال الدكتوراه في القانون من جامعة لينزج) .

٣ - رجل شرطة :

« لقد لعبت على جانبي السور ، فكنت عضواً في عصابة ، ورجل شرطة ! ورأيت المصائب والعاهات المستديمة ، والخسائر بها والموت ، كنتيجة للخطية ! ! ولكن نظرتي للحياة تغيرت تماماً منذ عرفت المسيح ، وصرت شرطياً مسيحياً انظر للحياة نظرة مختلفة . وفي كل عمل أشعر أنني يجب أن أشارك الآخرين في أخبار الله المفرحة بالخلاص . إنني جندي لله » (٣١) - (هذا اختبار ملفن فلويد الذي أختير عام ١٩٦٩ واحداً من عشرة « أبرز شباب في أمريكا »)

٤ - بغى سابقة :

مقتبسة من كتاب آرثر بلست « اتجهت ليسوع » :
« ذات مساء رأيت لندة بالبيكيني مكومة على كرسي . وقالت لي :
« كل شيء عظيم ! » فقلت لها : « أنت تكاذبين ! أنت لست سعيدة . أنت بائسة . لو كنت سعيدة ما كنت تتناولين كل هذا المخدر لتتخلصي من

الاحساس بالذنب » . فقالت : « آرثر بليست ، إنى أقدر أن أخدع أى إنسان إلا أنت ، فكلامك صادق . اننى بائسة فعلا . لقد أردت اليوم أن أقفز من سيارة ألبرت وهى مسرعة ، ولكنه أمسك بذراعى ومنعنى من ذلك » .

وتحدثت عن يسوع مع لنده لأكثر من ساعة . وجشت معى على ركبتيها تصلى ، وغسلت الدموع الزينة الخارجية من على وجهها ، وقامت بعينين ترقصان فرحاً ، وقالت بسرور : « لقد خلصت ! يسوع وجدنى . سأعود إلى طفلى » . وفى أثناء ركوعنا دق جرس الباب ، وذهبت لأفتح ، فإذا « زبون » فى الخمسين من عمره . وسأل : « هل هى مستعدة ؟ » فقلت : « نعم يا سيدى . تفضل » . وناولته نبذة دينية أدناها من عينيه ، وتضايق . ونظر إلى لنده التى كانت لا تزال راکعة ، وتراجع نحو الباب وهو يقول : « لا بد أننى ضللت الطريق ! » (٣٢) .

٥ - طيار نازى من الحرب العالمية الثانية :

كان الكولونيل مولدر يحمل أرفع وسام ألمانى يحمله طيار مقاتل شجاع .. نزل يوماً من طائرته بارد الأطراف ، وجسده كله يرتعش من الانفعالات ، فقد التقى بالموت ، وتغير فنى تلك اللحظات الرهيبة التى لم يكن قد عمل لها حساباً ، صلى : « أيها الرب القادر فى السماء ، أنقذنى من هذا . أنت وحدك الذى تقدر أن تخلصنى » وجاءه رد صدى صلاته من سطح طائرته : « وحدك الذى تقدر » !

ودخل إلى حجراته وأغلق الباب خلفه ليفكر . لم يستطع إيمانه بهتلر أو النازية أن يساعده . ورجع بفكره إلى قريته ووالديه التقيين وقسيسه الصالح ، وتذكر قصة الصليب ومحبة الله المخلصة فى المسيح الذى مات من

أجل الخطاة أمثاله . وأدرك أنه ما كان يمكن أن ينجو من الموت المحقق لو لم يكن الله قد أنقذه ! لقد علمه الخوف من أن يؤمن !

وشعر بسعادة كبيرة عندما تحقق أن الله يملأ قلبه بالسلام ، وجلس يكتب رسالة لقسيس كنيسة . وبدأ بعد ذلك يتحدث زملاءه عن إيمانه وعن محبة الله في المسيح . . وسمع رجال مباحث النازي بهذا ، فدبروا قتله ، وقتلوه فعلاً ، واعتقلوا أصحابه ، وأعلنوا جائزة أربعين ألف دولاراً لمن يشي بأحد من أصحاب مولدر الذين يوزعون نسخاً من خطابه ! (٣٣) .

٦ - مجرم سابق :

راح يذرع زنزانة السجن وهو مرتبك ، وأى شخص لا يرتبك وهو يواجه ما يواجهه ليودر كنجيلو ؟ ! فعندما كان في الحادية عشرة من عمره خطف حقيبة يد سيدة من الترولى المزدهم ، وكانت هذه بداية انحرافه . ومرت خمس سنوات وهو يسرق قبل أن يلقى القبض عليه ويسجن . وعقب خروجه من السجن أدمن الهيروين ، وبدأت سلسلة من سجنه وخروجه من السجن، ثم سجنه .. وهكذا . وعندما كان يذرع غرفة سجنه وجد مكتوباً على الحائط : « عندما تصل إلى نهاية طريقك ، ويرتبك عقلك ، ويبدو لك أنه لم تبق إلا الدموع ، اتجه إلى يسوع ، فهو الذى يجب أن تجده ! » .

وجعلته هذه الكلمات يفكر .

لقد وصل ليو إلى نهاية الطرية ، وعقله مرتبك ، وليس له إلا الدموع ، ولكن البكاء لن يغير الماضى . . إذاً فليطلب عون يسوع ليغير حياته ، وليجعل مستقبله مختلفاً عن ماضيه .

ولأول مرة في حياته يجد شيئاً في نفسه بجوار اليأس !

وخرج من السجن عام ١٩٥٨ ودرس وحصل على الثانوية العامة ،
كلية وست تشستر ، ثم كلية اللاهوت في فيلادلفيا . وهو اليوم يعمل بين
المسجونين ، ويعظ في الكنيسة صباح الأحد ، ويعمل بين الشباب (٣٤) .

٧ - قسيس :

قال القس الدكتور دن سكولر : « في أول كنيستين عملت فيهما كنت
أعظ عن الأمانة : والإيمان (دون أن أعرف معناه) والعادات الطيبة ،
والمواظبة على حضور الكنيسة ، والشرف ، مع حض السامعين ليكونوا
صالحين فيخدموا الله . لقد وعظت عن الثمار دون أن أعرف الأصول -
كنت ممتلئاً بحماس الشباب ! !

وكان تدين زوجتي يقتصر على الإيمان بالله وعبادة الجمال والأخلاقيات
الاجتماعية وحب الموسيقى وغروب الشمس وجمال الطبيعة . لقد صدقت
بالتجديد ، ووعظت عنه دون أن أعرفه !

وبدأ زواجنا يختل ، فزوجتي تؤمن بشئ ، وأومن أنا بغيره .
وقررنا أن ندرس عن المسيح بدون الاستعانة بكتب غير الإنجيل . وصرفنا
سبعة أسابيع في هذه الدراسة مع مجموعة صغيرة . . وأشرق على خاطر
تسليم إرادتي في يدي الله ، لأن هذا يعادل عمل إرادة الله . . لقد سلمت
نفسى لله كما عرفته في المسيح ، وكما كان يعلن لى عن نفسه كل يوم . وأشرق
على نور ، فبكيت كالطفل وناديت زوجتي قائلاً : « لقد أخطأت الهدف
طويلاً . . كل هذه السنوات وعظت عن الاخلاقيات والاجتماعيات ، بدون
الخبر المفرح ، خبر المسيح الحى الذى جاء وسكن فى . لقد حررتنى ، وأكد
لى غفران خطيئتي ، وصار مركز اهتمامى . لقد جاءتنى قوته أخيراً ! (٣٥) .

٨ - ممثل رعاة البقر :

قال توم لاندري : « اكتشفت في الثالثة والثلاثين من عمري معنى قول القديس أغسطينوس : « اللهم خلقتنا لذاتك ، ولن نجد نفوسنا راحة إلا إذا استراحت فيك » ! وأن ما يضايقني اليوم هو أنني تأخرت كل هذا الوقت قبل التعرف بالمسيح . وكم كانت حياتي ستكون أفضل لو أنني أخذت هذا القرار منذ سنوات مضت ! » (٣٦) .

٩ - لاعب جولف :

منذ أن قبلت المسيح مخلصاً لي عرفت من اختباري الشخصي أنه قام من الموت وأنه حي اليوم . لقد غفر خطاياي وأعطانى الحياة الأبدية والفرح والسلام والمعنى والهدف لحياتي . لقد وهبني سعادة داخلية لا يقدر العالم كله أن يهبها . (٣٧) (اختبار كرمت زارلى) .

١٠ - أعظم لاعب تنس أمريكي :

ذات مرة كان ستان سميث ، أعظم لاعب تنس أمريكي يلعب ، وسأل نفسه : « أين ذهبت ثقتي ؟ لقد لعبت دوماً بثقة كاملة » . وأجاب : « ولكن هذا لم يحدث دائماً . لقد استمر هذا حتى سنتي الجامعية الثالثة عندما التقيت ببعض الرياضيين الممتازين في جامعة جنوب كاليفورنيا ، وكانوا مختلفين عما عرفت من قبل ! لقد حدثوني عن شخص لم أسمع عنه من قبل هو يسوع المسيح سلمت نفسي في يديه قرب نهاية العام ، وطلبت منه أن يجعل حياتي أعمق معنى ، فساعدني لأجد نفسي وأعطانى ثقة بنفسى » . وهنا فارقته فشله وعادت إليه الثقة من جديد . وقال ستان سميث : « ساعدني يسوع لأسيطر على نفسي . وأنتى الآن أرى أن حياتي يجب أن تكون مرآة لتعاليمه » (٣٨) .

١١ - عداة مسافات طويلة :

كبتشوجى حزقيا كينو مسيحى متجدد ، أسرع عداة أنجبته أفريقيا !
فقد حطم كل الأرقام القياسية الماضية لمسافة ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ متر ، وجرى
ميلا كاملا فى أقل من أربع دقائق !

قال : « كان حماى يقرأ لى الكتاب المقدس ويفسر لى الأجزاء الصعبة
منه ، وكنا نتحدث فى كلمة الله حتى ساعة متأخرة من الليل . وقد أقنعتنى
الكتاب المقدس بحاجتى للخلاص . . . فطلبت من يسوع أن يغفر خطاياى ،
واعترفت به مخلصاً . وأنتى أوصى كل شخص أن يعرف المسيح . انتى
عداء يجتهد ويتدرب ليفوز . . . ولكن سواء ربحت أو خسرت فإننى أعرف
أن الله يرشدنى ، وأن له قصداً وخطة لحياتى » (٣٩) .

١٢ - لاعب بيسيول :

قال بوبى رتشاردسون : « خلال لعبى مدة عشر سنوات فى فريق
« اليانكى » بنيويورك كانت تصلنى رسائل من كل جهات الولايات
المتحدة ، بعضها يمتدح عملى وسط الشباب كقائد دينى . وكان البعض يقول :
« كنت أود أن أكون مثلك ، لكنى من طينة أخرى . لقد جربت التدين
لكنه لم ينفع معى » .

وانتى أقول إن التدين لا ينفع أحداً ، فهناك ديانات كثيرة جربها الناس
ولم تنفع ، ولو قلنا إن الديانة أو الحياة الصالحة تجلب للناس السعادة والسلام
لكننا مضللين ، فإن الذى ينفع هو المخلص الحى يسوع المسيح ، ومعرفته
معرفة شخصية هى وحدها النافعة ، وليس معرفة تعاليم دينية . المسيحية
الحقيقية ليست تهرباً من الحياة ، وليست طريقاً لربح السماء بالعمل الصالح ،
لكنها اتصال شخصى بالمسيح . وتقول كلمة الله : « لأنكم بالنعمة مخلصون

بالإيمان ، وذلك ليس منكم ، هو عطية الله ، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (٤٠) .

١٣ - ملكة جمال أمريكا عام ١٩٦٥ :

ما يملأ قلوبنا هو أكثر ما تنطق به شفاهنا . وهذا ما تدركه من كلام فوندا كى فاندريك : « اننى مسيحية ، وقد دخلت مسابقة جمال أمريكا ، ينتقدنى كثيرون من المسيحيين على دخولها ، ولكنى أردت أن أكون ملكة جمال أمريكا حتى أجد فرصة للشهادة للمسيح ، وهذا هو قصدى الأساسى والوحيد » !

وتذكر فوندا لحظات التوتر التى سبقت إعلان النتيجة ، وأنها صلت أن يعطيها الله فرصة الشهادة للمسيح أمام الملايين الذين سيرونها على شبكات التليفزيون . وهنا سألها أحد المذيعين الكبار : « أرى أنك تحملين معك الكتاب المقدس باستمرار ، فهل هو تعويذة للفوز ؟ » . فأجابت : « إننى لا أعتبره تعويذة . أنه أهم كتاب أملكه . ان علاقتى بالله ليست ديناً بل إيماناً . اننى أوّمن به وأثق فيه ، وأصلى الليلة أن يحقق إرادته بى » . ثم قالت : « لقد صليت أن يساعدنى الله على إجابة الأسئلة ، وقد فعل » (٤١) .

١٤ - صاحبة ألف مليون دولار :

تراها بسيطة الملبس ، بسيطة فى كل شىء ، وهى تدير ممتلكات والدها من ثروة حيوانية ، وأراضى ، واستثمارات ، وكيماويات ، والكرونيات ، وبيروول . وعندما سئلت عن شعورها كابنة واحد من أغنى أغنياء العالم أجابت : « فى صغرى كبرت فى اختبار أننى أقدر أن أفعل أشياء كثيرة . أما الآن فان عندى الفرصة لأعمل الأشياء التى تناسبنى فعلا » . ثم تحدثت عما يناسبها فعلا ، فقالت أنها عرفت الرب وبدأت حياتها المسيحية العاملة وهى

فى عمر المراهقة . وكانت قد نشأت فى كنيسة لا توضح طريق الخلاص ،
ثم ذهب بهم أبوهم إلى كنيسة تبشيرية . وفى عمر الخامسة عشرة لاحظت أن
لبعض أعضاء الكنيسة الجديدة نوعية مختلفة من الحياة ، فحاولت أن تعرف
ما هى . وقالت : « ظننت أنى أستطيع أن أحصل على هذه النوعية الممتازة
لو راقبتهم . وعندما سألونى إن كنت مسيحية جاوبت بالإيجاب دون أن
أتحقق من الفرق الكبير بين التدين وبين الصلة الشخصية بالمسيح . إن ذهابك
إلى جراج لا يصنع منك سيارة ، وذهابك للكنيسة لا يصنع منك مسيحياً » .

ثم قالت : « وشرح لى أحدهم معنى قول المسيح فى الرؤيا ٣ : ٢٠
« هذا واقف على الباب وأقرع . إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه
وأتعشى معه وهو معى » . ولما كنت دقيقة فقد جعلت أزن امتيازات
الحياة المسيحية ومسئولياتها — ماذا أكسب وماذا أخسر ؟ ووجدت أن
فتح قلبى للمسيح أمر ممتاز ، لأنه سيعطينى نوعية الحياة التى أفتش عنها .
وهكذا فى الخامسة عشرة من عمرى دعوت المسيح ليسكن فى قلبى » .

لم تدرك فى بداية الأمر أن هذه هى الخطوة الأولى ، وما لبثت أن أدركت
ما يريد لها الرب أن تفعل لخدمته ، فهى ترنم فى المؤتمرات الدينية والاجتماعات
الكنسية ، وهى تقول : « أريد أن أشارك الآخرين فى الحياة الإيجابية التى
وهبها المسيح لى ، والتى يهبها لكل من يقبله . وهذا أفضل من ألف مليون
دولار ! » (٤٢) . — (اختبار جون هانت) .

١٥ — رسام كاريكاتورى :

« كنت الطفل الوحيد فى الأسرة ، وماتت أمى يوم دخلت الخدمة
العسكرية . وقبل انخراطى فى الجيش التقيت بقسيس بدأت أذهب إلى
كنيسته . . وكلمة فكرت فى الأمور الدينية ، فى أثناء دراستى للكتاب المقدس

بتلك الكنيسة ، كلما اكتشفت أكثر أنني أحب الله فعلاً . . . ولا أقدر أن أحدد وقتاً سلمت فيه نفسي للمسيح ، ولكنني فجأة وجدت نفسي « معه » . دون أن أعرف بالتحديد متى حدث ذلك .

وانني أشعر بالشكر الشديد لله على صبره معي ومعنا كلنا ، وكلما قرأت كلمات يسوع أحبيته أكثر واقتنعت بضرورة اتباعه . ولقد وجدت أنني في المسيح ، أقدر أن أرى الله وأفهم مشاعره من نوحنا « (٤٣) » - (اختبار تشارلس شولز) .

١٦ - مؤلفة :

« عندما بلغت الثالثة والثلاثين من عمري فقدت الأمل في معرفة هدف حياتي ، فقد أثارت دراستي للفلسفة تفكيري ، لكنها لم تملأ قلبي ، وتركتني دراستي لأديان العالم منهكة الفكر . ولقد عرفت أنني غير راغبة في معرفة الصلاح الذي يطلبه الله من الذين يتصلون به .

وقد ربحني للمسيح صديقة طفولتي ، الين رايلي ، وكانت قد صارت مسيحية عاملة ، عرفت المسيح معرفة شخصية . وكانت قد جاءت إلى نيويورك في أجازة في ذات الوقت الذي كنت فيه في نيويورك . وقد اندهشت وهي تراني أنا صديقة طفولتها السعيدة « الهايصة » وقد أصبحت مرهقة ملولة ، فقالت لي أنها تراني وكأنني « أعاني من صدمة » .

وسألتها عن معنى إيمانها في الله ، فقالت : « أو من أن الله جاء إلى عالمنا في شخص المسيح ليظهر لنا نفسه ، وليخلصنا من خطيتنا » . وهكذا بعد ظهر الأحد ٢ أكتوبر ١٩٤٩ بعد مجادلة هادئة ، قلت لها : « وهو كذلك . أعتقد أنك على صواب » وهكذا كان ، فإن الله ليس محتاجاً لتعقيدات روتينية قبل أن تتعرف عليه .

ومنذ ذلك الوقت صارت حياتي مع المسيح ، يوماً بعد يوم ، اكتشافاً
لشيء جديد كل يوم . واليوم أحب أن أصحو من نومي في الصباح ، لأنه
هو قد أصبح سبب وجودي وبقظتي ! « (٤٤) – (اختبار يوجينيا برايس) .

١٧ – رجل أعمال :

« تعلمت شيئاً أساسياً من اختباري في العمل : هناك حاجة ملحة للدستور
واضح محدد للتشغيل . وعند معرفته يجب الثقة فيه ، وبرمجة العمل في نوره .

والكتاب المقدس هو دستور الحياة المسيحية ، وله السلطة العليا على
حياتنا ، وفيه الكفاية لاحتياجاتنا . وهو يعلمنا أن المسيح هو رب حياتنا ،
الذي له تقدم ولأهنا . وعلاقة الإنسان بالمسيح شخصية ، ولا نستطيع أن
نقف على الحياد من المسيح « (٤٥) – (هذا اختبار الدكتور المرانجستروم ،
رئيس مجلس إدارة « راديو كوربو ريشن أوف أمريكا ، ويحمل درجات
دكتوراه في العلوم ، والقانون ، والهندسة من عشر كليات مختلفة) .

١٨ – طبيب :

بدأت حياتي ممارسة الطب بعد الحرب العالمية الثانية ، ، وظننت أن
الحياة الناجحة هي في الاندماج في المجتمع ، فكنت أحضر حفلات الكوكتيل
والرقص . ووجدت أن هذا عظيم لأنه ينسني متاعب النهار ويبعدني عن
واقع الحياة لفترات قصيرة .

وفي عام ١٩٥٢ كان يجب أن أحضر المزيد من الحفلات لأنسي همومي ،
وفقدت سلطاني على نفسي في شرب الخمر ، وبدأ نشاطي الطبي يقل ، لكن
ما آلمني أكثر من ذلك هو أنني فقدت احترام زوجتي وعائلي . وأخيراً
اعترفت أنني محتاج للعون .

وكان لي شقيق قد عرف المسيح مخلصاً منذ سنة ، فلدعاني يوماً لحضور حفلة تقيمها « جماعة رجال الأعمال المسيحيين » . وفي تلك الحفلة استمعت لاختبارات وشهادات بعض الحاضرين عن التغيير الذي جرى في حياتهم ، وكان اختبار أحدهم مطابقاً لحالي تماماً ، ولكن المسيح غير حياته !

ولاحظت اختلافاً كبيراً بين هؤلاء الناس وبين أصحابي ، كما أنهم كانوا راغبين في مساعدتي عندما أحاطت بي مشكلات كبيرة ، وقد قالوا لي إن احتياجي الأساسي هو إلى معرفة المسيح .

وفي ٢١ مايو ١٩٥٩ ، عندما كنت في رحلة خاصة بالعمل ، شعرت بتبكيت ضمير شديد . أدركت أنني ضائع هالك ومحتاج لعون الله ، فصليت لينقذني ويخلصني ، وقلت له : « سأفعل يارب أي شيء تطلبه مني » وكنت أعني ما أقول ، فحدث الاختبار الرائع . وجرت دموع الفرح على خدي عندما انزاح عني حمل الخطية الثقيل . وأعطاني الله اليقين بأنني صرت خليفة جديدة في المسيح ، ولم أجرب بعد ذلك لشرب كأس من الخمر . لم تكن مشكلتي أساساً هي أنني أشرب الخمر بادماني ، بل كانت عدم معرفتي بالمسيح » (٤٦) . (اختبار الدكتور فرنون فيلبس) .

١٩ - فلاح :

« كان أمل في شبابي أن أكون فلاحاً ناجحاً ، فقررت ألا أدخل الجامعة بل أعمل في الفلاحة التي أحبها . وكنت راضياً عن عملي ، تسير أموري بغير مشاكل . ولم أكن أعرف أنني مريض بداء لا تشفيه كل العقاقير ، هو داء الخطية . وقد أدركت من اسماعي للكتاب المقدس وخصوصاً رومية (٢٣: ٣) أن ذهابي للكنيسة واحترام مجتمعي لي ، لا يعفياني من نتائج الخطية ، ويقول الكتاب : « إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله .. وأنه ليس بار ،

ولا واحد » (رومية ٣ : ١٠) . وقد كشف لى هذا أننى محتاج إلى شىء أكثر مما أقدر أنا أن أفعله لنفسي ، لأننى محتاج إلى التطهير بقوة الله ، وهذا لا يتأتى إلا إذا وضعت ثقتي في يسوع . وكما أشكر الله لأننى أستطيع أن أذهب إليه ليعالجنى . وعندما يغفر لى خطيئتي يحضر مرض الخطية الذى فى .

وكما أنى فخور بنوع الدواجن الممتاز الذى فى مزرعتى ، وأحكى لأصحابى عنه ، فإنى فخور بما عمله المسيح فى حياتى ، وأحكى لمن أقابله عن قوة المسيح التى تشفى من مرض الخطية » (٤٧) .
(اختبار موراي فارس) -

٢٠ - سناتور أمريكى :

« إننى أوؤمن أنه ما لم يتبع شعبنا المسيح ويحبه بكل كيانه ، فلن يقدر أن يواجه تحديات العصر ، ذلك لأن الصالح لا يعادل الأصلح . وأنى أحب أن نقرب أكثر فأكثر من عمل كل شىء بهدف تمجيد الله .

عشت ٣١ سنة لنفسي ، ورأيت أنه يجب أن أحيى باقى عمرى للمسيح وحده ، فطلبت من الله أن يغفر لى ، ويجعل حياتى ملكاً له ، وقد تأكدت من قول الكتاب : « إن كان أحد فى المسيح فهو خليفة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً » .

وفى هذه الأيام التى يعوزنا فيها الطمان نحتاج إلى السلام على مستوى الفرد والعائلة والمدينة والأمة والعالم . ولا زال القول صحيحاً إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه . وعندما نخدم المسيح فإننا نحصل على السلام ويصبح لنا هدف إذ نصبح سفراء عن المسيح .

لقد كان اتباعى للمسيح مصدر نداء قوى دائماً لى للمعامرة والسعادة ،
وأنة ليستحق أن نغامر فى سبيله ، وما أصدق قوله : « وأما أنا فقد أثبت
لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » .

والمسيح لا يدعونا لحياة الراحة ، بل لحياة التلمذة له ، لتصبح لنا
حياته وقوته ومهما كانت رسالتنا فى الحياة فإننا مدعوون لتقديم له الولاء
الكامل ، فيصبح المسيح مثالنا الأعلى . ولا توجد دعوة فى العالم أسمى
ولا أكثر أشباعاً للنفس من دعوة الحياة تحت إرشاد المسيح ، فهى وحدها
التي تشبع النفس . وأشهد بكل أمانة وإخلاص . أن اتباعى له قد أشبع نفسى^(٤٨)
(اختبار السناتور مارك هاتفيلد من ولاية أوريجون الأمريكية) .

٢١ - رئيس سابق للجمعية العامة للأمم المتحدة :

قال الدكتور شارل مالك ، رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة عام
١٩٥٩ : « لما تحققت أن العالم كله ينحل أمام عيوننا ، لم أجد أعمق من
هذه الأسئلة الثلاثة : ماذا سيحدث ؟ أين المسيح من هذا ؟ وما هو الفرق
الذى يصنعه وجودنا لهذا كله ؟ »

وفى كلمة واحدة : حياة الروح هى حياة فى يسوع المسيح ، ففيه
وبواسطته يمكن أن نجيب على هذه الأسئلة الثلاثة الأساسية . وفيه وبواسطته
يمكن أن نخلص من هذا الانحلال العالمى الشامل .

هذه أيام عظيمة ، وما نقرره هنا هى قرارات تاريخية ، ولكن كلها
ستنتهى ، ومعها الحياة نفسها . فما هى الحياة التي لا تنتهى ؟ ما هى الحياة
الأبدية ؟ هذا هو السؤال الأول والأخير ، إننى أؤمن أن « هذه هى الحياة
الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته »
(يوحنا ١٧ : ٣) . . . وأن الإيمان بالمسيح هو المعنى الأول والأخير لحياتنا

ولا يهمني من أنت أو ماذا أنت ، ولكننى أسألك سؤالاً واحداً : هل تؤمن
بیسوع المسيح ؟ (٤٩) .

٢٢ - مخطط مدن :

« حصلت على تعليم جيد ، وكان لى منذ بداية الحياة كل ما أحتاجه مادياً .
ونشأت فى بيئة عائلية صالحة ، ولكن كانت عندى مشكلة : كنت أظن
أنى سيد كل شىء ، وظهر لى كأن كل ما أعمله ينجح ، وكان نتيجة ذلك
أننى مرضت نفسياً وأصبحت سكيراً . لعبت كرة السلة فى المسابقات الرياضية
وكنت موضع الاختيار فى كل المباريات .

ولكن فى السنوات العشر صرت مهملاً اجتماعياً ، واشتغلت فى عدة
وظائف ، ولكننى كنت أترك كل وظيفة قبل أن يقبلونى لكثرة غيابى ،
بسبب إدمانى للخمر . وظننت اننى قد جننت ، فقرأت الكثير عن الخمر
والادمان ، ووجدت أنى لست مجنوناً . وفى هذا الوهم شربت الخمر أكثر ،
حتى هجرت أسرئى ! .

وذات مساء زارنى صديق قديم ، ظهر أن حياته تغيرت وحضرت
معه بعض اجتماعات « جماعة رجال الأعمال المسيحيين » . وأرسل لى هذا
الصديق نبذة عنوانها « من من السماء » . وضايقنى هذا منه جداً ، وقلت :
« من يظن هذا الإنسان نفسه ؟ هل يحسب أنه أفضل منى ؟ » ولكن تلك
النبذة جعلتنى أواجه المسيح ، وأتعرّف عليه كالشخص الذى يشبع النفس .

واليوم وأنا ألقى محاضرات عن تخطيط المدن ، أجد الفرصة لأحدث
عن المسيح الذى غير حياتى . (٥٠) - (اختبار تشارلس بن) .

٢٣ - فيلسوف :

هذا اختبار سيريل جواد رئيس قسم فلسفة في جامعة لندن . كان يؤمن أن المسيح مجرد إنسان فقط ، وأن الله جزء من الكون ، وأنه لو تحطم الكون لتحطم الله معه . ولم يكن يؤمن بوجود الخطية ، بل أن الإنسان مصيره إلى اليوتوبيا (الدنيا المثالية أو المدينة الفاضلة) وأنه لو أمهل الإنسان قليلاً فإنه سيجعل سماء على الأرض .

وفي سنة ١٩٤٨ نشرت مجلة « لوس أنجيلوس تايمز » صورة هذا العالم العجوز مع قصة التغير الدرامى الذى جرى فى حياته ، ذكر فيه كيف عادى المسيحية سنوات طويلة ، ولكنه أدرك أن الخطية حقيقة واقعة ، اقتنع بوجودها وهو يرى حربين عالميتين ، وقال إن التفسير الوحيد للخطية موجود فى الكتاب المقدس ، وأن علاجها الوحيد هو الصليب . وقبل أن يموت صار الدكتور جواد تابعاً غيوراً للمسيح (٥١) .

٢٤ - عالم نفسانى :

حذر صاحب العمارة الساكن الجديد ، أستاذ الجامعة من جاره الإنجيلي لأنه متحمس جداً ، وسيحاول أن يجمده . وقال الأستاذ أنه قادر على مجادلة الجار الإنجيلي ، ولعله يحوله ليصبح مفكراً حراً مثله . ولم يشعر الأستاذ بخوف من الجار الإنجيلي ، فهو مطلع على الدين ، كما أنه عالم نفسى . وكان قد نشأ فى بيت كاثوليكي (ولو أنه لم يعد يقبل العقيدة الكاثوليكية) . حصل على درجة الدكتوراه فى علم النفس وصار أستاذاً للبحوث النفسية والمنطق فى جامعة الأرجنتين . وكان مجال تخصصه « تنمية الشخصية » . وقال الأستاذ فى نفسه إنه قد يتعلم شيئاً وهو يحلل شخصية جاره الإنجيلي .

وحضر الأستاذ كنيسة الإنجيلي ، وتدارس معه ما يؤمن به ، انتهى الأمر بأن الأستاذ الدكتور « رودا » قبل المسيح مخلصاً . وهالك ما يقوله :

« كباحث نفسي في ميدان تنمية الشخصية حللت مئات الناس محاولاً أن أكتشف الدافع الداخلي الذي يتحكم في الاتجاهات الأساسية للحياة . وعندما قابلت جاري الإنجيلي تشارلس كامبل وجدت شخصاً لم أقدر أن أفهم شخصيته فهماً عقلياً ، ولكنني عرفت عندما صرت مسيحياً أن العامل الذي غير حياته كان المسيح . وأعظم برهان عندي اليوم على صدق المسيحية هو التغيير الذي أحدثته في حياتي ، فقد حل السلام والثقة بالله في نفسي محل القلق . ولقد زادت متاعبي بعد أن صرت مسيحياً ، ولكن المسيح أعطاني القوة لأنتصر على المتاعب كلها » (٥٢) .

٢٥ - زعيم عصاة سابق :

هذه مقتطفات من قصة حياة نيكى كروز في كتابه : « أسرع يا طفلي أسرع » :

« كان ولكرسون يتحدث عن شيء اسمه التوبة عن الخطية ، وكنت تحت تأثير قوة أقوى مليون مرة من المخدرات ، ولم أكن مسئولاً عن حركاتي أو أعمالي أو كلماتي ، وكأني منجرف في مياه دوامة جبارة دون أن تكون لي قوة المقاومة . ولم أدرك ما يجري داخلي ، ولكن عرفت أن خوفي قد تلاشى .

وعاد ولكرسون يقول : « إنه هنا . هنا في هذه الحجرة . لقد جاء خصيصاً لأجلك . إن أردت أن تتغير حياتك فهيا الآن ! » ثم قال بسلطان : « قف ! الذين يريدون أن يسلموا حياتهم للمسيح ، ليقفوا ويتقدموا للأمام » .

ووجدت جارى إسرائيل يقف ويقول : « إننى سأتقدم إلى الأمام .
من يذهب معى ؟ » .

ووقفت معه ، ونظرت للعصابة وأشرت لهم بيدي : هيا بنا ! وحدثت
حركة وسط الصفوف ، وقام ٢٥ شاباً من عصابة الماو ماو ، وتقدم وراءنا
ثلاثون شاباً من عصابات أخرى .

لقد أردت أن أكون تابعاً للمسيح . . . كنت سعيداً . . . وبكيت . لقد
حدث داخلي شيء لم أستطع التحكم فيه . . . وكنت سعيداً به .

وبعد تجديده ذهب كروز للجامعة ، ثم مضى يتنقل في نواحي أمريكا
يحدث الشباب عن المسيح الذى غيره ، وقد تحدث إلى مائتى ألف شاب في
خلال سنة واحدة عن إيمانه الجديد (٥٣) .

٢٦ - سجين :

« عمرى ٢٣ سنة . إنى مستعد أن أذهب للسماء لو جاء دورى . وأنا
سعيد حقاً . منذ أسبوع رأيت حلماً سأخذه معى عند إعدامى بالكرسى
الكهربائى . حلمت أننى ذاهب للسماء ، ومعى يسوع . كنت أصعد الدرجات
أربعا أربعا بينما يسوع يصعدهما درجتين درجتين ، وسألنى يسوع عن سبب
استعجالى فأجبت أننى أتعجل الوصول إلى هناك . وعندما وصلت أحاط
الملائكة بى .

وقد يستغرب بعض الناس هذا الكلام من شخص دخل السجن ملحدآ ،
ولكن الاستغراب سيزول عندما يعرفون كيف التقيت بالله باكراً ذات
صباح ، فقد دعتنى سيدة لحضور خدمة دينية بالسجن ، وكنت وقتها ألبس
الورق مع زملاء لى فضحكت عليها وقلت : « أنا لا أوؤمن بالله » قلتها بفخر

ومضيت ألعب . لكن السيدة رجعتى بإلحاح ، فتجاهلتها . ولكنها قالت عبارة شدت انتباهى ، قالت : « إن كنت لا تؤمن بالله فجرب هذه التجربة . قبل أن تنام الليلة أطلب من الله أن يوقظك فى أى ساعة ، وعندما يوقظك أطلب منه أن يغفر خطاياك » . وكان كلامها كلام الواثق ، فأثرت فى . ولم أذهب للخدمة الدينية ، ولكنى تذكرت قولاً عن التجربة ، وقلت : « يارب ، إن كنت موجوداً أيقظنى الليلة الساعة الثالثة إلا ربعاً صباحاً » .

. كان الجو شتاء ، وكانت النوافذ مغطاة بالصقيع . ونمت نوماً عادياً ، بعدها جافى النوم عيني ، فاستيقظت . شعرت بالحر والعرق مع أن الزنزانة كانت باردة ، وكان كل شىء هادئاً ما عدا أنفاس بعض السجناء وشخير أحدهم . ثم سمعت خطوات أقدام خارج الزنزانة ، عرفت فيها خطوات الحارس فسألته عن الساعة فقال : « الثالثة إلا ربعاً » . وقفز قلبى داخلى ! ومضى الحارس دون أن يرانى أقوم من فراشى وأركع . ولا أذكر ماذا قلت لله ولكنى رجوته أن يرحمنى أنا القاتل الأثيم . ولقد خلصنى فى تلك الليلة ، فلقد آمنت بابنه يسوع المسيح منذ تلك الليلة .

وكنت قد وعدت أن أضرب أحد السجناء فى اليوم التالى ، فذهبت إليه ، لكنه تراجع قائلاً : « لا أريد أن أتعارك معك ، فانك ملاكم سابق » . فقلت له : « وأنا لا أريد أن أتعارك . لقد جئت لأراك » . وكان بعض المسجونين قد جاءوا ليروا العراك ، ولما لم يحدث اغتاظوا !

ولكنى قلت : « لقد خلصنى الله من خطاياى ، ولن أتعارك » .

وظن زملائى أننى أقوم بمسرحية حتى أنقذ نفسى من الإعدام بالكرسى الكهربائى . ونظرت قضيتى مرة أخرى أمام محكمة الينوى العليا ، لكن

المحكمة حكمت بالإعدام . وقد ضايقنى هذا ، لكنى لم أفقد إيمانى بالله ، فإنى أعلم أنه سيكون معى . ولذلك فلست خائفاً .

ويحكى بت تانس أحده مبشرى السجن ماجرى مع أرنست جايزر فى ساعته الأخيرة على الأرض . قال : « دعيت إلى زنزانة أرنست قبل منتصف الليل بساعة وكان الجو يبدو مشحوناً ، والحراس يتكلمون معه حتى يبعدوا عن تفكيره رحلة نصف الليل ، ولكن كلامهم كان لغوا ، كما يكون الكلام عندما لا يعرف الواحد منا ماذا يقول . وعندما دخلت إلى الزنزانة ابتسم أرنست وحيانى وحييته ، وكان قسيس يقرأ معه من الكتاب المقدس ، فناولنى الكتاب ، فقرأت من فيلبي الأصحاح الأول . وانحنى أرنست للأمام وأنا أقرأ « لأن لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح .. لى اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذلك أفضل جداً » .

وبعد لحظات ألبس الطاقية السوداء وبدأ رحلته الأخيرة . كان على جانبيه حارسان يبدوان قلقين ، ولاحظ أرنست هذا التوتر فقال : « أيها الصديقان : لماذا ترتعشان ؟ أنا لست خائفاً ؟ » .

وأخيراً فى الساعة الثانية عشرة وثلاث دقائق وجهت أول صدمة كهربية من الصدمات الثلاث إلى جسمه . وفى الثانية عشرة والرابع أعلن خمسة أطباء أنه مات ، ولكنى كنت أعلم أنه حى .. جسده فقط مات . وعندما غادرت السجن ذكرت القول : « لأن لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح » (٥٤)

ب - من جنسيات مختلفة :

٢٧ - من هونج كونج :

« نشأت في عائلة تعبد الأصنام ، فعبدت الأصنام معهم ، وكان من دواعي سعادتي أن أسخر من زملائي المسيحيين بالمدرسة .

و ذات يوم أعطيت نبذة عنوانها « القدير » تحرك قلبي في أثناء قراءتها ، فكتبت اسمي وعنواني على الكلمات المكتوبة في آخرها ، وأرسلتها إلى الجمعية المسيحية التي أصدرتها .

وأنا الآن أعرف المسيح ، وقد صرت مسيحياً « (٥٥) - (اختبار كين جي لي) .

٢٨ - من اليابان :

تخرج كوسوكي ماكي من جامعة طوكيو قسم الهندسة بمرتبة الشرف ، وصار أستاذاً بجامعة طوكيو الشهيرة ، وقد رباه ولي أمره (وكان قائد الحرب اليابانية الروسية) على الحياة المنضبطة . وقال الدكتور ماكي : « قبلت المسيح عندما كنت طفلاً ، ثم أرسلت للحرب . . ضد روسيا . وبعد هزيمة اليابان خسرت رتبتي وممتلكاتي ، وأصبحت حياتي قاسية ، فبدأت أشك في الله .

وبعد عامين رأيت أعز أصدقائي يحضر ، وقال لي : « ماكي ، انني بئس ، بدون سلام . لقد درست الطب ، ولكن المال والعلم محدودان . ساعدني » . ولقد لعنت نفسي لأنني كنت عاجزاً عن مساعدته . وفي توبة صادقة قبلت غفران الله . لقد كان الشخص الذي يملك الجواب ، والذي كنا نفتش عليه هو يسوع المسيح ، الأمل الوحيد في الحياة وفي الموت « (٥٦)

٢٩ - من البرازيل :

اسمه « بابا » . وحتى عام ١٩٥٤ لم يكن قد رأى رجلاً أبيض . وقد قالوا له إن جماعة من العالم الخارجى جاءوا إلى أرض قبيلتهم ، فأطلقوا عليهم السهام لكنها لم تصبهم . واستغرب « بابا » من هذا الكلام ولم يصدقه . ولكن بعد فترة من الوقت إنجبه مع اثنين من قبيلته ليتحققوا فعلاً من وجود مثل هؤلاء « الناس من العالم الخارجى » . وعندما رأى القسيس توم يونج لمسه ليرى إن كان من لحم ودم مثله ! وبعد وقت وصبر زال حاجز اللغة بين « بابا » وبين عائلة القسيس يونج ، فتعلم منهم بعض الكلمات البرتغالية ، وعلمهم لغة « الشافتا » ، لغة قبيلته . ولكن أكثر من ذلك أنه فهم ما يقال عن المسيح . وذات يوم كلم « بابا » المسيح بلغة « الشافتا » قائلاً : « يا يسوع أنت صالح وأنا ردىء . تعال إلى قلبي واجعلني صالحاً » . وأصبح « بابا » أول كارز بالمسيح لقبيلته . ويحمل وجهه المضيء شهادة عظيمة لعمل الروح في قلبه . وقد تبعه كثيرون من قبيلة « الشافتا » بلغ عددهم نحو ٣٠٠ (٥٧) .

٣٠ - من زائير (الكونغو) :

« ذات يوم اشتبكت في معركة من أجل زوجة رجل آخر ، فألقوني في السجن . . لقد أعماني الغيظ من الصديق الذى خاتنى فضربته بعصا غليظة على رأسه فقتلته . وحكم على بالسجن مدى الحياة ، وقيدوني مع سجين آخر متهم بالقتل مثلى . وكان في الليل يخبرني عن مخلصه . وبعد عشرة شهور نقلوه إلى سجن آخر . وحصلت على كتاب مقدس ، لكنهم اكتشفوه معي ، فأخذوه مني وأحرقوه . »

وجاء اثنان من المسجونين المهتمين بالمعرفة عن المسيح ، فساعداني كل يوم بإخفاء أجزاء من الكتاب تحت أحزمة ملابسهم . وسلمت نفسي للمسيح

وصار بولس بطل . . . ولا عمل لي الآن إلا خدمته ، إنني أسبحه كل يوم ،
فأنا أسير محبته » (٣٥) - (هذا اختبار أبولو ماويجا) .

٣١ - من الهنود الحمر الأمريكيتين :

ولدت جون رايت بويتراس في كلاماث بجنوب أوريجن . . وقد
سمعت عن تدشين باخرة ، وسمعت التسجيل بحفل التدشين ، وتأثرت كثيراً
بصلاة القسيس فقبلت المسيح مخلصاً ورباً . وقالت : « إن فرح معرفة المسيح ،
ليس فقط كالمخلص الوحيد ، بل أيضاً كالصديق ، أعطاني تقديراً جديداً
لتقاليدى الهندية ولشعبى ، بعد أن كنت احتقرهم وأضيق بهم » (٥٨) .

٣٢ - من تشيكوسلوفاكيا :

« لما كنت في السادسة عشرة من عمري كنت ملحداً . وفي الثامنة عشرة
أسست جماعة الشباب الشيوعي في مصنعنا . وانتخبت رئيساً لمنظمة الشباب
الشيوعي . . وذات يوم كأنه من السماء جاءني صوت يقول : « لا يضلحكم
أحد ، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين : أنا هو المسيح . . ويبصرون ابن
الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير » .

واستيقظت وقلبي يدق بشدة . وقلت لنفسي اننى أحلم ، ولكن حضور
الله كان يملأ الحجرة ، فركعت إلى جوار سريرى وصليت : « يارب ،
أغفر لي واقبلني » .

وقضيت الليل أصلى . وعندما أشرقت أنوار الفجر سمعت صوتاً داخلي
يقول : « ماذا دهاك ؟ ستفقد كل ما جاهدت في سبيله . سيضحك منك
زملاؤك ويحتقرونك ويضطهدونك . ارجع الآن قبل فوات الفرصة » .

وملائي الخوف ، ولكن صوت الله داخل قال « لا تخف . روحى
سيشهد فيك » .

وقلت لزملائي : « أنا أستقيل من عملى كقائد لكم ، لأننى لا أقدر أن
أكون شيوعياً » . وقالوا لى : « أنت مجنون ! لماذا تتصرف هذا التصرف
الأحمق ؟ » فقلت : « لا أقدر أن أتبع ماركس ولنين لأننى تابع ليسوع المسيح »
وأنا اليوم راعى كنيسة صغيرة على الحدود الروسية . لا يزعجنى أن
يضعونى فى السجن ، لأننى حينما أكون سأخدمه ، وهو يقوينى .

قال لنين انك تغير الإنسان عندما تغير المجتمع ، لكن يسوع يقول
انه يغير المجتمع عندما يغير الإنسان . وأنا أخدم « نظام الله الجديد » الذى
أنشأه الثائر الأعظم فى كل الأزمنة : يسوع المسيح ! « (٥٩) — (اختبار جان
تشلسكى) .

٣٣ - من فيتنام :

سارت جماعة من شيوخ قبيلة « هالانج » إلى كونتوم عاصمة الإقليم
وطلبوا مقابلة القسيس الفيتنامى ، وقالوا له إن قبيلتهم كلها تريد دراسة الطريق
إلى الله . وقالوا إنهم لاحظوا أن المسيحية تؤدى إلى السعادة والنجاح . وطلبوا
منه أن يذهب معهم فوراً . وكان زعيم القبيلة يسمى « دن » . وقد ساعد جيم
كوبر وزوجته نانسى على ترجمة الكتاب للغة قبيلته ، إذ روى له كثيراً من
القصص عن الذبائح للأرواح التى يعبدونها ، وعن التقاليد التى يجب أن
يراعيا أهل قريته حتى لا يغضبوا تلك الأرواح . ومرضت زوجته ثم حرق
نخيمته ، فقال له أهل قبيلته إن الأرواح غاضبة عليه لأنه يفشى أسرارها
لكوبر وزوجته ، لكنه استمر يساعد المترجم .

وبدأ « دن » يظهر اهتماماً بالإنجيل الذى يساعده على ترجمته . وكان يترك مذكرات للمترجم يطلب فيه أجره مقدماً ، أو يطلب أجازة إضافية . لكنه ترك يوماً مذكراً قال فيها : « أريد أن أتعلم المزيد عن ديانتك » .

وأوضح له المترجم أن الديانة المسيحية مشروحة فى الكتاب المقدس . وكان « دن » قد ساعد فى ترجمة قصة موت المسيح ليحرر الناس من الخطية ليصبحوا أولاد الله . ولكن « دن » كان يسأل كثيراً . وتغيرت حياته ، واهتم بمعرفة المزيد عن الله وعن كلمته . وذات يوم كتب مذكراً تركها للمترجم ، قال فيها : « ماذا يسعدنى ؟ إن يسوع يسعدنى » .

كانت هذه الكلمات سبب انطلاق شيوخ القبيلة لدعوة قسيس كونتوم ليجىء إليهم ليشرح المزيد عن المسيحية (٦٠) .

ج - طلبة من كل العالم :

٣٤ - من كندا :

« عندما كنت طالباً فى القسم الثانوى كنت فاقداً الثقة فى نفسى . ولم يتغير الحال عندما ذهبت للجامعة . وفى السنة الثانية من الدراسة الجامعية أخذت كثيراً من الأدوية المهدئة ، وكنت أظن أنى لا أنفع بلونها . .

وذات يوم سلمت الله كل جزء من كيانى : عقلى وإرادتى وعواطفى ، وأحسست أن الله يغيرنى ، وبدأت أقود الناس بعد أن كنت تابعاً . واستعدت الثقة فى نفسى على أساس أن الله هو العامل فى ، وقد ساعدنى هذا على الدراسة بنجاح .

لقد غيرنى الله من شخص مهزوم تماماً ، إلى شخص يخدمه بكل ثقة فى أنه هو قائد حياتى» (٦١) - (اختبار دافيد كيل) .

٣٥ - اختبار آخر من كندا :

« لم أكن أحب رذيلة الأنانية في ، لكنني لم أجدا ما أفعله للتخلص منها .
وذهبت للجامعة ، وبدأت البحث ، وبدأت أشك في وجود الله . وذهبت
إلى مؤتمر ديني ، لا لأنني مقتنعة ، بل لأرضي والدي ! وعندما ذهبت ،
صلمتني السعادة الحقيقية على وجه الحاضرين ومحبتهم بعضهم لبعض ، وعلى
الأخص ، أن كل الذين أعرفهم يحاولون أن يكونوا سعداء ، ولكن
بلا فائدة .

وقد قبلت المسيح في قلبي في ذلك المؤتمر ، ومن وقتها تغيرت حياتي
تماماً ، ووجدت فرحاً عظيماً أردت أن أخبر الجميع به . وغير الله موقعي
من نحو عائلتي . . وبدلاً من أن أفعل ما أفعله بأنانية لأرضي نفسي ، بدأت
أحاول الخروج من نفسي لأساعد الآخرين » (٦١) (اختبار بث كيل) .

٣٦ - من تايلاند :

« مع أنني نشأت في عائلة بوذية إلا أنني كنت أوثر أن في الكون كائناً
قادراً على كل شيء ، ولكنني لم أكن أعرف من هو . وكان في قلبي خوف
ووحدة وفراغ .

وذات يوم دعوت المسيح ليدخل قلبي وحياتي ويكون مخلصي وسيدى .
وسألني رئيسي في العمل : « ماذا جرى لك ؟ » .

والحقيقة أن المسيح صنع تغييراً في اتجاهاتي الفكرية . لقد كنت أقلق
كثيراً من جهة عائلتي ، لكن بعد أن عرفت المسيح ألقيت كل مخاوفي على
الله . « وقد أعطاني الله قلباً جديداً وحياة جديدة » (٦١) - (اختبار فالايبورن
فرياكوفنت) .

٣٧ - من كينيا :

« من الواضح أن هناك فرقاً بين الشخص وبين النشاط ، غير أنني لم أعتبر المسيح شخصاً ، بل شيئاً تدور حوله النشاطات . ولكنى أكتشفت أن نشاطى فى العمل الدينى ليس كافياً ، واكتشفت أنه لى أعرف الله معرفة حقيقية ، يجب أن أدعو المسيح ليسكن قلبى .

وقد أجرى المسيح تغييرات أساسية كثيرة فى حياتى ، وجعلنى أحس للحياة بمعنى جديد . لقد غير الله اهتمامى من النشاط الدينى إلى الاهتمام بمعرفة المسيح معرفة أعمق » (٦١) - (اختبار شمشون نجنيو كاروجو) .

٣٨ - من فنلندا :

« مر على وقت لم أكن أفكر فيه فى الله إطلاقاً . ودخلت جامعة فنلندا ، وقابلت جماعة شباب متحمسين لصلاتهم الشخصية بالله ، الأمر الذى جعلنى أسأل : « لماذا لا يكون عندى مثل هذا اليقين الذى عندهم ؟ وقد قالوا لى إن كل ما أحججه لأعرف الله شخصياً هو أن أطلب من المسيح أن يسكن قلبى مخلصاً وسيداً . ويسرور قدمت نفسى لسلطان محبته .

ولعل أعظم تغيير أجراه الله فى حياتى هو نظرتى للآخرين ، فأنى اليوم أحب أن أن أخبرهم عن كيفية الوصول إلى الصلة الشخصية بالله ، بواسطة ابنه يسوع المسيح . وقد وجدت الكثيرين ينتظرون من يخبرهم بالأخبار المفرحة عن محبة الله لهم » (٦١) - (اختبار أولى فالتونن) .

٣٩ - من بنما :

« لم أكن أستطيع أن استجمع أفكارى ، فقد كانت فارغة ونظرية . إلى أن قبلت المسيح فى حياتى ، وبدأت أرى حياتى تتغير . وكان البرهان

الأول على حضور الله في حياتي ، يوم أن قبلت المسيح ، فشعرت أنه يمكن
أكون ممرضة صالحة بمعونة الله » (٦١) .

(اختبار ماريا رودريجز) .

٤٠ - من إنجلترا :

« بلغت الرابعة عشرة من عمري وأنا أتجاهل وجود الله .. وعندما دخلت
الجامعة بدأت أشعر أن الحياة ليست أكثر من تقدم في العمر تعقبه الوفاة !

و ذات ليلة بدأت أقرأ العهد الجديد . في تلك الليلة صليت قائلاً :
« يا يسوع ، إن كنت موجوداً ، وإن كانت هذه قصتك ، فتعال إلى لأني
أريد أن أعرفك » .

ويصعب على أن أصف الفرح والسلام اللذين فاضت بهما حياتي حينذاك!
وبدأ الله يغير حياتي . واني أعرف من التغيرات الكبيرة والصغيرة التي
جاءت على أني عرفت الله حقاً ، وأنتى على صلة به » (٦١) (اختبار دافيد
تيلور) .

٤١ - من الهند :

« كنت أحيى في قلق من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ، محاولاً أن
أجد لها حلولاً ، ولكنني كنت يائساً خائفاً من كل شيء .. ووصلت في
أفكاري إلى أن الله من نتاج الخيال ، وأنه خادم لأصحاب العقول المريضة .
وصرت ماركسياً متطرفاً .

وحضرت اجتماعاً دينياً ، أوضح فيه الواعظ مطالب يسوع المسيح من
البشر ، فاكشفت أن الفلسفات التي صدقتها ، هي فلسفات خاطئة .

ومنذ دخل المسيح حياتي ، وجدت لحياتي معنى وهدفاً ، وانتهى يأسى !
وجاء وقت الانتخاب بعد قبولي الإيمان المسيحي . وأعطى كل مرشح
خمس دقائق للحديث للطلبة ، فقلت : « أقدم لكم أعظم المرشحين الذي يجب
أن تعطوه أصواتكم . ثم تحدثت عن هذا الشخص الفريد . . وأخيراً قلت :
« إنه الوحيد الذي يستحق أن تعطوه أصواتكم ، واسمه يسوع الناصري ! » (٦١)
(اختبار تشارلي أبيرو) .

٤٢ - من جوانبها :

يقولون إن الاعتقاد الخاطيء وليد سوء الفهم . وهذه هي المشكلة التي
كانت لي مع الله ! فقد بدأت مع بعض أصحابي قراءة كتب الفلسفة وعلم
النفس . ووصلت إلى هذه النتيجة : أن مشاكل العالم هي نتيجة خطأ الله !
وقد قال لي أحد الأصدقاء أنني يمكن أن أعرف الله معرفة أحسن لو أنني
قبلت المسيح مخلصاً لي . وقد فعلت . وأنا الآن أرى أن الله هو فعلاً محبة « (٦١)
(اختبار أرتور جمنيز) .

٤٣ - من المسانبا :

بدا أن الانتحار هو الحل الوحيد ، فقد أحاطت بي مشاكل عجزت
عن حلها ، وصارت حياتي عديمة القيمة . وقلت إما أنه لا يوجد إله ، أو أن
الله موجود لكنه يسخر مني . وفي يأسى بدأت أقرأ كتابات نيتشة وسارتر
وبقية الفلاسفة الذين يقولون أن الله مات . . ولكن هذه القراءات لم
تهدي نفسي .

وأخذت صديقة لى تحدثنى عن صلتها الجديدة بيسوع المسيح . وفى الصلاة دعوته ليدخل قلبي ويستلم حياتى . والآن صار لحياتى معنى . أن مشكلاتى باقية ، لكنى فى المسيح يمكن أن أواجهها وأحلها . وانى سعيدة لأنى سلمت حياتى له « (٦١) (اختبار كرسنا تشكه) .

د - من خالفات مختلفة :

٤٤ - من اليهودية :

كنت أذهب للمجمع ، ولكنى كنت أسأل : هل يهتم الله بالطعام الذى آكله ؟ ما أهمية الصوم وحفظ التقاليد ؟ هل كل ما فى الحياة مال وماديات وجنس وشهرة . . . وقرأت فى الكتب المقدسة أن الله سيرسل ذبيحة كاملة للتكفير عن خطايائى ، اسمه « المسيا » . ولكن كيف أعرف أن هذا هو المسيا ؟ وجدت النبوات تقول إنه سيولد فى بيت لحم فى اليهودية ، من عذراء ، ويموت مصلوباً ثم يقوم من الموت . ووجدت أن شخصاً واحداً فى التاريخ تنطبق عليه كل هذه الصفات ، اسمه يسوع . وفى غرقى ، أنا اليهودى غير المتدين ، ركعت وصليت : « أيها المسيا ، إن كنت موجوداً ، تعال إلى قلبي وحياتى ، وطهرنى بدم كفارتك » . فإذا بى كشخص كان فى حجرة مظلمة ، وأضاء أحدهم النور فجأة ! وكأن الله الذى كان يبعد عنى ملايين الأميال ، صار أقرب لى من أمى وأختى ويدي ، بل أقرب من أنفاسى . ووجدت السلام والهدف لحياتى والفرح والحق الذى كنت أفتش عنه « (٦٢) (اختبار مانى بروتمان ، رئيس الحركة اليهودية المساوية العالمية) .

٤٥ - من خارج المسيحية :

هذا اختبار الأسقف جون سبجان من حيلر أباد ، أسقف الكنيسة الميثودية ، الذى ولد فى كلكتا لعائلة غير مسيحية ترجع إلى الجنس المغولى بدأت مرحلة جديدة فى حياته عندما قدم له صديق مسلم نسخة من الإنجيل وكان قد مزق النسخة الأولى التى قلمت له من بضع سنوات وربما ، رغم شوقه لمعرفة محتواها . ولكن رغبته فى معرفة الوحي المنزل فى المسيح لم تتوقف . وزادته دراسته للتصوف رغبة فى هذه المعرفة ، لذلك قرر دراسة الإنجيل ، رغم إيمانه بأنه محرف . ولكنه قال لنفسه : لا بد أنه لا يزال يحتوى على بعض الحق ، وسأستطيع أن أكتشف لنفسى الأجزاء المحرفة التى أضافها زنديق ملعون !

وكانت نتيجة دراسته الأولى للإنجيل مذهلة ، فلم يجد فيه أى عبارة زندقية ، مع أنه قرأه قراءة نقدية واعية . وقال لنفسه : لا بد من دافع قوى وراء التحريف . ولكن دراسته الدقيقة للإنجيل لم تكشف له دافعاً يجعل أصحاب الإنجيل يحرفونه كما أن المبادئ الأخلاقية السامية التى رآها فى الإنجيل تدفع عنه أى شك فى التحريف ، ثم اكتشف عدم وجود سبب يجعلهم يلفقون قصة الصلب بما فيها من عار على مؤسس المسيحية . ولو أن هناك تحريفاً جرى فى الإنجيل لكانت أول قصة تحذف هى قصة الصلب ! وبدأت قراءاته للإنجيل تزيل منه تحامله ضد فكرة أن المسيح ابن الله ، فإن الإنجيل يورد هذه الفكرة ببساطة تثبت أنها الحقيقة .

وجاءت دراسته للإنجيل مرة ثانية باقتناعه بأن هذا هو «الإنجيل المنزل».. وأن قراءة الإنجيل تنشئ تغييراً فى الإنسان . وبعد هذه القراءة الثانية قرر سبجان أن يصير مسيحياً ، ولكن لم يكن له أصدقاء مسيحيون ، وكان

الإنجيل الذى معه هدية من مسلم . . لكنه قرر أن يعتنق المسيحية ، وقال :
« ليست هى قبول عقائد وكلمات ، رغم أن هذا هام ، لكنها الحياة القريبة
من المسيح فى شركة معه . ليست المسيحية ديانة تمارس ، لكنها أيضاً حياة
نحياها » (٦٣) .

٤٦ - من الهندوسية :

ولد « أناث ناث سن » فى كلكتا ، وقد ورث ديانة أجداده بحماسة
وحافظ على كل تقاليد الديانة الهندوسية بغيره ، بمحبة عميقة لكرشنا ، مع
كراهية للمسيحية ، باعتبار أنها « ديانة مستوردة » . وقد عمل مع بعض
زملاء له على معاكسة الاجتماعات المسيحية ، بالتشويش وإلقاء الأحجار .
ولما فشل فى هذا ، كان يشتري مع زملائه الكتب المقدسة وكتب الترنيم
ليحرقها أمام المسيحيين .

ثم قرر أناث أن يحرق مكتبة الكنيسة وغرفة المطالعة ، وفى اليوم السابق
لتنفيذ هذا دخل إلى المكتبة ، وأخذ كتاباً مقدساً من قبيل حب الاستطلاع .
وعندما عاد إلى بيته أخذ يقرأه . . . قرأ الموعظة على الجبل ، ثم دعوة المسيح
للخطاة . وبعد منتصف الليل كان يقرأ قصة الصلب . وقد أثار ضميره ، كيف
قابل المسيح العنف بالوداعة . ولذلك قرر إلغاء خطة إحراق المكتبة وسط
دهشة زملائه ! فاتهموه بالجبن ، لكنه لم يهتم .

واستمر يفتش عن الحق فى ديانة آبائه ، فزار الأماكن المقدسة ، وانضم
إلى الرهبان الهندوس ، دون أن تشبع نفسه . وصادق أحد القسوس ، فأقنعه
أن يسوع المسيح شخص تاريخي وأنه فعلاً مخلص العالم . ومن وقتها بدأ طريقه
إلى التسليم للمسيح ، ويصف هذا بالقول : « سمعت صوت يسوع يقول :
أنا هو الطريق والحق والحياة ، ليس أحداً يأتى إلى الآب إلا بى » . ولم أعرف

إن كان ذلك من صوت خارجي أو من صوت داخلي ، لكنه كان إعلاناً عجبياً لي ، ، ففند تلك اللحظة عرفت أن المسيح هو معلم العالم وقررت أتباعه « (٦٣) .

٤٧ - من الشيخ :

« ولدت من عائلة من الشيخ ، وكانت أمي مثالا حياً للتعالم السخية ، وكانت تنهض كل صباح قبل الشروق لتستحم وتقرأ « الباجفاد جيتا » . وكنت أقرأ الكتب المقدسة حتى منتصف الليل لأروى ظمأ نفسي للسلام ، وكنت أسأل البانديت (المعلم) ليشرح لي العضلات الروحية ، فكان يقول لي : « لا تقدر أن تصل إلى هذه الدرجة الروحية مرة واحدة ، بل تحتاج إلى وقت طويل . لماذا أنت عجول ؟ إن لم يرتو عطشك في هذه الحياة فسيرتوي في حياتك القادمة ، بعلم التناسخ ، هذا إن كنت تستمر في المحاولة »

وصدمت صدمة قوية عندما ماتت أمي ، ثم أخى بعدها بشهور قليلة . وقد امتلأت باليأس وأنا أعلم أنني لن أراهم مرة أخرى ، لأنني لا أعرف الصورة التي سيولدان عليهما ، كما أنني لا أعرف الصورة التي سأكون أنا عليها في ولادتي الآتية . وكان تعليمي الديني يقول إن عزائي الوحيد هو في الخضوع لقوانين « الكرما » التي هي ناموس الأعمال والجزاء .

ثم دخلت مدرسة مسيحية في رامبور ، وكنت متشبعاً بالكراهية للمسيحية ، فرفضت درس الكتاب المقدس . وأصر المعلم على حضوري حصّة الدرس ، فتركت هذه المدرسة والتحقّت بمدرسة حكومية في سانوال . ولكن تعاليم الإنجيل عن محبة الله جذبتني ، ولكنني قلت إنها خاطئة : وقد عبرت عن تأكيدى على خطأ الإنجيل أنني مزقته وأحرقته أمام أبي وآخرين معه .

ومع أنى كنت أعتقد أن إحراق الإنجيل هو العمل الواجب ، إلا أنى أحسست بالانزعاج والبؤس . ولاحقنى هذا الشعور مدة يومين . وفى اليوم الثالث صحت فى الثالثة صباحاً ، واغتسلت وصليت قائلاً إنه إن كان هناك إله فليكشف عن نفسه لى ليرينى طريق الخلاص ويريح نفسى المتعبة . وقررت فى نفسى أنه فى حالة عدم استجابة صلاتى . فإننى سأذهب قبل شروق الشمس لأضع رأسمى على قضيب السكة الحديد لأنتحر تحت عجلات القطار السريع .

وبقيت حتى الساعة الرابعة والنصف أنتظر مجىء كرشنا أو بوذا أو غيرهما ولكن أحداً منهم لم يظهر ! وأضاء الحجر نور قوى ، ففتحت الباب لأرى مصدره ، ولكن الخارج كان ظلاماً ، فرجعت إلى الحجر . وبدأ أن مجال النور يزيد قوة . وظهر وسط النور من لم أنتظره ، فقد ظهر المسيح الحى الذى كنت أحسبه ميتاً !

وإلى الأبد لن أنسى هذا الوجه المجيد المحب ، ولا الكلمات القليلة التى قالها : « لماذا تضطهدنى ؟ أنظر لقد مت على الصليب لأجلك ولأجل العالم كله » . وقد أحرقت هذه الكلمات قلبى فوقعت على الأرض قدامه ، وقلبي عامر بالسلام والفرح ، وتغيرت حياتى كلها . عندئذ مات سنذر سنغ القديم . وولد سنذر سنغ الجديد ليعخدم المسيح .

ومن مميزات هذه الحياة الجديدة فى المسيح أن الإنسان يجد نفسه مدفوعاً لأن يجىء بالآخرين للمسيح . لا عن اضطرار ، بل لأنه يريد أن يشاركهم فى أفراح الحياة مع المسيح . وتعمدت ، وبدأت أسافر فى بلاد مختلفة كرازاً « صادهو » بالإنجيل .

بدون المسيح كنت خائفاً من الحياة المستقبلية ، وبدون أمل ، ولكن حضوره معي حول كل هذا إلى محبة و يقين ورجاء . الخوف مؤقت لكن المحبة أبدية ، والإيمان والمحبة يساعدان النفس على الإرتقاء والتخليق ، إذ ينعش دفء محبة الله نفس الإنسان ليرتفع للسماء متعلقة برب المحبة . لكنه بدون تذكور في الظلام وتموت ! » (٦٤) — (ظل الصاد هو سندرسنغ يكرز بالإنجيل ، وزار التبت مرات عديدة للكراسة بالإنجيل وزارها للمرة الأخيرة ولم يرجع منها !) .

٤٨ — من الشيطانية :

« كان والداي يذهبان للكنيسة بانتظام وكنت أذهب معهما ، ولكن هذا كان بلا معنى . وكان يسوع غامضاً بعيداً . وعندما سألت والدي عن الله أسكتاني قائلين « أسئلتك لا تنهى . أسكتي واقبلي ما نقول » . ولم أقبل هذا . وبالنسبة لي لم تقدم لي الكنيسة شيئاً . وظللت أبحث عن شيء يملأ فراغ حياتي . وفي السابعة عشرة من عمري قابلت « وسيطة روحية » قالت لي : « الطريقة الوحيدة للحياة هي في الكوتشينة وخريطة البروج . تعالى لأريك » .

وتبعت صديقتي الجديدة بحماس . فقد بدا أن روحاً غريبة تتسلط عليها ، فكانت في شبه غيبوبة تحرك أوراق الكوتشينة وتحكي لي حوادث حدثت معي في الماضي ، كما كان لها قوة شفاء الأمراض ، حتى إن بعض الأطباء كانوا يرسلون لها بعض المرضى .

و ذات يوم أرنتي كيف أقرأ الكوتشينة ، وأوصتني أنه في مطلع كل يوم على أن أستشير الورق وأفسر ما يقوله لي . وتعلمت الكثير من ربط معاني الورق معاً ، حتى أصبحت قادرة على قراءة الطالع والمستقبل .

ومضى الوقت وهذه السيدة الغامضة تسيطر على شيئاً فشيئاً ، حتى قادتني « للعالم الروحي » وقالت : « الآن أنت واحدة منا . هل تحلفين يمين الولاء ؟ » . وجاوبت بالإيجاب وأنا مسلوكة الإرادة . ودون أن أعلم ما أعمله جرحت أصبعي وكتبت بدمي : « أيها الشيطان أعطيلك قلبي وجسدي ونفسي » .

وعشت معتمدة على قراءة الورق وخريطة البروج ، وما كنت أجرو حتى التنفس بدون استشارتهما . واستولى الشيطان على كل نفسي وعذبنى بلا انقطاع ، وبدأت أمارس أشياء لا أجرو على ذكرها ، وعندما بلغت التاسعة عشرة كنت قد بلغت حالة شديدة من القوضى الأخلاقية ، وتملكني اليأس والمنخوليا (السوداء) ، ولم أقدر أن أركز على عملي كمرضة بسبب عذابي النفسي .

وفي مارس ١٩٦٠ قالت لي خريطة البروج إنني يجب أن أنتحر يو ٢٦ يوليو ، لأن حياتي (كما قالت خريطة البروج) لم تعد لها فائدة . وفي مساء ٢٥ يوليو كنت أجول في الشوارع مرتعبة من فكرة الموت . وفي أثناء تجوالي سمعت موسيقى جميلة كانت تنبعث من اجتماع ديني في خيمة كبيرة ، فدخلت . وبعد نهاية الموسيقى وقف الواعظ (ليندر بر) وقال : « سأحدثكم الليلة عن قوة الإنجيل العجيبة » . وأردت أن أجري ، لكنني كنت خائفة القوى . وطيلة السنوات التي ذهبت فيها للكنيسة لم أسمع أبداً عن المسيح المخلص الشخصي الذي مات عني شخصياً . وكلم اشتقت أن أكسر قبضة الشيطان على . . . ومضى الواعظ يقول : « قوة المسيح وحدها هي القادرة على كسر قوة الشيطان » . ثم دعا سامعيه للتقدم للأمام للاعتراف بالمسيح ، فدفعت نفسي للأمام وسألت : « هل هناك أمل لخاطئة مثلي ؟ أيها الواعظ . لو أن ما تقوله صحيح فإني أريد النجاة . صل لأجلي » .

وصلى الواعظ معي ، وأكد لي أن المسيح قادر أن يغفر لأكبر الخطاة لو طلب منه . واقتبس لي يوحنا (٦ : ٣٧) « من يقبل إلي لا أخرجه خارجاً » ، ولكني لم أقدر أن أطلب عون المسيح ، فقي كل مرة حاولت كانت يد غير منظورة تطبق على عنقي . فقال لي الواعظ : « عودي للبيت ، وسن عقد اجتماع خاص للصلاة لأجلك عودي مساء الغد » وحاولت أن أصرخ وأقول « غداً سيكون الوقت قد ضاع » ولكني لم أفعل . ورجعت للبيت مرتعبة . ومضت ليلة طويلة من الرعب ، ولم أنم بالمرة ، وكنت أخشى طلوع الصباح ولكن الضوء ملاء غرقتي ، وبدون تفكير أخرجت الكوتشينة وجعلت أقرأ ما يجب أن أفعله . في نهاري .

وعندما عبرت النهر لأذهب للمستشفى حيث أعمل ارتعب بدني كله ، فهنا (كما يقول طالعي) يجب أن أنتحر اليوم . ووصلت إلى عملي وحاولت أن أهرب من معذبي . ويبد مرتعشة أدت قرص التليفون لأطلب الواعظ ، وقلت له : « أرجو أن تجيء الآن . المسألة خطيرة للغاية » . وعندما وصل سألته : « هل عند مسيحك قوة أفعل من قوة الشيطان ؟ » . فأكد لي أن عنده ! وناولته الصندوق وبه خريطة البروج وضرورة انتحاري اليوم ، وقلت له : « لو أن مسيحك لم ينقذني اليوم فسألقى بنفسى في النهر بعد ظهر اليوم . لقد اختاروا لي الزمن والمكان والطريقة التي يجب أن أنتحر بها » .

وصلى بحرارة ، وشعرت كأني أتمزق ، وكنت أرتعش دون سيطرة على نفسي ، وعجزت عن مد يدي للمسيح . حاولت أن أصلي ولكن قوة غير منظورة خنقتني ، فصرخت : « لا فائدة ! لا تحاول » فقال الواعظ : « أنت عاجزه لكن يسوع قادر » وظل يصلي نصف ساعة ، واحتدمت المعركة داخلي . وفي التواءة قاسية جثوت على ركبتى وطلبت من الله أن ينقذني من الشيطان الذي يسيطر على . وانتصرت قوة المسيح ، وغمر إحساس بالسلام نفسي ، فأدركت أنني أقدر أن أعيش .

وقد ظلت أسبوعاً في صراع حتى حصلت على الشجاعة لأعيش بدون أدوات السحر وسلمت حقبة الأدوات للواعظ ! وبدأت بعد ذلك أتسلق الطريق الصاعد إلى الاستقرار والاطمئنان الروحيين . ولقد حدثت معي نكسات في الطريق ، وشعرت أحياناً بمحضر الشرير ، ولكن قوة المسيح كافية دائماً عندما كنت أطلبها .

واني اليوم أشكر نعمة الله . وأقوم الآن بالعمل في مركز لتوزيع النبد الدينية ، وصلاتي اليومية هي : من فضلك يارب : اجعلني بركة لشخص لا يزال مستعبداً للشيطان » (٢٩) – (صاحبة الاختبار أخفت اسمها) .

هـ – متشككون تجددوا :

٤٩ – السير وليم رمزي :

في سنة ١٨٨١ كان السير وليم متشل رمزي شاباً صادق الخلق واسع الثقافة ، ذا رغبة صادقة لمعرفة الحق . وكان قد نشأ في بيئة نشأته على الإيمان بأن الكتاب المقدس خدعة . وصرف سنوات يجهز نفسه ليرأس بعثة للتنقيب في آسيا الصغرى وفلسطين ، حيث كتب الكتاب المقدس ، ليفتش ويبحث عن أدلة تثبت أن الكتاب المقدس هو نتاج فكر بعض الرهبان الطموحين ، وليس كتاباً سماوياً كما يدعى لنفسه . وقرر أن أكبر نقطة ضعف في العهد الجديد هي قصة رحلات بولس الرسول التبشيرية ، لأن أحداً لم يدرسها على الطبيعة . فأعلن أنه سيجعل من سفر الأعمال دليلاً له ، محاولاً أن يسافر في أثر خطوات بولس ، ليبرهن أن الرسول لم يكن ممكناً له أن يقطع الرحلات التي ذكرها سفر الأعمال . .

وجهاز نفسه تجهيزاً كاملاً للرحلة . وذهب إلى فلسطين وآسيا الصغرى ،
وصرف خمس عشرة سنة « منقياً عن الأدلة » . وفي سنة ١٨٩٦ أصدر كتاباً
عنوانه « القديس بولس الرحالة والمواطن الروماني » .

وقد كان الكتاب صدمةً لمتشككي العالم . لقد خيب آمالهم ، لأنه
أثبت عكس ما قصده المؤلف من قبل . ولكن المتشككين صدموا أكثر
عندما توالى كتابات المؤلف نفسه تقدم الدليل تلو الدليل على صدق العهد
الجديد ودقته . وقد بلغت قوة الأدلة درجة جعلت كثيرين من الكافرين
بالعهد الجديد أن يؤمنوا بالمسيحية . وقد ظلت كتابات السير وليم رمزي
حتى اليوم لم يجادل أحد في ما جاء بها « (٦٥) » .

٥٠ - فرنك موريسون المحامي :

فرنك موريسون محامى وصحفى بريطانى آلى على نفسه أن يبرهن أن قيامة
المسيح خرافة ، ولكن بحوثه قادتة إلى الإيمان بالمسيح المقام ، فكتب بعلمه
كتابه المشهور « من دحرج الحجر ؟ » .

قال : « كان غرضى من الكتاب الذى فكرت فى إخراجه أن أعالج
فيه المرحلة الأخيرة من حياة يسوع ، بما تخللها من مأس سريعة التطور عميقة
التأثير ، وما حفلت به من وقائع التاريخ القديم الملابس لها ، وما حفها من
لذة سيكلوجية بشرية قوية . أردت أن أجرد القصة مما أحاط بها من عقائد
مبدئية ومزاعم تقليدية ، لعلى أكتشف حقيقة ذلك الإنسان كما كان فعلاً .

ولست بحاجة لأن أشرح فى هذا المقام كيف أتيتحت لى الفرصة بعد هذا
التاريخ بعشر سنوات لأدرس حياة المسيح درساً وافياً كما كنت أريد ، وكيف
توفرت على بحث مصادر روايات الإنجيل وتمحيص الأدلة القوية وكيف
كونت حكى فى المشكلة التى قامت أمامى . وحسبى أن أقول هنا إن هذا

البحث قد أحدث ثورة هائلة في تفكيرى ، وانبثقت من هذه القصة العالمية القديمة أشياء كنت أظنها مستحيلة . وتمكنت من نفسى رويداً رويداً ، ولكن في جزم و يقين ، عقيدة راسخة بأن مأساة تلك الأسابيع الماثورة في التاريخ البشرى أغرب وأعرق مما نظن . والذي ملك على عقلى ولبى في أول الأمر ما رأيت من غرابة في كثير من حوادث هذه القصة المثيرة الأخاذة . ولم أفطن إلى المنطق القوي القاهر في معناها إلا بعد فترة من الزمن .

٥١ - كليف لويس :

كليف لويس مؤلف وأستاذ بريطاني معروف بحصافته وخياله ووضوح أسلوبه . وقد ظل متشككاً في المسيحية حتى تجدد سنة ١٩٣١ والمقتطفات التالية تحكى اختباره .

— من رسالة لوالده في ٣١ مارس ١٩٢٨ :

« هناك نهضة روحية الآن بين طلبة سنوات ما قبل التخرج بقيادة شخص اسمه الدكتور بوتشمان ، يجمع عدداً من الشباب معاً (البعض يقول إن النساء من بينهم ، ولكنى لا أظن ذلك) ويعترفون بخطاياهم الواحد للآخر . جميل ! أليس كذلك ؟ ولكن ماذا تفعل ؟ لو حاولت أن تحطمهم ، خلقت منهم شهداء . . . »

— من رسالة الصديقه أون بارفيليد ، بلا تاريخ محدد ، سنة ١٩٣٠ :

« تحدث معى أشياء مزعجة . أن الروح أو الذات العليا في تظهر اتجاهات متناقضتى ، سالكة مثل الله . تعال إلى يوم الاثنين على أقصى تقدير وإلا أدخل الدبر ! »

— ويحكى أخوه قصة أخذ قراره للمسيح ، يقول :

« أذكر ذلك اليوم في سنة ١٩٣١ عندما ذهبنا لزيارة حديقة الحيوانات .
في أثناء تلك التزهة قرر أخى كليف أن ينضم للكنيسة . وقد ظهر لى أن هذا
الاندفاع للحياة الجديدة لم يكن مفاجئاً ، لكنه كان تماثلاً للشفاء منتظماً بعد
مرض روحى مزمن » .

— ومن رسالة لصديقه أون بارفيلد ، بلا تاريخ محدد ، سنة ١٩٣٣ :

« منذ أن بدأت أصلى لاحظت أن شخصيتى تتغير . لقد بدأت ذاتى
الصالحة تأخذ مكاناً هاماً ضد رغباتى الأنانية . أنك لا تجعل البذرة تنمو إلى
شجرة صالحة بإلقائها فى النار ، بل يجب أولاً أن تكون صالحة قبل دفنها فى
التربة » .

وكتب كليف لويس عدة كتب قبل موته سنة ١٩٦٣ ، منها « المعجزات »
و « مشكلة الألم » و « المسيحية وحسب » . وفى الكتاب الأخير يقول :

« الإنسان الذى هو مجرد إنسان ، ويقول ما قاله المسيح لا يمكن أن يكون
معلماً أخلاقياً عظيماً ، فإنه إما أن يكون مجنوناً ، على مستوى من يقول إنه
بيضة مسلوقة ! أو أنه شيطان من الجحيم . وعليك أنت أن تختار . إما أن
هذا الإنسان هو ابن الله ، أو أنه كان مجنوناً ، أو ما هو أشر من ذلك . يمكن
أن ترفضه كمجنون ، أو ترجمه كشيطان ، أو أن تخر عند قدميه وتدعوه رباً
ولهاً . ولكن لا داعى لهذا اللغو الفارغ الذى ندعوه فيه « المعلم الإنسانى
العظيم » فإنه لم يترك لنا فرصة لمثل هذا الكلام ! » . (هذا الاختبار مأخوذ
من المراجع ٢٥ ، ٦٧ ، ٦٨) .

٥٢ - لى والاس :

اقتنع لى والاس بألوهية المسيح بعد دراسته للكتاب المقدس ليؤلف رواية « ابن حور » التى قصد بها أساساً أن يبرهن أن المسيح مجرد إنسان وحسب . وروايته « ابن حور » من أفضل إنتاجه ، فقد عاصرت أزمة فى اختبار الروحى ، فقد صار مسيحياً بعد دراسته لحياة المسيح ليعجز هذه الرواية . فقد تنبأ له صديق ملحد بأنه لن تمر سنوات قليلة حتى تكون الكنائس الجميلة قد انهارت وصارت حطاماً مع كل الديانات . ولم يكن والاس قد درس المسيحية ، حتى أنه لم يكن يعرف الأفكار الأساسية عن الله أو الحياة المستقبلية أو ألوهية المسيح !

وقرر لى والاس أن يدرس هذه كلها حتى يكون له رأيه المستقل . وبدأ يدرس الكتاب المقدس نفسه ، واثقاً فى منطقة كمحام أنه سيقوده إلى النتائج الصحيحة ، ويستأصل كل ما هو غير صحيح . ولكنه لم يكن يدرك أنه يدرس أموراً غير عادية ، فإن أحداً لا يمكن أن يدرس الكتاب المقدس باخلاص وبذهن مفتوح بدون أن يقتنع بألوهية المسيح . وعندما درس والاس الخليفة التاريخية للأحوال العالمية زمن المسيح ، والشرور الاجتماعية التى أوضحت حاجة الإنسان إلى مخلص سماوى . رأى برهاناً يدفعه إلى قبول المخلص الذى جاء . وقد كتب قصته عن حوادث السنين من بيت لحم إلى الجلجثة ليساعد القراء على رؤية البرهان (٦٩) .

٥٣ - جيوفانى باينى :

كان جيوفانى باينى من أقدر المؤلفين الإيطاليين ، ولكن إصداره كتابه « حياة المسيح » عام ١٩٢١ أدهش أصدقاءه والمعجبين به لأن باينى كان ملحداً وعدواً للكنيسة . وكان آخر من ينتظر أن يكتب عن حياة المسيح الذى لم يكن يؤمن به ! .

ولكن ما الذى جاء عليه بهذا التغيير ، الذى يشبه تغيير شاول على طريق دمشق ؟ لقد كان ، مثل كل الساخرين ، بركاناً من الضيق والقرف من الجنس البشرى الذى أشعل الحرب العالمية الأولى ، لا يرى أملاً فى شيء أفضل مما لم تتغير نفوس الناس . وكان باينى يتوق إلى شيء من هذا التغيير .

وخلال الحرب العالمية الأولى أخذ جيوفانى عائلته ليعيش فى قرية على قمة الجبل . وهناك مع الفلاحين رأى تعبدهم ، فبدأ شيء ما يحدث له . وفى بعض الأمسيات كانوا يطلبون منه أن يقرأ لهم من العهد الجديد بصوت عال . وقد أعطاه هذا اكتشافاً جديداً للكتاب مضاداً لشكوكه السابقة ، وصارت له رؤية جديدة جعلته يعزم أن يكتب بنفسه حياة المسيح . وبعد ذلك وجد أن القوة الوحيدة التى تقدر أن تغير العالم هى تعاليم المسيح ، وهذا ما أوضحه فى كتابه . وقد قال أحد النقاد عن الكتاب : « سيظل هذا الكتاب لسنوات طويلة مرشداً للآلاف وهم يشقون طريقهم المؤلم من الحياة اللاإنسانية إلى حياة أشبه بحياة المسيح » (٧٠) .

و- تأملوا لأجل المسيح :

٥٤ - القس رتشارد ورمبراند :

القس رتشارد ورمبراند قسيس إنجيلي صرف ١٤ سنة فى سجون بلده رومانيا الشيوعية ، وقاسى كل العذاب . وهو واحد من أشهر القادة المسيحيين الرومانيين ، كما أنه من أشهر المؤلفين ورجال التعليم فى بلاده .

فى سنة ١٩٤٥ عندما استولى الشيوعيون على رومانيا حاولوا إدارة الكنائس لخدمة أغراضهم ، فبدأ ورمبراند فوراً خدمة روحية قوية حياة لشعبه المستعبد وللجنود الروس الغزاة ، فى الخفاء ، فألقى القبض عليه عام ١٩٤٨ مع زوجته ساين ، فاشتغلت زوجته ثلاث سنوات فى معسكر اعتقال

أما هو فوضع في حبس انفرادى مدة ثلاث سنوات ، لا يرى خلالها أحداً غير معذبية الشيوعيين ، ثم نقلوه إلى زنزانة عامة لمدة خمس سنوات أخرى ، مع استمرار التعذيب .

وبسبب مكانته الدولية كقائد مسيحي ، سألت السفارات الأجنبية رومانيا عن سلامته ، فقبل لهم إنه هرب من رومانيا . وأفاد بعض رجال البوليس السرى زوجته أنهم اشتركوا في تشييع جنازته ، مدعين أنهم كانوا زملاءه في السجن . وأفاد المسئولون أصدقاءه في الخارج وباقي عائلته أنه قد مات .

وبعد ثماني سنوات أطلق من سجنه ، فبدأ وعظه في الخفاء ، فأعيد القبض عليه بعد سنتين (سنة ١٩٥٩) وحكم عليه بالسجن ٢٥ سنة . ولكنهم أطلقوا سراحه سنة ١٩٦٤ في عفو عام ، فعاد للوعظ في الخفاء . ولكن أصدقاءه خافوا عليه من سجن ثالث ، فتفاوض مسيحيو الترويج مع السلطات الشيوعية في رومانيا على خروجه من رومانيا . وكانت حكومة رومانيا تبيع السجناء السياسيين للخارج لقاء ١٩٠٠ دولاراً للسجين . لكنهم طلبوا عشرة آلاف دولاراً لخروج ورمبراند .

وخرج ورمبراند من رومانيا ، وكتبت صحف العالم قصص تعذيبه في مايو ١٩٦٦ وبعدها . وفي سبتمبر ١٩٦٦ هددته السلطات الشيوعية بالاغتيال إن هو لم يسكت ، لكنه ظل يعظ ، وأطلق عليه رجال الكنيسة ألقاب « صوت الكنيسة المختفية » و « الشهيد الحى » و « بولس الستار الحديدى » .

ونقدم هنا اقتباساً من كتابه « معذب لأجل المسيح » :

« قسيس اسمه فلورسكو عذبه بأسياخ الحديد المحمى لدرجة الاحمرار وبتجريحه بالسكاكين وضربه بقسوة ، ثم اطلاق الفئران الجائعة من ماسورة

خاصة إلى زنزانتة فتحرمه النوم ، لأنه لو نام لحظة لهاجمته الفئران ! وقد اضطروه أن يقف طيلة أسبوعين ليلاً ونهاراً . كل هذا ليخون اخوته ويرشد عنهم لكنه رفض . وبعدها جاءوا بابنه البالغ ١٤ سنة وضربوه بالسياط أمامه وقالو أنهم سيستمرون في الضرب حتى يقول هو ما يريدونه أن يقول . وكاد فلورسكو المسكين أن يجن . واحتمل بقدر ما استطاع ، وعندما وجد نفسه عاجزاً عن الاحتمال صرخ قائلاً لابنه « ألكسندر ، سأقول ما يطلبون ! لا أحتمل ضربك أكثر » . فأجاب الابن : « يا أبي ، لا تظلمني بأن يقولوا إني ابن الخائن . احتمل . لو قتلوني سأموت وعلى شفتي كلمة : يسوع وبلادي » . وهاج الشيوعيون بسبب هذا وظلوا يضربون الابن حتى مات وتناثر دمه على حوائط الزنزانة كلها . مات وهو يسبح الله . أما أخونا العزيز فلورسكو فقد تغير تماماً بعد أن رأى ما رآه « (٧١) » .

٥٥ - مرسلون إلى هنود الأوكا :

« في ٨ يناير ١٩٥٦ اهتز العالم لخبر أن بعض أفراد قبائل الأوكا ، أكثر قبائل الأكوادور توحشاً ، قد قتلوا بالسهم القسيس الطيار « نيت سينت » وأربعة من زملائه هم : جم اليوت وروجر يودريان وادمومكولى وبيتر فلمنج وعندما بلغ الخبر السلطات الأكوادورية فقتلوا عن الجثث لدفنها ، فوجدوا الطائرة ممزقة إلى قطع صغيرة .

إن الطيار هو أخى ، وكان مع زملائه يريدون توصيل أخبار المسيح المفرحة إلى قبائل الأوكا التى تعيش فى العصر الحجري على ضفاف نهر الأمزون فى أكوادور بأمريكا الجنوبية .

ولقد ذهب رجال آخرون ليحملوا الخبر المفرح إليهم . وقد آمن بالمسيح القتلة الخمسة الذين قتلوا المبشرين الأولين الخمسة ! . . ومن المدهش أن

هؤلاء الخمسة كانوا أول من آمن من القبيلة . وقد تمت خدمة العماد بعد نحو سنتين من وصولنا ، وتعمد منهم أربعة ، أما الخامس فقد تعمد مع الفريق الثاني وقد قام أخى القس فيليب بمراسيم المعمودية . . وتعمدت أيضاً زوجات القتلة الخمسة ! . بعد أن فتحت قلوبهن للرب يسوع المسيح « (٧٢) » كاتبة هذه القصة هي راحيل سينت .

٥٦ - القس جون جن كيم :

كان اختبار القس كيم مع الشيوعيين في كوريا مأساوياً ، فعندما قامت المظاهرات في الجامعات الكورية سنة ١٩٥٠ استولى الشيوعيون على الجامعات كلها ، ما عدا جامعة واحدة مسيحية . وكان أكثر من ٧٠- من الطلبة في جانب الشيوعية ، وقد أنفق الروس على عدد كبير منهم لتعليمهم ، فتخرجوا قادة عاملين في الحرب الكورية .

وقال القس كيم : « استيقظت ذات ليلة على جماعة من الناس ينادون اسمي ، أخذوني وعائلتي إلى حيث كان نحو ٦٠ شخصاً بما فيهم العجائز والسيدات والأطفال ، يقتلون . وقد قتلوا زوجتي وأبى أمام عيني . وضربوني حتى ظنوا أنى مت » .

ولكن القس كيم لم يكن قد مات ، وأفاق ليطلب من الله أن يساعده ليحب أعداءه . وقد قاد ثلاثين شيوخاً للمسيح ، كان أحدهم القائد المسئول عن قتل عائلته . ويقول القس كيم إن يسوع هو الجواب على إدعاءات الشيوعية ، وعلى مشاكل الحياة الأخرى « (٧٣) » .

مراجع الجزء الثالث

(فصلی ۱۱ ، ۱۲)

1. *Encyclopaedia Britannica*, 1970.
2. Merrill F. Unger, *UNGER'S Bible Dictionary*, Moody Press.
3. J. D. Douglas (ed.) *New Bible Dictionary*, Eerdmans.
4. Joseph P. Free, *Archeology and Bible History*, Scripture Press Publications.
5. E. J. Young, *Introduction to the old Testament*, Eerdmans.
6. Peter W. Stoner, *Science Speaks : An Evaluation of Certain Christian Evidences*, Moody Press.
7. Henry Morris, *The Bible and Modern Science*, Moody Press.
8. Philip Van Ness Myers, *General History For Colleges and High Schools*, Ginn and Company.
9. Nasiri-Khurren, *Diary of A Journey Through Syria and Palestine In 1047 A.D.*, London, n. p., 1893.
10. Joseph F. Michaud, *History of the Crucades*. 2 Vols. George Barrie.
11. Nina Jidejian, *Tyre Through the Ages*, Dar El-Mashreq Publishers.
12. George T.B. Davis, *Fulfilled Prophecies that Prove the Bible*, The Million Testaments Campaign.
13. John Urquhart, *The Wonders of Prophecy*, C.C. Cook, n.d.
14. George T.B. Davis, *Bible Prophecies Fulfilled Today*, Million Testaments Campaign, Inc.
15. Floyd E. Hamilton, *The Basis of Christian Faith*, George Doran Company.
16. Howarrd F. Vos, *Fulfilled Prophecy in Isaiah, Jeremiah and Ezekiel*, Unpublshed Doctoral Dissertation, Dallas Theo. Seminary, 1950.

17. George Smith, *The Book of Prophecy*, Marshall, Morgan and Scott.
18. Alexander Keith, *Evidences of Truth of the Christian Religion*, T.O. Nelson and Sons.
19. M.E.L. Mallowan, *Numrud and its Remains*, Collins.
20. Austen H. Layard, *Discoveries Among the Ruins of Ninevah and Babylon*, Harper and Brothers.
21. Gerald A. Larue, *Babylon and the Bible*, Baker Book House.
22. Edward Chiera, *They Wrote on Clay : The Babylonian Tablets Speak Today*, University of Chicago Press.
23. Samuel L. Clemens (Mark Twain), *Innocents Abroad or the new Pilgrim's Progress*, Harper and Brothers.
24. Bernard Ramm, *Protestant Christian Evidences*, Moody Press.
25. Kenneth Latourette, *Anno Domini*, Harper and Brothers.
26. Paul E. Little, *Know why you Believe*, Scripture Press Publications.
27. E. Y. Mullins, *Why is Christianity True ?*, Christian Culture Press.
28. "The Roots of Religion" *Pastoral Psychology*, Vol. V, No. 43, April 1954.
29. James Adair and Ted Miller (eds.) *We Found our way out*, Baker Book House.
30. "A Scientific Approach" *Decision*, November 1966.
31. "On Patrol For God" (Tract) Oradell, American Tract Society.
32. Arthur Blessitt, *Turned on to Jesus*, Hawthorne Books, Inc.
33. Clyde H. Dennis, *These Live on*, Good News Publishers.
34. "Journey's End" (Tract), Oradell, American Tract Society.
35. El Stanley Jones, *Conversion*, Abingdon Press.

36. "Football Was The Name of the Game" (Tract), Oradell, A.T.S.
37. "My Most Important Decision" (Tract) A.T.S.
38. Stan Smith, «The Way of Playing» Guideposts, 1972.
39. "World Record Holder" (Tract) Oradell, A.T.S.
40. «Bobby Richardson Day" (Tract) Oradell, A.T.S.
41. Vonda Kay Van Dyke, *Collegiate Challenge*, Vol. 4, No. 1.
42. Ginny Wells. "More Worth Than A Billion" *Moody Monthly*, June 1972.
43. Charles Schulz, *Collegiate Challenge*, Vol. 4, No. 3.
44. Eugenia Price, «Personally Involved and Transformed". *Collegiate Challenge* Vol. 1, No. 4.
45. Elmer E. W. Engstrom. "Christ and the Century of Change". *Collegiate Challenge*, Vol. 5, No. 2.
46. David R. Enlow, *Men Made New*, Zondervan.
47. Murray G. Faris, "Disease Free" *Contact*, Christian Business Men's Committee.
48. Mark O. Hatfield, "Excellence : The Christian Standard" *Collegiate Challenge* Vol. 4, No. 3.
49. Charles Malik, "Hope for a World in Crisis" *Collegiate Challenge* Vol. 7, No. 2.
50. Charles H. Penn "A Blighted Life Can be Changed" *Contact CONTACT*.
51. Bill Bright, "Jesus and the Intellectual", Campus Crusade for Christ International.
52. James C. Hefley, *Living Miracles*, Zondervan.
53. Nicky Cruz. *Run Baby Run*, Logos Books.
54. James Adair, *Saints Alive*, Van Kampen Press.
55. "She Was An Atheist Until She Met a God of Love" Pray, World Literature Crusade, February 1969.

56. «Japanese Feudal Lord the Answer», *Collegiate Challenge*, Vol. 1, No. 8.
57. "3 Steps From Darkness" (Tract) South American Mission,
58. "How June Poitras Found God" *Indian Life* Vol. 6, No. 2
59. Jan Chelcicky, "My Last Days as a Communist" *Guideposts*, 1971.
60. "What is Happiness for a Vietnamese Tribesman ?" Wycliffe Bible Translators.
61. *Collegiate Challenge International Issue*, Vol. 11, No. 2.
62. "But You Don't Like Too Jewish" (Pamphlet) The Messianic Jewish Movement.
63. S. Estborn, *Gripped By Christ*. Lutterworth Press.
64. Sadhu Sundar Singh. *With and Without Christ*, Harper and Row.
65. Earle Albert Rowell, *Prophecy Speaks*, Review and Herald.
66. Frank Morrison, *Who Moved the Stone ?*, Faber and Faber.
67. "Moody Alumni Martyrs" Chicago : Moody Bible Institute,
68. C. S. Lewis, L. *Mere Christianity*, Macmillan.
69. Walter C. Erdman *More Sources of Power in Famous Lives*, Cokesbury Press.
70. *Family Treasury of Great Biographies*, Reader's Digest Association, 1970.
71. Richard Wurmbrand, *Torture for Christ*, Diane Books.
72. Rachel Saint, "Ten Years After the Massacre" *Decision*, January, 1966.
73. John Gon Kim, Campus Crusade for Christ International,
74. Robert O. Ferme, *The Psychology of Christian Conversion*, Fleming Revell.

الملاحق

- ملحق ١ - وجدت إشباعاً لعقلي - بقلم جوش مكدول .
- » ٢ - سلسلة أنساب المسيح .
- » ٣ - المبادئ الروحية الأربعة .
- » ٤ - عقيدة الثالوث في المسيحية - بقلم القس منيس عبد النور :

ملحق (١)

وجدت اشباعاً لعقلي

بتسلم جوش مكدول

منذ بضع سنوات كان يصدق على وصف توما الأكويني عندما قال
إن في داخل كل نفس عطشا للسعادة لا يهدأ ، فقد كنت أطلب السعادة .
ومن لا يريد لها ؟

كنت أكره الوحدة ، وأسأل نفسي : من أنا ؟ ولو أن أحداً أعطاني
مخدراً وقتها لتعاطيته ، فقد كنت يائساً أفتش عن علاج للفشل والفراغ .

وفكرت أولاً في الدين ، فذهبت إلى الكنيسة ، ولكنني لم أجِد فيها
تغييراً لحياتي . ولما كنت إنساناً واقعياً ، أرفض ما لا يفيد ، لذلك رفضت
الدين .

ثم فكرت أن العلم ربما يساعدني ، فذهبت إلى الجامعة وحدثت التلاميذ
عن المشاكل ، ولسكننا لم نجد الحلول . ومع أن أساتذتي قالوا لي كيف
أكسب لقمة العيش ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقولوا لي كيف أعيش عيشة
أفضل !

وظننت أن السعادة ربما تكون في المكانة ، فرشحت نفسي رئيساً
لفصلي ونجحت بشيء من الغش . وفرحت وأنا أناقش مشاكل الجامعة والزملاء
وأصدر فيها القرارات ولكن الفرحة خمدت لأن التلاميذ كانوا يجيئون إلى
بمشاكلهم ، فكنت أقول لهم : « آسف . لا أقدر أن أساعدكم فإن لدى
مشاكلي ! » .

ولكنى لاحظت أن لدى بعض الأساتذة والتلاميذ بعداً آخر لحياتهم ،
وظهر أنهم يعيشون « فوق » ظروفهم وليس تحت أكوامها ! أما أنا فقد
كانت سعادتي تتوقف على ظروفى . عندما تكون ظروفى طيبة فأنى أحس
بالسعادة ، وعندما تعاكسنى الظروف كنت أحزن . وعندما تبادلنى صديقى
الصداقة كنت أحلق فوق السحاب ، عندما ترفض صداقتى ، أنهار !

وذات يوم سألتهم ببساطة : « ماذا غير حياتكم ؟ » ونظرت إحدى
الزميلات إلى وقالت كلمتين : « يسوع المسيح » .

وقلت لها : « لا داعى لهذا الكلام الفارغ ، فقد يثت من الدين
والكنائس . لا تحدثينى عن الدين » فأجابت : « لم أحدثك عن الدين ولا عن
الكنيسة . لقد حدثتك عن شخص هو يسوع المسيح . فاعتذرت لها . وقالت
الزميلة إن المسيحية ليست ديانة بل صلة وعلاقة . وقد لمست هذه الفكرة
نفسى لأنى كنت أعتر بصلاتى وعلاقائى بالناس .

هل تعلم ماذا جرى بعد ذلك ؟ لقد دعونى لأفحص قول المسيح أنه
ابن الله فحصاً عقائدياً ! فقلت فى نفسى إن هذه مسرحية هزلية . يبدو أن
للمسيحيين عقليين : عقل ضاع ، وعقل آخر يفتش عليه ! ولكن دعوتهم
لى تكررت ، فقررت أن أفحص الأمر .

وقد اكتشفت حقائق وبراهين تثبت أن يسوع المسيح شخص تاريخى ،
ولم أكن أظن أنها موجودة . وكنت ألتقى بعض الدراسات مع أساتذة
لا يؤمنون بالمسيح ولا المسيحية ، وبحسبونهما خرافة . ولم أكن أحب أن
يقولوا عنى أنى مسيحى . لكن بعد وقت من البحث وجدت أننى أرفض
المسيح على أساس تحيز أساتذتى أو جهلهم !

ووجدت نفسي في صراع عقلي عنيف ، فكطالب قانون آمنت أن الله جاء إلى عالمنا في يسوع المسيح الذي مات مصلوباً من أجل خطايانا ، وأنه قام ، وأنه حي اليوم . ولكن إرادتي كانت ترفض ما صدق به عقلي . وقد زاد صراعي العقلي عندما رأيت المسيحيين السعداء . هل شعرت يوماً بالنعاسة وسط قوم سعداء ؟ لقد كنت في غاية الضيق ، فقررت أن آخذ قراراً فاصلاً أستطيع بعده أن أريح عقلي ، قبل أن أجن وأستريح من عقلي !

وكان قدامي قراران : أن أقبل المسيح مخلصاً لحياتي ، أو أن أرفضه . وإني لسعيد لأن عقلي استطاع أن يقدر الموقف ، ففي التاسعة عشرة من عمري لم أكن سعيداً ولا مكتفياً بحياتي . . . وها أنا أرى من يقول إنه سعيد لأنه وجد إجابة لمشاكله في المسيح . وقلت : إني أكون أحمقاً لو لم أجرب الله ، فإنه لو كنت أنا الشخص الوحيد في العالم لمات المسيح من أجل .

وفي الثامنة والنصف من مساء ليلة من ديسمبر صرت مسيحياً . وأني أعرف صدق هذا ، فقد كنت واعياً تماماً .

أردت أن أتأكد أولاً أن زملائي لا يلاحظوني . كانت المرات الوحيدة التي رآني فيها الزملاء راكعاً هي عندما كنت أضبط قناة التلفزيون ، أما في هذه المرة فقد ركعت وصليت : « شكراً لك يارب لأنك مت على الصليب لأجلي » . ثم قلت له إني خاطيء ، وقد كان هذا إذلالاً لنفسى لم أعود عليه . كنت أظن الخطية هي الكذب والسرقة والنجاسة ، ولكن الخطية أساساً هي اللامبالاة من نحو الله . فرجوته أن يغفر لي .

ثم قلت له : « أرجوك يا يسوع أن تأتي لحياتي وتخلصني . استبدل إرادتي بإرادتك » . ثم شكرته لأنه جاء لحياتي .

ولم يحدث شيء . لم يحدث نور في السماء ، ولم أجد لأشترى كمان الأغني فرحاً . . ولكن ما بين ستة أشهر وستة تغيرت حياتي تغيراً كلياً . غير أنني لاحظت التغير بعد ستة أو ثمانية أيام ، فقد كان عقلي لا يهدأ ، وكنت أحب أن أكون في مكان ما أو مع شخص ما ، ولم أكن أقدر أن أكون وحدي مع أفكاري ، فقد كان عقلي كمتاهة . ولكن عندما سلمت نفسي للمسيح جاء السلام والهدوء العقلي . ليس أنه لم يكن عندي صراع ، لكنني كنت قادراً على مواجهة الصراع ، وفي سلام . ومن الصعب أن أصف لك هذا ، فإن عليك أن تجربته لنفسك .

وكنت حاد الطبع ، الأمر الذي كان يوقعني في مشاكل . ولكن بعد أن صرت مسيحياً كنت أتحكم في نفسي قبل أن أفقد زمامها ، ولاحظ أصحابي ذلك ، ولكن أعدائي لاحظوه أسرع منهم !

وكان في قلبي كراهية من نحو البعض ، ليس في الظاهر ، لكن معظمه في داخلي . كنت أحتقر الملونين والذين من أجناس أخرى . لماذا ؟ لأنني رأيت في المختلفين عنى تهديداً لي ، ولم أكن مطمئناً . وكان والدي بؤرة كراهيتي ، فقد كان في نظري أكبر سكير في المدينة ، وكان زملائي في المدرسة يسخرون مني بسببه . وكنت أضحك ، لكن قلبي كان يتمزق داخلي . وعندما كان أصحابي يزورونني كنت أحاول أن « أزوجه » خارج البيت . بل حاولت أن أقتله عدة مرات بوضع السم له في زجاجة الخمر .

ولكن عندما صرت مسيحياً أخذت محبة الله الكراهية مني وأعطتني المحبة ، محبة قوية جعلتني أنظر لأبي وأقول له : « إني أحبك ! » . وقد هزه هذا القول هزاً شديداً .

وبعد ستة شهور أصبت في حادثة سيارة . وجاء والدى ليزورنى في المستشفى وسألنى : « كيف تقدر أن تحب أبامثلنى ؟ » فقلت : « منذ ستة شهور لم أكن أجد فى نفسى القدرة على ذلك . لكن فى المسيح أستطيع أن أحبك ، وأحب الآخرين أيضاً » . وشرحت له كيف غير فى المسيح داخلاً وخارجاً وبعد ٤٥ دقيقة جثا على ركبتيه وسلم حياته للمسيح . وكان كأن يداً من العلاء امتدت لتضئ حياته . ولم يقرب الخمر من وقتها . وبعد ذلك بثلاثة عشر شهراً مات ، ولكن فى خلال هذه الشهور الثلاثة عشر سلم كثيرون من الناس فى بلدنا وفى مجاوراتها حياتهم للمسيح بسبب التغير الذى رأوه فى حياة أبى .

لهذا السبب أعتقد أن يسوع المسيح هو أعظم من أحدث ثورة فى العالم ولهذا السبب أيضاً أعتقد أن أعظم استثمار لحياتى هو أن أشارك أكبر عدد من الناس فى إيمانى .

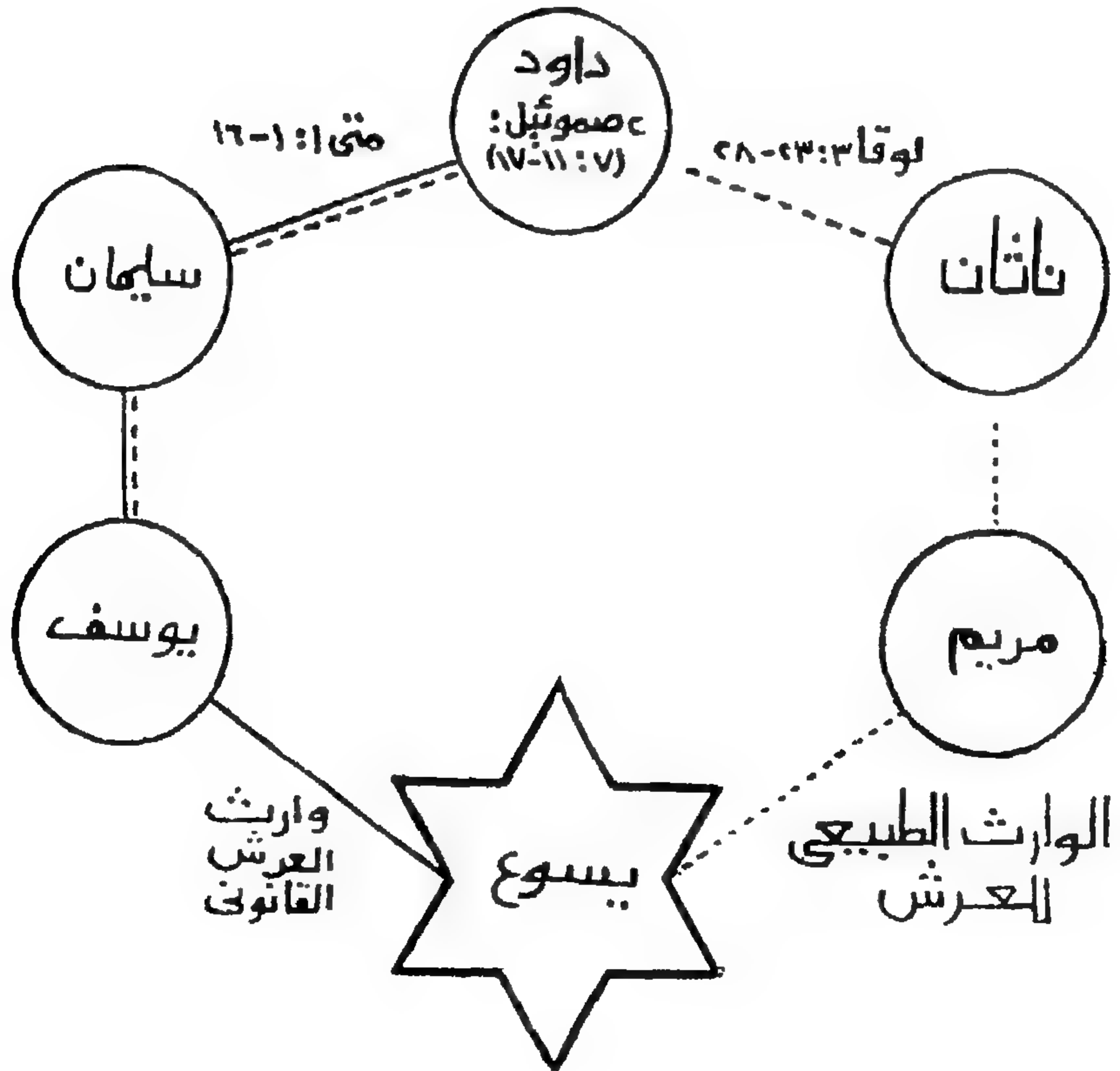
لقد كنت دائماً الجولان بسبب التوتر والقلق ، وأنا الآن دائم التنقل أنشر بشرى السلام . لقد وجدت فى المسيح اشباعاً لعقلى !

ملحق (٢)

سلسلة أنساب المسيح

يورد انجيلا متى ولوقا سلسلة نسب المسيح ، ويبدو من القراءة السطحية أن السلسلتين متناقضتان ، ولكن نظرة قريبة تلقى الضوء على الموضوع . .

في سلسلة متى يبدأ من ابراهيم إلى يوسف ، ثم في متى ١ : ١٦ يقول : « ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح » .
ولاحظ أن يوسف هذا من أحفاد الملك داود . وقد انتقل لقب الملك إلى



المواليد من الرجال (أنظر ١ صموئيل ١٠، ٢ صموئيل ٢ : ٤ ، ١ ملوك ٢ : ٤) . وعلى هذا فقد كان ليوسف الحق في عرش داود ، كما كان لأولاده الحق ذاته . ولاحظ أن يوسف مرتبط بمريم ، باعتبار أنه « رجل مريم » ، وهذا يربط الطفل المولود به . وعلى هذا فإن يسوع صاحب حق في عرش داود عن طريق يوسف .

أما سلسلة لوقا فتعود إلى داود وآدم والله . ويقول في لوقا ٣ : ٢٣ « لما ابتداءً كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي » . ولكن متى يقول إن يوسف هو ابن يعقوب . فالأرجح أن يوسف كان نسيب هالي (خطيب ابنته) . ونظن هذا لأن لوقا ١ ، ٢ يركزان على مريم ، فكان لابد أن يستمر التركيز في لوقا ٣ على مريم أيضاً ، وعلى هذا فإن لوقا يتابع نسب المسيح إلى مريم إلى داود إلى آدم . وهذا يظهر أن المسيح هو الوارث الطبيعي للعرش عن طريق مريم ومنها داود .

ملحق (٣)

المبادئ الروحية الأربعة

هل سمعت بالمبادئ الروحية الأربعة ؟

كما توجد قوانين طبيعية تحكم العالم الطبيعي ، كذلك توجد مبادئ روحية تحكم علاقتك بالله :

المبدأ الأول :

الله يحبك وعنده خطة رائعة لحياتك

محبة الله :

« لأنه هكذا أحب الله حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) .

خطة الله :

قال المسيح : « أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » (يوحنا ١٠ : ١٠) (أى حياة ممتلئة ولها هدف) . ولكن لماذا لا يختبر معظم الناس هذه الحياة الفضلى ؟ .

لأن :

المبدأ الثانى :

الإنسان خاطيء ومنفصل عن الله ، لذلك لا يستطيع أن يعرف محبة الله .
ونخطئه لأجل حياته أو نختبرهما .

الإنسان خاطيء :

« إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رومية ٣ : ٢٣)

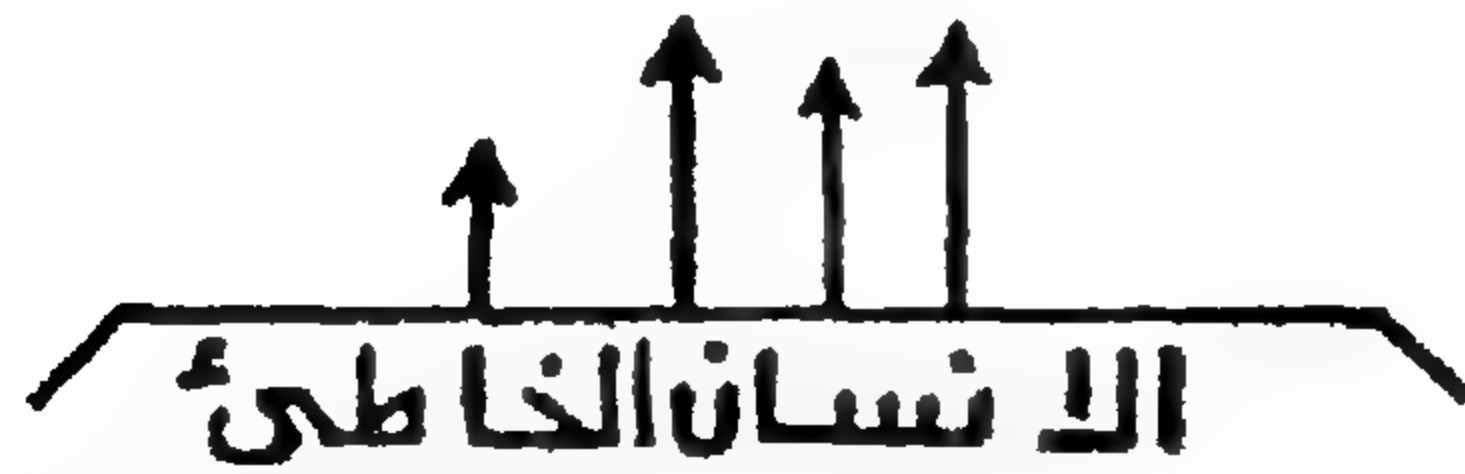
خلق الله الإنسان لتكون له شركة معه ، ولكنه بسبب إرادته العنيدة ،
اختار أن يسلك طريقاً منفصلاً ، فانقطعت الشركة بينه وبين الله . هذه
الإرادة العنيدة تظهر إيجابياً في شكل التمرد ، كما تظهر سلبياً في شكل
اللامبالاة . وهذا برهان على وجود ما يسميه الكتاب المقدس « خطية » .

الإنسان منفصل عن الله :

« لأن أجرة الخطية هي موت » (رومية ٦ : ٢٣) (أى انفصال الإنسان
روحياً عن حياة الله) .

الله قدوس والإنسان خاطيء ، وهناك هوة عظيمة تفصل بين الاثنين .
ويحاول الإنسان باستمرار أن يصل إلى الله وإلى الحياة الفضلى بمجهوده الشخصية
مثل الحياة الصالحة والأخلاقيات ، وحب الحكمة .

الله قدوس



المبدأ الثالث أو الحقيقة الثالثة تقدم
لنا حل هذه المعضلة

الحقيقة الثالثة تقدم لنا

حل هذه المعضلة . . .

المبدأ الثالث :

يسوع المسيح هو تدبير الله الوحيد لعلاج خطية الإنسان . وبواسطته .
تستطيع أن تعرف محبة الله وخطته لحياتك وتختبرهما .

المسيح مات بدلاً عنا :

« الله بين محبته لنا ، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » (رومية
٥ : ٨) .

المسيح قام من الموت :

« أراهم نفسه حياً يراهم كثيرة بعد ما تألم ، وهو يظهر لهم أربعين
يوماً ، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » (أعمال ١ : ٣) . المسيح
مات من أجل خطايانا . . . وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب
وأنه ظهر لصفاً ثم للاثني عشر . وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من
من خمسمائة أخ . . . (١ كو ١٥ : ٣-٦) .

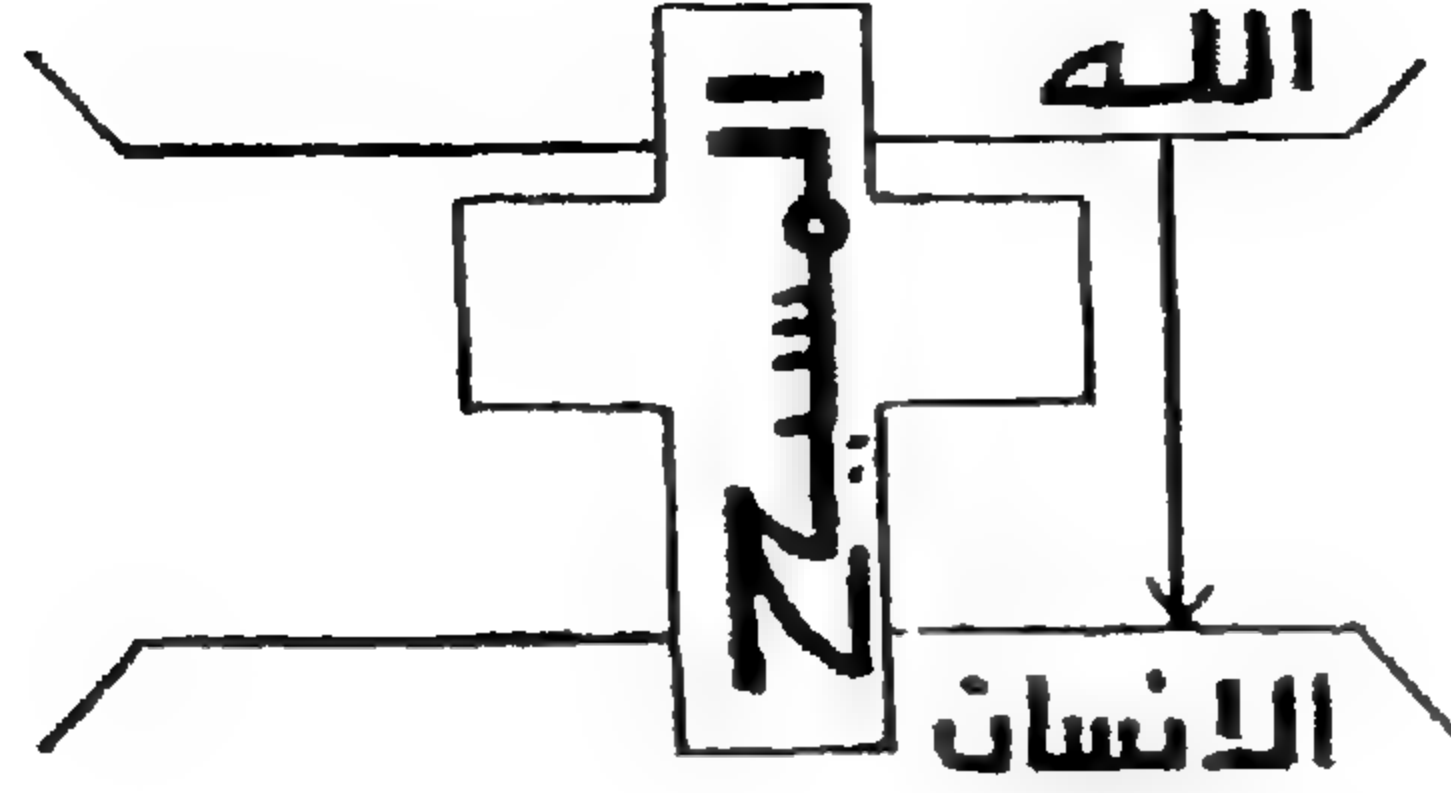
المسيح هو الطريق الوحيد :

قال يسوع : « أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي إلى الآب
إلا بي » (يوحنا ١٤ : ٦) .

لقد صنع الله جسراً يعبر الهوة التي تفصلنا عنه بأن أرسل ابنه يسوع
المسيح لموت على الصليب بدلاً منا .

لكن لا يكفي أن تعرف هذه المبادئ .

الثلاثة فقط :



المبدأ الرابع :

ينبغي على كل فرد منا أن يقبل يسوع المسيح رباً ومخلصاً ، عندئذ يمكنه أن يعرف محبة الله وخطته لحياته ويختبرهما .

ينبغي أن نقبل المسيح :

« أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، المؤمنون باسمه » (يوحنا ١ : ١٢) .

نقبل المسيح بالإيمان :

« بالنعمة أنتم مخلصون ، بالإيمان ، وذلك ليس منكم ! هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (أفسس ٢ : ٨ و ٩) .

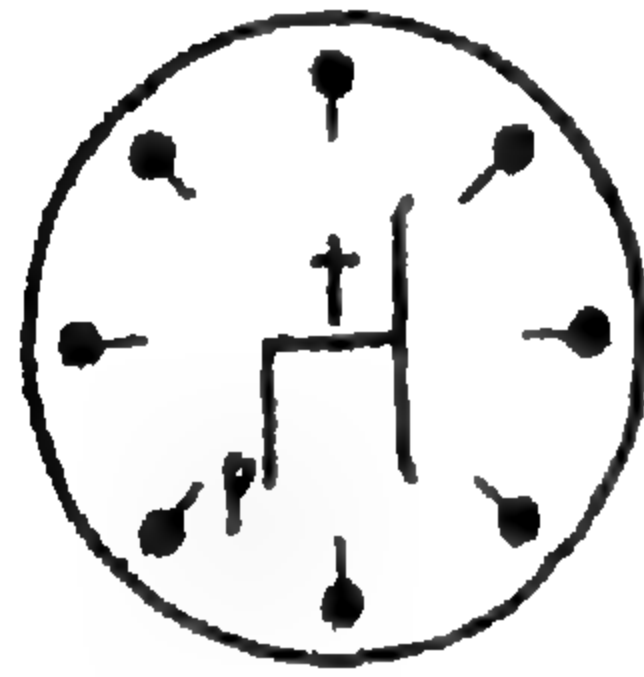
نقبل المسيح بدعوة شخصية :

يقول المسيح : « هنذا واقف على الباب وأقرع . ان سمع أحد صوتي وفتح الباب ، أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي » (رؤيا ٣ : ٢٠) .

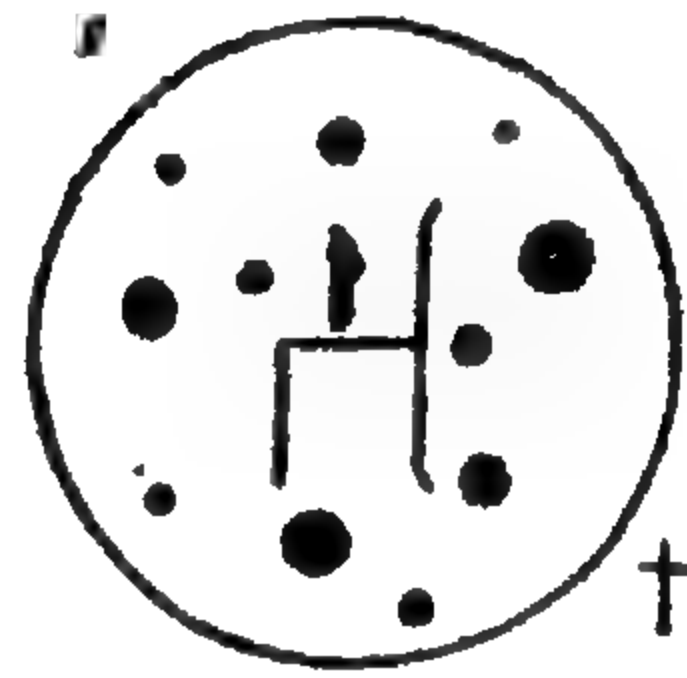
وقبولنا للمسيح يعنى أن نتحول من الذات إلى الله ، ونثق أن المسيح
يدخل حياتنا ليغفر ذنوبنا وليصيرنا حسب رغبته . ان اقتناعنا العقلى بطلباته
منا أو تأثرنا بكلامه تأثراً عاطفياً لا يكفيان .

هاتان الدائرتان تمثلان نوعين من الحياة .

حياة يمتلكها المسيح



حياة تمتلكها الذات



أى الدائرتين تمثل حياتك ؟

أى الدائرتين تحب أن تكون نموذجاً لحياتك ؟

نشرح لك فى ما يلى كيف تقبل المسيح . .

تستطيع أن تقبل المسيح الآن إذا صليت : (والصلاة هى الحديث
مع الله) .

الله يعرف قلبك ، وهو لا يهتم بكلماتك قدر اهتمامه باخلاص قلبك .
ونقدم لك هنا صلاة يمكن أن تصلحها :

« ربى يسوع ، أنا محتاج إليك . انى أفتح باب حياتى وأقبلك مخلصاً
لى وسيداً .

أشكرك على مغفرة خطاياى . امتلك عرش حياتى ، وأجعلنى كما تريدنى
أن أكون » .

هل تعبر هذه الصلاة عن رغبة قلبك ؟

إن كانت كذلك فصل الآن ، وعندئذ سيدخل المسيح حياتك ، كما وعد .

كيف تعرف أن المسيح دخل حياتك :

هل قبلت المسيح في حياتك ؟ حسب وعده في رؤيا ٣ : ٢٠ أين هو الآن بالنسبة لحياتك ؟ لقد وعد أن يدخل حياتك ، وهو لا يخدعك ؟ انك تقدر أن تتأكد أنه استجاب صلاتك اعتماداً على أمانته وصدق كلامه .

الكتاب المقدس يعد كل من يقبل المسيح بالحياة الأبدية :

« وهذه هي الشهادة : أن الله أعطانا حياة أبدية ، وهذه الحياة هي في ابنه . من له الابن فله الحياة ، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة . كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية ، ولكي تؤمنوا باسم ابن الله » (١ يوحنا ٥ : ١١ - ١٣) .

أشكر الله دائماً لأن المسيح في حياتك ، أنه لن يتركك (كما وعد في عبرانيين ١٤٣ : ٥) .

يمكنك أن تتأكد أن المسيح الحي يسكن حياتك ، وأن لك حياة أبدية ، من اللحظة التي تدعوه فيها للدخول ، على أساس وعده . فهو لن يخدعك .

لكن ما هي حكاية الشعور ؟

لا نعتمد على الشعور :

الكلمة الفصل هي لوعده الله في الكتاب المقدس ، وليس لشعورك ،
فالمسيحي يحيا بالثقة في أمانة الله وصدق كلمته . وهذا القطار المرسوم يوضح
العلاقة بين الحقيقة (الله وكلامه) والإيمان (الثقة في الله وكلمته) والشعور
(كنتيجة للإيمان والطاعة) (يوحنا ١٤ : ٢١)



يستطيع هذا القطار أن يسير بدون العربة الأخيرة . ومن المستحيل أن
تجر العربة الأخيرة القطار ! وقياساً على ذلك فإننا كمسيحيين لا نعتمد على
شعورنا وعاطفتنا ، بل نضع ثقتنا في أمانة الله ومواعيد كلمته .
والآن وقد قبلت المسيح :

في اللحظة التي قبلت فيها المسيح ، بالإيمان ، حدثت معك أمور كثيرة ،
منها :

- ١ - جاء المسيح إلى حياتك (رؤيا ٣ : ٢٠ ، وكولوسي ١ : ٢٧) .
- ٢ - غفرت لك خطاياك (كولوسي ١ : ١٤) .
- ٣ - صرت ابناً لله (يوحنا ١ : ١٢) .
- ٤ - بدأت المغامرة العظمى التي لأجلها خلقك الله (يوحنا ١٠ : ١٠ ،
٢ كورنثوس ٥ : ١٧ ، ١ تسالونيكي ٥ : ١٨) .

هل يخطر ببالك شيء أكثر روعة من هذا لقبولك للمسيح ؟ لماذا لا تصلي
الآن فوراً صلاة شكر على ما فعله معك ؟ ان شكرك لله في حبه ذاته يبين
إيمانك .

والآن ماذا بعد هذا ؟

اقتراحات للنمو المسيحي :

يحدث النمو الروحي نتيجة لثقتك في يسوع المسيح ، فإن « البار بالإيمان يحيا » (غلاطية ٣ : ١١) . وستمكنك حياة الإيمان من الثقة بالله التي تترابط حتى تشمل كل دقائق حياتك ، فتختبر الآتي :

- ١ — تتوجه إلى الله يومياً في الصلاة (يوحنا ١٥ : ٧) .
- ٢ — تقرأ كلمته يومياً (أعمال ١٧ : ٢٢) (أبدأ بإنجيل يوحنا) .
- ٣ — تطيع الله طاعة مستمرة (يوحنا ١٤ : ٢١) .
- ٤ — تشهد للمسيح بحياتك وكلماتك (متى ٤ : ١٩ ، يوحنا ١٥ : ٨) .
- ٥ — تعتمد على كلمة الله في كل تفاصيل حياتك (١ بطرس ٥ : ٧) .
- ٦ — تسمح للروح القدس أن يسيطر على حياتك ، فيقويك في السلوك والشهادة (غلاطية ٥ : ١٦ و ١٧ ، أعمال ١ : ٨) .

أهمية الشركة المسيحية :

في العبرانيين ١٠ : ٢٥ نجد التحريض على أن نكون « غير تاركين اجتماعنا . . بل واعطين بعضنا بعضاً » . أن الجمرات المتوقدة تشتعل معاً ، لكن لو انفصلت إحداها لحمد اشتعالها . هكذا الحال في علاقتك بالمؤمنين . إن لم تكن منضمّاً إلى كنيسة فلا تنتظر حتى يدعوك أحد لذلك . خذ أنت المبادرة وادع راعي الكنيسة ليزورك . ابدأ هذا الأسبوع ، ورتب نفسك على هذا الانتظام في الحضور .

ملحق (٤)

عقيدة الثالوث في المسيحية

يقول قانون الإيمان : « نؤمن بإله واحد ، الأب والابن والروح القدس ، إله واحد ، جوهر واحد ، متساوين في القدرة والمجد » .

تفرد المسيحية عن غيرها من الديانات والفلسفات بعقيدتها في الإله الواحد المثلث الأقانيم . لقد آمن المصريون القدماء بثالوث مقدس يتمثل في أوزوريس وايزيس وحورس ، لكن هؤلاء الثلاثة لم يكونوا واحداً ، بل ثلاثة آلهة تمثل العائلة البشرية : (الأب والأم والابن) . وآمن الهنود بالآلهة براهما وفشنو وشيفا ، لكن هذه الثلاثة كانت التطورات المتلاحقة في الكون من ناحية الوجود والاستمرار والفناء ، وكان كل واحد من هذه الآلهة الثلاثة يمثل مظهراً منفرداً من هذه المظاهر . غير أن تفرد المسيحية في هذه العقيدة ، واضح من الإيمان بإله واحد الجوهر ذي ثلاثة أقانيم من غير انقسام أو مزج أو تركيب .

ونستطيع أن نقول إن ما قالته الديانات السابقة للمسيحية عن التثليث هي إشارات مبدئية ، وارهاسات فكرية ، تشير إلى الحق الكامل عن الله . وهو ما أعلنته المسيحية بكامل نوره .

وقد لخص علماء الدين المسيحيون عقيدة الثالوث في ست نقاط :

- ١ — يقدم لنا الكتاب المقدس ثلاثة أقانيم (شخصيات) يعتبرهم شخص الله .
- ٢ — هذا التثليث لا يعنى وجود ثلاثة آلهة ، بل جوهر واحد .
- ٣ — هؤلاء الثلاثة يتميز كل واحد منهم عن الآخر .
- ٤ — هذا التثليث أبدي حقيقي وليس ظاهرياً ولا مؤقتاً .

٥ - الأقانيم (الشخصيات) الثلاثة : الآب والابن والروح القدس ،
متساوون .

٦ - هذه العقيدة هي مفتاح فهم باقى العقائد المسيحية .

ولم ترد كلمة « ثالوث » أو « تثليث » فى الكتاب المقدس ، لكن
كان أول من صاغها واستعملها هو القديس ترتليان فى القرن الميلادى الثانى ،
وبرهنا القديس أثناسيوس فى مجمع نيقية فى القرن الرابع ، ثم بلورها القديس
أغسطينوس فى القرن الخامس . وأصبح قانون الإيمان الذى يعلنها هو عقيدة
الكنيسة الفعلية إلى يومنا هذا .

تاريخ عقيدة الثالوث فى المسيحية

رفضت مجامع الكنيسة عقيدتين خاطئتين فى الثالوث ، أولاهما عقيدة
سباليوس الذى قال إن الآب والابن والروح القدس هم ثلاثة مظاهر للاله
الواحد ، ظهر تجلى كل منهم فى عصر محدد ، فهناك عصر الآب ، وهو قبل
تجسد المسيح ، وعصر الابن أو عصر وجود المسيح على الأرض ، وعصر
الروح القدس الذى بدأ من يوم الخمسين بعد قيامة المسيح ويستمر إلى يومنا
هذا . وقد رفضت الكنيسة عقيدة سباليوس لأنه لم يكن هناك وقت لم
يوجد فيه كل الأقانيم الثلاثة معاً ، فهم موجودون معاً منذ الأزل .

والعقيدة الثانية المرفوضة هى عقيدة أريوس الذى نادى بعدم مساواة
الابن والروح القدس للآب ، إذ أن الآب هو خالق الابن والروح القدس .
أما العقيدة التى قبلتها الكنيسة عن الثالوث فهى المعروفة بعقيدة أثناسيوس
والتي سجلت فى قانون الإيمان النيقاوى الذى أقر فى مجمع نيقية عام ٣٢٥ م
بعد أن دعا الامبراطور قسطنطين إلى اجتماعه ، وهى التى صدرنا بها حديثنا
هذا عن الثالوث .

البراهين الكتابية على عقيدة الثالوث

وقبل أن نسوق البراهين الكتابية على عقيدة الثالوث ، نود أن نقول إنه لا توجد حقيقة بسيطة ولا سهلة . إن الحجر يبدو قطعة واحدة ، لكن الواقع أنه مركب من عدد لا يحصى من الذرات ، وقد تبدو قطعة خشب أمامنا ساكنة ، بينما واقع الأمر أن بداخلها حركة دائبة لا تهدأ !

أما وقد رأينا هذا في العالم المادى ، فكيف يكون في العالم الروحى ؟ !

البرهان الأول والأوحد على عقيدة التثليث مأخوذ من إعلان الله في الكتاب المقدس . فقد ضمنها المسيح في تعاليمه (راجع يوحنا ١٤ : ٩-١١ ، ١٤ : ٢٦ ، ١٥ : ٢٦) . كما تمسكت بها الكنيسة عند المعمودية أعضائها الجدد باسم الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨ : ١٩) ، وقدمها الرسل في العهد الجديد (٢ كورنثوس ١٣ : ١٤ ، ١ بطرس ١ : ٢ ، ١٠ يوحنا ٥ : ٧) .

نرى الثالوث في إعلان ميلاد المسيح ، فالآب أرسل الروح القدس لمريم العذراء ليحل عليها فتلد المسيح (متى ١ : ١٨-٢٥) .

ولا يستطيع دارس للإنجيل أن ينسى منظر المعمودية المسيح ، وقد تحدث الآب من السماء ، بينما المسيح يتعمد في الماء ، والروح القدس يستقر على رأس المسيح في شكل حمامة (متى ٣ : ١٦ و ١٧ ، مرقس ١ : ١٠ و ١١ ، لوقا ٣ : ٢١ و ٢٢ ، يوحنا ٣ : ٣٢ و ٣٣) .

وهاك أهم ما ورد في الكتاب المقدس إثباتاً لعقيدة التثليث :

١ - جاء اسم الجلالة في التوراة « الوهيم » ، وهذه صيغة الجمع . وقد قال البعض إن هذا للتعظيم ، ولكن عادة حديث الفرد عن نفسه بالجمع

بقصد التعظيم لم تكن معروفة زمن كتابة التوراة . ولو كانت العادة موجودة للزم أن تجيء كل أسماء الله وصفاته والضمائر المتصلة به في صيغة الجمع أيضاً ، غير أننا لا نجد أثراً لهذا .

٢ — أوضحت التوراه والإنجيل أن وحدة الله شاملة جامعة ، فرغم القول : « الله واحد وليس آخر سواه » (مرقس ١٢ : ٣٢) نجد قول المزمير : « قال الرب لربي : أجلس عن يميني » (مزمور ١١٠ : ١ ، متى ٢٢ : ٤٤) وجاء في سفر الأمثال : « من صعد إلى السموات ونزل ؟ . . . ما اسمه وما اسم ابنه » (أمثال ٣٠ : ٤) . وقال الرسول بولس عن المسيح : « الذي إذ كان في صورة الله ، ولم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد » (فيلبي ٢ : ٦ ، ٧) .

٣ — أمر المسيح أن تجرى المعمودية التي تدل على إتمام المؤمن إليه بالقول : « وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) ولم يقل « وعمدوهم بأسماء الآب والابن والروح القدس » . كما أن الرسول بولس أعطى البركة الرسولية بالقول : « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٢ كورنثوس ١٣ : ١٤) .

١٤ — يتحدث الإنجيل عن الآب باعتبار أنه الله ، وعن الابن باعتبار أنه الله ، وعن الروح القدس باعتبار أنه الله أيضاً .

تأمل في هذه الآيات عن المسيح — « ويدعى اسمه عجيباً ، مشيراً ، إلهاً قديراً ، أباً أبدياً ، رئيس السلام » (أشعيا ٩ : ٦) . ويحدث النبي المدينة التي ولد المسيح فيها فيقول : « منك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ، ومخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزل » (ميخا ٥ : ٢) .

ويقول الكتاب إن المسيح هو الله الذى ظهر فى الجسد (١ تيموثاوس ٣ : ١٦) . كما يقول عنه : « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً ، (كولوسى ٢ : ٩) . وقد قبل المسيح عبادة توما عندما قال له : « ربى وإلهى » (يوحنا ٢٠ : ٢٨) .

ويطلق الكتاب المقدس على الروح القدس لقب الله (أعمال ٥ : ٣ ، ٤ ، عبرانيين ٣ : ٧ - ١٠) . والروح القدس يعلم كل شىء (١ كورنثوس ٢ : ١٠ ، يوحنا ١٦ : ١٣) وهو حاضر فى كل مكان (١ كورنثوس ١٢ : ١٣) .

هذا يعنى أن كلا من هذه الأقانيم الثلاثة هو الله . ولما كان الله واحداً ، فلا بد أن هؤلاء الثلاثة هم واحد ، فمنذ الأزل هم يتبادلون المحبة (يوحنا ١٧ : ٢٤) والتكريم (يوحنا ١٧ : ٥) والمشورة (تيطس ١ : ٢ ، أعمال ١٥ : ٧ ، رومية ١٦ : ٢٥) والمسرة (أفسس ١ : ٩) .

اعتراضات على عقيدة الثالوث

وقد جاءت اعتراضات مختلفة على هذه العقيدة ، أهمها :

١ - الاعتراض الأول هو أن التثليث ونسبة البنوة والأبوة إلى الله خطأ عظيم . لأن هذا يجعل الله مثل البشر فى التوالد ، كما أنه يقتضى التابع الزمنى ، وهذا معناه أن الله ليس أزلياً .

وللإجابة على هذا الاعتراض نقول إن صلة المسيح الابن بالله الآب ليست صلة توالد جسدى ، لكنها علاقة روحية بين كائنين ، تحتوى على المحبة والإكرام والمناجاة المتبادلة ووحدة الطبيعة والصفات والإرادة . ولقد استعمل الإنجيل كلمتى الأبوة والبنوة لشرح لنا العلاقة بين الله وبين كلمته الأزلية .

فإذا تأملنا البنية بمعناها الروحي لوجدنا أن الآب والابن متلازمان ،
أى متعاصران أزليان : متحدان بروحهما الذى هو الروح القدس . لا أثر
لعلاقة توالد جسدى ، ولا أثر لمحدودية الزمن فيها . وإن كان قد قيل :
« لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء » (الزمر ٤) فإن هذا
لا يعنى التوالد المادى بين الله وبين من يريد أن يتخذه ولداً .

٢ — الاعتراض الثانى هو أن التعدد يناقض الوحدة ، ولكن المسيحية
تنادى بإله واحد ، لا تعدد فيه ، فإن المسيحيين يؤمنون أن لا إله إلا الله ،
وأنه لا تركيب فيه على الإطلاق . فقد قال الرسول بولس : « لنا إله واحد »
(١ تيموثاوس ٢ : ٥) وقال الرسول يعقوب : « الله واحد » (يعقوب ٢ : ١٩)

أما أن الله لا تركيب فيه فهو واضح من قول المسيح : « الله روح »
(يوحنا ٤ : ٤) وقول الرسول بولس إنه « غير المنظور » (كولوسى
١ : ١٥) فالمركب محدود بحيز ، ومن الممكن أن يدرك ويرى ، أما الله
فهو غير ذلك .

ويوضح الإنجيل أن الله يتصف بصفات منها السمع والبصر والكلام
والإرادة والمحبة ، كما يوضح أنه ذات عاقلة لها علاقة مع غيرها من الكائنات
من بشر وملائكة . وواضح أن صفات الله هذه لم تكن ذات يوم عاطلة
عن العمل ثم صارت عاملة بعد خلق الملائكة والبشر ، بل كانت عاملة فيه
بدون وجود مؤثر من خارج ذاته تعالى . . لأنه لو كان الأمر غير ذلك
لكان الله قد تعرض للتغير ، إذ يكون قد صار عاملاً بعد أن كان غير عامل .
وهذا مستحيل !

ولما كانت ممارسة هذه الصفات لا تكون إلا بين كائنين عاقلين أو أكثر
تكون وحدانية الله ليست وحدانية بسيطة ، ولا وحدانية مطلقة ، بل وحدانية

من نوع آخر لا نظير لها في الوجود، لأن كل شيء في الوجود — حتى الذرة —
مكون من أجزاء !

وحدانية الله الى إذا شاملة جامعة لكل ما هو لازم لوجود صفات الله بالفعل
بصرف النظر عن وجود الكائنات أو عدم وجودها ، لأنه بذلك يكون
منذ الأزل الذي لا بدء له عالماً ومعلوماً ، وعاقلاً ومعقولاً ، ومريداً ومراداً ،
وناظراً ومنظوراً ، وسامعاً ومسموعاً ، ومحباً ومحبوباً . . الخ ، دون أن
يكون هناك تركيب في ذاته أو شريك معه ، فهو مستغن عن كل شيء
في الوجود .

وبما أن الله جوهر قائم بذاته ، وبما أن هذا الجوهر له تعين (أى وجود
واقعي يتميز بـمميزات) — إذاً يكون الله واحداً من جهة ، وجامعاً أو شاملاً
من جهة أخرى ، دون أن يكون هناك أى تعارض أو تناقض في ذاته . فهو
واحد من جهة الجوهرية ، وهو جامع من جهة التعين . وليس في هذا تفريق
بين جوهر الله وتعينه ، فهو جوهر واضح ومعين ، لأن التعين من مستلزمات
كل موجود حقيقي .

ان وحدانية الله وحدانية جامعة إذاً ، وليس هذا غريباً ، فالله عجيب
في ذاته ولا يمكن الإحاطة به إطلاقاً ، فإن الله يسمو فوق العقل ولو أنه
ليس ضد العقل ، لأنه يجب أن نؤمن أن وحدانية الله هي وحدانية بسيطة
أو مطلقة ، أو أنها وحدانية جامعة مانعة .

فإن قلنا إنها وحدانية بسيطة نفينا عنه الذات والصفات ، وهو صاحب
ذات وله صفات . . وإن قلنا إن وحدانية مطلقة افترضنا أن صفاته كانت
بلا عمل في الأزل ، وهذا يعنى أنه متغير ومتطور بدخوله في علاقة مع
الكائنات التي خلقها ، وهذا باطل .

إذاً من المؤكد أن وحدانية الله هي وحدانية جامعة مانعة ، أى أنها متميزة بتعينات ، لأن هذه التعينات هي الخصائص الأصلية الذاتية لوحدانية الله المتصف بكل صفات الكمال ، والذي كانت صفاته بالفعل ، منذ الأزل الذى لا بداية له وستبقى إلى الأبد الذى لا نهاية له . وهذا يتوافق مع كماله التام واستغنائه عن كل شىء فى الوجود ، وعدم تعرضه للتطور والتغير بأى شكل من الأشكال .

وقد اصطلح رجال علم اللاهوت المسيحيون على تسمية تعينات الله بأنها « أقانيم » الله . وأقانيم (ومفردها أقنوم) كلمة سريانية يطلقونها على كل من يتميز عن سواه . والأقانيم مع تميز أحدهم عن الآخر فى الأقنومية هم واحد فى الجوهر بكل خصائصه وصفاته ومميزاته لأنهم ذات الله الواحد .

قياس مستمد من الطبيعة

وقبل أن أقدم هذه الأمثلة والقياسات المستمدة من الطبيعة أود أن أوضح انه لا يوجد قياس مضبوط تماماً ، يوفى لتوضيح فكرة الثالوث ، لكننا نقدم هذه الأمثلة لتساعدنا على فهم الفكرة . . .

يتميز الانسان عن العدم بخاصية الوجود ، ويتميز عن الجماد بخاصية الحياة ، ويتميز عن الحيوان بخاصية النطق – ومع وجود هذه الخواص الثلاث فيه فهو إنسان واحد ! .

والنار تحتوى على الحرارة والنور واللهيب – وهى نار واحدة والانسان نفس وجسد وروح ، وهو ذات واحدة .

والعقل مخيلة وإدراك وذاكرة ، لكنه عقل واحد .

يمكن أن ترى الماء سائلاً وبخاراً وثلجاً متجمداً . . .

وقف محاضر مرة يهزأ بعقيدة الثالث ويسأل : « كيف يمكن أن يكون الثلاثة واحداً ، وكيف يكون الواحد ثلاثة ؟ » فوقف أحد الحاضرين يسأله : « كيف تشتعل هذه الشمعة ؟ » فأجاب المحاضر : « الشحم والفتيل والهواء اتحدت فأوجدت هذا النور المنظور » . فسأله السامع : « هل تقدر أن تفهم كيف أن المواد الثلاث توجد نوراً واحداً ؟ » فأجاب المحاضر : « كلا ! » فقال السامع : « وكيف تصدق هذا النور مع أنك لا تفهم كيفيته ؟ » .

عقيدة الثالث تحل بعض المعضلات الدينية

إن كانت وحدانية الله وحدانية مطلقة فإننا نسأل : لماذا خلق الله العالم ؟
١ - كيف استطاع الله الخالق أن يتنقل من حالة التنزه عما سواه إلى قيامه بالخلق وصيرورته خالقاً ؟ أليس ذلك « صيرورة » مما يعنى التغير والتبدل !

٢ - لم يكن ممكناً أن تظهر قدرة الله قبل الخلق ، لأنها إنما ظهرت بالخلق . قبل الخلق كانت قدرته كامنة غير عاملة . فإذا قلنا إن عملية الخلق كانت لازمة لإظهار قوته ، ، فقد نسبنا إليه تعالى النقص والاعتماد على الغير !

٣ - إن الخلق في هذه الحالة هو بدء علاقة بين الخالق وخليقته . وهذه العلاقة هي بمثابة بدء حياة جديدة لكائن ما . وهذا يناقض التنزيه !

٤ - إن العلاقات بين الله وخليقته تقتضى الأثر والانفعال المتبادل فالكلام يقتضى أن السامع يسمع صوت من يخاطبه . وهذا يناقض التنزيه ! إذ كيف يمكن للاله أن يخرج عن حيز الفعل ويدخل حيز الانفعال .

أما عقيدة التثليث فإنها تحل هذه المشاكل .

١ — لم يحدث لله « تغيير » عندما خلق العالم ، ولم يتنقل من حالة القدرة الكامنة إلى حالة القدرة الخالقة . لكن الخلق صادر من محبته التي هي فيه منذ الأزل ، والمحبة جوهر ذات الله ، وكانت عاملة فيه منذ الأزل ، فالآب يحب الابن من قبل الخلق كله ! والابن يحب الآب ، فالمحبة متبادلة بين الأقانيم الثلاثة .

٢ — إن الاعتقاد بإله مثلث الأقانيم يدل على أن خلق العالم لم يكن بداية العلاقات بينه وبين غيره ، فقد كانت علاقاته موجودة منذ الأزل بكلمته وبروحه القدس .

٣ — ان الاعتقاد بالثالوث يحل مشكلة الانفعال ، لأنها تعلم أن الله محبة ، والمحبة أزلية بين الأقانيم الثلاثة ، واستمرت بعد ذلك بين الله والبشر . هي محبته التي تستجيب الصلاة — فلقد قيل : « وقال ربكم : ادعوني أستجب لكم » وقيل أيضاً : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » . وهذا هو انفعال الله مع البشر واستجابته لهم . وهو نفسه ما يعلمه الإنجيل من أن الله المحب ، الذي في السموات ، هو الذي يشجعنا أن نتصل به ونطلب منه (متى ٦ : ٦-١٣) .

فكرة الأبعاد الثلاثة

وآخر ما نقدمه في هذا البحث من توضيح لعقيدة التثليث هو ما أورده الأستاذ كليف لويس في كتابه : MFRE CHRISTIANITY بعنوان « الإله المثلث الأقانيم » ، حيث يقول :

أنت تعلم أنك تقدر أن تتحرك في ثلاثة اتجاهات ، للشمال واليمين ، للأمام وللخلف ، لأعلى ولأسفل . وكل اتجاه هو واحد من هذه الثلاثة أو هو وسط بينهم . ونسمى هذه الاتجاهات « الأبعاد الثلاثة » . فإن كنت تستعمل بعداً واحداً يمكنك أن ترسم خطاً مستقيماً . فإن استعملت بعدين من الثلاثة يمكنك أن ترسم شكلاً هندسياً : مربعاً مثلاً . أما ان استعملت هذه الأبعاد الثلاثة فانك تقدر أن تعمل شيئاً مجسماً : مكعباً مثلاً . والمكعب كما تعلم يتكون من ستة مربعات .

هل رأيت الفكرة ؟ عالم البعد الواحد هو عالم الخطوط المستقيمة ، أما عالم البعدين فإنه يحوى الخطوط المستقيمة مع الأشكال الهندسية . ولكنك في عالم الأبعاد الثلاثة تحصل على الخطوط المستقيمة والأشكال الهندسية والأشياء المجسمة . وعندما تتقدم إلى مستويات أكثر واقعية وأكثر تعقيداً ، فإنك لا تترك ما وجدته على المستويات البسيطة ، فهو باق معك ، ولكنك ستحصل عليه متحداً بطرق مختلفة لم تكن تخطر على بالك عندما تفكر على المستويات الأبسط .

والفكر المسيحي عن الله يقوم على المبدأ نفسه ، فالمستوى الإنسانى بسيط ، وفارغ — على المستوى الإنسانى يكون الشخص الواحد ذا كيان واحد ، وكل شخصين مستقلين هما شخصان منفصلان . تماماً كما يحدث عندما تستخدم بعدين لرسم شكلين هندسيين (مربعين مثلاً) على ورقة بيضاء أما على المستوى الإلهى فإنك تجد شخصيات (ندعوها أقانيم) لكنها متحدة بطرق جديدة ، لانستطيع نحن أن ندركها ولاحتى أن نتخيلها ، لأننا لانحيا على مستواها . فعلى المستوى الإلهى تجد إلهاً واحداً ، ذا ثلاثة أقانيم ، ومع ذلك فإنه إله واحد ، تماماً كما أن المكعب يتكون من ستة مربعات مع أنه مكعب واحد . وبالطبع نحن نعجز عن إدراك كائن مثل هذا ، وكأننا مخلوقون

لندرك بعدين فقط لا ثلاثة ، وإذا بنا نعجز عن إدراك منظر المكعب . على أننا قادرون أن ندرك فكرة باهتة عنه . وعندما نصل إلى هذا الإدراك فإننا نحصل على فكرة إيجابية باهتة عن هذا الكائن « الفوق إنسانى » وذلك لأول مرة فى حياتنا . إنه كائن أكثر من شخص ! وهذا شيء لم يكن ممكناً أن نخمنه ، ولكن ما أن نسمع عنه حتى نقول إننا كان يجب أن ندركه لأن وجوده وكيانه يتفق مع كل الحقائق التى كنا نعرفها من قبل .

ولربما تسأل : « لا أقدر أن أتخيل شخصاً ذا ثلاثة أقانيم ، فما جدوى هذا الحديث ؟ » وللإجابة أقول إنه لا جدوى فعلاً من الحديث عنه ، فإن الأمر الأساسى هو أن تنجذب إليه . وهذا يمكن أن يحدث فى أى وقت : الآن لو أنك أردت !

يركع شخص مسيحى غادى ليصلى ، محاولاً أن يتصل بالله . ولكنه كمسيحى يعلم أن الذى أنشأ فى داخله الرغبة لأن يصلى هو الله ، فالله داخله ! وهو يعلم أيضاً أن كل معلوماته عن الله جاءت عن طريق ، المسيح — الإنسان الذى هو الله . كما أنه يعلم أن المسيح واقف إلى جواره ، يساعده وهو يصلى ، كما أنه يصلى لأجله (أى يشفع فيه . أنت ترى أنه يصلى لله ، فهو هدف الصلاة وغايتها . والله داخله يدفعه للصلاة — فهو دافع الصلاة . والله أيضاً هو الطريق الذى يندفع فيه لتحقيق الهدف . وهكذا ترى أن كل حياة الله المثلث الأقانيم تعمل داخل الغرفة التى يصلى فيها ذلك المسيحى البسيط . أنه يرتفع إلى مستوى الحياة الروحية ، إذ أن الله يرفعه إلى ذات الله . بينما يبقى الإنسان هو الإنسان .

لقد كان الناس يعرفون عن الله معرفة غامضة مبهمه ، ثم جاء إنسان (هو المسيح) يقول إنه الله ، ولم يكن هذا الشخص مجنوناً يمكن إزاحته جانباً ، بل كان قادراً أن يجعل جماعة تؤمن به . ولقد التقت به هذه الجماعة بعد موته ، ثم كونت هيئة صغيرة ، كانت قادرة أن تشعر بوجوده في وسطها ، يقودها ويمنحها القدرة على إنجاز ما كان يستحيل عليها أن تنجزه من قبل . وعندما درست هذه الجماعة حقيقة الإيمان الذي وصلت إليه وضعت تعريفاً لله أنه إله مثلث الأقانيم .

هذا الكتاب

يتضمن البراهين والحجج الدامغة التي تدحض الشك وأسبابه . إذ يرد بطريقة عقلانية على كل التساؤلات التي تثور حول الكتاب المقدس وشخص المسيح . فكما يقول الكاتب لم يطلب الله منا « إيماناً أعمى » بل « إيماناً واعياً » لأنني عالم بمن آمنت ، وموقن « (٢ تيموثاوس ١ : ١٢) . فالإيمان بالمسيحية مبني على حقائق ، وهو ليس إيماناً عاطفياً ولكنه إيمان عقلائي . والإيمان المسيحي يذهب إلى ما هو أبعد من العقل ، لكنه ليس ضد العقل لأنه يتعامل مع الله غير المحدود .

لقد نفذ الكتاب في طبعته الأولى والثانية ، وبين يديك الطبعة الثالثة التي نصدرها نظراً للاقبال الشديد على طلبه ، راجين أن ينتفع به الكثيرون .



دار الثقافة

١٠١٠٠٣٠١

١٠١٠٠٣٠١